



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل - كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن / الدراسات العليا

نقد دعوى الأصول الأسطورية في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

أطروحة تقدمت بها إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية - جامعة بابل، وهي جزء من

متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في علوم القرآن

الطالبة: زينب حيدر حسن الركابي

ياشرف الأستاذ الدكتور: محمد حمزة الشيباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَ عَلَيْهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ

بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

الفرقان: ٥ - ٦

صدق الله العلي العظيم

الأهداء

أهدي جهدي المتواضع هذا إلى مقام الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

وإلى آل بيته الأطهار (عليهم السلام)

الشكر والتقدير

أوجه خالص شكري وأمتاني إلى عائلتي، وإلى كل من ساندني في
أنجاز هذه الدراسة، وخص بالشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد حمزة الشيباني
المحترم لقبوله الإشراف على هذه الأطروحة، وما قدمه لي من مساعدة في سبيل أنجازها
بأكمل وجه.

الفهرست

رقم	
أ	الآية
ب	الاهداء
ت	الشكر والتقدير
ث-خ	الفهرست
٥-١	المقدمة
٤٣-٦	التمهيد : مدخل إلى فهم الأسطورة
٢١-٧	المبحث الأول : تحديد مصطلح الأسطورة وإعادة قراءته
١٦-٧	المطلب الأول : إشكالية مفهوم الأسطورة
١٨-١٧	المطلب الثاني : حقيقة الأسطورة
٢١-١٩	المطلب الثالث : الفرق بين الخرافة والأسطورة
٤٣-٢٢	المبحث الثاني : مفردة الأسطورة في القرآن
٢٥-٢٢	المطلب الأول : الأسطورة في الاستعمال القرآني
٣٨-٢٦	المطلب الثاني : معاني (أساطير الأولين) لدى المفسرين
٤٣-٣٩	المطلب الثالث : التصدي لدعوى الأصول الأسطورية للقرآن
	الفصل الأول : قصة الخليقة وهبوط الإنسان بين النصوص الأسطورية
١٢٢-٤٤	والكتاب المقدس والقرآن الكريم
٦٨-٤٧	المبحث الأول : قصة الخليقة وهبوط الإنسان في الأساطير السومرية والبابلية
٥٨-٤٨	المطلب الأول : قصة الخليقة السومرية
٦٨-٥٩	المطلب الثاني : قصة التكوين البابلية

المبحث الثاني : قصة الخليقة التوراتية	٦٩- ٨٢
المطلب الأول : قصة التكوين التوراتية	٧٠- ٧٧
المطلب الثاني : تشابه قصة التكوين التوراتية مع الاساطير الرافدينية (السومرية والبابلية)	٧٨-٨٢
المبحث الثالث : قصة الخلق القرآنية وميزتها عن غيرها	٨٣- ١٢٢
المطلب الأول : قصة خلق الكون القرآنية	٨٣- ٩٢
المطلب الثاني : خلق الإنسان وهبوطه من الجنة في القرآن الكريم	٩٣- ١٠٤
المطلب الثالث : قصة الخلق بين التوراة والقران الكريم	١٠٥- ١١٥
المطلب الرابع: التوراة والقرآن ودرجة التشابه مع الأساطير	١١٦- ١٢٢
الفصل الثاني :حدث الطوفان بين الأصول الأسطورية والكتاب المقدس	
والمعطيات القرآنية	
المبحث الأول : حدث الطوفان في المدونات الأسطورية	١٢٣- ٢٩٨
المطلب الأول: تعدد المرجعيات الأسطورية لحدث الطوفان	١٢٤- ١٢٦
المطلب الثاني : أسطورة الطوفان السومرية	١٢٧- ١٣١
المطلب الثالث : أسطورة الطوفان البابلية	١٣٢- ١٣٦
المطلب الرابع: عناصر الحدث في السرد الأسطوري والتنقيبات الاثرية	١٣٧- ١٤١
المطلب الخامس: اشكالات منهجية في تحليل حدث الطوفان	١٤٢- ١٤٥
المبحث الثاني : الطوفان في العهد القديم	
المطلب الأول : حدث الطوفان التوراتي	١٤٦- ١٥١
المطلب الثاني : الاختلافات في الرواية التوراتية لحدث الطوفان	١٥٢- ١٥٣
المطلب الثالث : مقارنة بين قصة الطوفان التوراتية واسطورة الطوفان السومرية – البابلية	١٥٤- ١٥٧
المطلب الرابع: عالمية الطوفان وذكره في العهد الجديد	١٥٨- ١٦٠
المبحث الثالث : المعطيات القرآنية لحادثة الطوفان وإنمياها عن الفكر الأسطوري	١٦١- ١٩٨

المطلب الأول : الرواية القرآنية لحدث الطوفان ١٧٥-١٦١

المطلب الثاني : موقع الطوفان وحدوده ١٨٥-١٧٦

المطلب الثالث : تحليل ومقارنة ١٩٨-١٨٦

الفصل الثالث : انبياء وشخصيات مقدسة بين الفكر الأسطوري

والقرآن الكريم ٢٩٤-١٩٩

المبحث الأول: دعوى الأصول الأسطورية لشخصيات نبوية في القرآن الكريم ٢٤٦-١٩٩

المطلب الأول : شخصية النبي موسى (عليه السلام) ٢٣٠-١٩٩

المطلب الثاني : شخصية النبي يونس (عليه السلام) ٢٤٦-٢٣١

المبحث الثاني : شخصيات مقدسة بين القرآن الكريم والفكر الأسطوري ٢٩٤-٢٤٧

المطلب الأول : ذو القرنين ٢٧٨-٢٤٧

المطلب الثاني : أصحاب الكهف ٢٩٤-٢٧٩

الفصل الرابع : دعوى الأصول الأسطورية للممارسات العبادية

في القرآن الكريم ٣٤٩-٢٩٥

المبحث الأول : الشعائر والطقوس الدينية ٣٠٤-٢٩٧

المطلب الأول : الشعائر والطقوس الدينية في اللغة والاصطلاح - المفهوم ٣٠٠-٢٩٧

المطلب الثاني : تحول الشعائر الدينية إلى طقوس (طقسنة الشعائر الدينية) ٣٠٤-٣٠١

المبحث الثاني : الصلاة ٣٢٣-٣٠٥

المطلب الأول : الصلاة في طقوس سكان العراق القديم ٣٠٨-٣٠٦

المطلب الثاني : الصلاة في طقوس المصريين القدماء ٣٠٩

المطلب الثالث : الصلاة في تعاليم أهل الكتاب ٣١٤-٣١٠

٣٢٣-٣١٥	المطلب الرابع : الصلاة في الإسلام
٣٣٢-٣٢٤	المبحث الثالث : الصيام
٣٢٦-٣٢٥	المطلب الأول : الصيام في طقوس سكان وادي الرافدين والمصريين القدماء
٣٢٨-٣٢٧	المطلب الثاني : الصيام في تعاليم أهل الكتاب
٣٣٢-٣٢٩	المطلب الثالث : الصيام في الإسلام
٣٤٩-٣٣٣	المبحث الرابع : النذور (القرايين)
٣٣٧-٣٣٥	المطلب الأول : النذور والقرايين في طقوس سكان بلاد الرافدين
٣٤١-٣٣٨	المطلب الثاني : النذور والقرايين في تعاليم أهل الكتاب
٣٤٣-٣٤٢	المطلب الثالث : النذور والقرايين في الجاهلية
٣٤٩-٣٤٣	المطلب الرابع : النذور والقرايين في الإسلام
٣٥٤ -٣٥٠	الخاتمة وأهم النتائج
٣٨٦-٣٥٥	المصادر والمراجع
٣٨٧	الملخص باللغة الإنجليزية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والخلق أجمعين ، نبينا الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبعد ...

بين الحين والآخر تظهر دراسات وبحوث تتحدث عن الأصول الأسطورية للكتب المقدسة بصورة عامة والقرآن الكريم بصورة خاصة، وفي الآونة الأخيرة زادت وتيرة هذه الدراسات عن مدى تشابه القصص والشعائر والمعتقدات الدينية الموجود في القرآن الكريم وما موجود في الأساطير القديمة ، كالأساطير السومرية ، والبابلية والاكديية ، والمصرية ، وغيرها .

وكل ذلك بغية النيل من الأديان السماوية بصورة عامة ، والإسلام بصورة خاصة ، عن طريق أدعاء أن هذه الأديان تعد أدياناً وضعية من قبل البشر ، وأن كتبهم ذات أصولٍ أسطورية ، وأنها متأثرة بما قدمه أصحاب الحضارة القديمة ، وأنها تتحلل قصصها ومعتقداتها وشعائرها من أساطير تلك الشعوب البائدة؛ لذا عمل البحث على تفكيك هذه الشبهة ومناقشتها وبيان وجه الحق والصواب فيها، فوقع على عاتق البحث نقد دعوى الأصول الأسطورية للقرآن الكريم من خلال خطوات ، هي إعادة قراءة مصطلح الأسطورة بصورة صحيحة ، هذا المصطلح الذي طالما ارتبط ذكره بالخرافات والاباطيل ، ومن خلال بيان أن الأسطورة لا تعني الخرافة بل هي تعبير الانسان الأول ، وسجله التاريخي ، إلا أنها حرّفت بتعاقب الزمان ، مع بقاء جوهرها الحقيقي ، و أن القرآن الكريم أزال هذه الشوائب عنها وظهرها بصورتها الحقيقية . ومن ثم استعراض بعض من هذه الأساطير محل الشبهة ومقارنتها مع ما جاء في الكتاب المقدس ومن ثم القرآن الكريم ، لنرى مدى تطابق الدعوى ، وبيان أن دعوى الأصل الأسطوري أسقطت أولاً على الكتاب المقدس ، ومنه

أسقطت على القرآن كونه امتداد للكتب السماوية ، ليتضح أنه لا وجود للتطابق الأسطوري بينها وبين القرآن ، وأن نسبة الشبه الموجودة هي ليست اقتباساً أسطورياً إنما وحي من الله تعالى .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

لعل من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو الواجب الذي تفرضه علينا هويتنا الإسلامية في الدفاع عن كتابنا والوقوف بالضد من كل أولئك الذين يحاولون النيل من قدسيته من خلال اثاره الشبهات وتشكيك المسلمين بمصدرية قرآنهم ، وإيهامهم بأن القرآن الكريم جاء نتيجة التأثر بالحضارات القديمة ، وأنه محض اقتباسات أسطورية صيغة بقالب جديد، فكان لابد من التصدي لمثل هذه الدعوات الباطلة والعمل على تسخير هذا التشابه الذي نجده في مواضع محدده منه لأثبات مصدره الإلهي ، وأثبات أن هذه المشتركات التي نجدها ما هي إلا بقايا شرائع قامت على التوحيد ، واندثرت معالمها مع تقادم الزمان ، وأن هذا الموروث المشترك ليس بصدفة ولا هو تأثر الإسلام بتلك الحضارات والأديان إنما هو موروث تركه الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى في جميع الأزمنة لهداية الناس ، فجاء الخبر القرآني مصححاً ومكماً لما سبقه .

وعلى هذا جاءت هذه خطة الدراسة من تمهيد وأربعة فصول تعقبها خاتمة بأهم النتائج : فكان التمهيد : مدخل إلى فهم الأسطورة ، تقدم فيه إعادة قراءة لهذا المصطلح وأبرز الإشكالات المثارة عليه ، وتميزه عن غيره وبيان حقيقة الأسطورة واستعمال القرآن لهذا المصطلح وكيف تعامل معه المفسرين ، مع بيان كيفية التصدي لدعوى الأصول الأسطورية . بعد ذلك تأتي الفصول الأربعة لهذه الدراسة التي كانت عبارة عن دراسة تحليلية مقارنة بين مجموعة من القصص والطقوس الوارد ذكرها في المصادر الثلاثة الأسطورية والكتاب المقدس والقرآن الكريم فكان **الفصل الأول** بعنوان : قصة الخليقة وهبوط الإنسان بين النصوص الأسطورية والكتاب المقدس والقرآن الكريم . أما **الفصل الثاني** فكان عن : حدث الطوفان بين الأصول

الأسطورية والكتاب المقدس والمعطيات القرآنية. **والفصل الثالث** انبياء وشخصيات مقدسة بين الفكر الأسطوري والقرآن الكريم. **أما الفصل الرابع والأخير** فكان عن دعوى الأصول الأسطورية للممارسات العبادية في القرآن الكريم . وتختتم الاطروحة **بخاتمة بأهم النتائج** .

وبذلك كان عمل هذه الاطروحة على ثلاثة محاور هي ، محور الاساطير ، ومحور الكتاب المقدس ، ومحور القرآن الكريم ، فقد كان من الأهداف الرئيسة لهذه الدراسة هو عملية الربط والمقارنة بين هذه المحاور الثلاثة للخروج باستنتاجات مهمة لغرض نقد دعوى الأصول الأسطورية . وقد أستدعى ذلك الاعتماد على مصادر متنوعة للالمام بالموضوع ، فاشتملت الدراسة على مصادر مهمة في علم الاساطير (الميثولوجيا) ، ومن هذه المصادر : مقدمة في ادب العراق القديم للآثاري طه باقر ، وكتاب من ألواح سومر للآثاري المختص بالسومريات د. فاضل عبد الواحد ، ومؤلفات مؤرخ الأديان والحضارات د. خزعل الماجدي (متون سومرية -) وكذلك مؤلفات الكاتب السوري في الميثولوجيا وتاريخ الأديان فراس السواح (مغامرة العقل الأولى، الأسطورة والمعنى ، أساطير الأولين - القصص القرآني ومتوازياته التوراتية) ، وبعض المصادر الأجنبية المترجمة للعربية مثل: (الاساطير في بلاد ما بين النهرين لصموئيل هنري)، و كتاب (الاساطير السومرية لصموئيل كريم) . وأيضًا اعتمدت الدراسة على الكتاب المقدس في اقتباس النصوص الدينية التوراتية وبعض النصوص الانجيلية ، وبعض كتب شرح الكتاب المقدس ، وكتب أخرى في نقد التوراة ومقارنة النصوص التوراتية والاسطورية ، مثل (كتاب أساطير الأولين - القصص القرآني ومتوازياته التوراتية للسواح) ، (أساطير التوراة الكبرى لكارم عزيز) ، وكتاب (الأسطورة والتوراة لناجح المعموري) ، وغيرها الكثير من الكتب التي تتحدث عن البنية الأسطورية للكتاب المقدس ، ومن المصادر المهمة التي اعتمدها الباحثة في هذه الدراسة هي كتاب (الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي لمؤلفه سامي عامري) والذي يرد من خلاله على دعوى خرافية شخصيات الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، وأيضًا من المصادر المهمة التي استعانت بها الباحثة في هذه الدراسة كتاب (الأنبياء في العراق دراسة

مقارنة بين التوراة والقرآن والآثار لمؤلفه رعد شمس الدين الكيلاني) الذي عمدته في دراسته إلى إدخال البحث الاثري كمصدر لتفسير النصوص القرآنية ، واستكمال الصورة التاريخية للرواية التاريخية المذكورة في النصوص القرآنية والتوراتية والوثيقة الأثرية . بالإضافة إلى العديد من المصادر التاريخية الإسلامية والتوراتية ، وكتب الأديان و القصص القرآني والتفاسير التي شكلت جانباً مهماً من مصادر هذه الدراسة والتي جعلها تتسم بالتنوع الفكري و المعرفي .

أما منهجية الدراسة فهي : المنهج التحليلي والوصفي ، وذلك من خلال استعراض النصوص الأسطورية والتوراتية والقرآنية وتحليلها ومقارنتها للخروج بنتائج حول نقد دعوى الأصول الأسطورية للقرآن الكريم .

الدراسات السابقة : بالرغم من وجود بعض الدراسات الاكاديمية التي قدمت معالجة لبعض جزئيات هذه الدراسة إلا أنه لم يقع على يدي الباحثة أية دراسة شاملة تخص موضوع الاطروحة ، عدا بعض المؤلفات التي تناولت جوانب مهمة من هذا الموضوع ، مثل القرآن والأساطير أيهما أقتبس من الاخر لرشيد السراي ، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي لمؤلفه سامي عامري .

الصعوبات : لا يخلوا أي عمل من العقبات والصعوبات ، فقد واجهني أثناء هذه الدراسة جملة من الصعوبات لعل من أهمها :

١- طبيعة الموضوع الدينية والتاريخية والاثرية ، وهذا ما يستدعي الالمام بأكثر من تخصص لإثراء الموضوع ، والوصول إلى نتائج أكثر دقة .

٢- تطلبت الدراسة الاستشهاد بنصوص أسطورية ، وهذه كانت باللغة المسمارية ، وعدم معرفتي بهذه اللغة تطلب الاعتماد عن النصوص الأسطورية المترجمة ، من اللغة المسمارية إلى الإنكليزية ، ومن ثم العربية .

٣- تشعب الموضوع وتداخل معطياته ، يصعب من عملية فصلها ، مما يؤدي إلى الوقوع في التكرار

في كثير من الأحيان خاصة عند عمل المقارنة .

٤- لعل من أهم الصعوبات التي واجهتني هي الاختلاف والتباين في الكثير من المراجع ، خصوصاً

تلك التي تخص القصص سواء كانت الأسطورية منها أم الدينية ، لدرجة التناقض مما يصعب

عملية اقتباس المعلومة والصحيحة .

وفي الختام ارجو من الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يساهم في تعزيز المسيرة العلمية والبحثية

الإسلامية .

الباحثة

التمهيد : مدخل إلى فهم الأسطورة

المبحث الأول : تحديد مصطلح الأسطورة وإعادة قراءته

● المطلب الأول : إشكالية مفهوم الأسطورة

● المطلب الثاني : حقيقة الأسطورة

● المطلب الثالث : الفرق بين الخرافة والأسطورة

المبحث الثاني : مفردة الأسطورة في القرآن الكريم

● المطلب الأول : الأسطورة في الاستعمال القرآني

● المطلب الثاني : معاني (أساطير الأولين) لدى المفسرين

● المطلب الثالث : التصدي لدعوى الأصول الأسطورية في القرآن الكريم

المبحث الأول : تحديد مصطلح الأسطورة وإعادة قراءته

المطلب الأول : إشكالية مفهوم في الأسطورة

ابتداءً إن دراسة أية ظاهرة من الظواهر الإنسانية يتطلب من الدارس أن يقف ملياً عند المصطلح وتحديد دلالاته، للوقوف على تعريف محدد للظاهرة طور الدراسة وبيان حدودها بصورة جلية ، لأن التحديد الدقيق للمصطلح يساهم في قطع شوط كبير جداً إلى وصف وتحليل الظاهرة موضع الدراسة ، فعندما يتطرق إلى مسامعنا كلمة "أسطورة" أول ما يتبادر إلى الذهن هو قصة خيالية من غابر الزمان بعيد كل البعد عن الواقع يتداولها الناس كـ(لون أدبي) أو لغرض التسلية ، إلا أن هذا يُعدُّ تجني بحق التأريخ الإنساني ؛ لكون الأساطير توثق لمرحلة من مراحل تطور البشرية ، تلك المرحلة التي كانت خالية من أي شكل من أشكال الكتابة ، فكانت تلك الأساطير هي السجل المقدس لتلك الشعوب .

وكما أن الكثير من الأحداث التاريخية دخلها التحريف والتبديل عبر امتداد الزمان فهذا أيضاً شأن الأساطير ؛ لذا سنعمل في هذه المطلب على تنقية مصطلح "الأسطورة" مما علق فيه من مفاهيم خاطئة ، للوصول إلى حقيقة الأسطورة هل هي مجرد خيالات وحكايات لا أصل لها ، أم أنّ لها نصيباً من الحقيقة ، إلا أنها تغلفت عبر القرون بمزيجٍ من الخرافات والأباطيل والأكاذيب ، وما هي العوامل أو الأسباب التي أدت بهذا الإرث الحضاري إلى الهبوط لمرتبة دنيا من بين المعارف الأخرى الواصلة إلينا .

يرى فراس السواح أنّ إشكالية المفهوم في الأسطورة تنطلق في أن القدماء انفسهم لم يقدموا على تمييز النص الأسطوري عن غيره من النصوص التي تركوها من حكايات وصلوات وأناشيد ، ولا هم دعوها باسم معين يساعد على تمييزها عن غيرها من بين ما تركوه لنا ، ويسوق السواح لذلك مثالين سومري وإغريقي ، فالسومريون كانوا يمتلكون مكتبات لحفظ الرقم الفخارية تسمى (بيوت الألواح) ، وكان لهم نظام أرشيف

يساعد خازن البيت على جرد محتوياته ، لكن عند النظر إلى لوائح أرشيفهم نجد أن النصوص الأسطورية مبعثرة بين بقية الأصناف ولم تجمع في زمرة واحدة ، وهذا النظام بقى قائماً حتى أواخر المملكة الأشورية ، فلم تكن هنالك إشارة لتمييز النص الأسطوري عن غيره ، ونجد الأمر ذاته عند الإغريق^(١) ، وكان هذا سبباً لاختلاط النص الأسطوري المقدس مع غيره من النصوص الواصلة إلينا ، إضافة إلى ما لحق الأساطير من إضافات عبر الزمان من قِبل الأجيال المتعاقبة ، وتعقياً على ذلك نرى أن تصور السواح هذا لا يستند في الواقع إلى دليل مقنع ، و إذا كان النص الأسطوري هو النص الديني ، فيحتمل أن يكون هذا الامر مقصوداً ، لأن النص الديني يدخل في جميع شؤون الحياة ، فلا بد إذن من بعثرته عليها .

تلك من الأسباب التي جعلت مصطلح الأسطورة من الاصطلاحات التي اعترها الكثير من الضبابية والغموض ، وكذلك أن تعدد مفاهيمها أيضاً يعود لتعدد الباحثين وتخصصاتهم ، وتتنوع الموضوعات التي تتناولها الأساطير ، ومن أجل إزالة هذا اللبس عن مصطلح "الأسطورة" لا بدّ من الرجوع إلى معاني الكلمة في اللغة والاصطلاح ، والاستعمال القرآني لنتمكن من تحديد تعريف يتناسب مع القيمة التاريخية لها :

-الأسطورة في اللغة والاصطلاح :

اولاً : الأسطورة في اللغة :

أن لكلمة الأسطورة جذوراً في اللغة العربية :

_ أسطورة واحدة الأساطير ، الأسطورة مشتقة من سطر ، ذكر ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) أن أصل الأسطورة من: (("سَطَرَ" السَّيْنُ وَالطَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ مُطَرِّدٌ يَدُلُّ عَلَى اصْطِفَافِ الشَّيْءِ ، كَالْكِتَابِ وَالشَّجَرِ ،

^١ - ينظر : فراس السواح ، الأسطورة والمعنى : ١٠ .

وَكُلِّ شَيْءٍ اضْطَفَّ. فَأَمَّا الْأَسَاطِيرُ فَكَأَنَّهَا أَشْيَاءٌ كُتِبَتْ مِنَ الْبَاطِلِ فَصَارَ ذَلِكَ اسْمًا لَهَا، مَخْصُوصًا
بِهَا. يُقَالُ سَطَّرَ فُلَانٌ عَلَيْنَا تَسْطِيرًا، إِذَا جَاءَ بِالْأَبَاطِيلِ. وَوَاحِدُ الْأَسَاطِيرِ إِسْطَارٌ وَأُسْطُورَةٌ))^(١).

_ وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ): ((واحدُ الأساطير أُسْطُورَةٌ، كَمَا قَالُوا أُحْدِثْتُه وَأَحَادِيثُ. وَسَطَّرَ يَسْطُرُ إِذَا كَتَبَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)) . وَالْأَسَاطِيرُ: الْأَبَاطِيلُ، وَالْأَسَاطِيرُ: أَحَادِيثٌ لَا نِظَامَ لَهَا ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جُمِعَ سَطَّرٌ عَلَى اسْطُرٍّ ثُمَّ جُمِعَ اسْطُرٌّ عَلَى أساطير. يُقَالُ سَطَّرَ فُلَانٌ عَلَيْنَا يُسَطِّرُ إِذَا جَاءَ بِأَحَادِيثٍ تُشْبِهُ الْبَاطِلَ، يُقَالُ: هُوَ يُسَطِّرُ مَا لَا أَصْلَ لَهُ أَي يُؤَلِّفُ ، وَ يُقَالُ أَيْضًا: سَطَّرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ إِذَا زَخَرَفَ لَهُ الْأَقَاوِيلَ وَنَمَّقَهَا، وَتِلْكَ الْأَقَاوِيلُ الْأَسَاطِيرُ وَالسُّطُرُ))^(٢).

_ يذكر الفيروزآبادي (ت: ١٤١٠هـ) في بيان معنى الأسطورة: ((أساطير، والخط، والكتابة، والأساطير: الأحاديث لا نظام لها، جمعُ إسْطَارٍ وإِسْطِيرٍ، بكسرهما، وَسَطَّرَ تَسْطِيرًا: أَلَّفَ، عَلَيْنَا: أَتَانَا بِالْأَسَاطِيرِ))^(٣).
يتبين من خلال التعريفات اللغوية للأسطورة بأنها : عبارة عن الكلام المُسَطَّر المصنوف سطرًا بعد سطر، وقد تكون عبارة عن أباطيل تسطر تسطيرًا ، أو هي الاحاديث المحرفة أو التي يُشْتَبِه ببطلانها.
وهذه المعاني نجد ما يقاربها في اللغات الغربية ، فكلمة "Myth" أي الأسطورة مشتقة من الأصل اليوناني "Muthos" وهي : ((حكاية شعبية أو أدبية تضم كائنات خارقة وإجراءات خيالية التي تنتقل الأحداث التاريخية))^(٤).

١ - الأزهرى ، تهذيب اللغة : ٢٣٠١١٢ . معجم مقاييس اللغة : ٧٢١٣ . مادة (س ط ر) .

٢ - ينظر : ٣٦٣١٤ . مادة (س ط ر)

٣ - القاموس المحيط : ٤٠٧١١ . (س ط ر)

٤ - فضيلة لكبير ، دور الأسطورة الدينية في البناء الاجتماعي : ٣١ .

وأن ((أفلاطون أول من استعمل تعبير "Mythologie" بمعنى "القول عن" أو "الإخبار عن" أو بمعنى "القصص"))^(١) .

و يظن بعض الباحثين أن كلمة "أسطورة" مقتبسة من أصل يوناني ، يقول وديع بشور : ((وكلمة "أسطورة" العربية مقتبسة من كلمة "أستوريا" Historia اليونانية وتعني الحكاية أو القصة ، إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية أو على عكس الحقيقة ، بينما الكلمة ذاتها Historia تعني "تاريخ"))^(٢) . فهل يمكن أن نعتبر أن كلمة "أسطورة" حديثة لم يعثر لها على أصل في معجماتنا العربية لكي يقال عنها أنها يونانية ، جاء في قاموس محيط المحيط : ((سَطَّرَ أي أَلَّفَ ، وسَطَّرَ فلان أي أتانا بالأساطير))^(٣) . ومنها ((السطر الذي يعني الخط والكتابة ، ومنها أسطر وسطور وهو الصف من الشيء كالكلمات والشجر ومنها السَطْرُ وتعني الأقاويل المنمقة المزخرفة ..))^(٤) . غير أن أصل الفعل هو صفُّ الشيء ، ومنها الساطور الذي يقطع اللحم ويصففه في شرائح ، ومنها سيطر ومسيطر ، تقال عندما يستولي أحد على آخر ، واستطاع سلب اختياراته فغدا كأنه في صفٍ واحد لا سبيل له من الحياد عنه ، وعلى ذلك يقول تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾** ﴿٢٢﴾ الغاشية: ٢٢ . فكلمة "أسطورة" عربية الأصل من جذر الفعل الثلاثي "سطر" ، بما أن كل كلمة في العربية مشتقة من جانبيين هما : مادتها ، والآخر صيغتها وأوزانها ، فمادة كلمة "أسطورة" كما سبق أن أشرنا تقوم على جذر يدل على المعنى العام الذي يجمع بين كافة مشتقاتها ، أمَّا الوزن فمن أوزان اللغة العربية ، فهو على وزن "أفعولة" كأحدوثه وألعوبة ...، وجمعها أساطير على وزن "أفاعيل" كأحاديث والإعيب ، وهذا ما يؤكد أن كلمة "أسطورة" هي أحد الاشتقاقات للجذر

١ - محمد عباس ، أفلاطون والأسطورة : ١١ .

٢ - وديع بشور ، الميثولوجيا السورية - أساطير آرام : ٩ .

٣ - بطرس البستاني : ٤١٠ .

٤ - لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأعلام : ٣٣٢-٣٣٣ .

الثلاثي (س ط ر) على وزن "أفْعُولَة" ، ومن هذا يتضح أن الرأي السابق قد قلب الحقيقة تماماً ، وهذا هو نتاج فرض الغربيين آراءهم على تراثنا التاريخي ، وبتنا نفسر تاريخنا على حسب تفسيراتهم ورؤيتهم ، فالكلمة عربية في أصلها وصلت إلى شبه الجزيرة اليونانية مع حركة العرب القدماء وهجرتهم^(١) ، بالتحديد من الفينيقيين الكنعانيين أجداد العرب ، الذين أخذ الإغريق عنهم الحروف الأبجدية^(٢) ، وهذه الكلمة كغيرها من الكلمات العربية التي شكلت جذور اللغة اليونانية والتي نسب إليها واضعو التاريخ في العصر الحديث ، كل الأصول العريقة للمصطلحات والألفاظ متناسين أصولها العربية ، وهذا ما جعلهم يفتقدون إلى الموضوعية والصواب في بيان الحقيقة^(٣).

ثانياً : الأسطورة في الاصطلاح :

بما أن مصطلح الأسطورة يسوده نوعاً من الغموض والالتباس ، كان ذلك سبباً في تعدد تعاريفها تبعاً لتعدد الموضوعات التي تتناولها الأساطير وأيضاً لتعدد اختصاصات الدارسين لها ، لهذا من الصعب أن نجد تعريفاً موحداً للأسطورة ، ويمكن أن تفسر في منظورات متعددة:

يعرفها مؤرخ الأديان مرسيا إلياد : ((الأسطورة تروي تاريخاً مقدساً ؛ تروي حديثاً جرى في زمن بدئي ، الزمن الخيالي ، هو زمن "البدايات" . بعبارة أخرى ، تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود

١ - ينظر : كتاب الأسطورة توثيق حضاري ، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية : ٢١ .

٢ - ينظر : هيروودوت أبو التاريخ ، تاريخ هيروودوت : ٢٩ .

٣ - ينظر : كتاب الأسطورة توثيق حضاري ، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية : ٢٢ .

، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا ، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون مثلاً ، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعاً من النبات ((١)).

وقد عرف فراس السواح (كاتب وباحث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان) الأسطورة : بأنها عبارة عن : ((حكاية مقدسة ، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود ، وحياة الإنسان))(٢).
وأهم ما يميز الأسطورة بحسب رؤية السواح هو ما يلي (٣) :

١- أن الأسطورة هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي ، من حبكة وعقدة وشخصيات ويمكن ترتيبها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهةً.

٢- يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن ، ولكن من دون أن تجمد ، لأن الفكر الأسطوري يستمر على الدوام في خلق أساطير جديدة .

٣- الأسطورة لا مؤلف لها ، ذلك لكونها لا تعد نتاج خيال فردي ، بل هي ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها ، وهذه الخصيصة الجمعية لا تمنع من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفوقة .

٤- تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية ، وأن ظهر الإنسان في مسرح الأحداث في الأسطورة كان ظهوره مكملاً لا رئيسياً .

٥- أن الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة تتميز بالجدية والشمولية ، مثل موضوع التكوين ولأصول ، الموت ، العالم الآخر ، ومعنى الحياة ، وسر الوجود وما الى ذلك من موضوعات .

١ - مظاهر الأسطورة : ١٠ .

٢ - الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية : ١٤ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ١٣-١٤ .

٦- تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس ، وهو غير الزمن الحالي ، ومع ذلك فإن مضامينها تكون أكثر صدقاً وحقيقة بالنسبة إلى المؤمن من مضامين الروايات التاريخية .

٧- تكون الأسطورة مرتبطة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته ، وتدخل في صلب طقوسه ، وفي حالة انهيار هذا النظام الديني تفقد الأسطورة كل مقوماتها كأسطورة ، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة

٨- تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم . وأن القوة والسطة التي كانت تتمتع بها الأسطورة في الماضي ، لا يدانيها في العصر الحديث سوى سطوة العلم .

_ وعرفها الدكتور خزعل الماجدي : (عالم متخصص في علم وتاريخ الأديان والحضارات القديمة) بأبسط صورة قال : ((حكاية مقدسة)) . ونجد في موضع آخر يعطي تعريفاً أكثر شمولية للأسطورة مميّزاً إياها عن ما قد يشبهها من حكايات وقصص ، وذلك من خلال الاعتماد على الصفات المميزة للأسطورة التي ذكرها فراس السواح سابقاً ، إذ أدت التعميمات الكثيرة إلى خلط الأسطورة بأنماط أدبية أو شعبية أو دينية فضاعت والتبست بذلك الملامح الخاصة والصفات المحددة لها ، فالأسطورة ما هي إلا : ((قصة تقليدية ثابتة نسبياً ومقدسة مربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ، ولا تشير إلى زمن محدد بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى ، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة ، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي))^(١).

_ وذكر جميل صليبا (فيلسوف عربي) في المعجم الفلسفي أن الأسطورة تحمل عدة معاني منها : القصة الخيالية و الخرافية ، لكن لا يريد الخرافة المطلقة فهو يعني القصة الخرافية التي تكون انعكاساً للواقع ،

^١ - بخور الآلهة - دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين : ٥٨.

ومعنى آخر هو صورة شعرية أو روائية تعبر عن مذهب من المذاهب الفلسفية تعتمد على أسلوب الرمز ، يمتزج فيها الوهم بالحقيقة ، ومعنى آخر يذكره للأسطورة وهمي منسوج من خيالات وعواطف الناس . وينتهي إلى أن الأسطورة عبارة عن : وصف لأفعال الآلهة ، أو الحوادث الخارقة ، وتكون مختلفة باختلاف الأمم والحضارات ، فلكل أمة أساطيرها وخرافاتها الموضوعة للتعليم أو التسلية. وهي تعبير عن الحقيقة بلغة المجاز والرمز (١).

_ عرقها مراد وهبة قائلاً : ((تُعرف الأسطورة خطأ بأنها قصة خرافية أو معتقدات خرافية ، إذ هي تصور شامل عن العالم وعن مكانة الإنسان في الطبيعة .. ، وهي في المجتمعات البدائية تعبر عن الحقيقة المطلقة لأنها تحكي تاريخاً مقدساً . وهي لهذا تعد واقعية ومقدسة ، ولأنها كذلك فهي نموذجية ، وبالتالي قابلة للتكرار ، لأنها تتخذ كنموذج للأفعال الإنسانية ، وفي القرن التاسع عشر كانت الأسطورة تعني كل ما هو منافٍ للواقع)) (٢).

والميثولوجيا (Mythology) : ((هي علم دراسة الأساطير ، ويتكون هذا المصطلح من مقطعين : الأول هو ميث (Myth) المشتق من الجذر اليوناني (Mothas) ويعني حكاية أو قصة ، أو من الجذر (Mythos) ويعني قصة غير واقعية ، والثاني هو (Logy) ويعني العلم أو الدراسة العلمية .. ، وبذلك تكون الميثولوجيا هي الدراسة العلمية للأساطير وفحصها وفق القواعد العلمية المتبعة)) (٣).

١ - ينظر: المعجم الفلسفي : ٧٩.

٢ - ٥٩.

٣ - خزعل الماجدي ، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين : ٦٥.

وعُرفت أيضًا : ((بأنها مصطلح يطلق عادة على مجموع أساطير هذا الشعب أو ذاك ، أو على دراسة الأساطير))^(١).

إذن الأسطورة هي تاريخ واقع مقدس أعتقد به الانسان البدائي ، وفيها تفسير لنشأة الكون أو تعليل الظواهر الكونية أو الطبيعية ، وتاريخ الآلهة وأنصاف الآلهة والملوك والأمراء^(٢). فالأسطورة في الواقع هي ليست تفسير يراد منه الإجابة عن تساؤلات علمية ، فهي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية ، وهذه الأسطورة تكون تلبيةً لحاجة دينية عميقة ، وتطلعات أخلاقية ، و أوامر على المستوى الاجتماعي ، الأسطورة تشغل وظيفة لا غنى عنها ، تبرر وتقنن المعتقدات الدينية ، وتحامي عن المبادئ الأخلاقية وتعمل على فرضها ، وكذلك تعمل الأسطورة على تضمين الفعالية الطقسية ، فهي تؤدي إلى أنتاج قواعد عملية لحياة الإنسان^(٣).

وهناك من يرى أن الأسطورة ابتكرت للإبانة عن الحقيقة في لغة مجازية ثم نسي المجاز و فسرت حرفيا^(٤). والاسطورة قد تكون عبارة عن صورة متأخرة لقصة تاريخية صحيحة ، تم تفخيمها وتغيرها ، وشحنها بالتفاصيل الباهرة والاحداث المثيرة ، لتكون بذلك مصدراً للعبث والدهشة والاعجاب^(٥) .

ومن التعريفات التي سلطنا الضوء عليها من وجهات نظر مختلفة ، يتبين لنا جانب مهم هو أن أصحاب هذه التعريفات عمدوا إلى تمييز الأسطورة عما يتداخل معها من اصطلاحات ، فهم يبعدون الأسطورة عن ساحة الخرافة والحكاية الخيالية ، و يزيلون كل تلك الشوائب عن المعنى الحقيقي للأسطورة

١ - م.ف. ألبديل ، سحر الأساطير - دراسة في الأسطورة - التاريخ- الحياة : ٢٢.

٢ - كاظم سعد الدين ، الحكاية الشعبية العراقية : ٦٠

٣ - ينظر : محمد الخطيب ، الإنثولوجيا - دراسة في المجتمعات البدائية : ١٩٤.

٤ - ينظر : عبد الهادي الفضلي : أصول البحث : ١٦١.

٥ - ينظر: د. سامي عامري ، الوجود التاريخي للانبيا و جدل البحث الاركيولوجي : ٤٦١.

ويعطونها مكانتها القيّمة في التراث الإنساني ، فهي كما يزعم علماء الأساطير أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية ، وترتبط ببداية البشر ، وتميزها من الناحية القدسية ، فهي تمثل السجل التاريخي المقدس للإنسان الأول .

، ويمكننا بالاستناد إلى التعريفات السابقة للأسطورة أن نعرفها بأنها : هي تلك الحكاية المقدسة الحقيقية المبنية على المجازات والاستعارات ، المروية بلغة الرمز أو -بالأحرى القول - المروية بأسلوب وطريقة الإنسان البدائي الأول ، ولا يمكن فهمها حرفياً ، وتدور أحداثها حول القضايا الكبرى نحو الآلهة ، الخلق ، البعث أو الخلود .. ، فهي في اغلب الأحيان تكون مبنية على حقائق وقعت في غابر الزمان ، إلا أنها بمرور الزمان تغلفت بالأباطيل ، ألا أن جوهرها حقيقي .،

المطلب الثاني : حقيقة الأسطورة

الأسطورة هي قصة حقيقية تقوم على أساس عنصر حقيقي ، وهذا العنصر يعدُّ مركزاً للأسطورة ، وبمرور الزمان وتعاقب الأجيال يتغلف ذلك المركز الحقيقي بقشور ، وهذه القشور التي ترسبت بمرور الزمان هي من بنات أفكار تلك الأجيال ومعتقداتها ، وعندما يقوم الدارس للأسطورة بانتزاع تلك القشور الواحد تلو الآخر ، فإنه في الحقيقية يقوم بإزالة تلك الأفكار والمعتقدات التي أُلصقت بالأسطورة عبر الزمان وبذلك يعود إلى عنصر الحقيقة الذي تكونت منه الأسطورة في الأصل .

أذن فالأسطورة هي قصة حقيقية وخيالية في نفس الوقت ونعني بذلك أن أصل الأسطورة واقعة حقيقية وهذه الواقعة مغلفة بالخرافات والخيال أو تكون مروية بلغة الرمز وهذا يكون من أثر ترسبات الزمان عليها وتعاقب الأجيال ^(١)، ونسوق مثلاً لتوضيح ذلك : فعندما نتحدث عن أسطورة طروادة فإننا نتحدث عن واقعة تاريخية ، قد ثبتت بالدليل القاطع إنها وقعت فعلاً ، فلقد ثبت بالدليل أن هنالك حروباً طاحنة حدثت بين مدينة طروادة في آسيا الغربية وبين ممالك الإغريق في جنوب أوروبا ، وقد أكدت الدراسات التاريخية أن تلك الحروب قامت لأسباب سياسية أو اقتصادية وأكدت الحفريات الأثرية وجود آثار تدمير مدينة طروادة بأسلحة الإغريق . فهذه الأسطورة تشتمل على عنصر الحقيقة التاريخية ، ومن ثم تأتي الأجيال بعد ذلك تضيف تفاصيل لا وجود لها على هذه الواقعة الحقيقية .

وهناك أسطورة أوكيانوس إله البحر وسيليني إلهة القمر ^(٢)، فهذه الأسطورة عندما نقرأها للوهلة الأولى تبدو قصة خيالية بعيدة كل البعد عن الحقيقة ، إلا أنها في الواقع تتكلم عن ظاهرة علمية هي ظاهرة المد والجزر

١ - ينظر : الشعراوي ، أساطير إغريقية : ٦١٢ .

٢ - ((الأسطورة تقول: إن أوكيانوس يعشق سيليني. أوكيانوس هو إله البحر أو المحيط، وسيليني هي إلهة القمر. تروى الأسطورة أن إله البحر أو المحيط عشق إلهة القمر سيليني الفتاة ذات الوجه الجميل الباسم. لكن

التي أكتشفها العلم الحديث حيث أثبت وجود علاقة مباشرة بين ظاهرة اكتمال القمر والمد والجزر، ومن هنا نكتشف أن هذه الأسطورة تشتمل على عنصر الحقيقة العلمية التي لم يستطع الإنسان البدائي أن يصل إلى تفسيرها بطريقة علمية فصاغها بهذا الأسلوب.

من خلال المثالين السابقين تبين أن الأسطورة قصة حقيقية تقوم على حقيقة ما، قد تكون حقيقة تاريخية أو علمية أو اجتماعية أو دينية أو غيرها. فالأسطورة كما عاشتها المجتمعات البدائية هي التاريخ والدين والمعرفة والأخلاق : فهي التاريخ كونها تحكى قصة كائنات علوية هي محل تقديس واحترام لأنها أصل كل شيء ، وكذلك أنها تشير إلى أحداث تاريخية وقعت بالفعل، وهي كذلك الدين، كما أنها المعرفة ؛ لأنها تذكر أصل الموجودات بدءاً من الكون إلى المؤسسات الإنسانية وكيف ظهرت ، وهي الأخلاق ؛ إذ هي تقدم من خلال التاريخ والدين والمعرفة نموذجاً ومثلاً أعلى للتصرف والسلوك يتم إحياءه وإخراجه إلى حيز الوجود من خلال حفظ الأسطورة قولاً وفعلاً، أي من خلال المناسك والشعائر وضمان استمرارها. (١).

إلهة القمر لم تبادلها حباً بحب. كلما كان البحر يسعى إليها بأواجه العالية كانت سيليني تفر منه وتختفي في الأفق البعيد. قد تبدو هذه الأسطورة قصة خيالية بعيدة كل البعد عن الواقع. فكيف يعشق البحر القمر؟! لكن الاكتشافات العلمية أثبتت وجود علاقة مباشرة بين ظاهرة طبيعية تعرف بظاهرة المد والجزر وظهور القمر في مرحلة الاكتمال أو كما نسميه في مرحلة البدر. فعندما يظهر القمر في مرحلة البدر يبدو كما لو كان وجه فتاة مبتسمة. ويتسبب ظهوره في إرسال أشعة معينة تؤثر على حركة مياه البحر ويحدث ما يعرف بحركة المد. وعندما يختفي البدر في الأفق البعيد يزول تأثير هذه الأشعة فتتصرف مياه البحر ويحدث ما يعرف بحركة (الجزر) : الشعراوي ، أساطير إغريقية : ٧١٢.

^١ - ينظر : الشعراوي ، أساطير إغريقية : ٧١٢.

المطلب الثالث : الفرق بين الخرافة والأسطورة

من أجل إعطاء مصطلح " الأسطورة " حقه الحضاري والثقافي لا بد من إزالة ما التصق به من مفاهيم خاطئة كانت سبباً في تراجع مكانتها في سجل التراث الإنساني . فعندما يتطرق إلى أسماءنا مصطلح "الأسطورة" أول ما يتبادر إلى الذهن القصص والحكايات الخرافية ومن هذا المنطلق لا بد من التفريق بين الأسطورة والخرافة ، فالكثير من الناس يخلط فيما بينهما.

فالخرافة في اللغة : كما جاء في المعجم الوسيط هي : ((الحكاية ليس لها أصل))^(١).

الخرافة في الواقع هي الأفكار الخيالية التي تكون ثمرة الوعي الإنساني البدائي من خلال حركته التأملية في الوجود ، وواجد الوجود ، وهي أيضاً تعبر عن فساد الخيال الناتج من جهل الإنسان أو من خبثه ، وذلك لغرض زرع الأفكار المغلوطة وإقحامها في ثقافة المجتمع . و الخرافة بالطبع لا تحمل صفة القداسة التي تحملها الأسطورة ، ومن خلال امتزاج الأسطورة بالخرافة في ملأ أهل الكتاب ومن سبقهم تمت إعادة انتاج الثقافة الأسطورية في المخيال العربي ، وذلك من خلال التركيز على شخصيات مقدسة ، أو أفكار أو مواقع دينية مقدسة ، وإحاطتها بوهم الخيال ، والبطولي الخرافي ، ونسبة المعجزات إليها ، بغية السيطرة على وعي المتلقي لهذه الثقافة ، وتركه في حالة ذهول من دون أن يكون بحاجة إلى أن يفهم ، بل يكتفي بالإيمان كما هي ، ومن ثم فهمها وفق النسق الأسطوري المقدس . وأن الفرق بين الأسطورة والخرافة هو إن الأبطال الرئيسيين في الخرافة يكونون من البشر أو الجن أما الأسطورة يكون الأبطال هم الآلهة ، أما البشر فهم شخصيات ثانوية . أن الخرافة تكون ممتلئة بالخوارق والأعاجيب والمبالغات ، أما الأسطورة تكون في تساوق عميق في حركة الآلهة ومسرى الأحداث والطبيعة^(٢). وأن

١ - مجمع اللغة العربية في القاهرة : ١٧١١ .

٢ - ينظر : خزلع الماجدي ، بخور الآلهة: ٥٩ .

الخرافة في عرف من يرويها ويستمتع إليها هي من محض الخيال والأوهام يراد بها الإمتاع والمؤانسة. أما الأسطورة فهي خطاب الجد والحقيقة ، لذلك تكون في محل الاعتقاد . أن الأسطورة تحتل موقعاً دينياً مقدساً ، في حين أن الخرافة لا ترتقي إلى هذه المنزلة أبداً ، فهي خيالية لا تمت إلى الدين بصلة^(١).

وإن صلة القربى بين الخرافة والاسطورة هي ، عندما يلتقط الكهنة - في فترات ضعف المؤسسة الدينية حيث تبدأ المعتقدات الدينية بالانهيار - ، حكايةً خرافية ويحملونها مضامين دينية ويضفون عليها طابع القدسية ، فيؤدي هذا إلى تغييرات عميقة في بنية المعتقدات الدينية وبالتالي تفقد الأسطورة قدسيتها وتهبط إلى مستوى الخرافة^(٢). إن الخرافة - كما ذكرنا - يراد بها فساد العقل ، وهي نقيض الفكر الحر ، وقد تفسر على أنها الأسطورة وهذا تفسير غير منضبط أبداً ، فالأسطورة ترتبط بمكان وزمان معينين وتكشف الستار عن ظواهر إنسانية وتاريخية واجتماعية لها وجودها القائم وتعالج هذه الأساطير قضايا الخير والشر ، - كما سوف يتبين في فصول الاطروحة القادمة عند استعراض النصوص الأسطورية- على عكس الخرافة التي لا تمتلك من الممكنات الواقعية شيئاً، فهي تبنى على أساس الافتراضات الباطلة والتي أصبحت مقبولة بمرور الأيام عليها ، والتبني لها يكون في مراحل الضمور الاجتماعي ، مع إبطال قاعدة العلة والمعلول . وإن الأسطورة تقوم في المجتمعات التي لها رصيذاً حضارياً كحضارة ما بين النهرين والإغريقية والهندية ، أما الخرافة لا تقوم إلا في المجتمعات المتخلفة . وعلى أساس درجة الوعي في المجتمعات يتبين مدى الدور الذي تلعبه الخرافات ، مثال على ذلك ، لو اطلعنا على تاريخ الأقاليم التي استوطنت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لوجدنا الكثير من الخرافات والمعتقدات وهذه تكون وليدة البيئة الصحراوية البدوية البسيطة ، فحتى مع وصول الديانة اليهودية ومن بعدها المسيحية إلى الجزيرة العربية لم تنفك عن

١ - ينظر : د. محمد عجيبة ، موسوعة أساطير العرب : ٦٥ ، ينظر : خليل أحمد ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي : ٨ . ينظر : خزعل الماجدي ، بخور الآلهة : ٦١-٦٠ .

٢ - ينظر : فراس السواح ، الأسطورة والمعنى : ١٨ .

عبادة مظاهر الطبيعة كالحجر والكواكب والنجوم ، ولم يكن من السهل على الرسل والأنبياء أن يجتثوا تلك المعتقدات القائمة على الخرافة منهم^(١).

إذن الأسطورة تختلف عن الخرافة فالأسطورة نابعة من أساس تاريخي ، فهي تروي تاريخاً ، عكس الخرافة فهي محض خيال وأوهام ، وتجدر الإشارة إلى أن الخرافة لم يرد ذكرها في القرآن الكريم بخلاف الأسطورة وهذا ما يعكس القيمة الكبيرة لهذا الموروث الحضاري . أما عن علاقة الأسطورة بالخرافة ، فالأخيرة ليست إلا القشور التي التصقت باللب (الأسطورة) عبر الزمن فعند غريبة الأسطورة تسقط الشوائب التي علقت بها من الخرافات وغيرها ، ويظهر الأصل الذي انبثقت منه الأسطورة ، فعنصر السرد الذي امتازت به الأسطورة والذي يشكل البنية الدلالية لها ، كان الباعث وراء الخلط بينها وبين الخرافة^(٢). وأما عن الفرق بين الأسطورة والحكاية الشعبية يكمن في أن الحكاية الشعبية تتصف في كونها حكاية عادية تخلو من أدوار رئيسية للآلهة لا تحمل طابعاً مقدساً أو دينياً ، فهي حكاية دنيوية عادية بسيطة متداولة تُعنى بالأمور اليومية ولا تشتمل على الموضوعات المصيرية الكبرى التي تُعنى بها الأسطورة ، وتخلو أيضاً من عنصر الجدية والتمجيد الذي تتميز به الأسطورة^(٣). ويمكن القول أنها بعيدة نسبياً عن الأسطورة.

١ - ينظر : هاني الكايد ، ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع : ٢١-٢٢.

٢ - ينظر : الكواز ، من أساطير الأولين إلى قصص الأنبياء : ٢٤.

٣ - ينظر : رايتز ، الأسطورة والأدب : ٢٠.

المبحث الثاني : مفردة الأسطورة في القرآن الكريم

المطلب الأول : الأسطورة في الاستعمال القرآني

إن لكل لفظة من ألفاظ القرآن الكريم سراً وحكمةً إلهيةً تدل عليها ، وإن إحدى الطرق للوصول إلى المراد من الآية هو من خلال التعرف على دورها الخاص ، في موقعها الخاص بها ، ومن ثم ربط ما قبلها بما بعدها ، مع الأخذ بعين الاعتبار هوية السورة واسمها ، وكذلك جمع الآيات ذات الموضوع الواحد الواردة في سياقات مختلفة ، وفي عدة سور محاولة للوصول إلى المراد الإلهي ، فلا بد من السعي الجاد للدمج بين المفردة القرآنية ومدلولها التاريخي ، أي معناها المتعارف عليه ^(١) ، نأتي الآن إلى مصطلح الأسطورة في القرآن الكريم ، لنبين كيفية وروده فيه ؟ لقد ورد لفظ "الأسطورة" في القرآن الكريم بصيغة جمع الجمع " أساطير " ، ولم يرد مفرداً ، وأن هذا اللفظ ارتبط في جميع الآيات بلفظة " الأولين " ، وكأنه أريد به التعبير عن المسافة الزمنية الفاصلة بين الأولين والمتأخرين ، وأن " أساطير الأولين " وردت في القرآن الكريم في تسع آيات ، جميعها مكية بالاتفاق ، حتى ما ورد في سورة الأنفال ، والتي تعتبر سوراً انتقالية من العهد المكي إلى المدني ، فإن سياق الآيات التي ورد فيها مصطلح أساطير الأولين هو السياق المكي ، والعنصر المشترك بين جميع الآيات التي ورد فيها أساطير الأولين ، أنها وردت على لسان المشركين ، ولم ترد قطعاً على لسان أهل الكتاب ^(٢). وقبل الخوض في تفاصيل مجيء هذا المصطلح في القرآن لا بد من بيان إن أول من نقل أساطير الأوائل واتهم القرآن أن ما يقوله هو من جنسها هو (النضر بن حارث)

١ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١١. ينظر : فضيلة لكبيرة ، دور الأسطورة الدنية في بناء النظام الاجتماعي : ٦٢.

٢ - ينظر : أساطير الأولين - رؤية إسلامية مغايرة ، محمد الضاوي : ٢٢. ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١١.

وفقاً للرواية التاريخية في أسباب النزول للآيات موضوع البحث - التي سوف نوردتها لاحقاً في سياق تبعاً لتسلسل عرض المادة - كما يؤكد ذلك المفسرين ، فقد جلب مضمونها من خارج البيئة العربية وتحديداً من حضارات الشمال ، عند سفره إلى فارس والحيرة ، قد سمع من قصص الرهبان والأناجيل وأخبار رستم وإسفنديار ، وأحاديث كليلة ودمنة ، وغيرها من القصص الخرافية التي كان ينقلها لأهل مكة ليصرفهم عن الاستماع إلى القرآن ، وكان يرى اليهود والنصارى يركعون ويسجدون ، وهذا الجنس الثقافي الذي جلبه الحارث أطلق عليه مصطلح (أساطير الأولين) ، فهو من ناحية المضمون مستوردٌ ، ومن ناحية اللفظ فهو متأصل في اللغة العربية ، على الرغم من أن استعماله لم يكن معروفاً ، فهذا المصطلح أستعمله القرشيين للرد على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحديداً الوحي ، فإن هذا المصطلح قد ولد منذ البداية متحدياً القرآن وناقياً النبوة ، فهذا هو الإطار التاريخي له ^(١) . إذ كان النضر بن الحارث حين يسمع اقتصاص القرآن أحاديث القرون يقول : (لو شئت لقلت مثل هذا) ، فزعم أنّ هذا أي القصص والحكايات مثل القرآن ، وهو من جملة تلك الأساطير ^(٢) ، فكانت هذه القصص وما فيها من المبالغة والخرافة هي أساطير الأولين التي كان القرشيون من الكفار يشبهون القرآن بها ^(٣) .

وبناءً على ما سبق يتبين أن "الأساطير" هي قصص تنسب إلى الآخر ، وقد يتسع مصطلح "الأوليين" ليشير إلى كل ما قاله السابقون من بعث الأموات وغيرها ، إذ كانت قریش على معرفة بالبعث ، ولم يكن

١ - ينظر : محمد الضاوي ، أساطير الأولين : ٢٢-٢٣ .

٢ - ينظر الزمخشري ، الكشاف : ٥٠٧١٢ .

٣ - ينظر : محمد زغلول ، دراسات في القصة العربية : ٦٤ . ينظر : د إسماعيل الطحان ، لا أساطير في القرآن : ٢١١ .

تناول القرآن لها بالأمر الجديد عليهم ، بل كان تذكيراً باعتقاد طالما رفضوا الإيمان به ، ولهذا نجد أن قريشاً تصف حديث الوحي عن البعث بـ "أساطير الأولين" (١).

وعند النظر إلى توظيف القرآن لمصطلح (أساطير الأولين) نرى أن مفهوم الأسطورة فيه يختلف عن المفهوم السائد عند أغلب المفسرين ، والذي لا يتجاوز من كونه موقفاً تأويلياً ، فهو يستخدمه في إطار نظرية معرفية ، فالقرآن لا يريد بـ "أساطير الأولين" ما فهمه بأنها الباطل والأكاذيب والخرافات ، إنما أريد منها ما سطر الأولين ، أي أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم ، وأشعارهم وكهانتهم، وقالها النضر بن الحارث (٢)، فكلمة أساطير في القرآن الكريم هي جمع لجمع أسطر ، أما المقصود بالأساطير و هم السابقون . فالعرب كانوا يعرفون جنساً آخر من أجناس الثقافة والأدب يمكن التعبير عنها بالأكاذيب والترهات ، ولا يتطلب فيها الصدق ، ونريد من تلك "الخرافة" ، والقرآن لم يستعمل هذا المصطلح على الرغم من شيوعه لدى العرب (٣). وبالتالي لو كان المراد بالأساطير الخرافات والأباطيل لأستخدم القرآن مصطلح "الخرافة" بدلاً من "أساطير الأولين" لشيوعه في تلك الحقبة الزمنية بين أوساط العرب أكثر من مصطلح الأساطير . ويذهب الطباطبائي على إن ((الأساطير جمع أسطورة بمعنى الخبر المكتوب ويغلب استعماله في الاخبار الخرافية والاكنتاب هو الكتابة ونسبته إليه ص مع كونه أمياً لا يكتب إنما هي بنوع من التجوز ككونه مكتوباً باستدعاء منه كما يقول الأمير كتبت إلى فلان كذا وكذا وإنما كتبه كاتبه بأمره، والدليل على ذلك قوله بعد: " فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً " إذ لو كان هو الكاتب لم يكن معنى للاملاء، وقيل: الاكنتاب بمعنى الاستكتاب)) (٤) . أما وجه القدر كفار قريش للقرآن ورفضهم له كونه بحسب نظرهم

١ - ينظر : محمد إدريس ، الأسطورة والنص المقدس : ١٣ .

٢ - ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢٣٩ ١١٩ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٤ .

٤ - الميزان في تفسير القرآن : ١٨١١١٥ .

مجرد ما سطره الأولون ، فهم اعتبروه كلاماً بشرياً وليس وحياً بغض النظر عما إذا كان ما سطر كذباً أو صدقاً ، ولم يرد في القرآن ما يثبت على أن المراد من جملة (أساطير الأولين) هو الخرافات والترهات أو الأباطيل ، وعلى الرغم من ذلك نجد المفسرين نظروا إلى الأسطورة من حيث كونها حجة كفرية قذف بها المشركون القرآن ، متناسين في ذلك السياق التاريخي والمفهوم اللغوي لهذه اللفظة (١) .

١ - ينظر : بدر الحمومي ، تحقيق مفهوم الأسطورة بين ما هو حقيقي وما هو خيالي : ٤ .

المطلب الثاني : معاني (أساطير الأولين) لدى المفسرين

أن مصطلح أساطير الأولين لم يكن له نفس الوقع عند المفسرين ، وهذا بالطبع يعود إلى طريقة تعاملهم مع هذا المصطلح ، والمقصود بطريقة التعامل هي المسافة التي يمكن للمفسر اتخاذها بين زمن المصطلح وبين زمنه ، ومن جانب آخر بين المفهوم الأصلي الحامل وبين المعتقدات التي تكون محمولة عليه من جانب آخر ، فمثلاً هذا ابن كثير نجده تعامل مع هذا المصطلح بموضوعية وجدية ، فهو يرى إن مفهوم أساطير الأولين لا يعدو كونه كتب الأولين ، دون أن يضيف شيئاً عن طبيعة هذه الكتب ف أساطير الأولين : ((أي ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم))^(١) . ونجد كذلك البغوي في تفسيره لهذا المصطلح يأخذ بالبعد التاريخي واللغوي لهذا المصطلح ويمزج بينهما ويعطي مفهوماً جديداً ، ويعتبر أن للمصطلح سبباً تاريخياً لنزوله ، وبعد ذكره لقصة (النضر بن الحارث) يخلص إلى أن معنى الأساطير هو : (ما يسطرونه من القصص) ، نلاحظ أن موضوعية ابن مسعود لم تبلغ مرتبة ابن كثير ، فتفسير ابن مسعود للأساطير بالقصص يحمل جانباً أخلاقياً ، حيث يذكر في موضوع آخر : ((فإن عدَّ أحسن الحديث وأصدقه - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل و الخرافات - رتبة من الكفر لا غاية من ورائها))^(٢) . فهذه القصص عند البغوي لا تعدو كونها إلا خرافات و أباطيل ، إلا أنها مكتوبة ومخطوطة ليست شفاهية. وأن الحكم على الأساطير واعتبارها خرافات و أباطيل ليس بالغريب ، إذ نجده عند الكثير من المفسرين كلما ابتعدنا بالزمان عن الواقعة التاريخية ، حتى غدا هذا الحكم على الأساطير هو الأكثر انتشاراً بين المفسرين كما نجد ذلك في تفسير الجلالين ، وكذلك القرطبي الذي يذهب إلى أنها الأباطيل والترهات ، وغيرهم من المفسرين الذين حكموا على أساطير الأولين بهذا

١ - تفسير القرآن العظيم : ٢٤٧١٣ .

٢ - البغوي ، تفسير البغوي : ١٢٢١٣ .

الحكم . أما الرازي فقد أستوعب كل ما قاله المفسرون من قبله ، وتجاوزهم ، وأشار إلى نقاط حساسة لم يتتبعها من سبقه ، و ناقش المفسرون في تحدٍ صارخ لما ذهبوا إليه من ربط المصطلح بالترهات والأباطيل ، فالرازي لا يرتضي هذا الحكم ، ويرى أن اعتبار "أساطير الأولين" ترهات معنى من المعاني التي حملها المفسرون على المصطلح ولا تُعدّ تفسيراً له ، إنما هي تأويل ليس إلا^(١). ويذهب الرازي إلى عمل مقارنة بين الأساطير والقرآن من حيث الموضوع والجنس ، أما المفسرون من قبله فقد اقتصروا على العلاقة بين القرآن والأساطير من حيث الموضوع : وهي الأحاديث التاريخية، في تفسير مصطلح "أساطير الأولين" ، إلا أن الرازي قد تفتن للعلاقة بين جنس الأساطير وجنس القرآن ، أي إذا كانت أساطير الأولين على غرار حديث رستم وفارس ، فلا جرم من أنها فسرت بالترهات والأباطيل ، أما إذا كانت تشتمل على أحاديث البداية والتكوين ، ونشأة الكون والإنسان ، وأحاديث الأنبياء والرسل والحكماء ، والآخرة والمعاد - وهذه كلها قد وردت في القرآن الكريم فعلاً - فهل من المعقول أن تُحمل على أنها ترهات وأكاذيب ؟ هل من الممكن أن نحمل لفظة "أساطير الأولين" على أنها أكاذيب وهي تحمل هكذا مواضع؟؟^(٢).

فأساطير الأولين ليست بالضرورة أن تكون كذباً وافتراءً ، إنما هي ما سطره الأولون ، كما عبر عن ذلك ابن كثير^(٣) ؛ ذلك لأن تلك الكتب من الممكن أن تحمل نفس الثيمات القرآنية فمواضيعها تتمحور حول إعادة للقيم الدينية والمعتقدات في صورة محببة لتحفظ ، وعلى هذا الأساس لا ينبغي التسرع في اطلاق الحكم عليها وعدها من الأباطيل والترهات ، فهي تختلف عن "الخرافة" في التراث العربي .

١ - ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ، ينظر : محمد الضاوي ، أساطير الأولين : ١٢-١٥ .

٢ - ينظر : الضاوي ، أساطير الاولين : ١٦ .

٣ - تفسير القرآن العظيم : ٢٤٧١٣ . سبق وأشرنا إلى قول ابن كثير في ص ٢٩ .

فالأساطير وبحسب المفهوم القرآني هي كتب الإنسان الأول والتي تتمحور مواضيعها عن الإنسان والكون ونشأته و نهايته (١) . ومن هذا المنطلق لا بد من التمييز بين معنيين للأسطورة ، الأول : ما يكون بمعنى (الخرافات والأباطيل) كما فسرها الكثير من الكتاب والمفسرين كالزمخشري . أما المعنى الثاني : ما يكون بمعنى عقلية التصرف في الأشياء والأحداث و الأشخاص تضخيماً واختزالاً ومبالغة و تعضيماً . ومما لا شك فيه أن "الأسطورة" بالمعنى الأول (التزييفي) ، قد حاربها القرآن ونفاها عن نفسه نفيًا قاطعاً فهو يصف نفسه بأنه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٢١﴾ فصلت: ٤٢ ، فكيف وهو تنزيل من الله العليم الحكيم أن يشتمل على الباطل ، فالباطل لا يأتيه بأي شكل من الأشكال ، فلا معنى للحديث عن الأسطورة التي يرد بها الأباطيل والخرافات في القرآن الكريم ، وكذلك الأسطورة بالمعنى الثاني (التضخيمي) فإن اعتبرنا أنها تؤدي إلى تحريف الحقيقة وتحويلها ، وخلق وعي مزيف ، فإنها أيضاً لا وجود لها في القرآن ، أما فيما لو كان المراد بـ "الأسطورة" تلك الخصوصية الثقافية اللغوية التي لا تعني تزيف الحقيقة فيمكن القول بوجودها في القرآن ، لكون إن الأسطورة تمثل البنية المعرفية للإنسان (٢) .

ويجدر بنا هنا أن نطرح سؤالاً : ما هي المعاني التي وجدها المشركين في القرآن ذات صلة بالأساطير ، وبناءً على ذلك اتهموا آيات القرآن بأنها نفس الأساطير؟ فمن الممكن أن نصل من خلال ذلك إلى مضامين الأساطير التي قصدها هؤلاء . وأيضاً نطرح في هذا الصدد سؤالاً آخر وهو : لماذا عدَّ المشركون أن أساطير الأولين تراث خاطئ وغير جدير بالاحترام ، وكونه يعد متخلفاً ؟ ولماذا كانوا يعتقدون أن ما يسمعون من آيات قرآنية وتعاليم يتوافق مع تلك الأساطير أو الخرافات بحسب وجهة نظرهم؟ (٣) و للإجابة

١ - ينظر : بدر الحموي ، تحقيق مفهوم الأسطورة بين ما هو تاريخي وما هو حقيقي : ٥ .

٢ - ينظر : محمد المصطفي ، الدين والاسطورة : ٢٦١-٢٦٤ .

٣ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١٢ .

على ذلك نستعرض الآيات القرآنية التي ورد فيها عبارة "أساطير الأولين" : وردت مفردة "الأساطير" في تسعة مواضع من القرآن الكريم ، أربع آيات منها تتصل بالحديث عن البعث ، وأيتان تتصلان بالحديث عن الآخرة ، وثلاث أخريات يتصل الحديث فيهن عن القرآن الكريم وتلاوة آياته (١) :

أولاً : الآيات التي تتصل بالحديث عن البعث :

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِأْتَانَا

لَمَبْعُوثَاتٍ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المؤمنون:

٨١ - ٨٣. نجد هنا أن المشركين يقرّون بأن التوحيد والبعث والوعد الإلهية موجودة في أساطير الأولين ، إلا أنهم لا يولونها الاهتمام بل يعدونها من باب الخرافات (كحال من يساوي في يومنا هذا بين الأساطير والخرافة) ، والآيات بأعراضها عن الرد عليهم تبين أنها لم تخالف الحقيقة ، فالتوحيد والبعث والحديث عن العوالم السفلية والعلوية ، مفاهيم موجودة حقاً في الأساطير ، فهنا يتبين مدى ضحالة عقولهم التي حكمت على قضايا عقلية بالبطلان لمجرد ورودها عند الأولين ، فالله يذكرهم بأنهم ليسوا أول معاندين (٢).

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا آيَاتًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ

وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ النمل: ٦٧ - ٦٨ .

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلِدِي أَلَيْسَ لِي بِأَعْدَانِي أَنْ أُحْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِحَانِ

اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ الأحقاف: ١٧.

١ - ينظر : الطحان ، لا أساطير في القرآن : ٢١٢.

٢ - ينظر الأسطورة توثيق حضاري : ١١٧.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا

تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ المطففين: ١٠ - ١٣. المراد من الآيات : إن هؤلاء المشركين لم يعتبروا بآيات الله الواضحات البينات ، ولم يتدبروا ما احتج به عليهم من الحجج البينة التي تدل على قدرته المطلقة في فعل ما يشاء ، بل كان ردهم كرد أسلافهم من الأمم الماضية التي كذبت الرسل ، قائلين أنذا متنا ، وصرنا تراباً ..، أننا لمبعوثين من جديد من قبورنا أحياءً ، فهذا غير ممكن ، فلقد وعدنا هذا الوعد من قبل يا محمد ، وكذلك وعد آباءنا من قبلنا ، فلم نره حقيقةً، فما هذا الذي تعدنا به إلا من قبيل أساطير الأولين ، أي ما سطره من أكاذيب وأباطيل ^(١)، وردهم هذا يدل على أنهم كانوا على معرفة بأساطير الأولين لما تلمسوه من تشابه الوعود .

ثانياً : الآيات ذات الصلة بالحديث عن الآخرة :

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتَّهُمْ

إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۗ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا إِتْرَافًا لَا يُوَئِمُّوهُ

بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ الأنعام: ٢٢-٢٥.

عند ملاحظة سياق ورود الآية الكريمة نجد أنها تصور أحوال المشركين يوم الحشر بعد أن عرضت عليهم الدلائل والبراهين في الدنيا ، إلا أنهم أعرضوا عنها ، وما كان استماع هؤلاء إلى آيات القرآن بهدف الفهم والهداية ، إنما لغرض أن يجدوا ثغرة للطعن في القرآن ، وكأن قلوبهم مغلقة مغلقة عن الفهم والاستنباط

^١ - ينظر : ينظر الطبري ، جامع البيان : ٣٦١١٨ - ٢٠١٧. ينظر : إسماعيل طحان ، لا أساطير في القرآن : ٢١٢-٢١٣.

والهداية ، وعندما لم يجدوا سبيلاً للطعن في القرآن الكريم ، يقولون ما هو إلا أساطير الأولين ^(١) ، فالسورة من أولها تدعو إلى السير في الأرض والنظر في الحقائق ومعاينة دلائل العبودية لله ، ومن هذه الدلائل آيات هلاك الأقسام السابقة بذنوبهم ، ذلك لإقناعهم بدعوة الرسول وتحذيرهم من يوم الحساب ، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً معهم ، وقابلو تلك الحجج بقولهم إن ما يسمعونها أساطير الأولين . فقد وجد أولئك الكفرة تشابهاً بين آيات القرآن والأساطير ، وتمثل هذا التشابه من خلال اشتغال القرآن والأساطير على آيات الرب والدعوة إلى توحيد الله ، وبيان حقيقة الوجود والعلة من الخلق ، و الإيمان بالحساب والبعث ... إلى آخره ، فكانوا يرجعون كل ما يسمعونها إلى الأولين ^(٢) .

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل: ٢٤ ، نلتمس

في هذه الآية أن المقصود هو توجيه تهمة الأسطورية إلى القرآن كله ، لا إلى آيات معينة منه على وجه التحديد ^(٣) . عندما يسأل المؤمنون ماذا أنزل ربكم يجيبون : خيراً ، أما المشركين يقولون أساطير الأولين ، وعند النظر في مستهل السورة نجدها تبدأ بـ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ النحل: ٢ ، فالله سبحانه هو الذي ينزل الوحي بأمره إلى الرسول حاملاً التوجيهات التي تنظم الوجود كله والتي تتضمن آيات الكون ، وقصص الغابرين ، والتوجيهات التي لبها هو توحيد الربوبية لله الواحد القهار ، وبالطبع فهذا الحديث يذكر المعاندين بأساطير الأولين ، الذين تغنوا في أساطيرهم بالخالق وتوحيده .. ، كما نجد ذلك في أساطير المندائيين الموحيين ، والسومريين والعرب المصريين من الأولين ، وهذا مؤشر كبير يدلنا على علم هؤلاء بمضامين

١ - ينظر : الشعراوي ، تفسير الشعراوي : ٣٥٦٨١٦ .

٢ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١٣ .

٣ - ينظر : رشيد السراي ، القرآن والأساطير ، أيهما اقتبس من الآخر؟ : ٦١ .

تلك الأساطير ، لذلك طابقوها مع ما سمعوه من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) . و عدَّ هذا إقراراً منهم في إن أساطير الأولين ، لم تأت بتعدد الآلهة والشرك خلافاً لما يذهب إليه مترجمو الأساطير ، فمشركو قريش أقرب زماناً من مفسري الأساطير فليس بينهم إلا بضعة آلاف من السنين ، وبالتالي فهم أقرب لفهمها منهم . وعندما نلاحظ إجابة المشركين عندما سئلوا (ماذا انزل ربكم) لم يجيبوا بـ (أساطير) بفتح الراء ليكون جوابهم : إن الله أنزل أساطير الأولين، لكن كان جواب المشركين : (أساطيرُ الأولين) بضم الراء ، وهذا كلام باتجاه آخر ، فهم كأنهم أرادوا الأعراض عن الإجابة إلى جواب آخر ، مراده أن مجمل الدعوة الجديدة هي أساطير الأولين ، فهم قد لاحظوا الاختلاف الكبير بين الصياغة القرآنية وبين الأساطير ، لهذا نجدهم لم يقولوا إنها أساطير الأولين تماماً^(١).

ثالثاً : الآيات التي تتصل بالقرآن وتلاوته :

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ الأنفال: ٣١، فعندما تتلى الآيات عليهم يقولون قد سمعنا مثل هذا من قبل ونحن قادرون على الإتيان بمثل هذا ، ربما هذا إشارة على ما جاء به النضر بن الحارث من أحاديث كليلة ودمنة وغيرها من أحاديث الأولين ، فهم يؤكدون أن هذا الذي يسمعونه من محمد ليس بجديد عليهم، فعندما سمعوه طرأت الأساطير على مخيلتهم لتشابه الموارد بينها وبين القرآن مؤكداً ذلك من خلال استخدام أدوات الحصر والقصر (إن ، إلا) التي نجدها استخدمت في اغلب آيات الأساطير ، فهاته والقرآن كلاهما يصفان آيات الربوبية والخلق ، خلافاً للشرك الذي هم عليه ، وفي هذا دلالة واضحة وبشهادة المشركين في أن دعوة التوحيد موافقة لما جاء في الأساطير لا دعوة الشرك^(٢).

١ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١٥ .

٢ - ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ٤٧٨١٥ . ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١٤ .

ويقول صاحب الفن القصصي في صدد التأكيد على علم المشركين بمضمون الأساطير ، وكون دعواهم بأسطورية القرآن كان عن شبهة قوية وعقيدة ثابتة ولم تكن جزافاً : ((ونحن إذ نعتقد بصدق القرآن ودقته في تصوير إحساساتهم لا بد لنا من التسليم بأن هذه العقيدة كانت قوية عندهم وتقوم على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرروا بهذه القوة وجود الأساطير في القرآن ذلك ؛ لأنهم لا يستطيعون هذا القول إلا إذا كان هناك ما يبرر فعلاً هذا القول في تقديرهم ويجعلهم يؤكدونه هذا التأكيد))^(١).

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْكِرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿ الفرقان: ٤ - ٥ ، تشير الآية إلى تهمة مصدرية القرآن بحسب زعم المشركين ، وأن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) جمع القرآن من أساطير الاولين أي استنسخها ، ويعقب الله عليهم ^(٢) بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿ الفرقان: ٦ .

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا تُمَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ القلم: ١٥ ، فهم يعدون كل ما يسمعونه من آيات القرآن أنها من أكاذيب الأولين التي سطروها تسطيراً ^(٣) . وإن كل الآيات القرآنية التي تضمنت "أساطير الأولين" قيلت في مناسبات الاحتجاج والجدل حول قضايا إيمانية عقلية منطقية ، داعية إياهم إلى النظر بتجرد إلى دعوة التوحيد وقبول البعث والحساب ، وأمام عجزهم عن مقابلة الحجة بالحجة يلجئون إلى غلق الجدل بنسبة ما يدعون إليه إلى أساطير الأولين ، وفي هذا إشارة مهمة إلى أن هؤلاء القرشيين

١ - محمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم : ٢٠٢ .

٢ - ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٨٦١٦ . ينظر : إسماعيل طحان ، لا أساطير في القرآن :

٢١٦ . ينظر : السراي ، القرآن والأساطير أيهما اقتبس من الآخر : ٦٢ .

٣ - ينظر البحراني ، البرهان في تفسير القرآن : ٤٥٩١٥ .

كان لهم علم بأن هنالك تراثاً مسطوراً وضعه الأولون ، وكذلك يظهر أنهم كانوا يحتفظون ببعض معالمه في أذهانهم ، فعندما دعاهم الرسول إلى دعوته التوحيدية وما فيها من تعاليم قد ذكرهم ذلك بتلك المعالم ، فأقروا بأن ما يعرفونه مما سبق عن أساطير الأولين فيها معاني تتضمن بعض الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وهذه تخالف معتقداتهم ، وهذا يشير إلى إن التراث قد بقي محافظاً على بعض مضامينه إلى عهد النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله وسلم) وذلك من خلال تناقله بصورة شفوية ، إذ لم تكن المدونات والرقم متداولة ، لكونها بقيت مطمورة تحت الأرض لآلاف السنين قبل أن تكشف عنها التنقيبات الأثرية في العصر الحديث (١).

ويرى علماء الأساطير إن الأساطير هي أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية ، وهذه بالطبع تكون مرتبطة ببدايات البشرية . والعرب الأقدمون كحال غيرهم من الشعوب لديهم من الأساطير ، ويخطأ من يتصور أن العرب القدماء كانوا قوماً جهلاء ولم يعرفوا الأساطير ، فما وصل إلينا من كتب التاريخ القديمة ، وكتب الأدب يضع أمامنا تراثاً أسطورياً كبيراً ، نجد فيه البطل الأسطوري والساحر والمارد ، وتحدثنا عن أسجاع الكهان الدينية ، ونوادير الكهانة والعرافة والسحر والكثير من القصص الخيالية التي تروي عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، و أخبار العرب الأولين من عاد و ثمود ، فكلها طرائف وحكايات ممزوجة بالقصص الأسطوري المغزق بالخيال (٢).

نستخلص من ذكر أساطير الأولين في القرآن الكريم أمور عدة هي (٣):

١ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١١-١١٢ . ينظر : فضيلة لكبير ، الأسطورة ودورها في البناء الاجتماعي : ٦٥ .

٢ - ينظر : جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٩٤ .

٣ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري : ١١٩ .

١- أن القضايا الجوهرية التي جاء بها الرسل من التوحيد والبعث والقيم الأخلاقية والعدل ، موجودة في أساطير الأولين ، و باعتراف المشركين أنفسهم على ذلك.

٢- غدت " أساطير الأولين" نقيصة ومذمة يلوکها الكافرون في مكة ويرمون بها القرآن ؛ بسبب الفاصل الزمني الكبير بين الأولين و فترة البعثة النبوية ، وتشوه العقائد وتردي الأخلاق ، وعدم إيمانهم بما جاء في القرآن الكريم ، في حين أنها كانت في الزمن السابق رمز عقيدة وقيم أخلاقية وراقي حضاري ، لهذا نجد أن أهل الكتاب لم يتهموا القرآن بكونه أساطير الأولين ذلك لكونهم أكثر علماً ومعرفة من القرشين وكانوا على علم بقيمة هذه الأساطير^(١) ، و إن عبارة (إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ﴿الواردة في الآيات السالفة ، تدل على أن العربي كان ينظر باحتقار إلى هذه الأساطير ، وهذا بطبيعة الحال يخالف ما نتلمسه عند الشعوب الأخرى من تقديس الأساطير وتعظيم شأنها ، بخلاف العرب لعدم إحاطتهم بها وبقيمتها الحضارية والثقافية^(٢).

٣- أن الله تعالى لم يسم مصادر الحق القديمة (الزبر والصحف) "أساطير الأولين" ، وأنه لم يرك الأساطير في حين زكى الزبر والصحف الأولى ، لأن تسميتها بذلك تنفي نسبتها لله وتجعلها كأنها اجتهادات أو خيالات الأوائل ، وهذا أمر صحيح على مستوى الصياغة ، ذلك لأنه فيها من المحسنات والإضافات والرموز والتمثيلات المقدار الكثير ، إلا أن مضمونها هو مضمون كتب السماء من توحيد ونبذ الشرك والإيمان بالآخرة وبالرسل ، وبملائكته وبالعدل والنظام الاجتماعي السوي والعمل الصالح ، واحترام الطبيعة ، والنظر إلى كل الأمور أنها آيات من

١ - ينظر : الأسطورة توثيق حضاري: ١١٩.

٢ - ينظر : د. يونس لوليدي ، الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة العربية : ٦١.

الرب ، وهل القرآن يقول غير هذا ؟ فأساطير الأولين ، ليست هي الصحف الأولى ، ولا الزبر ، بل هي إعادة صياغة لتلك القيم والاعتقادات في قوالب ملحمية محببة لتحفظ (١).

٤- يثبت القرآن الكريم وجود مدونات قديمة ، وإن لم يسمها ب"أساطير الأولين" سماها قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُجُرِ الْأُولَىٰ ﴾ الشعراء: ١٩٦ ، وفرق بينها وبين الصحف الأولى قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ الأعلى: ١٨ ، فالصحف الأولى هي الكتابات المقدسة الخاصة بالملائكة والأنبياء ، لهذا نجدها لم تضاف إلى الأولين بل أضيفت إلى إبراهيم وموسى (عليهم السلام) ، وقيل عن كتب الملائكة أنها الصحف المكرمة ، أما "الزبر" فيراد منها إحكام الشيء وتوثيقه ، أو هي كلمة تدل على القراءة والكتابة والمذكور (٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ ، فزبر الأولين تعني كل ما أصبح مذكوراً عند الأولين ، سواء كان مكتوباً أو غير مكتوب ، المهم أنه محفوظ عندهم ، فالمذكورات تعم آثار الأولين وقصصهم ورسوماتهم و مدوناتهم ، وزبر الأولين هي بمثابة وسائط لحفظ المعلومات عندهم كأن تكون على الألسن أو الأذهان أو الرقم الطينية أو الألواح أو الجدران .

٤- حينما قال المشركون في سورة (الفرقان) أن هذا القرآن أفك افتراه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأعانه في ذلك (قوم آخرون) كانوا يكتبون الأساطير ويملونها عليه ، فإنهم أرادوا بهؤلاء اليهود والأعاجم ، وذلك يثبت أنهم يعلمون جيداً أن اليهود والأعاجم لهم القدرة على اختلاق الأساطير ، لكونها موجودة في تراثهم ، لهذا السبب لجأ اليهم الرسول - بحسب زعمهم- ، وقد رد القرآن ادعائهم هذا بقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿

١- الأسطورة توثيق حضاري : ١٢٢. ينظر : فضيلة لكبير ، الأسطورة ودورها في البناء الاجتماعي : ٦٥.

أسطورية القرآن أم ألوهيته ؟ <https://www.imadkanaan.jeeran.com>

٢- ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة : ٤٤٧. ينظر : بطرس البستاني ، محيط المحيط : ٣٦٦.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

مُبِينٌ ﴿١٦٣﴾ النحل: ١٠٣. وهذا يدل على أن العرب كانت معرفتهم بالأساطير قليلة جداً ، وأنهم لم يكونوا

يعرفون بها بمفهومها الأنثروبولوجي الحديث (١).

سبق وأن بيّنا أن القرآن يحارب "الأسطورة" بمفهومها التزييفي و الخرافي ، لكن هذا لا يعني أن فهم القرآن وتفسيره من قبل المفسرين كان بمعزل عن التفكير الأسطوري واعتباره ، و أن القصص القرآني لم يتم فهمه بحسب الإطار السليم ، فإن الأسطورة رافقت المفسرين في كثير من المستويات وفي الحقب الزمنية المختلفة ، سواء كان ذلك من ناحية العقليات التي تحكم واقع المفسرين ، أو من ناحية التأثير الشديد بالإسرائيليات في مختلف مجالات التفسير ، وضمت هذه مفاهيم ومعاني هي أقرب ما تكون إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة (٢). فعقلانية النصوص القرآنية لم تؤثر في عقول المفسرين كلهم ، فنجد أن الكثير من التفسير القديمة والحديثة تعاني من مشاكل في المفاهيم والمنهجية وغيرها ، ذلك لعدم امتلاكهم قواعد واضحة ينطلقون منها في فهم القرآن ، ويضاف إلى ذلك سيادة العقلانية التضخيمية والتزييفية في واقعهم النفسي والاجتماعي ، وهذا ما نجده عند بعض دعاة التفسير العلمي ، أمثال (طنطاوي جوهري) الذي لم تخل مقارباته التفسيرية من موارد الفهم الأسطوري ، إلا أنها صيغت بطريقة علمية . ونجد الأمر يزداد تعقيداً لدى المفسرين أصحاب الاتجاهات الكلامية، أما التفسير المأثورة هي الأخرى لم تخل من مضامين أسطورية أساسها الإسرائيليات والعقليات البدوية التي نسجت من وحي الخيال أفكاراً لم ينزل الله بها من سلطان لا يقبلها العقل السليم (٣).

١ - ينظر : يونس لوليدي ، الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية : ٦١ .

٢ - ينظر : المصطفوي ، الدين والاسطورة : ٢٦٨ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٦٩-٢٧٠ .

وخلاصة القول إن الأساطير قد مزجت فهم النص القرآني من بعض الأوجه^(١):

١- إنَّ بعض الأساطير قد تولدت نتيجة حمل نص القرآن على معنى ظاهر قُرْب أو بُعد و عندها يتراءى أن النص التفسيري ذو بنية أسطورية .

٢- إن بعض الآيات المجملة الواردة في أخبار الماضين من الأمم والأنبياء جعلت بعض المفسرين والقصاص بحاجة إلى تفصيل القول فيها، وكان هؤلاء يعتمدون على ما كان متداولاً في البيئة الثقافية آنذاك (الكتابية) ولدى الإخباريين عامة من روايات تروي عن الماضين أخباراً وأحداثاً مليئة بالعجائب والغرائب.

٣- هنالك بعض الأساطير لابتست التفسير ومزجته لأسباب عقائدية مذهبية أو سلطوية.

^١ - ينظر : محمد عجيبة ، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية : ٨٨ .

المطلب الثالث : التصدي لدعوى الأصول الأسطورية في القرآن الكريم

التصدي لهذه الشبهة المثارة يكون عبر خطوات :

أولاً : حدود دعوى أسطورية القرآن

اختلفت آراء الدارسين لإشكالية (الأصول الأسطورية للقرآن) بين من ذهب إلى أنها تقتصر على قصص القرآن الكريم دون سواها ، ومنهم من ذهب إلى أنها تشمل جميع القرآن وبناءً على ما استعرضناه سابقاً ، يتبين أن دعوى الأسطورية لم تكن حكراً على القصص القرآنية بل أن دعوى الأسطورية تشمل جميع القرآن لكون الأساطير الحقيقية تقتصر موضوعاتها على المسائل الكبرى مثل الآلهة ، الخلق ، الكون والوجود ، الخلود ، البعث ، وكلها قضايا تناولها القرآن الكريم (وهذه القضايا تشكل الجانب القصصي من القرآن ، والجانب العقائدي ، والشعائري) .

ويمكن إثبات ذلك من خلال التقسيمات التي أعتمدها علماء الميثولوجيا في تقسيم الأساطير من حيثيات متعددة منها : تقسيم الأساطير في مجاميع متشابهة نوعياً وهي كالتالي (١) :

١- أساطير الخليقة (التكوين) وتشمل :

أ. الأساطير النشكونية أي أساطير نشوء الكون وتفاصيله .

ب. أساطير نشوء الآلهة أي أساطير ظهور الآلهة وأنسائها .

ت. أساطير نشوء الإنسان أي أساطير خلق الإنسان .

٢- أساطير الطبيعة وهي التي تتناول التفسير الرمزي لمظاهر الطبيعة المادية والحية ، ويقسم إلى :

أ. أساطير الكواكب (الشمس ، القمر ، والكواكب ، والنجوم باعتبارها آلهة) .

١ - خزعل الماجدي ، بخور الآلهة : ٦٤-٦٥ .

ب. أساطير الطبيعة ومظاهرها (الجبال ، الأنهار ، الرياح ، المطر ، الطوفان ، الحريق).

ت. أساطير الحيوان .

ث. أساطير النبات .

٣- أساطير الفردوس : وهي أساطير العصر الذهبي القديم الذي عاشه الإنسان ، ولكل شعب أساطيره

الخاصة عن جنته و فردوسه المفقود .

٤- أساطير الجحيم : وهي أساطير العالم الأسفل و آلهته وكائناته الشيطانية .

٥- أساطير أنصاف الآلهة أو أشباه الآلهة من الأبطال الذين ارتفعوا إلى مقام الآلهة .

ثانياً : الإشكالات المثارة على النصوص الأسطورية

هنالك الكثير من المآخذ على النصوص الأسطورية التي لا بد من أخذها بعين الاعتبار، وهي :

١- أن أغلب النصوص الأسطورية وبالخصوص السومرية منها لم تصل إلينا كاملة ، فقد كان يشوبها

الكثير من النقص ولهذا القول بفهم هذه الأساطير بشكل كامل وتام فيه الكثير من المبالغة (١)،

وانطلاقاً من هذا لا يمكن القول إن قصة الخليقة أو الطوفان أو غيرها من القصص والأحداث

التي ذكرت في القرآن الكريم قد تم اقتباسها من الأساطير.

٢- ولعل واحدة من أهم المشاكل التي ينبغي الالتفات إليها هو ترجمة النصوص الأسطورية فنحن

عرفنا أساطير القدماء عن طريق اللغة الوسيطة التي ترجمت لنا ما مدون في الألواح من اللغة

السومرية والبابلية ... إلى لغتنا التي نفقهها ، وهذه الترجمة تمت عن طريق لغة وسيطة (اللاتينية

١ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ٢٠٠-٢٠٢ . (يستعرض فيه عبد الواحد

أجزاء أو كسر من الألواح الطينية لقصة الطوفان مع ترجماتها وهي غير مكتملة) . ينظر : رشيد السراي ،

القرآن والأساطير ، أيهما أقتبس من الآخر : ٨٧ .

أو الإنجليزية) أيضًا ولم تترجم مباشرة للعربية ، وهذا يعد عائقاً أمام فهم النص بدقة ، و خاصةً إذا أضفنا إلى ذلك أن هذه النصوص الأسطورية قد صيغت صياغة أدبية ، وهذا يؤدي إلى صعوبة فهمها ، فبسبب اندثار اللغة الاصلية تماماً ، وكذلك اللغة الوسيطة نحن نصل إلى النص المترجم من قبل المترجم وهذا قد لا يشبه النص الأصلي بشيء ، ولا ننسى أن نأخذ بعين الاعتبار تأثير ثقافة المترجم على اختياره لنصوص معينة بعينها أثناء عملية الترجمة (١)، وعلى هذا لا يمكن إطلاق الدعوى والقول بأن القرآن مقتبس من نصوص لم يجزم بصحتها بصورة مؤكدة .

٣- صعوبة الترجمة من النصوص الأصلية للأساطير، وكذلك عدم ثقة الباحثين بأن ترجمتهم لنصوص صحيحة ، فالمعلومات عن السومريين وأساطيرهم ليست كاملة ؛ إذ يعترضها الكثير من النقص ، فالكلمات في اللغة السومرية ذات معانٍ غير متحققة ، فعملية الترجمة عن النصوص السومرية عملية معقدة جداً ، ذلك أن الكثير من المفردات اللغوية السومرية لم يتم التوصل إلى دلالتها لحد الآن . ففي الوقت الذي يجد العلماء فيه أنفسهم متقاعلين، منبهرين، ومستمتعين بكلمات النصوص الأسطورية إلا أنهم في الوقت نفسه يجدون أنفسهم يقفون حيارى أمام تلك النصوص ، فهم إلى اليوم لم يتمكنوا من فهم مراد القدامى ، ويقرون أنهم لا يزالون بعيدين عن إدراك معاني الأساطير ومغازيها (٢).

٤- إن قراءة الرُّقْم الطينية والتاريخ القديم ، لم تكن تقرأ بعقلية تؤمن بالدين ، إذ أن معظم الآثاريين الغربيين والمستشرقين ، تكونت ثقافتهم نتيجة إفرازات عصر النهضة ، والذي يقوم على إنكار الدين ، وعلى هذا الأساس تشكلت عقلياتهم كردة فعل عكسية ضد الكنيسة ، وما كانت تتبناه من

١ - ينظر : نائل حنون ، المعجم المسماري : ٧١١ . ينظر : فاضل عبد الواحد ، الطوفان في المراجع

المسمارية : ٢٠٠-٢٠٢ . ينظر : السراي ، القرآن والأساطير : ٨٦ .

٢ - ينظر : صموئيل هوك ، أساطير بلاد ما بين النهرين : ٢٠ . ينظر : حنون ، المعجم المسماري : ٦٤١ . ينظر : كريمر ، الأساطير السومرية : ٤٤-٤٥ .

أفكار خاطئة تصطمم بالعلم ، ونتائج بحوث العلماء ، ولهذا جاءت معظم قراءات الأثاريين خاضعة ومتأثرة بهذه القناعات ، فمثلاً كانوا يفسرون الطوفان بأنه حالة فيضان وارتفاع مناسب الأنهر^(١) . هذه بعض الإشكالات التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار قبل الادعاء بأن القرآن يرجع لأصول أسطورية ، وانطلاقاً من هذه الإشكالات نتوصل إلى أنه لا يمكن الحكم على كون القرآن أقتبس منها.

ثالثاً : معالجة إشكالية أسطورية القرآن

وبناءً على ما سبق يتوجب قبل الخوض في دراسة قضية وجود الأسطورة من عدمها في القرآن الكريم تحديد مفهوم لمصطلح الأسطورة ، وأن عدم إعطاء مفهوم واضح وصحيح لمصطلح "الأسطورة" يبقيا حبيسة المفهوم المعجمي الذي يحدد الأسطورة بـ(الأباطيل والأكاذيب والترهات) ، فمعنى ذلك عندما نقول بوجود الأسطورة في القرآن فإن ذلك يعني أننا نتهم القرآن بتهمة في غاية الخطورة أي أنه يضم الأباطيل والترهات والأكاذيب ، هذا أمر لا يمكن القبول به وهو كما يصفه الله (لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أما في حالة تحديد المفهوم الصحيح لهذا المصطلح وتجريده مما ألتصق به من مفاهيم خاطئة عبر الزمن ؛ لتكون الأسطورة هي تلك الحكاية الحقيقية المقدسة ، والتي وقعت في بداية الزمن ، وتصلح لأن تكون إنموذجاً للتصرفات الإنسانية ، فهل من الممكن لأحد أن ينكر هذه الصفات والنعوت التي نجدها فعلاً في القرآن الكريم . إذاً مما لا شك فيه أن المشكلة تكمن في النظرة الاحتقارية التي ننظر بها إلى مصطلح الأسطورة التي كانت نتيجة عن المفهوم السائد في المعاجم^(٢) ، وهذا ما عملت عليه الدراسات الحديثة التي ((تخلصت من عبء أيديولوجي كان يثقل الموروث العربي الإسلامي ، عندما

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار : ١٦٣ .

٢ - ينظر : د. يونس لوليدي ، الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية : ٦٣ .

فصلت بين (الأسطورة) و(الخرافة) ، الأسطورة – الآن – ترتبط بتاريخ بدئي مقدس ، تفسر أحداثه ظواهر الوجود كلها ، وهي كالأسطورة القديمة، ذات وظيفة نفسية وثقافية ، تتداخل مع البنى العقلانية ، وتتفاعل معها لإنتاج الوجود التاريخي الفردي والجماعي لذلك كان الجهد مصوباً نحو قراءة مصطلح الأسطورة وتثوير دلالاته كما كانت من قبل ، ثم إعلاء الحاجز الزمني بين الماضي والحاضر والشعور بالقطيعة المعرفية بين زمن تولد الأسطورة وزمن قراءتها ، فكان لا بد من رد الاعتبار لمصطلح "الأسطورة" ؛ ذلك لأن التفكير التقليدي يتجه مع لفظ "أسطورة" نحو الأكاذيب والأباطيل ، في نزوع مهاجم لكل ما يتصل بالأساطير لما تحمله من تصورات ، تخالف التصور الوحيد (الحق) الذي يراه ((¹)).

¹ - محمد الكواز ، من أساطير الأولين إلى قصص الأنبياء : ٧.

الفصل الأول :

قصة الخليقة وهبوط الإنسان بين النصوص الأسطورية والكتاب المقدس والقرآن الكريم

•المبحث الأول : قصة الخليقة وهبوط الإنسان في الأساطير السومرية والبابلية

- المطلب الأول : قصة الخليقة السومرية
- المطلب الثاني : قصة التكوين البابلية
- المبحث الثاني : قصة الخليقة التوراتية
- المطلب الأول : قصة التكوين التوراتية
- المطلب الثاني : تشابه قصة التكوين التوراتية مع الاساطير الرافدينية (السومرية والبابلية)
- المبحث الثالث : قصة الخلق القرآنية وميزتها عن غيرها

- المطلب الأول : قصة خلق الكون القرآنية
- المطلب الثاني : خلق الإنسان وهبوطه من الجنة في القرآن الكريم
- المطلب الثالث : قصة الخلق بين التوراة والقران الكريم
- المطلب الرابع: التوراة والقرآن ودرجة التشابه مع الأساطير

توطئة ١

القرآن الكريم بوصفه كتاباً إلهياً شاملاً يعطي تصورات عن المبدأ والمعاد والكون والحياة والانسان أشار في العديد من آياته الى بدء الخلق والتكوين وقصة آدم الأول وملحمة هبوطه الى الأرض بكل ملبساتها وتداعياتها- وهو ما سوف نقف عنده في المبحث الثالث- إلا ان هذه السردية اتُّهمت ببشريتها، أن كل ما جاء به القرآن مصدره الفكر الإنساني القديم وتحديداً الأسطوري منه، وانتقل الى القرآن عن طريق التوراة ومدونات اليهود، وقد أثار هذه الشبهة بعض المستشرقين ومن سار على نهجهم من الكتاب العرب اللادينييين^(١)، فضلاً عن الإشارات العامة للمشركين من عرب الجاهلية.

وإن من أهم وأكثر الموضوعات القرآنية التي أثارت حولها الشبهات والشكوك قديماً وحديثاً، هي القصص القرآنية ، وعلى وجه الخصوص قصص الأنبياء ، فقد تجدد التشكيك في قصص الأنبياء أواخر القرن العشرين الميلادي ، من خلال الترويج لكتابات اللادينييين والملاحدة العرب ومحاضراتهم في الدوائر العلمانية . وإذا كان من سبقهم من النقاد الغربيين يسقطون تأريخية الأنبياء - وبالتالي القول بأسطورية شخصياتهم - ، انطلاقاً مما في التوراة من خطأ ، ولا يابهون بالنظر في القرآن الكريم ، فإن اللادينييين العرب يستترون بالتوراة لإدانة القرآن الكريم ، وإنكار مصدره الرباني ، وهذا يشكل استفزازاً صريحاً للمسلمين بالطعن بما في كتابهم من خبر عن تاريخ الأنبياء ، ومنهجهم الذي يعتمدونه هنا ، هو نكر الخبر المستنكر في التوراة ، وإنكار

^١ - ينظر : معدي الحسيني ، الاساطير السومرية : ٧. ينظر : جفري برناد ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب : ٨ .
ينظر : محمد صدقي ، ميثلوجيا الأديان في الشرق الأدنى قبل الإسلام : ١١٦-١١٧.

تاريخيته بصورة كلية ، مع علمهم أن له نظيراً في القرآن الكريم ، وبالتالي القول بأسطوريته ، ومن هؤلاء الباحث في مجال الأديان والاساطير فراس السواح ، قو خزعل الماجدي (١) .

وحتى نقف عند هذه الشبهة ونحللها بمنهج علمي لا بد من الوقوف عند قصص الخليقة في الفكر الأسطوري ذاته ثم نقف عند الرواية التوراتية لهذه القصص لنعقد بعد ذلك مقارنة مع ما جاء به القرآن الكريم ونصل إلى نتيجة مبنية على التحليل الموضوعي .

١ - ينظر : د. سامي عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي : ٢٨ . ينكر الباحثان من خلال مؤلفاتهما وجود الأنبياء ويعمدا إلى عمل مقارنات بين العديد من شخصيات الأنبياء المذكورين في التوراة وكذلك القصص القرآني فيما يخص الأنبياء والشخصيات القرآني الأخرى والاحداث المرتبطة بهم ، ويعمدون إلى عمل مقارنات واستنتاجات بينها وبين بعض الاساطير القديمة موضع الشبهة ، للتوصل إلى أن هذه الاحداث والشخصيات هي اقتباسات أسطورية ، وليست وحي الالهي .

المبحث الأول :

قصة الخليقة وهبوط الإنسان في الأساطير السومرية والبابلية

بعد الكشف عن النصوص المسمارية في حضارة وادي الرافدين العريقة نجد أن الإنسان في تلك العصور أعمل فكره البدائي للإجابة على مجموعة من الأسئلة عن أصل وجوده في هذا العالم ، و تعد أسطورة التكوين ، أو أسطورة الخليقة ، أو أسطورة الخلق التي عثر عليها مدونة على الرقم الطينية أساس معتقد البشر الأوائل ، حول نشأة الكون والإنسان ، إضافة إلى عوامل أخرى اجتماعية وسياسية كانت وراء تسطير هذه المدونات التي وصلت إلينا .

ولا بد من الإشارة هنا إلى إنَّ البحث في ذكره لهذه الاساطير سوف يقف عند حدود ما له علاقة مباشرة بالموضوعات التي ذكرها القرآن والتي عدّها أصحاب هذه الشبهة دلالة واضحة على أخذ القرآن عن السابقين، اما باقي تفاصيل قصة الخلق الأسطورية وهي كثيرة فلا نقف عندها لخروجها عن موضوع البحث.

المطلب الأول : قصة الخليقة السومرية

وضع المفكرون والحكماء السومريون نتيجة تأملاتهم في أصل الكون وطريقة عمله وطبيعته ، تصوراً للكون و لاهوتاً له، مما يحمل على الاقتناع أنهما أصبحا في الأساس شهادة الإيمان والعقيدة المسلّم بها لدى الكثير من أديان الشرق الأدنى القديم، أما على المستوى العلمي والوظيفي فقد عمل الكهان والقديسون السومريون على إنشاء مجموعة مختلفة وذات ألوان متعددة من الطقوس والشعائر والمراسيم لاسترضاء الآلهة^(١). فالسومريون كغيرهم من الشعوب كانت لهم تأملاتهم في طبيعة الكون وأصل نشأته ، فظهر عندهم أثناء الألف الثالث قبل الميلاد ، مجموعة من المفكرين والعلماء حاولوا وضع إجابات مرضية ومقبولة حول التساؤلات التي أثارها تأملهم في الكون، وعبر ما وصل إلينا من نصوص سومرية يتضح أنهم توصلوا إلى مجموعة من الآراء والمعتقدات والمبادئ التي أصبحت فيما بعد أساساً لمعتقدات شعوب منطقة الشرق الأدنى^(٢) ، ولا بد أيضاً من الأخذ بنظر الاعتبار أن كل ما توصلوا إليه لم يرتق إلى مستوى المنهج العلمي من التعميم والتعريف ، فهي لا تعدوا أكثر من عقائد لاهوتية^(٣) . وإن مدوني الأساطير السومرية لم يطرحوا على أنفسهم الأسئلة بخصوص أصل الكون ، وأكتفوا في ذلك بنسبتها إلى الآلهة ، دون تفاصيل أخرى ، أو شروحات تبين ذلك ، أو لربما لم يتمكن علماء الآثار من العثور حتى اليوم على أحد هذه الشروح أن كانت موجودة بالفعل^(٤). فكتاب الأساطير أو الأمم التي أنتجت هذه الأساطير لم تقل بأسطورتيتها ، فقد كانت هذه تمثل النتاج العقلي والتاريخي لها ، وقد صيغ بصياغة أدبية ، فكان ينبغي أن ينقل للأجيال اللاحقة ، لهذا نجدهم قد حرصوا على تدريسه ونسخه لهذا وجدت نسخ هذه الأساطير في

١ - ينظر : معدي الحسيني ، الأساطير السومرية : ٧.

٢ - ينظر : صموئيل كريم ، من الواح سومر : ١٥١. ينظر : القمني ، قصة الخلق : ٣٢.

٣ - ينظر : كريم ، من الواح سومر : ١٥١.

٤ - ينظر : جان بوتيرو ، بلاد الرافدين : الكتابة - العقل - الإلهة : ٢٦٦.

بيوت الألواح^(١). و تمتاز الأساطير السومرية عن غيرها بقدمها وأصالتها وعراقتها ، فقد كانت هذه الأساطير في بدايتها قبل ٣٠٠ سنة ق.م تروى شفاهية من غير تدوين ، ومن بعد ذلك بدأت عملية تدوينها^(٢). فقد ازدهرت الثقافة السومرية في الجزء الأسفل من حوض نهري دجلة والفرات حول الشواطئ العليا للخليج العربي ، وقد كان لثقافة السومريين التأثير الكبير على ثقافة الشرق الأدنى القديم ، فالسومريون هم الذين أعطوا الخط المسماري الذي أصبح أداة الكتابة عند جميع شعوب المنطقة^(٣). ولعل أهم ما في الأساطير السومرية يكمن في أساطير الخليقة والتكوين ، لأن هذه تشير إلى الأول دائماً أي (الكون والعالم الأول) ، الآلهة الأولى ، والإنسان الأول ، فهذه الأساطير تكون الدافع المشوق إلى معرفة الأصول^(٤). ولم تصل إلينا عن السومريين أسطورة متكاملة عن التكوين والخلق ، إلا إن العلماء لا يستبعدون العثور على مثل هذه الأسطورة من الألواح الفخارية المنتشرة في مختلف متاحف العالم ، أو في باطن أرض سومر من خلال التنقيبات الأثرية، إذ لا يزال يتوقع الكشف عن مزيد من التاريخ المظمور، إلا أن النصوص

١ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ٢٥. ان من ابرز خصوصيات الاساطير السومرية منها : ١-تمتاز الأساطير السومرية بتشبيه الآلهة بالبشر تماماً في جميع سلوكياتها ، مما يشعر أحياناً أننا أمام إنسان عادي أو ملك أو حكيم وليس إله .

٢- أن الأساطير السومرية تمتاز بالتنوع فهي لا تقتصر على الأساطير السببية ، إنما فيها التأمل والسببية فهي تعد صدى لعصرها وللطبيعة التي نشأت فيها ، فهي لا تقتصر على أسباب الوجود فقط فيها ما هو رمزي وكذلك فيها كيفية تنظيم الكون وتطوره .

٣- لا يوجد هنالك ما يشير إلى أن الأساطير السومرية كانت شعائر تقرأ في المناسبات الدينية ، أو أنها كتبت لتكون جزءاً من الطقوس ، بل هي كانت عبارة عن النصوص المقدسة التي ورثها السومريون من الأجداد وعرفوه عن بدايات الأشياء وتاريخها المقدس.

٤- أن الأساطير السومرية كانت على صلة بدور العلم (بيوت الألواح) أكثر من صلتها بدور العبادة (المعابد) ، فقد كانت مادة للتعليم ولم تقتصر على الوعظ والكهانة . ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ٦٣.

٢ - ينظر : خزعل الماجدي ، متون سومرية : ٦٢.

٣ - ينظر : فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٣١.

٤ - ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ٦٥.

المتفرقة المكتشفة تعطينا تصوراً واضحاً عن أفكار السومريون بأمور التكوين والخلق ، وان جمع هذه النصوص وربطها مع بعضها بصورة متسلسلة ومنطقية يدلنا على ان أفكار السومريون عن الخلق والتكوين لم تكن أفكاراً ساذجة وبدائية إنما كانت ناضجة بالدرجة التي تنتجها أفكار ومعارف تلك الحقبة الزمنية من بداية تاريخ الإنسان ، ولقد أثبت السومريين قدرة فائقة على الملاحظة والربط ، واستخلاص النتائج المنطقية من المقدمات والحقائق والمشاهد (١) .

ويمكن تلخيص أسطورة الخلق السومرية في النقاط الآتية (٢):

- ١- في البدء كانت الآلهة (نمو) ولا أحد معها، وهي المياه الأولى التي انبثق عنها كل شيء.
- ٢- أنجبت الآلهة (نمو) ولداً وبنثاً. الأول (آن) إله السماء الذكر، والثاني (كي) إلهة الأرض المؤنثة، وكانا ملتصقتين مع بعضهما، وغير منفصلين عن أمهما (نمو).
- ٣- ثم أن (آن) تزوج (كي) فأنجبا بكرهما (أنليل) إله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة.
- ٤- (أنليل) الآله الشاب النشط، لم يطق ذلك السجن، فقام بقوته الخارقة بإبعاد أبيه (آن) عن أمه (كي). رفع الأول فصار سماء، وبسط الثانية فصارت أرضاً، ومضى يرتع بينهما.
- ٥- ولكن (أنليل) كان يعيش في ظلام دامس، فأنجب (أنليل) ابنه (نانا) إله القمر، فبيد (نانا) الظلام في السماء وينير الأرض.
- ٦- (نانا) إله القمر أنجب بعد ذلك (أوتو) إله الشمس الذي بزّه في الضياء.

١ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٣٢ .

٢ - المصدر نفسه : ٣٢-٣٣ .

٧- بعد أن أبعدت السماء عن الأرض، وصدر ضوء القمر الخافت، وضوء الشمس الدافئ، قام أنليل (مع بقية الآلهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى).

إذن النقاط الأساسية التي سوف نقف عندها لأنها مذكورة في القرآن بنحو آخر هي:

أ-بدء الخلق من الماء

ب-فصل السماء عن الارض

ت-خلق الشمس والقمر والاسبقية ما بين الليل والنهار

ث-خلق الانسان

ويمكن سرد أسطورة الخلق السومرية على مراحل:

أولاً : خلق الكون من المياه الأولى وتنظيمه

مطلع الأسطورة السومرية يتحدث عن ولادة الكون من المياه الأولى (نمو) ، ((في البدء كانت الآلهة (نمو) ولا أحد معها، وهي المياه الأولى التي انبثقت عنها كل شيء))^(١) ، ونرى أن قصة الخلق السومرية ركزت على مرحلة الأصول والتكوين ، ولم تتطرق إلى المرحلة السمرمية التي تسبق ذلك ، فكان تركيزها على الأصول والتنظيم ، من خلق الكون وفصل السماء عن الأرض وخلق بقية الموجودات ، و فكرة الميلاد المائي لم تقتصر على السومريون وحدهم بل نجدها تتكرر في الأساطير اللاحقة والديانات التي ظهرت فيما بعد^(٢). وهذا ما نستعرضه في الموضوعات القادمة .

^١ - السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٣٢.

^٢ - ينظر : السواح ، المصدر نفسه : ٣٥. ينظر : السواح ، الأسطورة والمعنى : ٩٧.

أما عن تنظيم الكون فأن دراسة تنظيم الكون في ضوء النصوص السومرية والبابلية يعد من المسائل المعقدة لكون المصادر التي تتحدث عن ذلك عديدة ، إضافة إلى اختلاف شخوص الإلهة الخالقة في كل مصدر عن الآخر بوصفه خالقاً ومنظماً للكون . فمثلاً نجد في أسطورة خلق (انو) للسماء ، نقرأ أن الإله (انو) هو الذي خلق السماء : (عندما قام انو بخلق السماوات) ، وفي نص أسطوري آخر نقرأ (إنليل) هو الذي خلق الكون ، وهكذا نجد الإلهة الخالقين مختلفين بين مصدر وآخر^(١) . وفيما يخص التنظيم في الأساطير السومرية لدينا الإلهان (إنليل) إله الهواء و (آنكي)^(٢) إله الماء والحكمة ، و هما مختصان على حد سواء بعملية تنظيم الكون والعالم ، فكل واحد منهما أساطيره الخاصة^(٣) .

ثانياً : فصل السماء عن الأرض

نجد في الفكر السومري أن الأرض والسماء كانتا متصلين على هيئة جبل كوني، فالإلهة (نمو) (المياه الأولى) التي تتصف بالسرمدية والأزلية قد أنجبت (آن) الذكر الإلهة السماء و (كي) المؤنثة الإلهة الأرض ، ونتيجة اقتران كل من (آن) و(كي) ولد الإله (إنليل) إله الهواء الذي يتحرك بينهما ، الذي قام بخلق كل من السماء والأرض ، عن طريق فصلهما ، فرفع السماء وبسط الأرض^(٤) ، وقد جاء في أحد الأساطير : ((آه يا إنليل ، عندما خلقت السماوات والأرض كنت أنت الملك))^(٥) .

١ - ينظر : أسامة يحيى ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم : ١١٩ .

٢ - كلمة مركبة من (آن) و (كي) أي السماء والأرض : ينظر : أسامة يحيى ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم : ١١٩ .

٣ - ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ١٧٣ .

٤ - ينظر : صموئيل هنري ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين : ١١ . ينظر : فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر : ١١٨ . ينظر : نائل حنون ، عقائد الحياة والخضب في حضارة العراق القديمة : ٣٥ .

٥ - الطعان ، الفكر السياسي : ٦٤ .

وتقول الأسطورة السومرية عن فصل السماء والأرض : ((بعد أن أبعدت السماء عن الأرض ، وفصلت الأرض عن السماء ، وتم خلق الإنسان ، وأخذ آن السماء وأنفرد (إنليل) بالأرض))^(١). ونجد مزيداً من المعلومات عن عملية الفصل هذه في مطلع أسطورة أخرى : ((إنَّ الإله الذي أخرج كل شيء نافع ، الإله الذي لا مبدل لكلماته ، إنليل الذي انبت الحب والمرعى ، ابعد السماء عن الأرض ، وابعد الأرض عن السماء))^(٢).

ثالثاً : تكوين الشمس والقمر

بعد أن فصل (إنليل) السماء عن الأرض بدأت عملية تنظيم الطبيعة وخلق الشمس والقمر وبقية عناصر الطبيعة ، وجاء خلق هذه المظاهر نتيجة لحركة مادية و أفعال حياتية للإلهة ، لا نتيجة الأمر الإلهي والكلمة الخالقة ، فظهور الشمس والقمر وبعض الإلهة الأخرى جاء نتيجة لعملية التزاوج بين الإلهة^(٣). فد(إنليل) أنجب إله القمر (نانا) وإله القمر قد أنجب (أتو) إله الشمس . وبعد ذلك انطلقت عملية التكوين بصورة تدريجية من خلال زواج الآلهة مع بعضها البعض^(٤)، ومما يلفت الانتباه في أسطورة خلق القمر والشمس هو أسبقية ظهور القمر عن الشمس وعلل الباحثون ذلك لكون عبادة القمر كانت أسبق عن عبادة الشمس في المجتمعات البدائية السابقة لظهور الحضارات ، فقد كان تقديس القمر بوصفه رمزاً للأم الكبرى إلهة المجتمع الأمومي ، أما الشمس كانت ترمز للذكر ، وقد قدسته المجتمعات الأبوية بوصفه الإله الذكر^(٥).

١ - السواح : مغامرة العقل الأولى : ٣٥.

٢ - السواح : المصدر نفسه : ٣٥.

٣ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٢٨ .

٤ - ينظر : السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم : ١١.

٥ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٤٢.

، ويبقى النص الأسطوري يروي تصورات عامة مبنية على رؤية بشرية بدائية لتفسير وجوده على هذا الكون وكيفية نشأته بحسب تصوره وما وصل إليهم من حقائق عن الكون اندثرت بمرور الزمان وتعاقب الأجيال لأسباب عديدة، إذ لا ننكر أن الأسطورة جاءت بحقائق ولا ننكر أنها مروية بلغة رمزية ربما نحن أبناء القرون المتقدمة لا نفقه منها إلا الشيء اليسير، إلا أننا على يقين أن القرآن لم يقتبس منها شيئاً، كما لا ننكر أن هنالك خطوطاً مشتركة بين هذه الأساطير والقرآن الكريم، فمما يميز الأسطورة الطبيعية السردية لها فهو يشكل بنيتها الدلالية، فمن خلال السرد تحكي الأسطورة وتخبر كيفية الخلق السماوات والأرض وما احتوته من موجودات، فهذه كلها تعتبر حقيقة كلية من حقائق خلق الكون^(١).

رابعاً : خلق الإنسان

يعد موضوع خلق الإنسان من المواضيع المهمة التي تناولتها الأساطير السومرية، وعلى سياقها قد كتبت أساطير خلق الإنسان في المراحل المتعاقبة، ومنها استمدت تلك الأساطير عناصرها الرئيسية، وعلى الرغم من أن الأساطير التي تناولت موضوع خلق الإنسان قليلة إلا أنها قدمت معلومات قيمة عن معتقدات وأفكار سكان بلاد الرافدين عن هذا الموضوع^(٢). ويرى السواح أن أول معالجة لقصة خلق الإنسان من قبل السومريين كانت في نصوص مكتوبة تعود إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد^(٣).

١ - ينظر : محمد الكواز ، من أساطير الأولين إلى قصص الأنبياء : ٢٣ .

٢ - ينظر : رشيد فوزي ، خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية : ١٥ .

٣ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٨٣ .

فبعد أن أخذ الكون شكله وانتظمت مظاهر الحياة من تعاقب الليل والنهار وحركة الفصول* وإنبات النباتات وتفجرت الينابيع وكذلك ظهرت الحيوانات** ، غدا ظهور الإنسان مهيباً ، وحسب تصور الأسطورة السومرية جاء خلق الإنسان لكي يتحمل أعباء العمل عن الآلهة بعد أن أصابها التعب من القيام بالأعمال التي تيسر حياتها فكان خلق الإنسان لتلك المهام^(١). إذاً فبسبب خلق الإنسان هو خدمة الإلهة ، فالإلهة من الدرجة الثانية هم وحدهم كانوا ملزمين بأداء الأعمال ، أما الإلهة العظام فكانت تمضي وقتها بالراحة^(٢).

* تعد هذه الأسطورة أسطورة تنظيم الفصول ، وفي ذات الوقت هي أسطورة تروي صراع بين أخوين ، ربما تذكرنا بصراع قابيل وهابيل ، إلا أن هذه الأسطورة تنتهي بالصلح بين الأخوين لا بالقتل .
(إيميش) الذي هو الصيف يدعى براعي الإلهة ، أما (إينتين) الذي هو الشتاء فيدعى بفلاح الإلهة . فهذه الأسطورة تعبر عن فصلين إلا أنها تخفي الصراع بين الفلاحة والراعي ، وتختتم بفصل (إنليل) الشتاء والفلاحة عن الصيف والراعي، والأسطورة عن الصراع الذي دار بين الأخوين الفصل والشتاء وكيف احتكما إلى إنليل وفض الخلاف بينهما ببيان أرجحية الشتاء على الصيف ، ذلك لأن فصل الشتاء في بلاد الرافدين على الرغم من قسوة برودته إلا أنه يمنح الكثير من النباتات والحيوانات بسبب حكمته العميقة . نجد أن هذه الأسطورة حقاً نابعة من تأثير البيئة الجغرافية لوادي الرافدين فصل الشتاء فيه يتميز بتقديم وفرة من المحاصيل الزراعية بسبب اعتدال فصل الشتاء، ينظر : : الماجدي ، متون سومرية : ١٧٧، و صموئيل كريمير ، الاساطير السومرية : ٧٨.

* * ومن أجل تجهيز الأرض بالمواشي والقمح ، ومن خلال اقتراح من قبل اله الحكمة (انكي) ، قام إنليل بخلق إلهين صغيرين هما (لهار) اله الماشية و (اشنان) اله القمح لغرض تجهيز الملابس والطعام للإلهة ، وبعد الوفرة التي اوجدها الإلهين انصرفا إلى احتساء النبيذ والسكر والعريضة وأخذوا يتشاجران مع بعض ، مما أدى إلى إهمال واجباتهما وعدم القدرة على تلبية احتياجات الإلهة ، ومن أجل معالجة هذا الوضع كان خلق الإنسان، فالمعتقدات السومرية تشير إلى أن خلق الحيوانات والنباتات جاء نتيجة اتحاد كل من (إنليل) اله الهواء و (كي) إلهة الأرض ، وبمساعدة من (انكي) إله الماء . وهذه علاقة يمكن أن نعبر عنها بالمنطقية ، فهذه العناصر الثلاثة ، اعني الأرض ، الماء ، الهواء ، في حال اضفنا إليها الشمس (اتو- اله الشمس) ، فكانت العوامل الرئيسية الفعالة في نمو وظهور النباتات والحيوانات على الأرض، ينظر: قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (سومر واكد وأشور) : ٧٣، و صموئيل كريمير ، الأساطير السومرية : ١٢١، وتقي الدباغ ، الفكر الديني القديم : ١٦

١ - ينظر : السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم : ١١ .

٢ - ينظر : أسامة يحيى ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم : ٢١١ .

إذاً خلق الإنسان بحسب التصور السومري جاء لخدمة الآلهة ورفع كاهل الأعباء عنها ، فبعد أن تعبت الآلهة من القيام بالأعمال راحوا يشنكون لأنكي الحكيم ، ليجد لهم حلاً ، إلا أنه وهو نائم بعيداً في الأغوار المائية لم يجد لهم حلاً ، مما دفعهم اللجوء إلى أمه الإلهة (نمو) المياه الأولى لتكون واسطة لهم ^(١) ، فقالت له : ((أي بني، انهض من مضجعتك، واصنع أمراً حكيماً . اجعل للآلهة عبيداً يخدمونهم ويقومون بأودهم . فتأمل آنكي مليا في الأمر، ثم دعا الحرفيين الإلهيين المهرة وقال لأمه نمو : إن الكائنات التي ارتأيت خلقها ستظهر للوجود، ولسوف نعلق عليها صورة الآلهة. امزجي حفنة طين ، من فوق مياه الأعماق ، وسيقوم الصنّاع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين وعجنه ، ثم كوني أنت له أعضاءه ، وستعمل معك ننماخ يدا بيد ، وتقف إلى جانبك ، عند التكوين ، ربات الولادة ، ولسوف تُقَدِّرين للمولود الجديد يا أمه مصيره ، وتعلق ننماخ عليه صورة الآلهة ، ...في هيئة الإنسان)) ^(٢). فهذه الأسطورة تقدم سبب خلق الإنسان وقد اشتركت فيها ثلاث آلهة هي : الإلهة الأم (نمو) ، والإله (أنكي) و (ننماخ) إلهة الولادة ، في جو سادته الاحتفال لخلق الإنسان الذي سيسهر على رعاية مصالح الآلهة ^(٣). وعند إمعان النظر في هذه الأسطورة نجد أن فيها بعض الحقائق، منها: خلق الإنسان من طين ، فكما نعلم قد ورد في القرآن الكريم والكتب السماوية أن الإنسان الأول قد خُلِقَ من طين ممزوج بالماء ، وهذا ما أثبتته العلم بنسبة ما ^(٤) . ومن ثم يستعان في تكوين هذا المخلوق بربات الولادة أي ما يعرف بـ القابلات ، و هذا تصور مبني على رؤية بشرية نراها عند ولادة الأطفال ومن ثم تعين المصير من قبل الإلهة الأم ، هذا يذكرنا بمسألة تقدير الأقدار من قبل الله تعالى عند خلقه البشر . وهنا يمكن القول إن في فترة السومريين أخذت هذه المعلومات و المفاهيم من

١ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٤٥ .

٢ - فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٤٦ ، (نقلاً عن كريم ، الأساطير السومرية : ٣١٦)

٣ - ينظر : أسامة يحي ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم : ٢١٢ . ينظر : سوليم سميرة ، قصة خلق الإنسان بين الألواح المسمارية والقرآن الكريم (دراسة مقارنة) : ١٠٨ .

٤ - تفصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل .

أنبياء سابقين و صاغتها بحسب ما تراه مع معتقداتها الوثنية البدائية ، و هذا أمر نعيشه اليوم بكل وضوح ، فعندما ينحرف المجتمع عن الدين تنشأ فيه بعض الخرافات و الأساطير البعيدة عن روح الدين الأصيل ، فكيف الحال بتلك الأزمان السحيقة التي سادت فيها الوثنية وعبادة الملوك والاصنام ، فهكذا كانت تنسج حول الأحداث الحقيقية والأخبار الغيبية التي جاء بها الأنبياء الخرافات والاباطيل وهكذا تنشأ الأساطير، ثم جاءت الأديان لتصحح تلك الأساطير و تعيدها إلى حقيقتها .،

خامساً : أسطورة أرض الدلمون (الأصل الإلهي السومري لآدم وحواء) :

تبدأ الأسطورة بوصف أرض الدلمون ، واستقرار الإله أنكي و ننخرساج فيها ، حيث أن هذه الأرض لم يكن فيها شر ولا قُبْحٌ ولا مرضٌ ، فكل النعم متوفرة فيها ، فهي تصف جنة دلمون على شكل بستان كبير للخير والبركة ^(١) . تقول الأسطورة : ((دلمون ارض طاهرة .. في دلمون لا ينعق غراب ولا يصيح طائر الموت والخراب ... وليس فيها شيخ ولا عجوز ولا نذب ولا رثاء ولا عزاء)) ^(٢) ، ويذهب بعض الباحثين إلى القول أن هذه الأسطورة هي الأصل الإلهي السومري لقصة آدم وحواء و(دلمون) تقترب من فكرة الفردوس التي سكنوها أول خلقهم^(٣)، وفي ذلك تنويه لقصة خلق آدم وحواء وسكناهم في الجنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم ، في إشارة منهم الى أن القرآن أقتبس هذه القصة من الأساطير السومرية .ومما ورد في الأسطورة : ((ان ننخرساج تسأل انكي: ما الذي يوجعك يا أخي ، يذكر انكي لها اوجاعه وتتابع ننخرساخ خلق إلهة الشفاء له حتى يصل إلى ضلعه فنقول له ننخرساج : لقد أوجدت من أجلك الإلهة ((ننتي))^(٤). ويرى

١ - ينظر : خزعل الماجدي ، أنبياء سومريون : ١٠٤ .

٢ - طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ٨٨ .

٣ - ينظر : خزعل الماجدي ، أنبياء سومريون : ١٠٣-١٠٤ . ينظر : صلاح الجبوري ، ادب الحكمة في وادي الرافدين

: ١٧ .

٤ - كريم ، الأساطير السومرية : ٢٤٣ .

علماء السومريات أن كلمة (نن) يراد منها الضلع ، ولها معنى آخر هو (الأحياء) أي جعله حياً ، أما كلمة (تي) فتعني (السيدة) ، ومن ذلك يتبين أن معنى أسم الإلهة (نن- تي) هو سيدة الضلع ، أو تعني (السيدة التي تحي) ، وهذا ما يذكرنا بجواء زوجة النبي آدم (عليه السلام) التي خلقت من ضلع آدم (عليه السلام) حسب القصة التوراتية^(١)، ومن ثم دخلت هذه الرواية في خلق حواء من ضلع آدم في تفاسير المسلمين عن طريق الإسرائيليات.

سادساً: استراحة الخالق

بعد أن أنتهى الإله أنكي من عناء الخلق ، يخلد إلى الراحة ، ويبني بيتاً له في الأعماق المائية^(٢)، تقول الأسطورة : ((بعد أن تفرقت مياه التكوين ، وعمّت البركة أقطار السماء ، وغطى العشب وجه الأرض أنكي ، إله الغمر ، أنكي ، الملك ، بنى بيته من فضة ولازورد))^(٣) . ونجد فكرة استراحة الخالق تتكرر في العهد القديم ، أما في القرآن الكريم نرى خلافاً لذلك من تنزيه الخالق من صفات البشر ، فهو القادر على كل شيء من دون أن يصيبه تعب أو لغوب . فهذه الأساطير السومرية وبحسب وجهة نظر بعض الباحثين ، تثبت مجموعة من التقاليد التي بقيت متداولة في الأساطير اللاحقة كما في الأسطورة البابلية والمصرية وصولاً إلى الكتب السماوية ، ففي التوراة نجد أن المياه الأولى وروح الرب فوقها من قبل التكوين ، وانتهاءً بالقرآن الكريم الذي أثبت وجود المياه الأولى^(٤)، وهكذا بالنسبة لبقية العناصر الأخرى التي تشترك فيها قصص الخلق الأخرى التي جاءت في الديانات السماوية معتبرين تأثرها بأفكار السومريين والإقتباس منها.

١ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٣-٢٤٤ . ينظر : سوليم سميرة ، قصة خلق الإنسان بين الألواح المسمارية والقرآن الكريم (دراسة مقارنة) : ١٨١ .

٢ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٤٨ .

٣ - السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٤٩ .

٤ - ينظر : المصدر نفسه : ٣٦ .

المطلب الثاني : قصة التكوين البابلية

تستند الأسطورة البابلية إلى أصول سومرية أقدم منها عهداً ، فقد انتقلت أسطورة الخلق السومرية إلى البابليين ورثة الحضارة السومرية ، وتعد قصة الخلق البابلية أكمل وأطول، ولأجل ذلك كانت مصدراً أساسياً لأغلب أساطير التكوين في تلك الأزمنة^(١). ولا تختلف قصة التكوين البابلية عن السومرية إلا في بعض الجزئيات، والسبب يعود في ذلك إلى سلطة وقوة المتغيرات السياسية والحربية والاجتماعية للدول والمدن والحكام ، إذ قام كهنة بابل بإحداث بعض التطوير في قصة التكوين لتتناسب مع مكانة إله بابل (مردوخ) فظهرت عند ذلك ملحمة الخليقة البابلية (الإينوما -إيش) فهذه لا تختلف في جوهرها عن قصة التكوين السومرية^(٢). وعلى سبيل المثال : نجد أن الإله (أنليل) وهو الإله الخالق عند الأقوام السومرية ، يأخذ اسم الإله (مردوخ)^(٣) عند البابليين بعد أن اقتبسوا الفكرة من السومريين ، كذلك نلاحظ تغيير الإله (أنكي) بالإله (أيا)^(٤). وعرفت هذه الأسطورة بين أوساط الباحثين والمختصين ب قصة أو أسطورة الخليقة البابلية ، وأيضاً تعرف باسمها البابلي (حينما في العلى) ويطلق عليها في اللغة البابلية (إينما إيلش) ، وتعرف عند علماء الأشوريات بعنوان (ألواح الخليقة السبعة) ذلك لأنها وردت في سبعة ألواح من الطين^(٥). وقد وجدت نسخة من قصة الخلق البابلية في مكتبة آشور بانبيال في مدينة نينوى والتي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، و أسم الأسطورة مقتبس من الكلمات الافتتاحية التي تبتدأ بها ، فإنوما إيلش

١ - ينظر : السواح ، أساطير الأولين - القصص القرآني ومتوازياته التوراتية: ١٧٤. ينظر: الماجدي، إنجيل بابل: ١٣.

٢ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، عامر سليمان ، تاريخ العراق القديم : ٢٠١٢.

٣ - (تذكر مقدمة حمورابي أن مردوخ هو ابن الإله (انكي) ، وهي أقدم وثيقة ثقافية معروفة تتحدث عنه ، وتقول أن الإله (آن) والإله ((إنليل) حملاه الإنليلية ليحكم بواسطتها البشر . ويفهم من هذا الكلام أن مردوخ هو الوريث القومي للسومريين ((. خزعل الماجدي ، إنجيل بابل : ٢٣.

٤ - ينظر : سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية : ١١٠.

٥ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم : ٧٢. ينظر : د . أحمد أمين سليم ، حضارة العراق القديم : ٤٠٨.

تعني (عندما في الأعلى) (١) . وتوضح أهمية هذه الأسطورة في تاريخ حضارة بلاد الرافدين من حيث عقائد سكان المنطقة في أصل الوجود والإلهة ، وخلق الإنسان ، وكذلك تصور هذه الأسطورة أحوال المجتمع السياسية والاجتماعية، فضلاً عن أن لهذه الأسطورة أوجه أخرى من الأهمية عن المعتقدات الخاصة بالخلقة وأصل الأشياء في تاريخ الحضارات القديمة الأخرى ، فقد أجمع الباحثون على أن هنالك أوجه تشابه تكاد تكون أساسية واقتباسات كثيرة منها في عقائد الأمم أخرى بالذات لدى العبرانيين كما ورد ذلك في التوراة ، وأيضاً هنالك مواطن شبه فيها في أساطير اليونان في موضوعات الآلهة وأصل الأشياء(٢). و أتمت أسطورة الخلق البابلية بأهمية بالغة ذلك لصلتها الوثيقة بشعائر رأس السنة البابلية ، المتمثلة بالطقوس الدينية والتراتيل التي كانت تتلى ، مما أسبغها عليها طابع القدسية، إذ يلعب الإله البابلي (مردوخ) دوراً رئيسياً حين تغلبه على (تيامت) ليتمكن من الحفاظ على الواح القدر ويقدم بعد ذلك على عمليات الخلق(٣).

الأسطورة تقول : ((حينما في العلى لم ينبأ عن السماء (لم تسم باسم)،

وفي الدنى (الأسفل) لم تذكر الأرض باسم،

وحين كانت مياه ((أبسو)) الموجود الأول والدهم،

والأم ((تيامة)) والدة جميعهم واحدة مختلطة،

ولم يكن وجد أي مرعي ولا يرى أي شيء حتى هور قصب،

١ - ينظر : السواح ، أساطير الأولين : ١٧٤ . ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٥١ .

٢ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم : ٧٣ .

٣ - ينظر : رشيد عبد الوهاب حميد ، حضارة وادي الرافدين : ١٦٢ . ينظر : صموئيل هوك ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين : ٣١ .

حينما لم يظهر إلى الوجود أي من الآلهة،

ولم تذكر أسماءهم، ولا خصصت وظائفهم وأقدارهم،

ثم وجد الآلهة في وسطها (وسط أبسو وتيامة)^(١).

هذه الأسطورة التي قام بتأليفها رجال الدين تعظيماً للإله (مردوخ) : ((في الأصل لم توجد سماء ولا أرض ، لكن فقط مياه في حالة فوضى ، مكونة من إلهين أصليين ، اختلطا مع بعضهما ، هما اللأبسو ، وتيامة ، ونتيجة اندماج الإلهين خرج الإله آن ، الذي أولد أيا على شكله ، والإله أيا قضى على الأبسو لأنه أراد تدمير نسله ، وأولد مردوخ ، وتبع هذا الحدث ثورة تقودها تيامة ضد الآلهة انتقاماً للأبسو))^(٢) ، ومن ثم تروي الأسطورة الصراع الكبير الذي وقع بين الإله (مردوخ) مع (تيامة) ، وانتصار مردوخ عليها ، ومن ثم قتلها وشطر جثتها إلى شطرين خلق منها الكون، إذ جعل من نصفها الأعلى السماء، ومن نصفها الأسفل خلق الأرض، وعين للآلهة العظام وعلى رأسهم (أنو) و (إنليل) و (أيا) الأجزاء التي يحكمونها من الكون^(٣)، من ثم التقت مردوخ إلى باقي عمليات الخلق، فخلق الشمس والقمر وحدد لهما مساريهما ، وخلق النجوم محطات لاستراحة الآلهة^(٤)، والذي يهمننا من هذه الأسطورة قصة خلق الانسان وهبوطه.

أولاً : خلق الإنسان

تمضي ملحمة التكوين البابلية بسرد قصة الخلق بعد الانتصارات التي حققها الإله مردوخ ، فبعد ذلك يرتئي مردوخ أن يُوجد مخلوق سمي بالإنسان من أجل أن يخدم الآلهة، وفرض على هذا الإنسان خدمة

١ - طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ٧٤.

٢ - القمني ، قصة الخلق : ٦٤-٦٥.

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٧٩.

٤ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٥٥.

الآلهة ليريحها من العناء والتعب ، وكذلك فكر مردوخ أن هذه الإلهة بحاجة إلى من يصلي لها ويقوم بعبادتها ، وكانت المعجزة هي خلق الإنسان ، وكان خلق هذا الإنسان من دماء الإله السجين (كنغو) بعد أن قتله ، فقد انحنى مردوخ على الأرض ، و أخذ يعجن التراب بالدماء ويصنع من الطين البشر لتقوم بخدمة الإلهة والصلاة لهم وعبادتهم . ومن ثم خلق النباتات والحيوانات (١) . وتوجد قصة خلق بابلية أخرى تعرف بقصة (أريدو) التي تروي بأن خلق مردوخ للإنسان كان بمساعدة أحد الآلهة من خلال وضع قصبه على وجه الماء وخلق طيناً ، وقام بوضعه في القصبه (٢) ، وتؤكد تعويذة ترقى إلى العصر البابلي أن الإنسان قد خلق من الطين الممزوج بدم إله مذبوح(٣) .و هنالك نصوص بابلية أخرى غير ملحمة التكوين الأساسية ، تدور حول نفس الموضوع ، منها نص أسطوري يشير إلى خلق الزوجين البريين الأوليين إلا أن النص غير كامل يشوبه النقص بسبب الحالة التي وصل فيها من خلال الألواح الفخارية (٤) . ((عندما خلق الآلهة في مجتمعهم كل الأشياء ، كونوا السماء وشكلوا الأرض ، وأخرجوا للوجود الكائنات الحية ، خلقوا قطعان السهول ، ووحوش الفلاة ومخلوقات المدينة، قام أيا بخلق زوجين شابين ، وأعلا من شأنهما فوق جميع المخلوقات))(٥) . ومن بين النصوص الأسطورية البابلية التي وصلت إلينا هي قصة (أدبا) المدونة على أربعة رُقم طينية وقد تهشمت أجزاء من نهاياتها مما تسبب بفقدان جزء كبير من القصة ، لكن

١ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ٧٩. ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٥٥. ينظر : مجدي كامل ، أشهر الأساطير في التاريخ : ٤١ . لقد جاء في أسطورة الخليقة البابلية في اللوح السابع أن الإله مردوخ هو الذي خلق الحياة النباتية : (خالق الحبوب والبقول ، الذي جعل العشب الأخضر ينمو). والإله مردوخ هو الذي خلق الحيوانات كما يرد ذلك في النص البابلي : (قام بخلق وحوش الإله ، البقرة وعجلها الصغير ، والنعجة وحملها ، أغنام الحظيرة ، البساتين والغابات ..). الكسندر هايدل ، الخليقة البابلية : ٣٠-١٥٠ .

٢ - ينظر : سامي الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم : ٦٧ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٦٨ .

٤ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٠٠ .

٥ - السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٠٠ .

مما تبقى منها يمكن رسم الاطار العام للقصة . وسوف نورد الحديث عن هذه الأسطورة البابلية التي تتحدث عن هبوط الإنسان؛ ذلك لأهميتها بالنسبة إلى قصة آدم الواردة في التوراة لبيان وجه الشبه بينهما. تعطي المعاجم اللغوية المسمارية للاسم (أدبا) بصيغته البابلية عدة مرادفات منها أن الاسم يراد به (الحكيم ، العاقل ، العارف) ، وأن اتصاف (أدبا) بهذه الأوصاف قد ذكر في بداية النص الأسطوري ، و لا بُد من الإشارة إلى أن هنالك محاولة للربط بين الاسمين (أدبا و آدم) وهذا مجرد قول لا يستند إلى أي دليل يمكن الركون إليه . نص الأسطورة المترجم يقول أن هنالك رجل يعيش في مدينة (أريدو) يدعى (أدبا) ، و قد منحه إله الحكمة (إيا) الحكمة : ((قد وهبه حكمة واسعة ليكشف خطط البلاد ، أجل قد وهبه الحكمة ولكن لم يعطه حياة أبدية))^(١). وتذكر الأسطورة أن الإله (إيا) جعل (أدبا) نموذجاً أمثل للإنسان ، وكان محباً للناس ، ويخشى الآلهة، وتشير الأسطورة إلى أنه هو أول من أشار إلى الناس بامتهان حرفة الصيد ، وتمضي الأسطورة بسرد تفاصيل قصته من اغضابه للإلهة الرياح ، وكيف أستدعي إلى السماء عند الإله (أنو) نتيجة لفعله هذا وكيف أنه خسر فرصة الخلود له وللنشر : ((وعندما جلبوا له خبز الحياة لم يأكله ، وعندما جلبوا له ماء الحياة لم يشرب ، ولكن عندما جلبوا له الرداء فإنه لبسه ، ... ، وأنداك نظر إليه أنو(باستغراب) ثم ضحك منه وقال : تعال يا أدبا وقل لي لماذا لم تأكل أو تشرب ،إنك سوف لن تحصل على الحياة (الأبدية) ،ثم التفت أنو إلى الحراس وقال لهم ، خذوه وردوه إلى أرضه))^(٢) ، وبقية أجزاء اللوح الطيني الذي دونت عليه الأسطورة قد تعرض للخرم ما منع التعرف على بقية الأسطورة ، إلا

١ - فاضل عبد الواحد ، من سومر إلى التوراة : ٢٠٦ .

٢ - المصدر نفسه : ٢٠٧ .

أن قصة أدبا هذه تذكرنا بقصة خروج آدم من الجنة الوارد ذكرها في التوراة^(١)، -والتي سوف نتناول دراستها في المبحث القادم- ، فعلى الرغم من اختلاف القصتين إلا أنهما تلتقيان في بعض النقاط^(٢) :

١- كلتا القصتين تدور أحداثهما حول خطيئة الإنسان ، و التي ترتب عليها تقويت فرصة الخلود للبشرية.

٢- في كلتا القصتين كان هنالك شيئاً محرماً ، وعلى الإنسان الابتعاد عنه وعدم مخالفة الأوامر الإلهية ، في قصة أدبا (طعام وماء الحياة) ، وفي قصة آدم التوراتية (شجرة الجنة) .

٣- كلتا القصتين تدوران حول معصية الإنسان لأوامر الرب .

٤- ومما يلاحظ في كلتا القصتين أن هنالك تأكيد على هبوط الإنسان بعد المعصية إلى موضع أدنى هو الأرض في الغالب عقاباً على معصيته ، ففي قصة (أدبا) أصدر الإله (انو) أمراً أن يعاد (أدبا) إلى الأرض ، وعلى غرار ذلك جاء في التوراة أن الرب أمر بخروج آدم من الجنة إلى الأرض .وتوجد فروق سوف نقف عندها في المبحث الثالث الخاص بالقران الكريم.

بعد استعراض النصوص السومرية و البابلية نجد :

١- أن عملية الخلق لا تقتصر على إله واحد ، بل الأدوار والأعمال قد توزعت على الآلهة ، وكانت الأعمال الكبيرة من حصة الإله الكبير^(٣).

٢- بعد دراسة النصوص الأسطورية يتبين لنا أن أصل النشوء الأول كان من المياه الأزلية ، ويحلل أتباع المدرسة النفسية السبب الذي دعا السومريون إلى تخيل إن أصل الوجود هو الماء ، ذلك أن نظرية الميلاد المائي لدى الشعوب القديمة تعد انعكاساً لذكرى كامنة في لاشعور الإنسان في

١ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، من سومر إلى التوراة : ٢٠٤ - ٢٠٧ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٠٨ .

٣ - ينظر : سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في مدونات التوراة : ١١٠ .

مرحلة الجنين في بطن أمه وهو سابقاً في بجره الأول داخل رحم الأم^(١)، إلا أن هذه الفرضية لا يمكن الاعتماد عليها كتحليل لهذا المعتقد^(٢).

٣- نجد في عقيدة العراقيين القدماء كما وردَ في الأسطورة البابلية أنّ المادة الأولى تكون ذات طبيعة ثانوية ، أي إنها في نفس الوقت تكون مادة و إلهاً ، فهي أزلية وجدت منذ البدء ، ولم تُخلق ، وهي في هذا تخالف ما جاء في الأديان السماوية بصورة جوهريّة ، سيما ما نجده في التوراة والقرآن الكريم ، إذ نجد في عقيدة الأديان السماوية أن هنالك خالق أزلي سبق وجوده هذا المادة ، وهو الذي أوجدها (المادة)^(٣) . فقد ورد في سفر التكوين : ((في البدء خلق الرب السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمرة ظلمة وروح الرب يرف فوق وجه الماء)) (سفر التكوين : ١١١) ، ((وإلى يومنا هذا ، لم يقبل العلم الحديث فكرة العدم المطلق ، فكل نظريات التكوين العلمية تتحدث عن نشوء الكون من مادة ما ، بدئية ، ووجود ما سابق ، كما اثبت القرآن الكريم فكرة الوجود السابق على الخلق))^(٤) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ ﴾ ﴿٧﴾ هود: ٧.

٤- من خلال ملاحظة المبدأ الذي كان سائداً في العقائد الدينية عند العراقيين القدماء ، أي عند تشبيه مجتمع الآلهة في صورة المجتمع الإنساني و نسبة الصفات الإنسانية المادية والروحية إلى الآلهة، يتبين أن الأسطورة تصور لنا من خلال الأسلوب الأسطوري الأحوال السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في العراق القديم في أولى مراحل تكوينه الحضاري ، فقد كان نوع الحكم يمكن أن

١ - ينظر : سيد القمني ، قصة الخلق : ٣٢ .

٢ - ينظر : د أسامة يحيى ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم : ٢٣-٢٤ .

٣ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ٨١ .

٤ - السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٩٣ .

يُعبّر عنه بـ مصطلح (الديمقراطية البدائية) ، فالأسطورة تصور الكون كله على هيئة دولة يحكم فيها الآلهة على شكل نظام شورى ، وهذا ما نتلمسه من خلال تنصيب مردوخ ملكاً على الآلهة عن طريق انتخاب الآلهة له (١) .

٥- تأثير البيئة كان واضحاً في النصوص السومرية والبابلية ، كما تلمسنا ذلك في أسطورة خلق الصيف والشتاء السومرية وكيف أثر مناخ العراق على نسج هذه الأسطورة ، وكذلك من خلال النظر في أسطورة الخلق البابلية نلاحظ العنف والصراع الذي رافق عملية الخلق والتكوين ، وهذا بالطبع يُعدُّ انعكاساً لما تميزت به البيئة الطبيعية لحضارة وادي الرافدين . أما لو تتبعنا أسطورة الخلق في الحضارة المصرية لوجدنا على العكس من ذلك ، فقد تمت عملية الخلق بسلام وهدوء (٢).

٦- أن المآثر السومرية والبابلية تتفق في قضية خلق الإنسان على نقاط جوهرية هي : أن خلق الإنسان كان من طين أو طين ودم ، وأن خلق الإنسان لم يكن غاية في حد ذاتها إنما كان لأجل خدمة الإلهة والصلاة لها ، ولعل أهم ما يلفت انتباهنا في قضية خلق الإنسان في هذه النصوص المسمارية ، أن الإلهة كانت تستطيع خلق الأشياء بطريقتين هما : (الصنع - والأمر الإلهي) ، أي: أن يأمر الإله الشيء فيكون حسب أمره ، إلا أن هذه الطريقة (الكلمة الإلهية) غير واضحة في المراجع السومرية والبابلية ، كما نجد ذلك في قصة الخليقة البابلية ، فالإله مردوخ لم يكن قادراً على كل شيء ، ولم تكن لكلمته القدرة الكلية ، لو كان له ذلك لما خاض حرباً ضروساً مع تيامت ، لفعل ذلك من خلال الأمر الإلهي بكونه إلهاً ، والحالة الاستثنائية الوحيدة التي نجدها في أسطورة الخلق البابلية هي عندما أراد مردوخ اختبار كلمته أمام الإلهة ، فعندما نطق اختفى الرداء الذي

١ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ٨٢-٨٣ .

٢ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ ادب العراق القديم : ٨٣ .

بسطته الآلهة الأخرى أمامها ، وعندما نطق مرة أخرى عاد إلى موضعه الأول ، باستثناء هذه الحالة كانت الآلهة تخلق الأشياء عن طريق الصنع وفق خطة عملية موضوعة (١).

٧- يُرجع الباحثين التشابه بين النصين السومري والبابلي إلى أسباب منها الاتصال بين الحضارتين وكون البابلية وريثة للحضارة السومرية ، إلا أنّ هنالك تشابه واضح أيضاً بين أساطير أمم لا يوجد بينها اتصال ، وأن أغلب النظريات التي حاولت إيجاد سبباً مقنعاً لهذا التشابه لم تقدم رؤية معقولة ، وقد يعزوا بعضهم هذا التشابه بين الأساطير إلى الاستعارة بين الأمم ، وأرجعه البعض إلى تماثل حركة تفكير العقل البشري ، فيما يرجعه آخرون إلى ما يسموه بـ (هجرة الأساطير) ، ويرى البعض الآخر إنّ السبب في ذلك يعود إلى وحدة الأصل وهي منشأ هذا التشابه (٢). وهذا عندي أرجح الآراء وأكثرها صواباً ، ويدعم ذلك ما جاء في القرآن الذي طالته أفواه المغرضين مدعين أنه مقتبس من أساطير السابقين ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ الشورى: ١٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿ ١٩ ﴾ الأعلى: ١٨ - ١٩. إنّ الأسلوب السردى لهذه الاساطير التي تتحدث عن نشأة الكون وخلق مظاهره المختلفة ، وخلق الإنسان لغرض خدمة الآلهة ، ومن خلال ملاحظة كيف أن القدماء اعتمدوا على تشبيه الآلهة بالبشر واعطائهم الصفات البشرية لهم أضافة إلى صفات الآلهة الخارقة ، ورواية عمليات الخلق بطريقة

١ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، من سومر إلى التوراة : ١٩٧-١٩٨.

٢ - ينظر : مجدي كامل ، أشهر الأساطير في التاريخ : ٥. ينظر : د احمد النعيمي ، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام : ٥٥.

تكون أقرب للخيالية رغم أن جوهر القصة حقيقي ، إلا أننا نجد أن من أسباب ذلك هو الغرض السياسي السلطوي الذي كان يطمع إليه آنذاك أصحاب السلطة ولغرض إعطاء مسوغ ديني لهذه السلطة وإخضاع الناس للحاكم وإعطاء صفة القدسية المتمثل بكونه إلهاً ، مثلما نجد ذلك في أسطورة الخليقة البابلية (إنما إيش) إذا كانت الملحمة وسيلة لنشر الديانة البابلية وتثبيتاً لعبادة الهها مردوخ ، الذي ساد جميع الآلهة وتفوق عليها ، ونجده قد خصص الجزء الأكبر من الملحمة لسرد سيرته وأعمال الخلق التي قام بها^(١)، فهذا يعد تطوراً في ممارسة السلطة من قبل الآلهة ، فالسومريون على سبيل المثال كانوا قد ربطوا أولاً الشخصيات ما وراء الطبيعة بسير الطبيعة والثقافة ، وكأن كلاً من ظاهريهما في أصله وسيره يشكل معضلة ، ولا يمكن شرحه دون سبب ما وراء الطبيعة يشتمل عليه ويخفيه ، مثل محرك أو مدبر فورا السماء كان انليل ، و وراء مجموعة الماء العذب ابسو....، وكان آنكي وراء القمر: نانا ، ووراء الشمس : أوتو ، ووراء الأمطار والزوابع ، ايشكور ...^(٢) ، فلولا هذا البيان والإرشاد لكان العالم كله اعتبارياً وخالياً من المعنى ، وقد دمجت هذه الشروحات فيما بعد بالنظام السياسي ، وراح كل واحد من هؤلاء الآلهة يعزف بآلته في موضعه في هذه السمفونية تحت مخرصة الماسكين بزمام السلطة^(٣) . فتعمد إلى ما معروف في زمانها من قصص حول الخلق أو شخصيات مقدسة معروفة فتأخذ القصة وتعيد نسجها بصورة أخرى ، وبحسب اعتقادنا الإسلامي لا تخلو حقبة زمنية من وجود نبي أو رسول لهداية الإنسان فمن خلال هؤلاء الرسل وصلت قصص الخلق إلى تلك الأقسام.

١ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ٩٦ .

٢ - ينظر : جان بوتيرو ، بلاد الرافدين - الكتابة - العقل - الآلهة : ٢٦١ .

٣ - ينظر المصدر نفسه : ٢٦٢ .

المبحث الثاني : قصة الخليقة التوراتية

توطئة

الغرض من إيراد قصة الخليقة التوراتية في بحث الأصول الأسطورية هو أن الذين رموا القرآن الكريم بدعوى كونه اقتباسات من الأساطير السابقة، ادّعوا أن هذا الأخذ تم بوساطة الكتب الدينية السابقة عليه ، وهذه الدعوى جاءت نتيجة التشابه الكبير بين النصوص التوراتية والأسطورية ، فمن خلال تطبيق مناهج عدة على الكتاب المقدس توصلوا إلى أن هذا أنه ليس بكتاب سماوي منزل من قبل الله ، بل تمت كتابته بعد مدة طويلة على وفاة موسى وعيسى (عليهما السلام) ، وأحد المصادر التي أعتمد عليها كتبة الكتاب المقدس هي الأساطير . وعموما هذه النتيجة التي توصلوا إليها على القرآن بوصفه امتداداً لتلك الكتب وتلزمه نفس أحكامها من وجهة نظرهم. وإيراد قصة الخليقة التوراتية يشكل لبنة أساس للفصول اللاحقة، فهي ستعرض لبعض الأسباب التي استند إليها المستشرقون الغربيون، وأتباعهم من العرب في رمي القرآن الكريم بكونه اقتباسات من الأساطير السابقة.

المطلب الأول : قصة التكوين التوراتية

تُعد قصة التكوين الواردة في سفر التكوين من التوراة ، قصة تعبر عن وجهة نظر الإنسان العادي ، ويمكن ملاحظة هذا من خلال قراءة نصوص هذه القصة ، فالشخص الذي يصف عملية الخلق لم يكن يصفها من خارج الأرض أو له رؤية عليا تتناسب ومكانة الخالق ، بل نجده قد أخذ من الأرض موقعاً له ، وكانت صياغته للأحداث منطلقة من رؤيته لهذا المكان ^(١) . نص قصة التكوين التوراتية كما وردت في العهد القديم ، في مطلع التوراة : سفر التكوين ، الاصحاح الأول والثاني والثالث :

الإصحاح الأول: بدء الخليقة: ((فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْعَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ)) (٢-١) .

اليوم الأول : النور ((وَقَالَ اللَّهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللَّهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. هَوَدَعَا اللَّهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا..)) (٣-٥) .

اليوم الثاني : الجلد: ((وَقَالَ اللَّهُ: «لِيَكُنْ جِلْدٌ فِي وَسْطِ الْمِيَاهِ. وَلِيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهِ وَمِيَاهِ». ٧ فَفَعَلَ اللَّهُ الْجِلْدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجِلْدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجِلْدِ. وَكَانَ كَذَلِكَ. ٨ وَدَعَا اللَّهُ الْجِلْدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا تَانِيًا)) (٦-٨) .

اليوم الثالث : الأرض الجافة والخضروات: ((وَقَالَ اللَّهُ: «لِنَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلِنَتَّظَهَرَ الْيَابِسَةُ». ١٠ وَدَعَا اللَّهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمِعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَقَالَ اللَّهُ: «لِنُثْبِتِ الْأَرْضَ عُشْبًا.... وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا)) (٩-١٣) .

^١ - ينظر : دون فليمح ، التفسير المعاصر للكتاب المقدس : ١٤ .

اليوم الرابع : القمر و النجوم : ((وَقَالَ اللَّهُ: «لَتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جِلْدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ. ٥ وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جِلْدِ السَّمَاءِ لِتُبَيِّرَ عَلَى الْأَرْضِ»)). وَكَانَ كَذَلِكَ. ٦ فَعَمِلَ اللَّهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الْأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الْأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ٩ وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا)) (١٤-١٩) .

اليوم الخامس : الطيور والاسماك : ((وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَعْضِ الْمِيَاهُ رَحَافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلِيَطِرَ طَيْرٌ فَوْقَ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جِلْدِ السَّمَاءِ»)). وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَبَارَكَهَا اللَّهُ قَائِلًا: «أَثْمِرِي وَأَكْثِرِي وَأَمْلِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلِيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الْأَرْضِ»)). وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا (((٢٠-٢٣) .

اليوم السادس : الحيوانات والإنسان : ((وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ، ٢٧ فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. ٢٨ وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَأَكْثِرُوا وَأَمْلُوا الْأَرْضَ... وَرَأَى اللَّهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا (((٢٤-٣١) .

الإصحاح الثاني: اليوم السابع : يوم الراحة : ((فَأَكْمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَفَرَغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاخَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ . وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاخَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللَّهُ خَالِقًا (((١-٣)

ب. قصة خلق آدم : ((وَجَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ تَرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. ٨ وَعَزَسَ الرَّبُّ الْإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. ٩ وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلْأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.)) (٧-١٤) .

الشجرة المحرمة : ((وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. وَأَوْصَى الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرُهُ مَعْرِفَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»)) (١٥-١٧).

خلق المرأة : ((وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ»... فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهَ الصِّلَعِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. .. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرِئٍ أُخِذَتْ»)) (١٨-٢٢) .

الإصحاح الثالث: سقوط الإنسان : ((وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أُحْيِلَ جَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلُ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! هَبِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»... فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. ٧فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْزَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لِأَنْفُسِهِمَا مَازِرَ)) (١-١٥).

عقاب الإنسان : ((وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابَ حَبْلِكَ، بِالْوَجْعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجْلِكَ يَكُونُ اشْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ»... وَقَالَ لِآدَمَ: «لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ»)) (١٦-١٧) .

طرد الإنسان من الجنة : ((وَدَعَا آدَمَ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَاءَ» لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. .. وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ: «هُودَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ»... فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. ٤ فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ،)) (٢٠-٢٤).

أولاً : خلق الكون التوراتي

كما يشير النص التوراتي لقصة التكوين أن أيام الخلق التوراتية تقسم على ستة أيام وتختتم بيوم استراحة الرب . الإصحاح الأول اشتمل على قصة خلق الكون مع ذكر قصة خلق الإنسان، أما الإصحاح الثاني جاء فيه قصة خلق الإنسان الأول (آدم وزوجته حواء)، بصورة أكثر تفصيلاً و اختلافاً عن ما ورد في الإصحاح الأول ، أما الإصحاح الثالث جاء فيه ذكر خطيئة آدم ، وهبوطه من الجنة .

في يوم الأحد : كان خلق النهار والليل ، والظلمات والنور .

في يوم الاثنين : خلق الله سبحانه السماء ، ((جلد)) فوقه وتحتته ماء .

يوم الثلاثاء : خلق الله الأرض ، وما فيها من أشجار وزرع .

يوم الأربعاء : خلق الله الشمس والقمر والكواكب الأخرى .

يوم الخميس : خلق الله الطيور .

يوم الجمعة : خلق الله الحيوان والإنسان

يوم السبت : استراحة الرب (١) .

وبهذا التفصيل في الخلق الذي جاء في ستة أيام ينهي الأحبار تأليف الإصحاح الأول من سفر التكوين ،

ويوم استراحة الرب في اليوم السابع من الإصحاح الثاني (٢) .

ثانياً :خلق الإنسان وهبوطه من الجنة

١ - ينظر : سفر التكوين ، الإصحاح الأول : ١-٣٢ .

٢ - ينظر : موريس بوكاي ، التوراة والانجيل والقرآن والعلم : ١٦٥ .

تقوم قصة خلق الإنسان التوراتية على عناصر ثلاثة رئيسية ، ذاتها التي قامت عليها الأساطير الرافدينية، مع إضافة عنصر الجنة حيث تم إسكان الإنسان الأول فيها ، والعناصر الثلاثة هي:

١. خلق الإنسان من التراب الممزوج بالماء .

٢. خلق الإنسان شبه صورة الآلهة .

٣. فرض عبء العمل على عاتقه .

وكما سبق أن بينا أن قصة خلق الإنسان تم ذكرها مرتين ، في الإصحاح الأول هنالك حديث عن خلق الإنسان بصورة عامة ، ومن دون الإشارة إلى الزوجين الأولين ، والقصة الثانية في الإصحاح الثاني تختلف عن الأولى إذ يرد فيها حديثاً مفصلاً عن خلق الله الرجل آدم ، والذي أسكنه جنة في منطقة أرضية تدعى عدن ، ومن بعد ذلك خلق من ضلع آدم حواء ^(١) . كما جاء في التوراة أن خلق العالم كان لأجل الإنسان ، بالرغم من أن خلق الإنسان كان آخر عمليات الخلق، وأن القصد من وراء ذلك أنه كان مقدرًا له أن يجد كل شيء مُعدًا له. و أن أفضلية الإنسان على بقية المخلوقات ظاهرة من خلال طريقة خلقه نفسها ، فهي تختلف عن طريقة خلق بقية المخلوقات ، فهو الوحيد الذي خلقه الرب بيده ، أما المخلوقات البقية نشأت من كلمة الرب ^(٢). ونقرأ في سفر التكوين حول قصة خطيئة آدم ، ما يوحي بأن الإنسان خلق في بادئ الامر ليكون من المخلدين في الجنة ، لولا أنه أكل من الشجرة التي نُهي عن الأكل منها ، عندما جاءت الحية الماكرة وخدعت الإنسان حتى أكل منها وأصبح من الفانيين ^(٣) ، ((وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلًا: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ)) سفر التكوين (٩١٢).

-تحليل قصة التكوين التوراتية :

١ - ينظر : السواح ، أساطير الأولين - القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٨٤ .

٢ - ينظر : لويس برج ، أساطير اليهود : ٦٣ .

٣ - ينظر : عصام الدين ناصف ، اليهودية بين الأسطورة والحقيقة : ٨٥ .

بعد قراءة النص التوراتي لقصة التكوين نجد أنه يورد روايتين مختلفتين لقصة الخلق اصطلاح على تسميتهما لدى المختصين بالرواية (الإلهيمية والرواية اليهودية) ^(١)، وقد تم الدمج بينهما ، لتخرج قصة واحدة ، ويمكن ملاحظة ذلك عند القراءة المتأنية لنص قصة التكوين التوراتية ، إذ يتبين التناقض الذي يكتنف أحداث هذه القصة بصورة جلية ، ومن الشواهد على ذلك :

١. في البدء نجد أن الرب خلق السماوات والأرض ، ومن ثم في اليوم التالي نجده يخلقهما مرة أخرى من خلال فصل المياه عن بعضها .

٢. نجد في مشهد آخر الرب (يهوه) ، يقوم بإنبات النباتات في الأرض ، و يخلق الحيوانات فيها ، وفي مشهدٍ آخر نجد أن الأرض برية بلا عشب يقوم الرب بخلق آدم فيها ، ومن ثم فجأة يضعه في مكان أرضي يدعى الجنة ليزرعها ويعمرها .

٣. ولعل من أبرز الشواهد التي ترشدنا إلى أن هنالك روايتين تم المزج بينهما في التكوين التوراتي هو كيفية خلق الإنسان ، فنظام خلق الكائنات والإنسان معكوس في الاصحاحين ، نجد في القصة الأولى في الإصحاح الأول ، أن الإله يخلق السمك ومن ثم الطيور والوحوش وينتهي بخلق الرجل والمرأة معاً . أما في القصة الثانية في الإصحاح الثاني يبدأ الرب بخلق الرجل وحده ، ومن ثم يمضي إلى خلق الحيوانات ، ومن ثم في النهاية يخلق المرأة من ضلع الرجل . وهذا التناقض بين القصتين يشير إلى أن الكاتب أستمدهما من مصدرين مختلفين ، فإن نص التكوين التوراتي ونصوص أخرى في التوراة كتبت بعد التوفيق بين الروايتين التوراتيتين

١ - في الرواية الأولى يطلق على الإله يهوه ، وفي الرواية الأخرى يطلق على الإله اسم ايلوهيم . وقد تم المزج بين الروايتين بعد العودة من السبي البابلي عام (٥٣٨ق.م) ، عندما قام كهنة اليهود بعمل صياغة موحدة لأسفار التوراة . ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٤٣ .

(اليهوية و الالوهيمية) (١) .و من أبرز الملاحظات التي يمكن تسجيلها عند قراءة وتحليل النص التوراتي

لقصة الخلق (بروايته الالوهيمية واليهوية) :

١- إنَّ القفر والخراب هو الحالة الأولى للكون .

٢- إنَّ الرب خلق السماء والأرض من دون الإشارة إلى كيفية خلقهما، ومن ثم بعد ذلك يبدأ بوصف حالة

الكون قبل خلق الأشياء ، فلم يكن هنالك شجر ولا عشب البر ولا إنسان ليعمرها ويعمل عليها ، فلم يكن

هنالك سوى الضباب .

٣- إنَّ أسلوب الخلق المتبع في القصة التوراتية هو الخلق بالكلمة كما تدل عليه الأفعال : فقال ، ليكن ،

لتجتمع ، لتظهر ، وأيضًا ما دلت عليه عبارة (وكان كذلك) التي تدل على عملية الاستجابة الإلهية .

٤- الطبيعة البشرية للرب واضحة من خلال إضفاء الصفات البشرية عليه ، ووصفه بشكل حسي ، ويمكن

ملاحظة ذلك من خلال عبارة : (ورأى الرب أن ذلك حسن) ، فمثل هذه العبارات تشير إلى أن عملية

الخلق كانت عشوائية ، فالرب عندما يستحسن عمله الذي قام به ، يستحسن ذلك مما يعطيه الدافع على

الاستمرار بعمليات الخلق ، فالخلق لم يكن بتخطيط ، و أيضًا الأفعال الواردة في الرواية تعطي طابعاً

بشرياً عن الرب مثل : نفخ ، غرس ، أخذ ، ووضع .

٥- إضافة صفات الجهل والأنانية للرب ، فالأول يتجلى في عدم إدراك أثر خلق الحيوانات على الإنسان ،

فيلاحظ ضرورة خلق المرأة لتحقيق هدفه المنشود ، وكذلك جهل الرب بدور شجرة الحياة في تحقيق الخلود

للإنسان لو أكل منها ، وبالتالي عدم التمكن من معاقبته ، أما الثانية فتتجلى في تحريمه الأكل من شجرة

المعرفة لتبقى المعرفة خاصة به فقط دون غيره .

١ - ينظر : القمني ، قصة الخلق : ١٣٤ . ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٤٣ . ينظر : سيد غنمي ، التوراة

والانجيل بين التناقض والأساطير : ١٧٣ .

٦- لم يوضح صاحب القصة ما المقصود بخلق الإنسان شبيهاً للرب ، هل من الناحية الجسمانية ، أو العقلية والنفسية .

٧- كان خلق المرأة أمراً عرضياً ومجرد فكرة خطرت على البال، ونظراً لعدم أهميتها الكبيرة فقد تأخر خلقها (١).

١ - ينظر : كارم عزيز ، أساطير التوراة الكبرى : ٨٤-٩١. ينظر : راوية زعموشي ، البنية الميثولوجية للقصة التوراتية (قصة الخلق انموذجاً) : ٦٧٠-٦٧٣.

المطلب الثاني : تشابه قصة التكوين التوراتية مع الأساطير الرافدينية (السومرية والبابلية)

((يبدأ الكتاب المقدس بخلق الكون ويروي القصة بصورة مستعارة من الأساطير البابلية حوّلت لتعبّر عن وجهة نظره تجاه الله والإنسان))^(١). فقصة التكوين التوراتية تتوافق في جميع عناصرها تقريباً مع قصة التكوين السومرية و البابلية^(٢) ، وتذكر دراسة اعدّها ١٥٠ باحثاً كاثوليكياً وبروتستانتياً ، أن مصادر سفر التكوين كانت الأساطير الشائعة والمعروفة لدى الحضارات الموجودة في بلاد الرافدين ومصر ، فمؤلفو سفر التكوين لم يترددوا في أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، مع إضفاء لمساتهم الأخيرة عليها وأحسنوا معالجتها بصورة تتناسب مع أهداف كتابهم المقدس وعقائدهم ، فلم يكونوا مجرد ناقلين عميان^(٣) . فالتكوين ينطلق من المياه البدئية الأولى التي يقوم بفصلها الخالق ، ويخلق منها كلاً من السماء والأرض، ومن ثم تتولى بقية عمليات خلق الكون ومظاهره وفق الترتيب نفسه الذي كان في الاساطير السومرية والبابلية ، ويأتي خلق الإنسان بمثابة الخاتمة لعمليات الخلق ، وبعد ذلك يستريح إله التوراة في اليوم السابع مثلما استراح الإله مردوخ في قصره وأستوى على العرش^(٤).

١ - سامي عامري ، محمد رسول الله في الكتب المقدسة : ٣٦٢.

٢ - ((يقول التكوين السومري : في البدء لم يكن سوى محيط مظلم بدئي ، وهذا الغمر كان هو الاله نمو ، وقام الإله إنليل بفصل هذه المياه فكانت السماء والأرض .

يقول التكوين البابلي : في البدء كان غمر مظلم هي تيامت ، وقام الإله مردوخ بشقها إلى نصفين فكانت السماء والأرض. يقول التكوين التوراتي : في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت خربة خالية وعلى وجه الظلمة .)) يعقد سيد القمني مقارنة بين التكوين السومري والبابلي والتوراتي ، يبين خلالها مدى تأثر اليهود بسفر التكوين البابلي والسومري ، مما أنعكس ذلك على كتابة التوراة . للاطلاع علي بقية المقارنة ، أنظر : القمني ، قصة الخلق : ١٣٦.

٣ - ينظر : سامي عامري ، محمد رسول الله في الكتب المقدسة : ٣٦٣.

٤ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٨٧.

فلمحة الخلق البابلية و تعد أكبر شاهد على الانتحال العبري لأساطير بلاد الرافدين ، وهو انتحالاً مفصوح ولا يقبل الاختلاف ، فالتكوين التوراتي لم يأخذ شكله النهائي إلا بعد مرحلة السبي البابلي ، فقد قام عزرا بتدوين التوراة^(١) ، ويمكن بسهولة البرهنة على تطابق نص التكوين التوراتي مع نص التكوين البابلي في تسلسل الخلق من خلال عمل مقارنة بين ألواح التكوين البابلية السبعة ، وأيام التكوين التوراتية السبعة^(٢) :

١. نجد في أسطورة التكوين البابلية الاينوما إيليش ، كانت العماء الأولى (تيامة) الماء المالح وزوجها الماء الحلو يحيط بهما ظلام ، وفي سفر التكوين الظلام يغلف المياه الأولى وروح الرب يرف فوق المياه .
 ٢. الأسطورة البابلية :النور يشع ويتولد من الآلهة ، وفي سفر التكوين يتم خلق النور .
 ٣. خلق السماء في التكوينيين (يتفقان على أن السماء أتت نتيجة فصل المياه الأولى إلى قسمين .
 ٤. كان خلق الأرض في التكوينيين البابلي والتوراتي .
 ٥. خلق الأجرام السماوية في التكوينيين البابلي والتوراتي .
 ٦. خلق الإنسان في التكوينيين .
 ٧. مردوخ ينتهي من الخلق والآلهة تحتفل به في التكوين البابلي ، ويهوه يستريح من الخلق في التكوين التوراتي .
- بعد هذه المقارنة السريعة نجد التكوين البابلي والتوراتي يتفقان في خلق السماء والأرض والأجرام والإنسان .

-تفسير أسباب تشابه النصين (البابلي - التوراتي) :

يرى فراس السواح وآخرون أن من أسباب تابه النصين البابلي والتوراتي الأسباب التالية :

١. النص البابلي قد اعتمد على النص التوراتي ، وهذا تفسير مستبعد تماماً ، لأسبقية النص البابلي على التوراتي

زماناً.

^١ - ينظر : ناجح المعموري ، الأسطورة والتوراة : ١٦٥ .

^٢ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٤٩ .

٢. النص التوراتي قد اعتمد على النص البابلي لأسباب عدة منها ، شيوع اللغة البابلية في المنطقة غرباً وشمالاً وصولاً لآسيا الصغرى ، وما يثبت ذلك الرقم الطينية البابلية المكتشفة في تلك المناطق . وأيضاً أن العبرانيين كانوا معرضين للاطلاع على الأدب البابلي خلال فترة السبي البابلي لهم ، ومن ناحية أخرى فإن إبراهيم (عليه السلام) الجد الأول لهم ، عندما هاجر من أرض بلاد الرافدين كان يحمل بالتأكيد تقاليداً دينية بابلية.

٣. أن كلا النصين قد اعتمدا على نص أقدم زماناً منهما وتقاليد دينية أعرق ، ربما يمكن القول أن الفكر البابلي والفكر العبراني ينتميان إلى ديانات توحيدية قديمة ، تلك التي تسلسلت من النبي نوح إلى النبي إبراهيم (عليهما السلام) ، ويعول الباحثون أن يقوم على هذا التفسير بيئة في المستقبل (١).

-تأثير حضارة وادي الرافدين على معتقدات العبرانيين :

كان لانتشار حضارة وادي الرافدين في بلدان عديدة في الشرق الأدنى القديم الأثر الكبير في معتقداتها ، ويتبين هذا التأثير بشكل بارز في معتقدات العبرانيين ، فقد احتوت أسفار التوراة ، وسفر التكوين على- وجه التحديد -على كثير من المعتقدات التي ترجع في أصولها إلى السومريين والبابليين ، مما دعا عالم الآشوريات الألماني إلى القول بأن سفر التكوين ((غارق في ذنوب الانتحال)) ، ويعود السبب في تأثر العبرانيين بحضارة وادي الرافدين إلى سببين :

الأول : ويعود إلى دور الآباء في نقل المعتقدات الرافدينية إلى العبرانيين (٢).

الثاني : وهو الأقرب أنها انتقلت عبر الصلات التجارية والسياسية والعسكرية ، والأهم من ذلك كله وجود العبرانيين في بابل أثناء فترة السبي البابلي (٣).

١ - ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٥٠.

٢ - وهذه مسألة لم تحسم بعد بين العلماء المختصين بالمسماريات والدراسات التوراتية ، للمزيد ينظر : من سومر إلى التوراة ، فاضل عبد الواحد : ١٨٩.

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ١٩٠.

ويرى بعض الباحثين أن ديانات بلاد الرافدين حيث موطن كل من الشعوب السومرية والبابلية والآشورية كانت ذات تأثير كبير في جميع الديانات وتطورها ، إضافة إلى أن المنطقة ذات تركيبات عرقية متنوعة ومزيج ثقافي ، مما مهد في الفترات اللاحقة لظهور الديانات التوحيدية الثلاث : اليهودية ، المسيحية ، والإسلام ، والتي تأثرت إلى حد كبير بالفكر الديني الرافديني ، و بهذا مكنت الحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم من الوقوف على أسباب نشأة الأديان (١) .

و لا نخالف ما ذهبوا إليه ولكن نختلف معهم في مسألة واحدة هي : القول بتأثر الديانات بهذه الحضارات ، وأنها كانت من عوامل نشأة الديانات التوحيدية الثلاث، لِمَ لا نقول أن هذه الديانات الثلاث امتداد لتلك الحضارات والديانات ، فالحضارة السومرية والبابلية والآشورية كلها حضارات غامضة لم يكشف عنها إلا الشيء القليل لكونها تعود إلى عصر ما قبل الطوفان ، وكذلك لا ننسى أن ما اكتُشِفَ عن تلك الحضارات من رُقْمٍ أثرية تمت ترجمته ترجمة غريبة ، ونحن نعلم جيداً بنوايا الغرب وسياساتهم نحو المسلمين والإسلام ، وبكل تأكيد هؤلاء لا يكشفون عن دليل يكون ضدهم وينصر الإسلام ، وكذلك أن كل الآثار معرضة للاندثار والتلف عبر الزمان ، فعدم وجود شيء يثبت ما نقول لا يعني أننا على خطأ . فبالأمس القريب جداً تم اكتشاف مدينة أثرية في شمال العراق في مدينة دهوك ، بعد انخفاض مناسيب المياه ، هل كان بالإمكان العلم بوجودها لو لا نقصان المياه وانكشافها ؟ بالطبع لا .

إذن فلا يمكن التسليم بنظريات المستشرقين وأتباعهم من القول أن تلك الحضارات كانت من عوامل نشأة الأديان التوحيدية ، وأنها اقتبست منها القصص والشعائر والمعتقدات ، نعم يوجد اقتباس في كتب اليهود والنصارى بعد ضياع كتبهم المنزلة على رسلهم ، إذ عمدوا إلى الاقتباس من تلك الأساطير ، إلا أن نفس

^١ - ينظر : جفري برناد ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب : ٨ . ينظر : محمد صدقي ، ميثولوجيا الأديان في الشرق الأدنى قبل الإسلام : ١١٦-١١٧ .

الاقْتباس من الأساطير لا يعني أن أصل القصة غير حقيقي ، فذلك يدل على حقيقة تلك الواقعة ومصدرها الواحد ، بالرغم من تحريفها عبر الزمن ، هذا ما يخص الكتاب المقدس عندما يورد تلك الاحداث .

أما بالنسبة إلى القرآن فإنه عندما يورد الحديث عن نفس الحدث فإنه يريد بذلك أولاً تصحيحه مما اعتراه من إضافات غير صحيحة ، والتأكيد على المصدر الرباني . و لابد من الأخذ بنظر الاعتبار إننا كمسلمين ، فإن كتابنا المقدس هو القرآن الكريم المنزه عن كل خطأ وهو المصدر الحق الذي نؤمن بكل ما فيه بصورة لا تقبل التشكيك إطلاقاً ، فكتابنا يقول لا توجد أمة من دون أن يكون لهم رسول يهديهم سبل الرشاد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكدبين ﴿٣٦﴾﴾ النحل: ٣٦ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجَعْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ النحل: ٨٩ . وهذا اقوى دليل لنا كمسلمين على عدم وجود حقبة زمنية تخلو من مبعوث من السماء للناس ، فهذا أمر ينافي العقيدة الإسلامية ، وبهذا نستدل على أن تلك الحقب السحيقة لم تخلو من مرسلين من قبل الله ، وهذا يعد واحداً من الأسباب التي نستند إليها في القول : أن تلك الحضارات السالفة كانت تؤمن بالله الواحد ، وأن تلك القصص والشعائر قد أخذوها من أنبياءهم ، إلا أنها حُرِفَت مع مرور الزمان لأسباب كثيرة ، منعنتا من التمكن من معرفة أصل تلك الأساطير وحقيقتها المضبوطة .،

المبحث الثالث : قصة الخلق القرآنية وميزتها عن غيرها

إنّ القرآن الكريم لكونه وحي إلهي شمولي تكاملي ، جاء يحمل إشارات علمية كثيرة ودقيقة في وصفها ، بل أن أوصاف القرآن ربما تكون أكثر دقة من التعبير العلمي الذي يضعه العلماء والمختصون^(١) . , وسنعمد إلى الاستفادة من بعض الإشارات العلمية للبرهنة على أن القرآن و -قصة الخلق- غير مقتبسة من الأساطير القديمة.

المطلب الأول : قصة خلق الكون القرآنية

تعد قصة الخليقة القرآنية هي الحقيقة التي لا يشوبها أية شائبة ، وهي الانعكاس الحقيقي لقصص الخلق في الحضارات والأديان السابقة ، و التي تعرضت للتشويه والتحريف ، على الرغم من أن تلك القصص تعتبر حقيقية عند المعتقدين بها . لم تأت قصة تكوين الكون القرآنية بصورة متواصلة في سورة واحدة ، بل جاءت متفرقة في سور متعددة^(٢) ، فلم يقدم القرآن وصفاً مكتملاً عن حدث الخلق في موضع واحد ، كما وجدنا ذلك في التوراة ، فقد وردت قصة الخلق في السور التالية : البقرة ، المائدة ، الأنعام ، طه ، السجدة ، الأنبياء ، فصلت ، الزمر ، النبا ، والنازعات وغيرها ...وقد وردت في مجملها آيات تتحدث عن خلق الكون ، غير أنها

^١ - ينظر : محمد البرهومي ، الكون والإنسان يشهدان للقرآن : ٤٣ .

^٢ - ((ذكر القصص القرآني في أكثر من سورة سمة من سمات القرآن البارزة ودليل قاطع على بلاغة النظم القرآني وإعجاز فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ولا يمل الإنسان من تكرارها ... لان في كل موضع زيادة شيء لم ينكر في الذي قبله ... فكل عبارة جاءت على نهج معين رعاية ومناسبة لمقام الحديث ، ولتوكيد ما تقيده من المعاني والاهداف في نفوس السامعين ، فالتكرار من أقوى وسائل الاقناع وتركيز الفكرة والعقيدة في النفس البشرية ..)) ، فاروق عبد الرحمن ، القصص القرآني ودفع ما اثير حوله من شبهات : ٥٣-٥٤ .

كانت مرتبطة بأمور دنيوية في الغالب ، مثل (الكفر بالله تعالى خالق السموات والأرض)^(١) ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ آيَتِكُمْ لتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ فصلت: ٩ - ١٢ . ويوضح الله في كتابه العزيز أن خلق الكون أمر عظيم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ غافر: ٥٧ .

سوف نشرع الآن ببيان قصة خلق الكون القرآنية^(٢) :

أولاً: نشأة الكون في القرآن الكريم

كان الاعتقاد القديم السائد كما رأينا ذلك في أساطير بلاد الرافدين ، أن هذا الكون هو أزلي قديم وسيبقى إلى الأبد في مكانه دون أن يتغير ، وأنه ثابت وساكن ، وهو اعتقاد خاطئ أثبتته العلم الحديث ، في حين أن القرآن سبق العلم الحديث في بيان ذلك ، مؤكداً أن الكون مخلوق له بداية ونهاية وأن الأجرام السماوية في حركة مستمرة ، والسماء في توسع ، والسموات والأرض كانتا جرماً واحداً ففتقهما الله ، ومن ثم تحولت مادة الأجرام هذه إلى دخان الذي خلقت منه السموات والأرض^(٣) .

^١ - ينظر : هجيرة لعور ، أسطورة التكوين من القصة الميثولوجية إلى الديانات السماوية : ٥٧ .

^٢ - يمكن اثبات أن قصة الخلق القرآنية غير مقتبسة من الأساطير القديمة من خلال بيان كيف أن مكتشفات العلم الحديثة تؤيد ما ورد في قصة الخلق القرآنية ، خلافاً للقصص الواردة في الاساطير القديمة التي لم يثبتها العلم بنفس درجة اثباته لما جاء في القرآن الكريم .

^٣ - ينظر : عمرو شريف ، كيف بدء الخلق : ٥٤ .

يقول عالم الفلك والكونية الفيتنامي (ترن تيان) : ((مسلمة خلق الكون من العدم على يد قوة عظيمة هي الله والتي يعتمدها المفكرون المؤمنون لا تتعارض مع العلم اليوم بل تجد لها سنداً في علم الفيزياء الحديثة))^(١). وأشار القرآن الكريم إلى مسألة نشأة الكون من خلال الآيات القرآنية التي تثبت فكرة الانفجار و الدخان وتمدد الكون وكونه مخلوقاً وليس أزلياً و أن هذا الكون سيُطوى ويعود كما كان على هيئة جرم واحد .

١-مرحلة الرتق والفتق :قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ الأنبياء: ٣٠ ، فالآية الكريمة تشير إلى عملية الفتق للكتلة الأولى التي كانت واحدة ملتحمة "الرتق" ، وكلمة "رتق" يراد بها الضم والجمع ، وكلمة "الفتق" يراد بها الفصل ، أي أن السماوات والأرض كانت كتلة واحدة فصلهما الله تعالى ^(٢) ^(٣) ، والقرآن الكريم من خلال هذه الآية وآيات أخرى يعبر عن عملية خلق السماوات والأرض ، إلا أنه لم يقدم تفصيلاً لهذه الكيفيات ، بل يوردها بصورة مجملية مشيراً بوضوح تام إلى كون السماوات والأرض كانتا كتلة واحدة ثم انفصلتا ^(٤) . إذاً نجد أن الرواية القرآنية تنفرد في توضيح نشأة الكون من الكتلة الابتدائية الأولى والتي تفتت بفعل الانفجار الكبير ، والذي يطلق عليه العلم الحديث (نظرية الانفجار العظيم) ^(٥) .

١ - النص نقلاً عن كتاب من علم الفلك القرآني ، عدنان شريف : ١٩ .

٢ - ينظر : عدنان شريف ، من علم الفلك القرآني : ٣٢١١ .

٣ - هناك قاعدة قرآنية نحب أن نلفت إليها انتباه القارئ ، وهي أنه عند ما يقول المولى في آياته الكريمة : (أَوْلَمْ يَرَ) . (أَلَمْ تَرَ) . (أَوْلَمْ يَرَوْا ...) فمعنى ذلك أن الإنسان سيرى عاجلاً أم آجلاً ما أنبأت به الآية ، سواء جاء فعل رأى بصيغة الماضي أم الحاضر أم المستقبل . ولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا مجموعة ثم فصلهما المولى إلا في القرن العشرين ومن خلال المعادلات الحسابية والمراسد والمحطات الفضائية . عدنان شريف ، من علم الفلك القرآني : ٣٢١١ .

٤ - ينظر : د. محمد الطائي ، خلق الكون بين العلم والأيمان : ١٠٥ .

٥ - ينظر : عبد الراضي عبد المحسن ، الغارة التصيرية على اصالة القرآن الكريم : ١٢٠ .

((أول من تعرّض لمسألة نشأة الكون من وجهة علمية هو (أينشتاين) والعالم الروسي (ألكسندر فريدمان) في بداية القرن العشرين . وفي سنة ١٩٢٧ قال عالم الفلك البلجيكي (جورج لوميتر) إن الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة

٢- توسع الكون : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧) الذاريات: ٤٧ ، فعلى أثر فصل

السموات عن الأرض يتبع ذلك بالضرورة توسعها (١) .

٣- مرحلة الدخان : قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ

كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١) فصلت: ١١ ، تشير الآية القرآنية إلى أن السماء كانت حالة من الدخان

، وهذا الدخان يكون ذات قوام غازي تعلق به الجزيئات الدقيقة ، ومنه تكونت المجرات (٢) ، أي أن الجرم

الأول تحول بعد فنتقه إلى دخان ، وخلق كل من السماء والأرض من هذا الدخان الكوني (الإتيان بكل من

السماء والأرض) (٣) . وهذه الإشارة القرآنية إلى الحالة الغازية بداية عملية الخلق نجدها تتطابق مع ما

يقرره العلم الحديث من معطيات (٤) .

الكثافة واللمعان والحرارة (٣٢ . ١٠ درجة) أسماها البيضة الكونية ، ثم حصل في هذه الكتلة بتأثير الضغط الهائل المتأتي من شدة حرارتها ، انفجار هائل فتتطايرها وقذف بأجزائها في كل اتجاه ، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات ، واليوم يجمع أكثر علماء الفلك على القول إن نظرية الانفجار الكبير لم تعد نظرية بل هي حقيقة علمية. أما الأقلية التي عارضتها سابقا ، فهي مجموعة من العلماء الماديين في معتقداتهم ، ربما لأن الإقرار علميا بحقيقة بدء الكون وتوسعه يتعارض مع معتقداتهم القائلة بأزلية المادة وقدم العالم ، فعند ما يثبت العلم أن للكون بداية فذلك يعني أن له نهاية وأنه مخلوق وليس أزليا كما ظن الماديون)) ، عدنان شريف ، من علم الفلك القرآني : ٢٩١١-٣٠.

١ - ينظر : د. محمد الطائي ، خلق الكون بين العلم والايمان : ١٠٥ . ينظر : د . منصور حسب النبي ، الكون والاعجاز العلمي للقرآن : ٣٠٦ .

٢ - ينظر : د. الطائي ، خلق الكون بين العلم والايمان : ١٠٥ .

٣- ينظر : د. عمرو شريف ، كيف بدأ الخلق : ٥٥ .

٤ - ينظر : موريس بوكاي ، القرآن والتوراة والانجيل والعلوم : ١٧٢ .

٤- عودة الكون إلى سابق هيئته جرم أولي : قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١١٤﴾ الأنبياء: ١٠٤ ، تشير الآية الكريمة إلى

حتمية عودة الكون وما فيه إلى ما كان عليه ، جرم أولي واحد ، مشابه للجرم الأول قبل الفتق (١) .

٥- الليل والنهار (الظلمات والنور) : نجد القرآن الكريم يقدم ذكر الليل على النهار قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ الأنبياء: ٣٣ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ

﴿٤٤﴾ النور: ٤٤ ، وان خلقهما جاء بعد خلق السموات والأرض ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ الزمر: ٥٥ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ

الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١؛ لكون الليل أسبق خلقاً من النهار ، لأن السماء كانت ظلمة قبل خلق

الشمس والاجرام السماوية ، ومن بعد خلقها حل النور والضياء ، لهذا الليل يسبق النهار ذكراً ، فالظلمات

تسبق النور (٢) .

٦- دحو الأرض : قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ النازعات: ٢٧ - ٣١ ، وبحسب

التصور القرآني أن دحو الأرض يعد المرحلة الثالثة من مراحل الخلق ، فالمرحلة السابقة للدحو كانت خلق

الأرض من غير دحوها ، تشكيل السماوات وتسويتها ، ومن بعد ذلك تأتي مرحلة دحو الأرض (٣) .

١ - ينظر : د. عمرو شريف ، كيف بدأ الخلق : ٥٦ .

٢ - ينظر : السعدي ، أسرار الكون في القرآن : ٨٤ .

٣ - ينظر : مروان شعبان ، الاعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث : ١٧٤ .

و (دحاها) مفردة الدحو ، جاء في لسان العرب : ((دحاها : الدحو: البسط ، دحا الأرض يدحوها دحواً : بسطها)) (١) . و دحو الأرض تمهيداً وتهياًتها وبسط سطحها لكي تصبح صالحة للسير عليها ، وكذلك تكوين تربة تكون صالحة لإنبات النباتات وإرساء الجبال فيها ، وكذلك اخرج الله من هذه الأرض ماءها سواء أكان ما يتفجر من باطنها أو ما ينزل من السماء فهو أصلاً من مائها الذي يتبخر، وأخرج من الأرض مرعاها الذي هو غطاءها النباتي الذي يأكله الإنسان والحيوان ، وكل ذلك كان بعد بناء السماء ، وبعد إغطاش الليل و إخراج الضحى . والنظريات الفلكية الحديثة تقترب نوعاً ما من مدلول هذه الآيات حين تفرض أن الأرض قد مضى عليها ملايين السنين وهي تدور دورتها ويتعاقب الليل والنهار عليها قبل دحوها ، وقبل أن تصبح قابلة للزرع وقبل أن تستقر قشرتها على ما تكون عليه من مرتفعات ومستويات وكل ذلك كان لأجل الانسان (٢) . وهذه الآية الكريمة بحسب وجهة نظر علماء الفلك تتطابق مطابقة عجيبة مع المكتشفات العلمية ، من خلال ما يعرف بنظرية (تباعد القارات) أو انتشارها ، ملخص النظرية يقول أن القارات كانت في وقت ما متصلة مع بعضها ومن ثم انفصلت عن بعضها ، وهكذا وجدت قارات العالم يفصل بينها البحار والمحيطات الشاسعة (٣) . كما إنَّ هذه الآيات تشير إلى حقائق علمية أخرى : أن كلمة دحاها تعني نثر وتسوية الشيء ، كما نجد ذلك في تباعد القارات وانتشارها ، وتعني أيضاً أن شكلها أصبح كالببيضة ، أي غير كروية تماماً ، ومعروفٌ ذلك في العلم الحديث . أما مصدر الماء الموجود على سطح الأرض من أنهار وبحار ومحيطات ، فيؤكد العلم الحديث أنه خرج من باطن الأرض عند تكوينها (٤) .

٧- أيام الخلق في القرآن الكريم

١ - ابن منظور : ٢٥١١٤ .

٢ - ينظر : د. علي الصلابي ، المعجزة الخالدة ، : ١٣١ .

٣ - ينظر : د. سليمان قوش ، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم : ١٤١ .

٤ - ينظر : المصدر نفسه : ١٤٢ .

جاء في القرآن الكريم ، أن خلق السماوات والأرض قد مرَّ بست مراحل أو أيام ، لقد تحدث القرآن الكريم عن أيام الخلق الستة هذه بصورة مجملة في سبع آيات قرآنية منها:

أ- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ

﴿ ٣٨ ﴾ ق: ٣٨ ، فالله تعالى يخبرنا أن خلق السماوات والأرض تم في ستة أيام ، (وما مسنا من

لغوب) أي من تعب وإعياء ، وذلك رداً على اليهود الذين زعموا أن الله بدأ الخلق يوم الأحد وانتهى

من ذلك يوم الجمعة ثم أستراح يوم السبت واستلقى على العرش بعدما أصابه التعب (١).

ب- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٥٤ ﴾ الأعراف: ٥٤

ت- قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

﴿ ٥٤ ﴾ السجدة: ٤ ومن بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام (استوى على العرش) فلا يراد هنا

العرش المادي إنما المقصود استوى أمر الله على الملك واستقام (٢).

ث- وفي سورة فصلت تم تفصيل مراحل خلق السماوات والأرض في أربع آيات: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ

لِتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٩ ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا

رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِئَيْتَانِ ﴿ ١٠ ﴾ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿ ١١ ﴾

١ - ينظر : الكاشاني ، التفسير الصافي : ٥٤٢١٦ .

٢ - ينظر : الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : ٢٦٩١٤ .

فَقَضَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فصلت: ٩ - ١٢. وكما بيّنا في المبحث السابق أن كلمة (يوم)

في القرآن جاءت بمعانٍ عدة ، ولا يُراد بخلق السماوات والأرض في ستة أيام ، هي نفس الأيام المألوفة في عرفنا ، إنما يراد بذلك في معرض الوصف القرآني هي الطور ، والطور من الأطوار قد يمتد لعشرات الألف أو الملايين من السنين أو أكثر ، والزمن في القرآن الكريم نسبي وليس مطلقاً ، ويتفق في هذا مع النظريات العلمية كالنظرية النسبية الخاصة لأينشتاين.

وعندما عبر القرآن الكريم في ستة أيام عبر عن الاحقاب الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض قد ورد في سبعة آيات كما بينا ، أما في قوله تعالى في سورة فصلت ربما يلتبس على قارئ الآية أنها تناقض الآيات السابقة ، لأنه يظن أن مدة الخلق المذكورة فيها هي ثمانية أيام وليس ستة أيام كما سبق ، فليس هنالك أي تناقض ، أو تفاوت بين المدة الزمنية التي جاءت في الآيات السابقة وما جاء في سورة فصلت ، فالآيات تشير إلى الأطوار التي تم خلالها خلق الأرض والجبال والبحار والأقوات ... وغيرها من مظاهر الحياة ^(١) ، (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) ثم (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) في تمام (أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ) ، ((أي في يومين آخرين يضافان إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فيكون المجموع أربعة أيام. . وليس وارداً أن يكون خلق الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق أربعة أيام.

فمن توهم إضافة أربعة أيام إلى اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض، فيكون المجموع ستة. وإذا أضيف إليها اليومان اللذان خلقت فيهما السماء - (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) - يكون المجموع ثمانية أيام، وليس ستة أيام. لكن إزالة هذه الشبهة متحققة بإزالة هذا الوهم. فالأرض خلقت في يومين. وخلق الرواسي

^١ - ينظر : حسب النبي ، الكون والاعجاز العلمي للقرآن : ٣٠٨-٣٠٩. ينظر : هادي معرفة ، شبهات وردود حول القرآن الكريم : ١٥٨-١٥٩.

- مرحلة انفجار الجرم الابتدائي ، ومنها توسع الكون ، ويعبر عنه القرآن بـ (الفتق) .
- مرحلة تكون العناصر المختلفة في السماء الدخانية .
- مرحلة انفصال الدوامات من الغلالة الدخانية ، ومنها تكونت الأرض وبقية الأجرام السماوية.
- مرحلة دحو الأرض ، وتكوين اغلفتها الغازية والمائية والصخرية ، وتكوين المحيطات والقارات والجبال .
- مرحلة خلق الحياة بكافة اشكالها .

إذاً فقد عمدنا في هذا المطلب إلى بيان الوجه الإعجازي لحدث خلق الكون لنثبت من خلال تفرد القرآن الكريم في الإشارة إلى حقائق علمية في مسألة خلق الكون لم تعرف من قبل أن تثبتها الدراسات العلمية في وقت متأخر ، ليكون ذلك دليلاً وحجة على أن كل ما ورد في هذا القرآن هو من عند الله ، لم يكن يملى على الرسول الاكرم لا من قبل راهب ولا عالم ولا مقتبس من أسطورة أو كتاب سماوي آخر .

وعلى هذا نجد الرؤية القرآنية لقصة خلق الكون تتفق مع مقررات العلم الحديثة ، وهذا ما يثبت أن القرآن الكريم لم يقتبس هذا الحدث من الأساطير السابقة ، فهو يشير إلى نفس الحدث الذي ورد ذكره في الأساطير السابقة (مسألة الخلق) ، وهذه مسألة يمكن القول عنها بأنها مسألة شغلت ذهن الإنسان في مختلف العصور ، ومن المؤكد هذه القضية تم تداولها من قبل جميع الرسل والأنبياء لأقوامهم ، وأنها خضعت من بعدهم لعوامل متعددة كانت من دواعي تحريفها وتغيير طريقة سردها ، وروايتها بلغة وأسلوب لم نفقهه بصورته الصحيحة ، وهنا يأتي دور القرآن الكتاب الخاتم لجميع ما سبقه من كتب وأديان ، والمصحح لما تم تحريفه وتبديله ، ليروي لنا الواقعة كما هي ، للعلم واليقين والموعظة والهداية .

المطلب الثاني : خلق الإنسان وهبوطه من الجنة في القرآن الكريم

إن الرواية الإسلامية لقصة خلق آدم (عليه السلام) خالية من المفاهيم الأسطورية ، فهي تترفع على التصورات البشرية ، بذلك أعطت أبعادها الأخلاقية والاعتقادية ، ومن دون أن تتلبس بتصورات البشر وأهواءهم كما وجدنا ذلك في أساطير السومريين والبابليين (١) .

- خلق الانسان (آدم عليه السلام):

عرض القرآن قصة خلق الإنسان الأول (آدم) في سبعة سور من القرآن الكريم هي : البقرة ، الأعراف ، الحجر ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، و ص ، ويستعرض القرآن الكريم هذه القصة بدرجات متفاوتة من الطول والقصر (٢) . ((آدم : اسم سمى الله به أول مخلوق من البشر ، فهو أبو البشر جميعاً ، على اختلاف أجناسهم ولوانهم ولغاتهم ، وهو اسم أعجمي ممنوع من الصرف ، ولا نبحت عن اشتقاق (آدم) ؛ لان المشتق يجب أن يكون اسماً عربياً ، و(آدم) أسم سمى الله به أبا البشر ، قبل أن يخلق الله أول عربي ((٣) . ولقد جاء أسم (آدم) في القرآن الكريم (٢٥) مرة ، وفي الاغلب كان خطاباً من الله سبحانه لآدم (عليه السلام) ، أو تكون أخباراً لما جرى له ، وفي بعض الآيات يكون الخطاب لأبناء آدم وذريته (٤).

ومن أجمع الآيات التي تلخص خبر آدم (عليه السلام) هي (٥) : قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ

بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

١ - ينظر : رعد الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٢٣ .

٢ - ينظر : د. صلاح الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ٨١١ .

٣ - ينظر : المصدر نفسه : ٨١١ .

٤ - ينظر : المصدر نفسه : ٨١١ .

٥ - ينظر : سامي ، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي : ٤٨١ .

﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا أَيْتَاطِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مَنَهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ أَلْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴿ ص: ٧١ - ٨٥ ، وقوله تعالى في سورة الإسراء (٦١-٦٥) ^(١) . لقد شكلت قصة آدم (عليه السلام) الوارد ذكرها في القرآن الكريم أساساً لفهم الوجود الإنساني على وجه الأرض ، فقد اشتملت هذه القصة على عناصر عدة يمكن إيجازها ^(٢) :

١ . اشتراك آدم (عليه السلام) مع زوجته منذ البداية ، فوجود الزوجة أعطى معنى الأسرة ، وبدائيات

المجتمع الإنساني ، وهذا يدل على اجتماعية الإنسان ومن خلال هذا تستمر الحياة .

٢ . ظهر في حدث قصة آدم شخصية أخرى هي إبليس ، المخلوق من النار ، العاصي لأمر الله ، و

الذي جعله الله عنصر ابتلاء في حياة البشر .

٣ . العنصر الآخر في هذه القصة الملائكة ، المخلوقات المطيعة لأمر الله ، المخلوقة من نور .

يروى القرآن الكريم قصة خلق الإنسان وتتابعه في أربعة أطوار متتالية ، بصورة دقيقة وتصوير بديع

يشرح من خلاله تسلسل مراحل خلق الإنسان منذ كان الإنسان تراباً حتى يغدو بشراً سوياً ^(٣) .

١ - ويمكن أن نلخص الأحداث التي وقعت في قصة آدم (عليه السلام) ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه : ٣٥٨ .

٢ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والاثار : ٢٥-٢٦ .

٣ - ينظر : الصاوي ، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين : ٢٩٦١٢ .

و يظهر من خلال الآيات القرآنية الإنسان وكأنه مرتبط أشد الارتباط بالأرض كما نقرأ في قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ نوح: ١٧ - ١٨ و قَالَ تَعَالَى: ﴿

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ طه: ٥٥ ، إِذَا فَالْإِنْسَانَ قَدْ خَلَقَ مِنْ مَوَادِّ

الموجودة في الأرض ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: ٦١ ، وهذه المواد المكونة

تم التعبير عنها بأسماء مختلفة ، وكل مادة منها تشير إلى مرحلة من مراحل الخلق (١) :

مراحل خلق آدم (عليه السلام) في القرآن :

١. الخلق من تراب : يعد الخلق من تراب اول مرحلة من خلق آدم (عليه السلام) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِبْرَءِ

مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩ ،

أي أن صفة عيسى كصفة آدم (عليهما السلام) ، و (خلقه من تراب) فالضمير المتصل (الهاء)

يرجع إلى آدم ، أي أن الله خلقه من دون أب وأم بكلمة (كن) ، فالمقصود أن شأن عيسى الغريب

كشأن آدم (عليهما السلام) ، في أنهما خلقا من التراب من غير أبوين (٢) . قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَهُ

صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾

الكهف: ٣٧ ، توبيخاً للكافر التكبر وتحقيره ، وتذكيره بأصل نشأته من التراب (٣) . وقد حمل بعض

١ - ينظر : موريس بوكاي ، اصل الانسان بين العلم والكتب السماوية : ١٨٥ .

٢ - ينظر : إلهام البعداني ، خلق الإنسان في القرآن دراسة وصفية : ١٩ . ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير :

١١٢١٣ . ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ٤٦١٢ .

٣ - ينظر : القرطبي ، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٦٦١٢ .

المفسرين الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق الإنسان من تراب على خلق آدم (عليه السلام)

كنايةً، لكون آدم هو الأصل (الإنسان الأول) وأبو البشر جميعاً من تراب (١).

ولما كان التراب الذي هو الطور الأول من أطوار الخلق لا يصلح لتشكيل هيئته وتصويره على هيئة خلق فكان لا بد من إضافة الماء إليه ؛ ليماسك ويصبح قابلاً للتشكيل ، وذلك لا يعني عجز القدرة الإلهية من خلق إنسان من التراب ، فهو تعالى يقول للشيء كن فيكون ، لكن ذلك تنفيذاً لمشيئته تعالى التي جعلت من الماء كل شيء حي وأساس الوجود في الكون قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

﴿ ٣٠ ﴾ الأنبياء: ٣٠ ، قوله (الماء) يراد به من جنس هذا الماء على اختلاف أنواعه ، ذلك لكونه الأصل في

جميع الخلق (٢). قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٢٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٢١﴾ الطارق: ٥ - ٦ ،

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ المرسلات: ٢٠ ، فالآيات تشير إلى خلق الإنسان من الماء ،

وهذا الماء إما أن يراد به جنس الماء لكونه أصل كل مخلوق ، وأما يقصد به ماء الإنسان وهو نوع من

الماء ايضاً (٣).

٢. الطين : المرحلة الثانية (المادة) بعد التراب هي الطين كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ

إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ ص: ٧١ ، والطين هو التراب الممزوج بالماء ، أي أن التراب في هذه

١ - ينظر : البعداني ، خلق الإنسان في القرآن دراسة وصفية : ٢٠ . ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢٣١١٨ ، الالوسي

، روح المعاني : ٢٧٦١١٥ . ويتكرر ذكر خلق الإنسان من تراب في الآية ٥ من سورة الحج ، و ٢٠ الروم ، وفي الآية

١١ فاطر ، وفي الآية ٦٧ من سورة غافر .

٢ - ينظر : محمد فرحان ، حول قصة الخلق : ١١-١٢ . ينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٧١١٣ .

٣ - ينظر : فرحان ، قصة الخلق : ١٣ . ينظر : القرطبي ، تفسير القرطبي : ٤٠١١٣ . ينظر : ابن عاشور ، التحرير

والتنوير : ٢٦٣١٣٠ .

المرحلة عَجِنَ بالماء فصار طيناً ، فالطين يتكون من الماء ، ولا طين من دون ماء (١) ، ويذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الماء الذي مُزج بالتراب هو المراد من خلق البشر من ماء (٢) . أما (السلالة من طين) الوارد ذكرها في قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ المؤمنين : ١٢ ، فيراد بها إخراج شيء من شيء ، انتزاعه برفق ولين ، أي الخلاصة أو الزبدة (٣) ، ويذهب بعض المفسرين أن المراد هو أن الله خلق الإنسان من أجود أنواع الطين ، ويذهب آخرون أن المراد أن الله خلق الإنسان من خلاصة سلت من جميع الأرض (٤) . ويرى آخرون أن سلالة الإنسان تنشأ مما أُستخرج من السائل المنوي ، وأن السلالة من طين لا بد أن تعني العناصر الكيميائية المختلفة التي تتكون منها والمستخرجة من العنصر الغالب فيها وهو الماء (٥) ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ ٧ ﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿ ٨ ﴾ السجدة ٧-٨ ، فالله الذي خلق كل شيء في أحسن صورة ، خلق الإنسان الذي لم يكن له وجود ، وأخرج أصله من تراب ومن بعد ذلك أنشأ فيه نظام النسل من خلال الماء (٦) . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ

١ - ينظر : وهبة الزحيلي ، التفسير المنير : ٢٣٠١٢٣ ، ينظر : الشنقيطي ، أضواء البيان : ٤٩٩١٧ . ينظر : الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن : ٦٢١١ .

٢ - ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ٦٦١٨ . ينظر : الالوسي ، روح المعاني : ٣٥١١٩ . ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل : ٢٢٤١٤ .

٣ - ابن منظور ، لسان العرب : ٣٣٨١١١ . ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل : ١٤٨١٤ .

٤ - ينظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥٤٨ .

٥ - ينظر : موريس بوكاي ، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية : ١٨٨ .

٦ - ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٢١٥١٢١ .

رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿ الفرقان: ٥٤ ، والماء الذي يذكره القرآن بكونه أصل كل حياة باعتباره العنصر الأساسي (١).

٣. الطين اللازب : قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ ، الصافات: ١١ ، اللازب : هو الثابت بشدة ، أو الملتصق بغيره ، ويفرق عن اللاصق في كونه يلتصق ببعضه (٢) . فالطين اللازب هو التراب المخلوط بالماء والمتمخض بصورة جيدة بعد أن نشف الماء عنه وبقي رطباً من الباطن فصار طيناً لازباً يلتصق بالأيدي (٣).

٤. الحمأ المسنون : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٦٦﴾ الحجر: ٢٦ ، والحمأ : هو الطين الأسود المتين ، أسود نتيجة مجاورته الماء لفترات طويلة (٤) . والمسنون : هو المتغير ، من قولهم قد تسنى الشيء ، أو هو الطين المصبوب أو المصور ؛ لأنه مأخوذ من سنة الوجه ، أي صورته (٥). و قد تم تصوير جسد الإنسان الأول آدم (عليه السلام) من الحمأ المسنون في هذه الطور من الخلق لأنه أصلح الأطوار الطينية لتشكيل صورة الإنسان وهيئته ، بسبب الحالة الجيدة التي صار إليها الطين من التماسك و انعدام الليونة والميوعة عنه (٦) . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ

١ - ينظر : بوكاي ، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية : ١٨٨ .

٢ - ينظر : الراغب الاصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ٧٣٩ . ينظر : الماوردي ، النكت والعيون : ٤٠١٥ . ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٩٥١٢٣ .

٣ - ينظر : الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير : ٤٩١٧ . ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢١١٢٠ .

٤ - ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٦٧١٣ .

٥ - ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٤٨١١٧ . ينظر : الشوكاني ، فتح القدير : ١٣٠١٣ .

٦ - ينظر : فرحان ، قصة الخلق : ٢٣ .

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَّالِصِلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ الحجر: ٢٨، الصلصال هنا صفة

للحمأ المسنون، أي أن خلقه من الصلصال جنسه من حمأ (١).

٥. الصلصال : قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِّن صَّالِصِلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ﴿١٤﴾ الرحمن: ١٤، والصلصال : هو

الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة ، فهو كالطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفاً (٢). شبهت

الآية القرآنية هذه الصلصال الذي خلق منه آدم (عليه السلام) بأنه كالفخار الذي نستخدمه في

حياتنا اليومية ؛ لأنه مادة معروفة لدينا ، فهذا التشبيه أقرب وسية يدرك بها الإنسان مادة خلقه

الأولى ، كما أفاده هذا التشبيه إلى أن الله تعالى خلق الإنسان صحيحاً خالياً من العيوب كالفخار

الذي لا نستخدمه إلا اذا كان صحيحاً وخالياً من العيوب (٣). ولا يوجد أي تناقض فيما نقرأ في

النصوص القرآنية التي تشير إلى خلق الإنسان تارةً من تراب ، و أخرى من طين ، فذلك التعدد

يعود إلى كون آدم (عليه السلام) كان في الأول تراباً فُوصف به ، ومن ثم عجن بالماء فصار

طيناً فُوصف به ، ومن ثم صار حمأ مسنوناً فُوصف به ، ومن بعد ذلك صور وترك حتى يبس

فصار صلصالاً فُوصف به (٤) .

٦. التسوية ونفخ الروح : آخر طور من أطوار خلق آدم هو التسوية ونفخ الروح ، إذ لا حياة في البدن

المخلوق من دون الروح ، قال الله تعالى لملائكته قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) : ﴿ وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَّالِصِلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي

فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ الحجر: ٢٨ - ٢٩ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن

١ - ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٦٨١٣. ينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٥٤٠١٢.

٢ - ينظر : الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن : ٤٦٨١٩.

٣- ينظر : المصدر السابق : ٣٠.

٤ - ينظر : فرحان ، قصة الخلق : ٢٧.

طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ص: ٧١ - ٧٢، وهذا أمر منه

تعالى للملائكة بالسجود في حال تحقق وقوع أمرين هما : الأول : تمام الخلق واستواءه (فإذا سويته) أي أتممت خلق هذا البشر وعدلت صورته ، وهذا يشير إلى انتهاء عملية تشكيله واكتمال صورته من دون أي عيب (١).

الثاني : نفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحي) ، أي في الجسد السوي الذي خلقته ، والروح هنا منسوبة إلى الله تعالى . ونفخ الروح في البدن يدل على تمام الخلقة ، إذ لا يليق أن تنفخ الروح في جسد ناقص غير مكتمل ، وهذا يعد تشريفاً وتكريماً لآدم (عليه السلام) وللبشرية من بعده (٢) . ولا تعارض بين المراحل الخمسة لخلق الإنسان قبل نفخ الروح فيه ، التي تحدثت عنها الآيات ، كما يرى ذلك بعض من ذوي النظر القاصر المشككين بالقرآن الكريم، فكل آية كانت تتحدث عن مرحلة من المراحل التي مره بها خلق الإنسان ، فهي جميعاً ترجع لأصل واحد وهو التراب ، الذي هو أصل الطين ، والحماً المسنون والصلصال ، والجمع بينها كان بهذا الاعتبار : فالله سبحانه يعلمنا أنه خلق الإنسان الأول من تراب ، ومن ثم جعل طيناً من خلال خلطه بالماء ، ومن ثم أستل خلاصته ، ومن بعد ذلك صار لازباً ، ثم تغير وأسود فكان حمأً مسنوناً ، ومن بعد ذلك أصبح يابساً له صلصلة كالفخار ، وهذه العناصر لا تعارض بينها فيجوز القول بأن آدم خلق من تراب أو طين ، أو ماء أو حمأً (٣) . وقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ الروم: ٢٠ ، تجمع هذه الآية بين أول مرحلة

١ - ينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٢٧١١١ .

٢ - ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٤٨١١٥ . ينظر : فرحان ، قصة الخلق : ٣٤ .

٣ - ينظر : صلاح الخالدي ، القصص القرآني وقائع وأحداث : ٩٤ . ينظر : البعداني ، خلق الإنسان في القرآن الكريم :

أو طور من الخلق وآخرها في إيجاز قرآني ، فكان التراب هو أول مرحلة ، والانتشار في الأرض آخرها (١) (٢).

-خلق حواء : بعد أن استعرضنا مراحل خلق الإنسان الأول آدم (عليه السلام) ، نأتي الآن إلى بيان كيفية خلق حواء (٣) ، عرفنا من خلال الآيات القرآنية أن الله خلق حواء وجعلها زوجاً لآدم ، وأسكنها معه الجنة ، وجرى عليها ما جرى لآدم (عليه السلام) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ البقرة: ٣٥ ، وتباينت الآراء حول

١ - ينظر : محمد فرحان ، حول قصة الخلق (منذ خلق آدم عليه السلام وحتى الهبوط إلى الأرض) : ٩ .

٢ - أما الخلق من الأرض في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة : أن الكائنات الحية خلقت من الماء ، وأن الماء يشكل نسبة كبيرة من تركيبها . وخلق الإنسان الأول آدم كان من التراب والماء (الطين) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٣٥﴾﴾ الأنبياء: ٣٥ ، فالإنسان ما هو إلا برميل صغير من الماء مع عناصر معدنية هي ذات العناصر الموجودة في الأرض ، ولكن بنسب مختلفة ، وعند موت الإنسان فإن جسده يتحلل إلى نفس العناصر التي خلق منها ويصبح جزءاً من التربة .

فخلق آدم (عليه السلام) يصبح لغزاً يحير أصحاب النظرة المادية ، أما المؤمنون فلا يعدون ذلك لغزاً ، فهو معجزة غير تابع لقانون معين . وقد اختلفت ألوان البشر وطبائعهم وألسنتهم وأخلاقهم مثل ما اختلفت التربة الأولى التي خلق منها أبو البشر جميعاً . وقد بين سبحانه وتعالى أنه هو وحده يعلم سر الخلق ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ الكهف: ٥١ ، فلم الإنسان قاصر بصورة مطلقة على أن يعلم كيفية ومراحل خلق آدم (عليه السلام) ، لأن السر يكمن في (كن فيكون) ، ولقد أشرنا فيما مضى أن جسم الإنسان يتكون من الناحية البيولوجية من الماء والعناصر المعدنية ، وهي بدورها تتكون من الآلاف من المواد العضوية المعقدة ، وأيضاً يدخل في تركيبها الكربون والاكسجين والهيدروجين بالدرجة الأولى ، إضافة إلى عناصر أخرى كالكبريت ، والفسفور ، والكالسيوم .. فعند تحليل المخبري لجسم الإنسان يقول : لو أرجعنا الإنسان إلى عناصره الأولية ، لوجدنا يشبه منجماً صغيراً يشترك في تركيبه قرابة ال (٢٢) عنصراً إلا أن العلماء يجهلون التركيبة الأساسية التي خلق منها الإنسان . ينظر : عمر قوش ، الاكتشافات العلمية الحديثة و دلالتها في القرآن الكريم : ١٣-١٤ . ينظر: مارديني ، موسوعة اعجاز العلمي في القرآن والسنة : ٢٣٩ . ينظر ، أكرم أحمد ، الفلك والطب أمام عظمة القرآن : ١٢٣ .

٣ - لا يذكر النص القرآني أسم زوجة آدم عليه السلام ، لكن ذكرنا هنا أسم حواء لما متعارف عليه في الاخبار .

كيفية خلق حواء ، فالنص القرآني لم يذكر كيف ومتى خلقت (١) ، منها أن حواء خلقت من ضلع آدم عندما كان نائماً ، فلما استيقظ وجد حواء بجانبه ، ووجد أحد أضلاعه ناقصة ضلعاً (٢). ونجد التوراة ذهبت إلى مثل هذا كما بيّنا في المبحث السابق ((ألقى الله على آدم نوماً عميقاً ثم أخذ منه أحد أضلاعه ..)) (سفر التكوين : الإصحاح الثاني : ٢١-٢٢) ، فهذا التفسير لكيفية خلق حواء مقتبس من الإسرائيليات ، والتي بدورها كانت مقتبسة من أساطير بلاد الرافدين كما بيّنا مسبقاً ، ولجوء المفسرين للإسرائيليات في تفسير القصص القرآنية كانت من دواعي ادعاء أعداء الإسلام أن هذه الأحداث مقتبسة من الاساطير ، وتعليقاً على ذلك يذكر محمد شحرور نقلاً عن كتاب من قصة الحضارة لـ ويل ديورانت : ((كانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان ... ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي ..)) (٣). إلا أن القصة توحى أن زوج آدم خلقت من نفس عناصر ومكونات خلق آدم ، خلافاً لما يعتقده اليهود والنصارى ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ الزمر: ٦ ، وأن نفسها هي نفس إنسانية ، فهي من جنس بشري ، وليست من جنس الجن أو الملائكة أو الحيوانات ، أي هي من نوع آدم ، كما خلق لنا من أنفسنا أزواجاً ، لا من ضلوعنا خلق أزواجاً (٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ عَائِلَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ الروم: ٢١ ، فهذا التفسير

١ - ينظر : الخالدي ، القصص القرآني وقائع وأحداث : ١٢٠١١. ينظر : محمد شحرور ،

٢ - ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠١١١. ينظر : الخالدي ، القصص القرآني وقائع وأحداث : ١٢٢. ينظر : د: محمد فياض ، إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان : ١٩. ويذهب بعض المفسرين إلى أنها خلقت من نفس آدم مستدلين بذلك على ظاهر قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء : ١ ، أي انها مخلوقة من بعض جسم آدم ، لأن (من) تدل على التبويض ، وهذا المعنى يشير إلى ضلع آدم . ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٥١٥١٧. ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١٨١١٢. ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل : ٥٨١٢. ينظر : آدم أبو البشر ، إبراهيم قشطة : ١٦.

٣ - القصص القرآني قراءة معاصرة : ٣١٩١١.

٤ - ينظر : د محمد وصفي ، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والمرسلين : ٢٣.

يخالف تماماً عقيدة أهل الكتاب وغيرهم. وبعد أن عرضت النصوص القرآنية لمراحل خلق آدم (عليه السلام) من الطين ، نجدها تعرض لمسألة تناسل ذرية آدم وكيفية تكاثره ، وصورت ذلك بطريقة مفصلة معجزة ، أثبتتها العلم الحديث مما يؤكد سبق القرآن الكريم لتلك الحقائق العلمية بألاف السنين ، ومما لم يذكر في الكتب السابقة ، وهذه بالطبع إشارة واضحة على مصداقية هذا الكتب ، وكونه لم يستق تلك الحقائق من غير الله.

-جنة آدم : تعددت الآراء حول مكان جنة آدم (عليه السلام) ، فمنهم من ذهب إلى أنها جنة الخلد ، ومنهم من قال بخلاف ذلك لكون جنة الخلد هي دار جزاء **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿ ١٢ ﴾ ﴾** الإنسان: ١٢ ، ولا تكليف فيها لا يسمح للدخول فيها إلا بعد الحساب ، في حين أن آدم كُلف في جنته بعدم الأكل من الشجرة المحرمة ، وجنة الخلد لا كذب فيها ، في حين نجد إبليس في جنة آدم قد كذب **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿ ٣٥ ﴾ ﴾** النبأ: ٣٥. وجنة الخلد تمتاز بصفة الخلود سواء لآدم أو لزوجته وذريته ، وبما أن آدم وزوجته وإبليس قد أُخرجوا من الجنة إذاً هي ليست بجنة الخلد **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿ ١٥ ﴾ ﴾** الفرقان: ١٥. والأهم من ذلك أن جنة الخلد هي للمحسنين والأخيار ، فكيف لإبليس أن يكون فيها ويغوي آدم وزوجته، كما أن جنة آدم ليست بستانا في الأرض ، لان الله تعالى يقول : **﴿ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿ ٣٦ ﴾ ﴾** البقرة: ٣٦ .

-الهبوط من الجنة : أمر الله سبحانه آدم وزوجته بالهبوط من الجنة إلى الأرض ^(١) ، ومعهم إبليس بعد أن طرد من الجنة ، إلا أن هبوط إبليس لا يستوي مع هبوطهما ، كما لا يكون إخراجهم من الجنة كخروجهما

^١ - سبق وتم الإشارة إلى تفسير المفسرين لمكان الجنة التي سكنها آدم وزوجته في المبحث السابق .

، فإبليس قد اجتمع له الأمران : الهبوط والخروج قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ الأعراف: ١٣ ، فمن خلال سياق الآية يتبين أن الله أمر إبليس بالهبوط أولاً ، ومن ثم الخروج ثانياً ، وكيف يمكن لمن هبط إلى الأرض أن يعود إلى الجنة ليخرج منها؟ فالهبوط الأول كان هبوط عن صورته التي كان عليها ، وظل يتفاخر بها على آدم كونه أفضل منه ، وهبوط من منزلته التي كان عليها ، وأما الهبوط الثاني إخراجهم من الجنة إلى الأرض لتكون له مستقراً إلى يوم الحساب ، في حين أن هبوط آدم وزوجته لم يكن بسبب المعصية فالله قد غفر له بعد توبته واستغفاره ، وعلمه الكلمات ، وكون الأمر بالهبوط لم يصدر من الله بحق آدم وزوجه إلا بعد توبته واستغفاره ومغفرته تعالى عليه ، فكان هبوطه تشريعاً له ورفعةً لقدره ذلك لأن الله اختاره لمهمة الاستخلاف في الأرض (١) .

-استخلاف آدم في الأرض : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠ ، يخبر الله ملائكته من باب الإعلام أنه سيجعل في الأرض خليفة ، فسياق الآية يوضح أن آدم إنما خلق ليكون خليفة في الأرض ، فهذا الخبر من الله للملائكة كان قبل خلقه ، فافتضت الحكمة الإلهية أن يكون آدم خليفته في الأرض ويموت فيها ، وأنه تعالى أسكنهما الجنة لاختبارهما ، وكان الأكل من الشجرة الطريق إلى الاستقرار في الأرض وبدأ مرحلة الاستخلاف وبيان أفضليته للملائكة (٢) .

١ - ينظر : فرحان ، قصة الخلق : ١٢٢-١٢٣ .

٢ - ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٨٤ . ينظر : القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ١٠٧١ .

المطلب الثالث : قصة الخلق بين التوراة والقرآن الكريم

بعد أن بيننا مدى التشابه الكبير بين النص التوراتي والنص الأسطوري ، واتضح أن هنالك اقتباسات تكاد تكون نصية من الأساطير في قصة التكوين التوراتية ، يعني أن شبهة الأسطورية يمكن اسقاطها على التوراة (المحرفة من قبل الكتبة) . نأتي الآن إلى لب موضوعنا هل نجد في القرآن اقتباسات من الأساطير كالتي موجودة في النص التوراتي ؟ و هل قصة الخلق القرآنية تماثل قصة الخلق التوراتية التي بدورها تشابه الأسطورية ؟ و هل مدى التشابه بين القرآن الكريم والأساطير يماثل التشابه بين التوراة والأساطير ، هل يتشابه الكتابين السماويين بنفس الدرجة مع الأساطير ؟

وقبل الخوض في مقارنة النصين لا ننسى أن نبين أنه لا بد أن يكون هنالك تشابه في الخطوط العامة بين النص القرآني والاسطوري والتوراتي لقصة الخلق ، ذلك لكونها أولاً أمراً حقيقياً ، وثانياً لكونها نابعة من مصدر واحد ، ولا ننسى أن المكتشف من آثار وادي الرافدين لا يشكل سوى ١٥٪ من ما موجود ، ولربما التنقيبات الاثرية في المستقبل ستكشف ما يثبت كون الحضارة السومرية والبابلية هي حضارات قامت على التوحيد ، وبالتالي أن تلك الأساطير المتوارثة عن هذه الحضارات كانت ذات مصدر رباني ، إلا أنها حُرّفت مع مرور الزمان . .

أولاً : خلق الكون

لنأتي الآن إلى قصة الخلق التوراتية ولننظر إليها من خلال منظور القرآن ونرى كيف يحكم القرآن عليها وما هو رأي القرآن بها : خبر الخلق في القرآن الكريم من منظور بعض الدارسين الغربيين قريب جداً من خبر الخلق التوراتي ، وهذا فهم خاطئ بكل تأكيد ؛ لأن الفوارق بينهما واضحة ، إذ نجد في القرآن إيجابيات في المسائل التي ليست ثانوية من الناحية العلمية نعجز في العثور على ما يماثلها في التوراة بالرغم من احتوائها على شروح وزيادات خلا منها كتاب الله .

وبالرغم من ذلك نجد أن ثمة مجانسات بين بعض النصوص وبخاصة في قصة الخلق التي تبدو مترادفة عند النظرة الأولى ، غير إن قصة الخلق التوراتية نجد سردها بصورة متتابعة في موضع واحد بخلاف القصة القرآنية التي نجدها في مواضع متعددة من القرآن الكريم ^(١) . وقد اشتملت قصة التكوين التوراتية الكثير من التناقضات بالإضافة إلى الأخطاء العلمية والعقائدية التي وقع فيها مؤلفي سفر التكوين ، نشير إلى بعضاً منها :

١ . الخلق بين الإحسان والاستحسان : نجد في الإصحاح الأول من سفر التكوين حديث خلق السموات والأرض وما اشتملت عليه يتكرر فيه نمط معين ، وينتهي بالذات اللازمة في كل مرة : (وقال الله ليكن كذا فكان كذا ، ورأى الله كذا أنه حسن) ، كما في : ((قال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة وكان كذلك، ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً، ورأى الله ذلك أنه حسن)) . ويتكرر هذا المشهد مراراً ، يبدأ بـ (قال الله) ومن ثم يكون كما أراد الله ، وبعد ذلك ينظر الرب إلى ما خلق فيرى (أنه حسن) ، وهكذا حتى نهاية قصة الخلق في الأيام الستة، فمن الواضح أن النص هنا يخلط بين ما هو إلهي ، فالرب يخلق كل ما يريد بالكلمة الخالقية (كن) فيكون ، ومن بعد ذلك نجد النص ينتكس فإذا بالرب حسب تصوير الكتبة ، ينظر إلى ما خلق فيستحسنه ويعجبه ، وهو في ذلك كأبي صانع ، ينظر إلى صنعه مراجعاً إياها ، أما يستحسن عمله أو يعدله . أما عندما نأتي إلى النص القرآني نجد الأمر مختلفاً ، فالسياق القرآني يعبر عن عملية خلق الكون بإيجاز مركز كما يليق بالله الخالق ، ومن غير إسقاط الصفات البشرية عليه كما في النص التوراتي ^(٢) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة: ٧.

٢ . توزيع الخلق على الأيام :

١ - ينظر : موريس بوكاي ، التوراة والانجيل والقرآن والعلم : ١٦٥ .

٢ - ينظر : طارق حميدة ، قصة آدم بين القرآن وسفر التكوين ، موقع رابطة العلماء السوريين .

إنّ توزيع عملية خلق السماء والأرض والطبيعة والحيوان والإنسان على الأيام الستة في الواقع يُعدّ قولاً من دون دليل وتقول على الله تعالى ؛ ذلك لكون الأيام الستة التي نعيشها ناتجة عن حركة الأرض والشمس ، فهي أيام محدودة ، ولا يجوز ربط نشأة الكون بها . ومن يزعم أن هذا نظيراً لقوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهُ ۗ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، فإنّ ذلك عندما تحدث الله عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، فحديث القرآن جاء مجملاً من دون تفصيل ، والأهم من ذلك لا يرد بالأيام الستة المذكورة في القرآن أيام الأسبوع في أشهر السنة ، كما زعم مؤلفو سفر التكوين ^(١) ، ونستدل على ذلك من خلال بيان دلالات لفظ (يوم) في اللغة والقرآن والعرف السائد، فالיום في اللغة : يراد به المدة الزمنية المحددة من طلوع الشمس إلى غروبها، ويختلف تقدير ، وتحديد مدته ، وكذلك معناه ، يعتمد على السياق الذي يرد فيه اللفظ ^(٢) . أما القرآن الكريم أطلق فقد (اليوم) على النهار فقط كما في قوله تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ ﴿٧﴾ الحاقة: ٧ ، وقد وردت لفظة (يوم) بمعنى اليوم الأرضي المطلق (أي زمن دورة الأرض حول محورها امام الشمس خلال أربع وعشرون ساعة كما هو متعارف عليه في زماننا) قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ ﴾ ﴿٣٣﴾ البقرة: ٢٠٣ ، ويطلق على يوم من أيام الله سبحانه ، مدته تكون ألف سنة من أيامنا الاعتيادية ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَأَتْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ﴿١٧﴾ الحج: ٤٧ ، وكذلك يطلق على يوم آخر من أيام الله ، مدته خمسون الف سنة من أيامنا الاعتيادية قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ

١ - ينظر :د. صلاح الخالدي ، سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم : ٢٥ .

٢ - ينظر : أبن منظور ، لسان العرب : ١٥٠١٢ .

إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ المعارج: ٤ ، إِذَا فَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْأَيَّامَ السِّتَةَ لَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَيَّامَ الْأَسْبُوعِ ، فَالرَّاجِحُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي سِتِّ مَرَاكِلٍ مُحَدَّدَةٍ . إِذَا الرِّوَايَةُ التَّوْرَاتِيَّةُ لِلخَلْقِ تَحْصُرُ الْعَمَلِيَّةَ هَذِهِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ يَتْبَعُهَا يَوْمٌ لِلرَّاحَةِ ، وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ بِالتَّمَاثُلِ مَعَ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ ، وَمَفْهُومُ كَلِمَةِ "يَوْمٍ" فِي التَّوْرَةِ مُحَدَّدٌ بِالمُدَّةِ الزَّمْنِيَّةِ المَحْصُورَةِ بَيْنَ مُطْلَعِينَ لِلشَّمْسِ أَوْ مُغْرِبِينَ لَهَا بِصُورَةٍ مُتتَالِيَةٍ ، فَاليَوْمُ المَحَدَّدُ هُوَ حَصِيلَةُ دَوْرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا ، وَمُنطِقِيًّا لَا يُمْكِنُنَا التَّحَدُّثُ عَنِ مَعْنَى " الْأَيَّامِ " فِي وَقْتٍ لَمْ تَظْهَرِ فِيهِ ^(١) ، وَيَعْزُو عَالَمَ الدِّيَانَاتِ المَقَارَنَةِ جِيمْسَ فَرِيْزِرَ أَسْبَابَ وَقُوعِ الرِّوَايَةِ التَّوْرَاتِيَّةِ بِهَذَا الخَطَأِ الفَادِحِ ، هُوَ أَنَّ رَاوِيَةَ الخَلْقِ التَّوْرَاتِيَّةِ لَمْ تَكُنْ سِوَى تَمْهِيدٍ مِنْ قَبْلِ الكَهْنَةِ لَخَلْعِ القُدْسِيَّةِ عَنِ يَوْمِ السَّبْتِ المَخْصُصِ لِدَى الْيَهُودِ لِلْعِبَادَةِ وَالرَّاحَةِ ^(٢) .

٣. التناقض في قضية خلق الظلام والنور : ومن التناقضات التي وقع فيها مؤلفو التوراة التي تناقض مقررات العلم هي خلق الظلام والنور، فقد زعموا أن الله خلق الظلام في أول الأمر ومن ثم النور وكان ذلك في اليوم الأول ، لكن متى خلق الله الشمس والقمر؟ نجد في التوراة أن خلق الشمس والقمر كان في اليوم الرابع ، وخلق الأرض كان في اليوم الثالث ، وكان خلق الليل والنهار قبل خلق الأرض بيوم ، والظلام والنور في اليوم الأول! كيف يخلق النور قبل خلق مصدره الشمس بيومين ؟ و كيف يخلق الليل والنهار قبل أن تخلق الأرض بيومين ، والتي من دون دورانها حول نفسها ينتج الليل والنهار ؟

فهذا تناقض صريح وقع فيه مؤلفو سفر التكوين ، فلو كان حقاً من عند الله لما كان فيه هذا التناقض الذي يخالف مقررات العلم ^(٣). في حين نجد أن إشارة القرآن لخلق الظلمات والنور والسماوات والأرض إخباراً صادقاً

١ - ينظر : بوكاي ، التوراة والانجيل والقرآن والعلم : ١٦٦ .

٢ - ينظر : الفلكور في العهد القديم : ١٠٨١١ .

٣ - ينظر : الخالدي ، سفر التكوين في ميزان القرآن : ٣٦ - ٣٧ .

يستند إلى المنطق والعلم الصحيح ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ① ﴾ الأنعام: ١٠ ، نجد في الآية القرآنية (خلق) السماوات والأرض ، و (جعل) للظلمات والنور ، فذكر الظلمات والنور مقرون بذكر السماوات والأرض ، والحديث هنا عن المنظومة الشمسية ، أي: على ما ينشأ من الظلام أو النور داخل هذه المنظومة ، فالخلق عطف على الجعل ، فجراء خلق السماوات والأرض وجدت الظلمات والنور ، ذلك لأن الجعل فيه معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء ، وهذه إشارة علمية إلى أن الظلمات والنور نتجا من خلق السماوات والأرض ، إذاً فالآية تدل على أن خلق الشمس والأرض تم في حقبة زمنية واحدة ، وأن دوران الأرض حوله الشمس يسبب حدوث الليل والنهار أو الظلمات والنور^(١) . والرؤية القرآنية هذه تتوافق مع العلم الحديث.

٤. وصف السماء بالجلد : ومن الأخطاء التي وقع فيها مؤلفي التوراة وصف السماء بأنها جلد (وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه ...) (سفر التكوين ٦١١) ، وواقعاً لا نعم سبب هذا الإطلاق ، وقد حاول الرهبان اليسوعيين الذين ترجموا العهد القديم إيضاح معنى (الجلد) فقالوا : أن جلد السماء الظاهر عند الساميين الأولين هو عبارة عن قبة متينة ، وهذه القبة تحبس المياه المجتمعة فوقها . وهم من خلال شرحهم هذا يُقرّون بأن مؤلفي سفر التكوين قد استمدوا أفكارهم من الأقوام الذين من حولهم ، وهذا من الأدلة التي تشير إلى أن سفر التكوين هو صياغة بشرية^(٢). وكلام الأخبار هذا عن خلق السماء ، وكونها فاصلاً بين قسمين من الماء فوقها وتحتها ، أي أنها مجرد سد وحاجز ، خرافة لا تستند إلى دليل علمي ومنطقي ، وتتناقض مع كلام القرآن عن السماء . ولا بأس بأن نلاحظ من خلال النص التوراتي أن الله قد خلق السماء في اليوم الأول ، ومن ثم يعود ليخلقها في اليوم الثاني ، ذلك لأن الجلد الذي خلقه في اليوم

١ - ينظر : الخالدي ، سفر التكوين في ميزان القرآن: ٣٨. ينظر : د. داود السعدي ، أسرار الكون في القرآن : ٨٤ .

٢ - ينظر : المصدر السابق : ٣١ .

الثاني هو السماء ذاتها (ودعا الله الجلد سماءً) (١) . ويزعم هؤلاء الأحبار أن فوق السماء ماء وتحتها ماء وهذه خرافة لا تستند إلى دليل يتوافق مع مقررات العلم ، وكما يبدو أنها مقتبسة من أساطير المنطقة التي عاشوا فيها ، فمن أدرهم أن الماء فوق السماء ؟ ومن ثم ما هو هذا الماء الذي تحت السماء .. وغيرها من التساؤلات التي تبقى من دون إجابة مقنعة وموافقة لمقررات العلم من قبلهم . والقرآن الكريم يخبرنا أنها ليست سماء واحدة بل هي سبع سماوات طباقا قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۗ ﴾ الملك: ٣ ، وطباقا جمع مفردة طبقة ، والمراد بـ طباقاً في الآية الكريمة صفة لما قبلها ، أي وصفها بأنها سبع سموات طباق ، وهي سبع بالعدد ، وتدل على أنه بين سماء وأخرى مسافة شاسعة. ويبين القرآن أن السماء التي فوق الأرض هي ليست مجرد جلد ، إنما هي سقف محفوظ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۗ ﴾ الأنبياء: ٣٢. أما عن علاقة الخلق بالماء فالقرآن يخبرنا أن الله خلق هذا الماء من دون بيان شيء عن هذا الماء فهو ماء خاص ، ليس كماء البحار والمحيطات ، لأن هذا الماء الخاص كان قبل أن تخلق السماوات والأرض ، وجعل عرشه عليه عندما خلق السماوات والأرض (٢) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ۗ ﴾ هود: ٧.

٦. استراحة الخالق : ومن الأخطاء الكبيرة التي سقط فيها مؤلفي التوراة هي استراحة الرب في اليوم السابع بعد أن أتمَّ عمليات الخلق وأصابه التعب فاستراح ، والتي يتضح فيها سيطرة الخيال الأسطوري والأوهام المخبولة فيما نُسبَ إلى الرب من التعب والاحتياج إلى الراحة، في حين نجد في القرآن الكريم ما يناقض هذا

١ - ينظر : مقال منشور في موقع الحوار المتمدن ، عهد صوفان ، قراءة نقدية للنص المقدس - قصة الخلق في سفر

التكوين ، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214499> ،

٢ - ينظر : الخالدي ، سفر التكوين في ميزان القرآن : ٣٣-٣٤.

الوصف بصورة قاطعة (١) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ ق: ٣٨ ، واللغوب هو : التعب ، فالله سبحانه وتعالى ينفي عن نفسه أن يصاب بالتعب ، بعد عملية الخلق (٢).

ثانياً : خلق الإنسان وهبوطه من الجنة

سنقف عند وجوه الاختلاف بين قصة الخلق التوراتية والقرآنية، إذ هي ما تعيننا هنا :

١ . إعلام الله تعالى الملائكة بخلق آدم (عليه السلام) : سبب هذا الإعلام من الله للملائكة هو لبيان فضل آدم ومكانته عنده تعالى ، ولم تُشر التوراة إلى أن الله أعلم أحداً بذلك ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠ ، وخلافاً لما يذكره فراس السواح في رأيه عندما يذكر في كتابه أساطير الأولين ، أن القرآن والتوراة يتفقان في أن ((الله يستشير الملائكة في مسألة خلق الإنسان قبل أن يقدم عليه)) (٣) ويجعل من النص التوراتي ((أستطلع الله رأي رؤساء الملائكة فيما هو مقدم عليه ، فجاءت مشورة معظمهم أن الإنسان غير صالح ، لأنه سيكون ممثلاً بالكذب والغش والخداع)) (الهاجاده) ، قبالةً لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

١ - ينظر : د . منصور حسب النبي ، الكون والاعجاز العلمي للقرآن : ٣٠٧ .

٢ - ينظر : د . صلاح الخالدي ، القصص القرآني وقائع وتحليل أحداث : ٧٩١١ .

٣ - ١٨٩ .

تَعَلَّمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠ ، فالنص القرآني إعلام لا استشارة في مسألة الخلق ، لان القول بذلك ينافي

صفات الذات الإلهية ، لأنه يتصف بالحكمة و لا يحتاج إلى تقديم المعونة والاستشارة من مخلوقاته .

٢. خلق الإنسان على صورة الله تعالى : نقرأ في الإصحاح الأول من سفر التكوين أن الله خلق الإنسان

على صورته ((وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ

السَّمَاءِ..)) (التكوين ٢٦١١) ، وهذا يذكرنا بأسطورة الخلق البابلية عندما خلق الإله مردوخ الإنسان على

صورة الآلهة، في حين نجد ما يخالف هذا بصورة مطلقة في القرآن الكريم : قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ الشورى: ١١ ، ((ولأنه لا مثل يضارعه، ولا شكل يشاكله. والكاف في ليس

" كَمِثْلِهِ" صلة أي ليس مثله شيء. ويقال: لفظ "مثل" صلة ومعناه ليس كهو شيء)) (١) .

٣. السجود لآدم (عليه السلام) : وجاء ذكر ذلك في مواضع متعددة من القرآن الكريم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة: ٣٤ ، وكان

موضوع السجود لآدم هو سبب تكبر إبليس على أمر الله وتمرده ، و سجود الملائكة لآدم هو سجود

تكريمي لا سجود عبادة ، و لا نجد في التوراة ذكراً لقصة سجود الملائكة لآدم طلاقاً (٢) .

٤. خلق حواء: تذكر القصة التوراتية أن حواء خلقت من ضلع آدم ((فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ،

فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهُ الصِّلَعِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا

إِلَى آدَمَ)) (التكوين ٢٢١٣) ، ((ودعا آدم امرأته حواء . لأنها أم كل حي)) (التكوين ٢٠١٣) . أما النص

القرآني لا يتعرض لذكر خلق حواء من ضلع آدم ، ولا يذكر أسم المرأة الأولى ، فعن الصادق (عليه

١ - القشيري ، لطائف الإشارات : ٣٤٥١٣.

٢ - ينظر : غسان بدران ، قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة : ٣٠٣.

السلام) عندما سئل عن خلق حواء من ضلع آدم فقال : ((سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، أيقول من يقول هذا ، إن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه؟! ويجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن يقول: إنَّ آدم كان ينكح بعضه بعضاً)) (١) .

٥. سكنى الجنة وخروجه منها : لقد أمر الله آدم وزوجه بسكنى الجنة ، وأباح لهم كل ما فيها ، عدا شجرة واحدة ، فقد نهاهم عنها، إلا أن الشيطان وسوس لهم و أغراهما بالأكل منها (٢). ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين تحديد مكان جنة عدن (شرقاً) التي أسكن الله فيها آدم وزوجه في بادئ الأمر ((وَغَرَسَ الرَّبُّ الْإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأُنْبَتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنْ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلْأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ...)) (التكوين ٢-١٠).

أمَّا في النص القرآني لا نجد تحديد لمكان الجنة ، واختلف المفسرون هل هي جنة السماء أم جنة أرضية (٣) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ البقرة: ٣٥ ، وكذلك نجد التوراة تحدد نوع الشجرة التي حرّمها الله على آدم وهي شجرة معرفة الخير والشر ، في حين أنّ النص القرآني لم يحدد لها اسماً أو نوعها ، واختلف المفسرون في ذلك أيضاً (٤) ، بل نجد أن النصوص القرآنية خلافاً للتوراتية تبين أن الله خص آدم بعلوم ومعارف لم يخص بها

١ - الصدوق ، من لا يحضره الفقيه : ٣٨٠١٣ .

٢ - ينظر : مغنية ، تفسير الكاشف : ٨٤١١ .

٣ - ذهب بعض المفسرين إلى القول أنها جنة الخلد كالطبري : ٣٠١١١ ، وابن كثير ٧٩١١ ، والقرطبي ٣٤٣١١ ، وابن عاشور ٤١٧١١ ، والطباطبائي في الميزان ، الذي يقول أنها الجنة السماوية البرزخية الخاصة بآدم : ١٣٥١١ . ويذهب البعض الآخر من المفسرين إلى أنها جنة خاصة بآدم يقع مكانها في الأرض منهم : محمد عبده في تفسير المنار : ٢٢٨١١ و الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن : ٧٥١١ ، والشعراوي في تفسيره : ٢٨٥ .

٤ - اختلف المفسرون في ذلك فبعضهم يرى أنها شجرة العلم _ علم محمد واله الطاهرين لأنه تعالى خصهم به ، ومنهم من يرى أنها شجرة الكروم أو التين . ينظر : العلامة المجلسي ، بحار الانوار : ١٨٩١١١ . ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٥١٩١١ . ينظر : السيوطي ، الدر المنثور : ١٢٩١١ .

الملائكة ، وكانت من دواعي تكليف آدم بخلافة الأرض ^(١) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ البقرة: ٣١. وفي قضية

خروجهما من الجنة نجد اختلافاً واضحاً بين النصين القرآني والتوراتي ، في السبب. فبعد أن أكل آدم (عليه

السلام) وزوجته من الشجرة المحرمة التي حرّمها الله عليهم والعقاب الذي حلّ بهم جراء هذا الفعل ، أمرهم الله

بالهبوط ^(٢) من جنة الخلد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ البقرة: ٣٦ ، فسبب خروج آدم وزوجته من الجنة هو

عصيان أمر الله تعالى ، في حين عندما نذهب إلى النص التوراتي نجد أن حديث التوراة عن شجرة الخير

والمعرفة يوحي بأنه تعالى كان يخشى من امتلاك آدم المعرفة ، وبعد أن أكل من هذه الشجرة وصار عارفاً

بالخير ، خشى الله أن يمد يده إلى شجرة الحياة : ((هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَادِحٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمْدُ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنْ جَنَّةٍ عَدَنِ لِيَعْمَلَ

الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا)) (التكوين ٣-٢٣) ، وهذا إسقاط للصفات البشرية على الله تعالى ^(٣) .

٦. توبة آدم وزوجته : ربما من الفروق المهمة بين النص التوراتي والقرآني هو مسألة توبة آدم وزوجته ، فالنص

التوراتي لا يشير إلى ندم آدم وتوبته عقب الأكل من الشجرة إطلاقاً بل نجده في النص التوراتي يجادل الله

١ - ينظر : طارق حميدة ، قصة آدم بين القرآن وسفر التكوين ، رابطة العلماء السوريين (مقال) .

٢ - ومعنى الهبوط الذي أمروا به؟ أن ((أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من السماء إلى الأرض ، وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك؛ لأن الهبوط كما يكون النزول من علو إلى سفلى فقد يراد به الحلول في المكان و النزول به؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴿٣٨﴾ البقرة: ٣٨ ، و يقول القائل من العرب: هبطنا بلد كذا و كذا، يريد حللنا.. فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط الخروج من المكان و حلول غيره؛ و يحتمل أيضا أن يريد بالهبوط معنى غير المسافة، بل الانحطاط من منزلة إلى دنوها)) السيد مرتضى ، أمالي المرتضى : ٦٤١٤ .

٣ - ينظر : طارق حميدة ، قصة آدم بين القرآن وسفر التكوين ، رابطة العلماء السوريين (مقال) .

ويلقي اللوم على زوجته (١)، ((فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ)) (التكوين ١٢١٣). في حين يذكر القرآن توبة آدم وزوجته ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣٣) الأعراف: ٢٣، وقبول الله تعالى توبة آدم قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ طه: ١٢٢.

٧. الخلافة في الأرض : هنالك نصوص قرآنية عديدة تتحدث عن قضية خلافة الإنسان في الأرض ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠، فاستخلاف الإنسان في الأرض من قبل الله لكي يرسي قواعد العدل ويحكم فيها بأحكام الله تعالى ، وقبل أن يخلق الله آدم ويستخلفه في الأرض ، خلق الأرض وبارك فيها أفواتها وجعلها مهيئة له (٢). في حين لم يرد في التوراة شيء عن قضية خلافة الإنسان في الأرض ، إلا أنه ورد في التوراة أن الإنسان طلب أن يعمل في الأرض ؛ ((فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل في الأرض التي أخذ منها)) (التكوين ٢٣١٣) ، بالرغم من أن كلمة (ليعمل) تشير إشارة بعيدة أو لنقل باهته إلى الخلافة في الأرض ، إلا أنها لا تعبر إطلاقاً عن المعنى التي تضمنته كلمة (الخليفة) (٣) .

إذاً فالآيات القرآنية تقدم الخطوط العريضة لقصة خلق آدم وحواء من أول خلقهما حتى هبوطهما من الجنة وتوبة الله عليهما ، فقصة آدم وحواء القرآنية تختلف عن القصة التوراتية الواردة في سفر التكوين اختلافاً جوهرياً ، ليس فقط في طريقة السرد للحدث ، وتفاصيل خلقهما وسكناهم الجنة والخطيئة والهبوط ، إنما في الهدف والغاية من إيراد هذه القصة .

١ - ينظر : غسان بدران ، قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة : ٣٠٩.

٢ - ينظر : د. فياض ، إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان : ١٥.

٣ - ينظر : المصدر السابق : ٣٠٣.

المطلب الرابع: التوراة والقرآن ودرجة التشابه مع الأساطير

بصورة عامة يمكن أن نفرق بين النص التوراتي والقرآني من حيث التشابه مع الأساطير ، وهذا سيخدم موضوع البحث في الفصول اللاحقة :

١. أن هنالك تشابهاً واضحاً في الصياغة بين النص الأسطوري والتوراتي ، وكأنه اقتباس بالنص في بعض المواضع ، كما نتلمس ذلك بوضوح في مدى التشابه الكبير بين قصتي التكوين البابلية والتوراتية .

٢. كتبت التوراة بصيغ متعددة ، وكذلك أعيد كتابتها في ظروف يسمح بالقول بالاقْتباس ، فقد أعيد كتابة التوراة في فترة الأسر البابلي أو بعده بقليل ، أما القرآن الكريم كُتِبَ بصياغة واحدة لا غير ، وفي ظرف لا يسمح بالقول بالاقْتباس ، ذلك أنه دُونَ في شبه الجزيرة العربية .

٣. أن التوراة بنسختها الأخيرة التي كتبت كانت معاصرة للفترة الزمنية لاشتهار تلك الأساطير وتداولها في أوساط الناس ، بخلاف القرآن الذي لم يكن نزوله معاصراً لتلك الفترة ، ولم تكن الأساطير معروفة بصورة كبيرة في أوساط العرب .

٤. ومن الجدير بالاهتمام أن نعرف أن المستوى الثقافي لليهود في عصر كتابة التوراة كان يسمح بالاقْتباس ، بخلاف العرب فإن المستوى الثقافي لهم لا يسمح بذلك .

٥. وأهم ما يبين الفرق هو أن التوراة محرفة عن النص الأصلي الذي نزل على موسى (عليه السلام) ، مما يسمح بوجود الاقتباس ، فهو بالنتيجة قد دخله التحريف ، والاقْتباس من الأساطير من أشكال هذا التحريف ، في حين أنّ القول بتحريف القرآن أمر متفق تقريباً على رفضه بين علماء المسلمين إلا القليل منهم^(١).

^١ - ينظر : السراي ، القرآن والأساطير ، أيهما اقتبس من الآخر ؟ : ٩٧.

إذاً فمن الأسباب التي دعت الطاعنين بكتاب الله وصفه بأنه عبارة عن اقتباسات من الأساطير السابقة ، وكونه امتداداً للكتب المقدسة التي سبقته ، ولذكرة العديد من القصص وحتى الشعائر التي تكررت في الكتب السابقة ، وبما أن تلك الكتب المقدسة دخلها التحريف والاقتباس إلى نسبة كبيرة ، عمل هؤلاء الطاعنين على أسقاط نفس النتائج التي توصلوا إليها بعد دراسة الكتاب المقدس على القرآن الكريم من غير الاعتماد على دراسات وأبحاث موضوعية تبين مدى صدق تلك الدعوى . وأن الإسلام عندما يقر بأن اليهودية والمسيحية هي شرائع الهيئة وامتداد لرسالة التوحيد فإنه يقوم بتصحيح ما تم تحريفه عبر الزمان وتصديق الواقعة الحقيقية .

لذلك يمكن القول إنّ ورود القصة في التوراة ، وإن كانت مقتبسة من الأساطير السابقة لا يعني عدم وقوعها وإنّها محض قصص لا وجود لها في الواقع ، إنّما يدل ذلك على وقوعها فعلاً إلا أنها حُرِّفَت ولم تُدَكَّر كما هي ، في حين القرآن الكريم يذكر الوقائع تلك بصورة صحيحة ويؤيده في ذلك العلم ، أما عن تلك الاساطير فقد وردت قصة خلق الكون وقصة خلق آدم في التراث الرافديني، فقد ألف السومريون والبابليون ومن جاء من بعدهم أساطيراً وقصصاً عديدة ، تتناول بصورة مباشرة وغير مباشرة مسألة خلق الكون والإنسان، وجاءوا بأفكار مهمة حول هذا الموضوع ، وقد اعتمدتها الشعوب اللاحقة من بعدهم . ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ أسطورة الخلق السومري انتقلت فيما بعد إلى البابليين ومنهم انتقلت إلى الكنعانيين ، لتظهر بعد ذلك الديانات التوحيدية وتأخذ جوهر القصة وتضفي عليها مظهر الآلهة الواحدة بدل تعدد الآلهة الذي وجدناه سابقاً في التراث الرافديني، و يحاول أولئك المعترضون من خلال هذه الرُقْم الطينية المكتشفة التي تحدثت عن قصة خلق الكون والإنسان ، أن يثبتوا تأثير حضارة بلاد الرافدين على الديانات التوحيدية ، فمثلاً حاولوا أن يجعلوا من كل تطابق بين القصة التوراتية والرقم الطينية ، اقتباساً من هذه الرقْم الرافدينية ، وهذا بالطبع أمر من غير الممكن تعميمه ، فلا ننكر وجود ذلك ، لكن ليس بالكيفية هذه، فيمكن تعليل هذا الاشتراك بين الرُقْم والتوراة من وجهة نظر أخرى هي أن هذا الاشتراك مصدره

تأثير النبوات على حضارة وادي الرافدين ، ومن ثم انعكس هذا التأثير على التوراة وتدوينها (١) ، وقد تكون استعادة قصة الخليقة وعناصرها من الوحي الإلهي ، ذلك لكون التوراة الاصلية مصدرها الوحي والنبوة ، وعليه فإن تكرار الحدث وعناصره قد يكون عن طريق انتقال المعلومة من السابق إلى اللاحق ، فحضارة وادي الرافدين سابقة للتوراة ، فقد يكون مصدره الوحي والنبوة وقد تعرض للتحريف والتضخيم . ويبرز هذا الجانب (تأثير النبوة) في حالات الإخبار عن أمور صدقها القرآن الكريم و أعاد روايتها بصورتها الصحيحة ، ومن ثم أثبت العلم الحديث حقيقتها ، فعلى سبيل المثال : أن الكون كان كتله واحدة ثم انفصل ، وإنَّ الإنسان خلق من طين ، فلا يُعقل أن يتوصل العقل البشري في تلك الازمان السحيقة ، وفي حدود معرفية بدائية إلى هذه الحقائق مالم تكن هذه الحقائق نطق بها أنبياء ، ومن ثم وبمرور الزمان أضاف اليها البشر تضخيماً وتحريفاً ، وتحولت إلى روايات أسطورية .

إذاً فشخصية آدم (عليه السلام) حقيقة قد أثبت وجودها الرقم الطينية المكتشفة مع الراوية التوراتية ، ومن ثم جاءت الرواية القرآنية لتؤكد وتوضح هذه الحقيقة من دون التعرض لملاسات القصة التي لا قيمة تاريخية لها من حيث الفائدة والاعتبار (٢).

ولماذا نعتبر قصص السومريين والبابليين في خلق الكون و خلق آدم وحواء مجرد أساطير خيالية فربما كانت كتباً منزلة من السماء ولهم أنبيائهم المرسلين من قبل الله تعالى فلا يوجد لدينا دليل على أن الله تركهم من دون نبي مرسل ، بل أننا كمسلمين على يقين بأنَّ الله لم يترك أمة إلا وبعث فيها نذير ، فالله تعالى يقول في محكم كتابه :

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ﴿٢٤﴾ فاطر : ٢٤ ، لِمَ لا نقول إن السومريين أخذوا هذه المعلومات و المفاهيم من أنبياء سابقين وتم إعادة صياغتها بحسب ما ينسجم مع معتقداتها الوثنية البدائية ، وتطلعات حكامهم السلطوية.

١ - تم الإشارة في المبحث السابق إلى أن التوراة تم تدوينها من قبل الكتبة بعد ضياع التوراة الاصلية ، وكيف تأثر الكتبة بالحضارة البابلية .

٢ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٣٠ .

ويمكن الاستدلال على كون قصة الخليقة الواردة في التراث السومري والبابلي ، و الواردة في العهد القديم والقرآن الكريم ، نابعة من مصدر واحد الهي ، هو تكرار ورودها رغم وجود اختلافات واضحة بين كل قصة ، إلا أنها تشترك في أصل الفكرة فالخطوط العريضة لمسألة الخلق واحدة وأما اختلاف التفاصيل يعود كما بينا مسبقاً لأسباب عديدة ، ليأتي القرآن الكريم ليصحح كل ذلك ويزيل الإشكالات عنها ، ليروي لنا تلك الواقعة بصورتها الصحيحة ، ويزيل ما وقع على أصل الحدث من تحريف وتبديل وسوء فهم لاختلاف الزمان واللغة ، ومن ثم يأتي دور العلم الحديث ليثبت صحة ما جاء به القرآن وكونه أشارَ إلى حقائق لم يسبقه فيها أي كتاب سابق وهذا يدل على أن ما جاء فيه من عند الله وأنه لم يستقيه من السابقين فهو يصحح لهم ويزيل ترسبات الزمان عن الحقائق التي اندثرت معالمها . وفيما يأتي جدول يبين أوجه الاختلاف والالتقاء (١) .

^١ - ينظر : رشيد السراي ، القرآن والأساطير أيهما اقتبس من الآخر : ٤٧-٥١ . ينظر : محمد القيسي ، قصص الخليقة في العراق القديم بين المعطيات المسمارية والكتاب المقدس والقرآن .

النص الأسطوري لقصة الخلق	النص التوراتي	النص القرآني
١-عثر على رقم طينية تم تدوين قصة الخلق عليها في التراث الرافديني .	ذكرت قصة الخلق التوراتية في التوراة في سفر التكوين الاصحاح ١،٢،٣ على شكل سياق واحد .	جاءت قصة الخلق في القرآن بصورة متفرقة في سور عديدة وبصورة مجملة
٢-وردة قصة الخليقة السومرية والبابلية بأكثر من صيغة ، وتم ترجمتها بأكثر من أسلوب .	ورد النص التوراتي أيضًا بأكثر من صيغة وترجم عدة ترجمات وهناك اختلاف بين الترجمات والنسخ.	للنص القرآني نسخة واحدة .
٢-جاءت بأسلوب سردي قصصي .	الأسلوب القصصي واضح وتكرار العبارات بكثرة .	لم ترد بأسلوب الصياغة القصصية ، وجاءت ضمن آيات الوعد والوعظ والتذكير ..، والتكرار موجود إلا أنه في غير سور .
٣-هنالك تشابه في العبارات بين النصوص البابلية والتوراتية.	تتشابه واضح بينها وبين النص البابلي في العبارات .	لا يوجد تشابه في العبارات أو الصياغة بين النص القرآني والأسطوري والتوراتي .
٤-الصياغة ركيكة في كثير من المواضع، ومرمزة .	توجد ركة في الصياغة في بعض المواضع، وقريبة من الصياغة الأسطورية في بعض المواضع مع وجود التناقضات.	صياغة القرآن في غاية البلاغة والفصاحة ، خالية من التناقضات.
٥-الكون لم يكن فيه سوى العماء المؤلفة من المياه الأولى .	الكون لم يكن فيه غير المياه الأولى.	لم يرد في القرآن ذكر لهذه التفاصيل .
٦-الكون وجد من مادة أزلية ولم يخلق .	الكون لم يخلق من مادة أزلية ، ولا يوجد شيء أزلي غير الله.	لم يخلق الكون من مادة أزلية ، فكل شيء مخلوق محدث ، سوى الله تعالى.

٧-الماء أصل الوجود.	الماء أصل الوجود .	يشير القرآن إلى أن الماء سبق وجود كل شيء ، سبق خلق السماء والأرض .
٨-يسود الأساطير مبدأ تعدد الآلهة الخالقة .	لا يوجد إله سوى الله سبحانه.	سيادة مبدأ التوحيد ، فلا إله سوى الله الخالق .
٩-الكون كان كتلة واحدة وانشطر إلى السماء والأرض بفعل الآلهة.	الكون كان كتلة واحدة ثم فصل الله بينهما إلى سماء وأرض.	يشير القرآن إلى ذات المضمون فالسماء والأرض كانتا كتلة واحدة ثم انفصلتا.
١٠-في المعطيات المسمارية كان خلق الإنسان آخر عمليات الخلق .	التوراة تشير إلى ذات الامر.	يشير القرآن أن الله هيأ الأرض للإنسان قبل أن يخلقه ليكون خليفته فيها.
١١-لم تحدد النصوص المسمارية اسم الإنسان الأول إلا أنه بحسب الرقم المكتشفة أنها تشير إلى آدم وحواء .	حدد النص التوراتي اسم الإنسان الأول بآدم و زوجته حواء .	حدد القرآن الإنسان الأول بأنه آدم (عليه السلام).
١٢-خلق الإنسان حسب النصوص الأسطورية من الطين أو طين ودم إله .	خلق الإنسان من الطين .	القرآن الكريم يذكر ذات الأمر.
١٣- الغرض من خلق الإنسان خدمة الآلهة.	الغرض من خلق الإنسان هو التسلط على الأرض والمخلوقات	الغرض من خلق الإنسان تكليفه بمهمة خلافة الأرض .
١٤- سبق خلق الإنسان بعض الأزمات والصراعات بين الآلهة، وكان خلقه نتيجة لتلك الأزمات .	حدث بعد خلق الإنسان حالة من الصراع بينه وبين الحية كان أثر ذلك هبوطه من الجنة.	اعترض على خلق آدم إبليس وعصى أمر الله في السجود له وأضمر العداوة لهم ، فكان نتاج ذلك هبوطهم من الجنة .

سكن آدم وزجه الجنة ولم يحدد القرآن مكانها بالتحديد .	سكن آدم وزوجه في الجنة قبل الهبوط.	١٥- تشير النصوص الرافدينية إلى أن الإنسان كان يسكن في مكان يسمى جنة عدن أو الدلمون يقع على الأرض.
جاء في النص القرآني أن إبليس أضمر العداوة لهم ووسوسهم على عصيان أمر الله.	لا يوجد ذكر لإبليس في النص التوراتي والغواية كانت من الحية لا إبليس.	١٦- لا يوجد ذكر لإبليس في النصوص المسمارية .
الله الخالق لا يتعب ولا يحتاج الى راحة .	يستريح الرب في النص التوراتي بعد الخلق في يوم السبت.	١٧- في النصوص الأسطورية تستريح الآلهة بعد اكتمال عمليات الخلق .
صياغة القصة القرآنية تنزه الخالق من صفات المخلوقات.	نجد في النص التوراتي القصة قد صيغة في إطار توحيدي منزهة الخالق عن صفة النشأة .	١٨- في الأساطير تغدو الآلهة عناصر من هذا الكون أو جزء من الخلق .
هنالك اختلاف في تسلسل عمليات الخلق في النص القرآني .	تسلسل الخلق في النص التوراتي مطابق مع الأسطورة البابلية .	١٩- تسلسل عمليات الخلق في النص البابلي تتطابق مع العهد القديم .
ما جاء في القرآن من حقائق حول خلق الكون والإنسان أثبتتها المكتشفات العلمية .	اشتمل على الكثير من التناقضات العلمية.	٢٠- الرواية الأسطورية بأسلوب صياغتها بعيدة عن الرؤية العلمية .

الفصل الثاني :

حدث الطوفان بين الأصول الأسطورية والكتاب المقدس والمعطيات القرآنية

المبحث الأول : حدث الطوفان في المدونات الأسطورية

- المطلب الأول: تعدد المرجعيات الأسطورية لحدث الطوفان
- المطلب الثاني : أسطورة الطوفان السومرية
- المطلب الثالث : أسطورة الطوفان البابلية
- المطلب الرابع: عناصر الحدث في السرد الأسطوري والتنقيبات الاثرية
- المطلب الخامس: إشكالات منهجية في تحليل حدث الطوفان

المبحث الثاني : الطوفان في العهد القديم

- المطلب الأول : حدث الطوفان التوراتي
- المطلب الثاني : الاختلافات في الرواية التوراتية لحدث الطوفان
- المطلب الثالث : مقارنة بين قصة الطوفان التوراتية وأسطورة الطوفان السومرية – البابلية

- المطلب الرابع: عالمية الطوفان وذكره في العهد الجديد
- #### المبحث الثالث : المعطيات القرآنية لحادثة الطوفان وانميازها عن الفكر

الأسطوري

- المطلب الأول : الرواية القرآنية لحدث الطوفان
- المطلب الثاني : موقع الطوفان وحدوده
- المطلب الثالث : تحليل ومقارنة

المبحث الأول : حدث الطوفان في المدونات الأسطورية

الوقوف عند الأصول الأسطورية لحدث الطوفان ضرورة منهجية تقتضيها طبيعة البحث، حتى تكون المقارنة والتحليل وَرَدَ بعض الشبهات واضحة فيما بعد، لذا سوف يتكفل هذا المبحث بمهمة العرض هذه، مع ما يقتضيه الموضوع من تحليل ومقارنة واستنتاجات.

المطلب الأول: تعدد المرجعيات الأسطورية لحدث الطوفان

المدلول اللغوي لكلمة الطوفان في السومرية والبابلية : ((الطوفان أي ارتفاع وطغيان المياه وهو حادث تصوره الأقدمون أنه وقع في عصر موغل في القدم وكان كونياً ، أي لم يقتصر على وادي الرافدين فقط إنما شمل العالم بأسره . وبمرور الزمن توسع المدلول اللفظي له واشتق منه معاني جانبية لها علاقة بشكل أو بآخر بإحدى صفات الطوفان))^(١) . وتنتشر قصص الطوفان الكبير الذي هلك فيه كل البشر تقريباً ، في أنحاء واسعة من العالم ، فهناك قصص عن الطوفان في بعض حضارات الشرق الأدنى القديم ، وكذلك في الهند وبورما والصين وأستراليا ... ، فهي كانت منتشرة في قارة آسيا وأستراليا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية ، إلا أنها قليلة في قارتي أفريقيا و أوروبا. ولابد من الإشارة إلى أنه بالرغم من كثرتها وانتشارها إلا أنها تختلف فيما بينها اختلافات كثيرة ، والبعض منها وضع لتفسير بعض العوارض الأرضية كالمنخفضات الواسعة في تلك البلدان . و لا يوجد هناك رواية واحدة أصلية مدونة في أفريقيا عن الطوفان الكبير ، وما موجود قد اختلط بالخرافات إلى حد كبير بحيث لا يمكن مقارنتها مع بقية قصص الطوفان ، ناهيك عن كونها نقلت إلينا عن طريق المبشرين الأوروبيين . ولم يرد عن الحضارة المصرية العريقة أي نص عن أسطورة الطوفان بالرغم من ثراء ما كشفته عمليات التنقيب من

^١ - د. فاضل عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ١٧.

وثائق ونصوص دينية وأدبية . وكل ما هنالك توجد أسطورة تتفق في مفهومها العام مع نموذج أسطورة الطوفان إلا أنها تختلف اختلافاً جذرياً في العناصر الأساسية المكونة له ، كبطل الطوفان من البشر ، والعنصر المائي^(١). فعلى الرغم من أنتشار أساطير الطوفان في أنحاء واسعة من العالم ، إلا أن الحفريات الأثرية لم تستخرج وثائق تتعلق بالطوفان الكبير سوى في بلاد الرافدين التي تقدم نماذج تتعلق بهذه الأسطورة . أمّا في كل من سوريا والأناضول وفارس فلم تكتشف رقم أثرية تتعلق بأسطورة الطوفان . وما تم العثور عليه في ((أوغاريت)) والمواقع الأثرية الأخرى في الأناضول ليس إلا إشارات موجزة ، على شكل عبارات توحى بأنهم كانوا على علم بقصص الطوفان كما في هذه العبارات^(٢) : ((كسروا المنجنيق المحطم ، فتملك الملك الغضب وقال عابس الوجه : ... ، ليأخذكم إله الطقس عني في فيضان !))^(٣) . وعلى العموم عندما حاول العلماء استقصاء حقيقة ما جاء في الوثائق القديمة المنتشرة عن الطوفان ، توصلوا إلى أنها ترجع لأصل واحد تناقلته الأجيال وتحدثت به افواه الناس ، إلى أن تم تدوينه بعد تعلم الكتابة^(٤) . والمحور الذي تدور حوله أحداث الأسطورة هو تصميم الآله على إهلاك الجنس البشري بسبب استيائهم من أفعال البشر السيئة . كان الاعتقاد السائد أن قصة الطوفان التوراتية لا مثيل لها في الموروث التراثي للأمم السالفة ، وكونها تمثل أقدم مصدر لقصة الطوفان ، حتى اكتشفت الرقْم الأثرية^(٥)

١ - ينظر : د. مهران ، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة : ٣٨٣ . ينظر : كارم عزيز ، اساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم : ١٩٨ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ١٩٧ .

٣ - كارم عزيز ، أساطير التوراة الكبرى : ١٩٧ (نقلًا عن مصدر اخر) .

٤ - لمصدر نفسه : ١٩٣ .

٥ - يثبت علم الآثار من خلال اكتشافاته أن حدث الطوفان وقع قبل نزول التوراة بمدة زمنية طويلة ، فالسومريون ومن بعدهم البابليون هم أقدم عهداً من عصر موسى (ع) ، وقد دونوا هذا الحدث على الرقم الطينية التي اكتشفت في العصر الحديث . ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة : ١٦٠ -

البابلية التي سجلت عليها قصة الطوفان ١٨٥٣ م ، ومن بعدها تم اكتشاف الرقم السومرية التي تذكر ذات الحدث في مدينة نيبور أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ومن بعدها توالت عمليات الكشف عن نصوص أثرية تضمنت قصصاً عن الطوفان في غير بلاد الرافدين . وأنَّ السبب وراء هذا الانتشار الواسع لحدث الطوفان يعود لكونه حدثاً هائلاً انتشرت أصداؤه في أنحاء العالم ، و أن التعبير عن هذه الطوفانات أخذ طابع الاساطير^(١) .

وفي بحثنا سوف نسلط الضوء على قصص الطوفان في بلاد الرافدين ، لأن حديثنا بالأساس عن طوفان ينسب إلى نبي الله نوح (عليه السلام) في أرض الرافدين ، وأيضاً لكون أسطورة الطوفان السومرية هي اقدم نص عثر عليه لهذا الحدث^(٢) . وقد عرفت ثلاثة قصص عن الطوفان في وادي الرافدين الأولى مدونة باللغة السومرية تعرف بملحمة (زيوسدار) ، والثانية والثالثة مدونتان باللغة البابلية ويعرفان بـ (اوتو -نبشتم) و (اتراحاسيس) . وتدور أحداث أساطير الطوفان السومرية والبابلية حول غضب الآلهة على البشر ، مما يجعلها تتخذ قراراً بتدمير البشرية بصورة شاملة ، لأنها لم تصن ما وكلت به ، ونشرت الفساد في الأرض ، إلا أنَّ بعض الآلهة أشفقوا على البشر من هذا الغناء و رأوا أنه من باب الحكمة الإبقاء على البشر الصالحين وعدم أخذهم بجريرة الفسادين ، فاختاروا واحداً من البشر ، أكثرهم ورعاً وتقوى وحكمة ، وكلفوه بمهمة إنقاذ البشر^(٣) .

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة : ١٥٧ .

((إن الاساطير القديمة مهما احتوت من المبالغات في بناء أحداثها ولكنها مع ذلك مستندة إلى معلومات تاريخية حقيقة ، وهذا يعني أن الأسطورة لا تصنع من الخيال المجرد ، بل تعمل فقط على تجسيم تلك الحقائق التاريخية والمبالغ فيها)): رشيد فوزي ، سرجون الأكدي اول امبراطور في العالم : ٢٠-٢١ .

٢ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الاركيبولوجي : ٤٤٣ .

٣ - ينظر : معدي الحسيني ، الاساطير السومرية : ١٣٠ .

المطلب الثاني : أسطورة الطوفان السومرية

تتحصّر أساطير الطوفان الواردة عن السومريون في مصدرين فقط هما : قائمة الملوك السومريون و لوح نفر ، بالإضافة إلى إشارات في نصوص أدبية ودينية أخرى . وقائمة الملوك السومريون تُعدّ من الوثائق التاريخية المهمة التي ذكر فيها الطوفان . فهذه القائمة تضم أسماء الملوك في وادي الرافدين من أقدم الأزمان ، ويمضي المؤلف متتبّعاً انتقال الملكية في بلاد الرافدين حتى يذكر مباشرة الجملة التالية : ((ثم اكتسح الطوفان البلاد..)) ، ومن خلال هذا يتضح أن الطوفان كان حدثاً بالغ الأهمية ، مما دفع المؤرخين الإقدمين إلى تصنيف سلالاتهم إلى : سلالات حكمت قبل الطوفان ، وسلالات حكمت بعد الطوفان ^(١) . وحفظت قصة الطوفان السومرية المعروفة بـ (زيوسدار) في لوح مسماري ^(٢) ، لم يتبقّ منه إلا الثلث الأخير ، فقد عثر على اللوح الذي يضم القصة أثناء التنقيبات الأثرية في مدينة نُقر (نيبور) السومرية عام ١٩١٤م ، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد دون هذا اللوح في شكله الحالي في أواخر العصر البابلي ، إلا أنه نسخ من تأليف سومري أقدم عهداً منه بقرون عديدة ، إذ وجدت إشارات عن الطوفان في نصوص سومرية سابقة كما ، شرنا إلى ذلك . واللوح موجود الآن في أحد متاحف أمريكا ^(٣) . وتعد قصة الطوفان السومرية أقدم نص يتحدث عن الطوفان ، وقد انتقلت هذه الرواية من الحيز

١ - ينظر : كارم عزيز ، أساطير التوراة الكبرى : ١٩٩-٢٠٠ .

٢ - كانت الألواح الطينية هي مادة الكتابة في بلاد ما بين النهرين ، وقد شاع مصطلح الكتابة المسامرية ، للدلالة على الخط المستعمل في الكتابة ، وذلك في المرحلة التي أصبحت فيها العلامة تأخذ شكل المسامير بسبب النهاية المثلثة لقلم القصب . ينظر : صلاح أبو السعود ، قصة الطوفان في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن : ٢٦ .

٣ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسامرية : ١٩-٢٠ . ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم : ١٧٤ . ينظر : قصي عبد الكريم -نزار خورشيد ، قصة الطوفان بين القرآن والكتابات المسامرية : ٢٢٤ .

الشفاهي إلى الكتابي ، فهي على ما يبدو موغلة في القدم لربما تعود إلى الألف الخامس أو الرابع قبل الميلاد^(١). الجزء الأكبر من أسطورة الطوفان السومرية مهشم ، ولهذا فإن جزء كبير من الأسطورة قد ضاع ، فقد تهشم منها سبعة وثلاثون سطراً من البداية^(٢). وعلى ما يبدو أن بداية القصة كانت عن خلق العالم والطبيعة والانسان ، على يد الآلهة (أن ، إنليل ، وأنكي ، ونخرساج) فهي تتحدث عن عصر ما قبل الطوفان ، والأسطورة تتحدث عن غضب الآلهة على البشر ، وتتخذ قراراً بتدميرهم بواسطة طوفان ، إلا أن بعض الآلهة تحزن على البشر وتقرر إنقاذهم ، فقد أوعز الإله أنكي إلى (زيوسدار)^(٣) ، الملك النقي الورع بإنقاذ الجنس البشري من الهلاك ، عندما طلب منه أن يستند إلى الجدار ويسمع ما تضرره الآلهة تجاه البشر ، وأخبره عما ينبغي فعله للنجاة من الطوفان عن طريق بناء سفينة كبيرة ، والجزء الذي يتضمن كيفية بناء السفينة قد تعرض للخرم ، لينتقل بعدها إلى وصف الطوفان^(٤) ، الأسطورة تقول : ((في ذلك الحين كان يحكم الملك (زيوسدار) .. ، وكان تقياً ورعاً يكثر من الدعاء والتضرع . كان يقوم على الدوام خاشعاً سمع (زيوسدار) وهو واقف إلى الجانب الأيسر من الجدار : (أريد أن أكلمك فاستمع لكلامي واصغ إلى وصاياي .. ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل . و أن تدمير نسل البشرية . هو القرار المحتوم من مجتمع الآلهة . إنه القرار الذي أصدره (أنو) و (إنليل) و(نخرساج) . تجمعت كل الرياح والعواصف المدمرة . وجرف عباب الطوفان جميع المدن .وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طول سبعة أيام وسبع ليال . وجرفت العواصف المدمرة السفينة الضخمة وسيرتها في المياه العالمية ..

١ - ينظر : شحور ، القصص القرآني قراءة معاصرة - من نوح إلى يوسف : ١٩١٢ .

٢ - ينظر : عبد الواحد ، الطوفان .. : ٢١ .

٣ - إشارة مصادر تاريخ العراق القديم أن (زيوسدار) هو أحد الشخصيات الدينية التي سكنت مدينة (شروباك) إحدى مدن سومر ، وحكم المدينة ، وكان يوصف بأنه كاهن النقي ، ينظر : سامي الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري : ١٤٥ .

٤ - ينظر : صموئيل كريمر ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ١٩ . ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي : ٤٤٥ .

ودخلت أشعة الشمس إلى السفينة وحافظ الملك (زيوسدار) على ذرية البشر من الفناء ((^(١)). قصة الطوفان السومرية هذه تُعد من أكثر القصص التاريخية انتشاراً ، وهناك تشابه بين التفاصيل العامة للقصة وجوهرها في المصادر الثلاثة : المسمارية والتوراتية و القرآنية ، يصل هذا التشابه في بعض المواضع لدرجة التطابق، وهذا يدل إلى أن هذه القصة تشير إلى حدث حقيقي وقع في العصور الغابرة إلى الفترة التي سبقت الاف الثالث قبل الميلاد ، وحدث الطوفان هذا كان له تأثيراً بليغاً في نفوس الأجيال ، جيلاً بعد جيل ، وتناقلته الرواية الشفهية وغيرت من تفاصيل الحدث ، ونسجت حولها من أوهام الرواة ، إلى أن وجدت الكتابة وتم تدوين هذه القصة اول مرة في آواخر الألف الثالث قبل الميلاد على أيدي السومريين ^(٢) . ولابد من الإشارة أن النص الأصلي لحادثة الطوفان لدى الحضارات القديمة هو النص السومري كونه أقدم نص أثري مكتشف عن هذا الحدث ، ومنه اقتبست قصص الطوفان اللاحقة ^(٣) ولربما يكون هو أيضاً مقتبس من نص أقدم عهداً منه .

ومراحل الطوفان كما تصورها النصوص المسمارية السومرية هي كالآتي:

١- تقرر الآلهة تدمير الجنس البشري .

^١ - الحسيني ، الاساطير السومرية : ١٣٢-١٣٣ . (تعرض اللوح الذي تضمن قصة الطوفان إلى التلف في أجزاء عديدة منه والكثير من الكلمات غير واضحة ، والمصادر التي نقلت النص بعد ترجمته ذكرت بالتفصيل الأجزاء التي تعرضت للتلف ، لهذا كان عرضةً لاجتهادات المترجمين بغية الوصول إلى المعنى المراد من النص ، لذا جد أن ترجمة الأسطورة تختلف من مصدر لآخر ، أنظر : الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، صموئيل هوك صفحة ١٨ . أنظر : الطوفان في المراجع المسمارية ، فاضل عبد الواحد صفحة ١٩).

^٢ - ينظر : عامر سليمان ، من القرآن الكريم إلى النصوص المسمارية : ٤٦ .

^٣ - ينظر : صموئيل هنري هوك ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين : ٢٠ .

٢- وصول خبر الطوفان إلى الملك زيوسدار ، عن طريق الآلهة التي تعاطفت مع البشر رفضاً لأبادتهم : وذلك عندما كان واقفاً جنب الدار كما يصور ذلك النص ((أريد أن أكلّمك فاستمع لكلامي واصغ إلى وصاياي...))^(١) .

٣- وصف السفينة ومراحل بنائها : لقد فصلت المصادر المسمارية في وصف السفينة ، وكيفية صناعتها ، ويفهم من نص ملحمة كلكامش ^(٢) ، أن السفينة قد صنعت من الخشب وقد طُليت بمادة القير ، واستخدمت المسامير الخشبية في سد الثقوب لمنع تسرب المياه ، وتفصل الملحمة في مقاسات السفينة وشكلها ، فحسب الاوصاف المذكورة يبدو أن شكلها كان مكعباً منتظماً ، طول الضلع ١٢٠ ذراعاً ، والارتفاع ١٢٠ ، ومن سبعة طوابق ، وتتناقص مساحة كل طابق عن سابقه وصولاً إلى الطابق السابع ، مما يشير إلى أن شكلها كان أشبه بالزقورة ^(٣): ((في اليوم الخامس حددت شكلها ، ..ومساحة أرضها ١٢٠ ذراعاً ، ارتفاع كل من جدرانها ١٢٠ ذراعاً كل جانب من سطحها المربع ، حددت شكلها الخارجي ، وجعلتها من ستة طوابق ، وبهذا أفرزتها إلى سبعة طوابق ...))^(٤) .

٤- بدء الطوفان ووصف هوله : بعد الانتهاء من بناء السفينة وتحميلها ، وغلق بابها ، تبدأ ساعة الطوفان في الليلة السابعة ، وقد تم وصف هول الحدث في النصوص الأسطورية : ((وجاءت كل الرياح والعواصف المدمرة واكتسحت الزوابع العواصم ، وبعد أن اكتسحت الزوابع البلاد في

١ - عبد الواحد ، الطوفان في المراجع السومرية : ٢٣ .

٢ - رجعنا في بيان كيفية صنع السفينة إلى النص البابلي لكون تعرض الرقيم الطيني السومري إلى التلف في المواضع التي يذكر فيها بناء السفينة ، وكون النص البابلي يعتمد على النص السومري في سرده للحدث .

٣ - ينظر : عامر سليمان ، من القرآن الكريم إلى النصوص المسمارية : ٥٧ . ينظر : قصي منصور - نزار خورشيد ، القرآن الكريم والادب العراقي القديم قصة الطوفان بين الكتابات المسمارية والآيات القرآنية : ٢٢٥ .

٤ - عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ٨٧ .

سبعة أيام وسبع ليالي ، وتأرجحت السفينة مع الرياح المدمرة العالية ، بزغت الشمس منيرة الأرض والسماء))^(١) .

٥- أستغرق الطوفان سبعة أيام وسبع ليالي : ((وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد في سبعة أيام وسبع ليالي))^(٢) .

٦- انتهاء الطوفان ورسوا السفينة : بعد انتهاء العاصفة انتهى الطوفان واستقرت السفينة على جبل (نصير)^(٣) ، وكوفئ الملك زيوسدار تثميناً لجهوده في إنقاذ البشر والحيوانات من الفناء ومنحه حياة الخلود مثل الآلهة في دلمون^(٤) : ((وركع زيوسدار امام الآلهة انو وإنليل ، اللذين وهباه حياة ازلية مثل الآلهة في الشرق من دلمون))^(٥) .

١ - المصدر نفسه : ٢٣ .

٢ - المصدر نفسه : ١٢٢ .

٣ - ويقع هذا الجبل بحسب الرأي السائد بين معظم الباحثين في المسماريات في منطقة كردستان إلى الشمال من مدينة (شروباك) (تل فاره) في كردستان الحالية . أما الأثاري طه باقر يرجح أن معنى أسم جبل (نصير) هو (الخلاص)، ويذكر أنه ورد في اخبار أحد الملوك الأشريين أنه يقع جنوبي وادي الزاب الصغير ، أحد روافد نهر دجلة في العراق . وحدد بعض الباحثين موقعه بالقرب من مدينة السلبيمانية . ينظر : طه باقر ، ملحمة كلكامش : ١٧١ . عبد الغفور مكاوي ، ملحمة كلكامش : ٢٤٤ . عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ٩٣ . السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٩١ .

٤ - ينظر : قصي منصور - نزار خورشيد ، القرآن الكريم والادب العراقي القديم قصة الطوفان بين الكتابات المسمارية والآيات القرآنية : ٢٢٨-٢٢٩ .

٥ - المصدر نفسه : ٢٤ .

المطلب الثالث : أسطورة الطوفان البابلية

تأثر الكتاب البابليون بقصة الطوفان السومرية بصورة مباشرة ، واقتبسوا موضوعها وتفاصيلها العريضة ولكنهم أضافوا إليها ، كما فعلوا ذات الشيء مع قصة الخليقة السومرية ^(١) . ويقول في شأن خزل الماجدي : ((إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهرياً على قصة الطوفان السومرية ، ولكن تفاصيلها تزداد وتتشعب وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على اصل سومري)) ^(٢) . وردت قصة الطوفان البابلية في ملحمة (أتراخاسيس) او (أترا-حاسس) ^(٣) ، وفي ملحمة (كلكامش) اللوح الحادي عشر على لسان (أوتونبشتم) .

أولاً : قصة الطوفان في أسطورة أترا- حاسيس

هذه الأسطورة عبارة عن قصيدة بابلية مؤلفة من ثلاثة ألواح ، و أسم (أترا- حاسس) صفة مركبة يراد بها الرجل الكثير الإحساس والعاطفة و المتناهي في الحكمة ^(٤) ، وهذه هي ذاتها صفة البطل المنقذ في نص ملحمة كلكامش (أوتونبشتم) ، ويعد (أتراحاسيس) الرجل العظيم الفذ الذي بنى السفينة العظيمة وأنقذ البشرية من الهلاك ، وكان يعرف بأسماء والقاب مختلفة تمت ترجمتها على لغات متعددة ، وفي بعض الأحيان بتأويلات متباينة . وكان (أتراحاسيس) والذي سمي باسمه السومري (زيوسدار) ، وأنه

١ - ينظر : عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ٢٤ .

٢ - أنكي الادب في وادي الرافدين : ١٦٤ .

٣ - الاختلافات التي نراها في أسماء الشخصيات والإلهة في النصوص الأسطورية تعود إلى تعدد الترجمات لهذه النصوص الاثرية ، وهي في الغالب اختلافات بسيطة لا تتعدى الحرف والحرفين ، ولا بأس بكتابة اسم الشخصية وفق ترجمات متعددة لزيادة الإفادة .

٤ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ١٦٩ .

(أوتونبشتم) في ملحمة كلكامش ، حاكماً على مدينة شروباك ^(١) . وتتناول هذه الأسطورة عدة مواضيع أهمها خلق الإنسان ، وتكاثره وزيادة ضججه الذي أزعج الآلهة ، مما دفع الآلهة إلى إنزال البلاء على البشر لإنقاص عددهم ، وعندما لم ينفع ذلك قررت الإلهة الخلاص من البشر عن طريق إبادتهم من خلال طوفان عظيم . وعندما علم الرجل العظيم (أتراحاسيس) بذلك عن طريق الإله (أيا) أستمع إلى وصيته وبنى سفينة لأجل النجاة حاملاً معه بعض الناس والحيوانات ، وبعد النجاة ورسوا السفينة تمنح الإلهة (أتراحاسيس) الخلود ^(٢) .

يقول نص من هذه الأسطورة : ((لم تكن تمضي ستمائة وستمائة عام . حتى أتسعت البلاد وتكاثر الناس فانزعج الإله بضوضائهم وضجيجهم . فخاطب الآلهة العظام (أن ضوضاء البشر قد ثقلت علي فلا أحتملها.....فلتنقطع المؤمن عن الناس . ولتحل الندرة في النباتات . حتى لا تكفي سد جوعهم .وليحبس الإله (أدد) أمطاره فتح (أترا_حاسس) فاه . وخاطب سيد قائلاً .. ففتح أنكي وقال مخاطباً عبده ... يا حائط! اسمعني يا كوخ القصب تفهم كلماتي . انقض بيتك وابن لك فلماً .. والسفينة التي ستبني ... احكم بناءها ... بحيث لا ترى الشمس داخلها))^(٣) .

ثانياً : قصة الطوفان في ملحمة كلكامش

^١ - ينظر : ستيفاني دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين : الخليقة ، الطوفان ، كلكامش : ٢٢ . ينظر : معدي الحسيني ، الأساطير السومرية : ١٤٣ . وأن آخر ملوك عصر ما قبل الطوفان هو (زيوسدار) بحسب الأسطورة السومرية ، وبحسب الأسطورة البابلية هو (أتراحاسيس) الذي هو (أوتونبشتم) في ملحمة كلكامش البابلية ، ينظر : خزعل الماجدي ، أنبياء سومريون : ٨٥ .

^٢ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة : ١٦٦ .

^٣ - نص الأسطورة يطول ، للاطلاع عليه كاملاً ينظر : معدي الحسيني ، الاساطير السومرية : ١٤٣ - ١٥٢ .

جاءت قصة الطوفان في ملحمة كلكامش في الرقيم الحادي عشر، يتناول موضوع الطوفان الذي أجمعه عليه مجتمع الآلهة لإفناء البشر من على وجه الأرض ، وتدور أحداث القصة في مدينة (شروباك) التي قامت فيها آخر سلالة حاكمة قبل الطوفان (السلالة ١٨) . بطل هذه القصة هو (أوتتابشتم) ويعني (لقد وجدت الحياة ، كنايةً على حصوله على الحياة الأبدية)^(١)، الذي قصده كلكامش ليسأله عن سر خلوده . ومن خلال الحوار الذي دار بينهما يروي له كيف أن الإله (أيا) أخبره بقرار الآلهة بإفناء البشر عن طريق الطوفان ، وكيف صنع السفينة الضخمة للنجاة من الطوفان مع بعض البشر، وحمل معه من الحيوانات ومؤمن خلال الطوفان ، وكيف أن الآلهة وهبت له الخلود في نهاية المطاف ، ومما يلحظ أن قصة (أوتتابشتم) لا تحتوي على التفاصيل الأخرى التي جاءت في قصة (أتراخاسيس) من خلق الإنسان و حلول الوباء والقحط في المجتمع الإنساني ، وأيضاً مما يلحظ أن قصة الطوفان الواردة في ملحمة كلكامش تعتمد بشكل أساسي على قصة الطوفان البابلية (أتراخاسيس)^(٢) . يقول نص من الرقيم الحادي عشر لمحملة كلكامش^(٣): ((...فقال جلجامش لـ) أوتتابشتم) البعيد : إنني كلما أمعن النظر فيك يا أوتتابشتم ، فإن صورتك ليست غريبة عني ! أنت تشبهني ،، لقد تصورك قلبي بطلاً هي أهبة القتال ،، أخبرني كيف استطعت الدخول إلى مجلس الآلهة بحثاً عن الحياة ؟ فقال أوتتابشتم إلى جلجامش : سأكشف لك يا جلجامش عن مسألة خفية ، وسأخبرك بسر من أسرار الآلهة : أن شروباك المدينة التي تعرفها ، والتي تقع على ضفاف نهر الفرات ،، عندما عقدت الآلهة العزم على إحداث الطوفان ، كان هناك أبوهم أنو ، والبطل إنليل مشيره ...، يا كوخ ! يا القصب ! وأصغ يا جدار ! يا رجل شروباك .. أهدم البيت وابن سفينةً ، ... واحمل في

١ - ينظر : عبد الواحد ، الطوفان في المراجع السمارية : ٣٩ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٨-٢٩ .

٣ - تتألف ملحمة كلكامش من ١٢ رقيماً ، أختص الرقيم الـ ١١ بقصة الطوفان ، ينظر : منصور عبد الحكيم ، طوفان نوح في القرآن والاساطير القديمة : ١٩٠ .

السفينة بذرة كل المخلوقات الحية ، أما السفينة التي ستبنى ، فاضبط مقاييسها ،.....، وأصعدت على ظهر السفينة عائلتي وأهل قرابتي ، وأصعدت على ظهرها حيوان الحقل وحيوان البر المتوحش... وحدلي شمس وقتاً معيناً بقوله : حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك ، فادخل في السفينة وإغلق الباب ، استمرت زوابع الطوفان على الهبوب في حين كانت رياح الجنوب تكتسح البلاد، ، وعندما حل اليوم السابع أخرجت حمامة واطلقتها، لقد رجعت الحمامة لأنها لم تجد موطئاً لها ، أخرجت السنونو وأطلقته، ما كان اوتتابشتم قبل الآن إلا بشراً ، ولكن من الآن سيكون اوتتابشتم وزوجته مثلنا نحن الإلهة))^(١) .

ويمكن أن نلخص الطوفان البابلي باختصار^(٢):

١. إنَّ سبب الطوفان هو غضب الآلهة على المجتمع البشري بسبب الأوزار التي اقترفوها ، فكان الهلاك بالطوفان عقاباً لهم .
٢. إنَّ بطل الطوفان كان حاكماً يتصف بالأوصاف المحمودة من الورع والبر والحكمة.
٣. بعض الآلهة لم يكونوا راضين على قرار إبادة البشر ، لهذا تم الإيعاز إلى البطل بصنع سفينة وفق مواصفات معينة لإنقاذ البشر والحيوانات من الانقراض .
٤. الناجين من الطوفان هم كل من البطل المنقذ وعائلته وقرابته . إضافة إلى الحيوانات التي حملها على الفلك.

١ - للاطلاع على بقية النص : فاضل عبد الواحد ، طوفان نوح في المراجع المسمارية : ١٧٥-١٨٤ .
وأيضاً لقراءة ترجمة أخرى للنص الأسطوري ، ينظر : صموئيل هوك ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين :
٣٨ .

٢ - ينظر : عبد الواحد ، الطوفان في المراجع السومرية : ١٨١-١٨٤ . ينظر : عبد الواحد ، من سومر إلى التوراة : ٢١١-٢١٥ .

٥. تتألف السفينة من سبعة طوابق .

٦. استمر الطوفان سبعة أيام.

٧. تختلف النصوص الأسطورية في تحديد المغرقين ، وذلك بحسب اختلاف الترجمات لتلك

النصوص ، فقد جاء على لسان أوتونابشتم : ((ورأيت البشر جميعاً عادوا إلى طين))^(١)،

والواضح من خلال هذا التعبير أنه لا يقصد كل من كان على وجه المعمورة ، لأن القائل لا

يمكن أن يرى جميع البشر ، إلا من كان ضمن منطقتة ، فهو لم يقل (علمت أن البشر جميعاً

.. بل قال رأيت ، وهذا بالطبع لا يمكن حصوله^(٢) .

٨. عند انتهاء الطوفان أستقرت السفينة على جبل نصير^(٣) ، أو نيسير : ((واستقرت السفينة على

جبل نيسير))^(٤).

٩. عند انتهاء الطوفان أرسل البطل نوعين من الطيور لتفقد وجود اليابسة .

١٠. بعد انتهاء الطوفان وإنقاذ الجنس البشري من الانقراض كوفئ المنقذ بمنحه الخلود .

١ - طه باقر ، ملحمة جلجامش : ١٦١.

٢ - ينظر : جمعية الثقافية ..، طوفان نوح : ٤٩.

٣ - وهو في الواقع ليس بجبل أنما تحوير لأسم بلاد أرمينية القديم . ينظر : أبو صلاح سعود ، قصة

الطوفان في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن : ١٨٢.

٤ - عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ١٨١.

المطلب الرابع: عناصر الحدث في السرد الأسطوري والتنقيبات الاثرية

أولاً: الشخصية المحورية في الحدث

إنَّ أهم شخصية ترتبط بالطوفان أو لنقل بطل حدث الطوفان هي شخصية (أوتونابشتم) في ملحمة كلكامش البابلية ، والتي تقابل النبي نوح(عليه السلام) في حادثة الطوفان المروية في القرآن، وهي الشخصية التي تقابل (أتراحاسيس) في القصة البابلية ، والتي تعبر عن شخصية (زيو سدار) السومري ، ومما تجدر الإشارة إليه أن القدماء أنفسهم قد عملوا على المطابقة بين أوتونابشتم وبين زيوسدار ، فقد جاءت الصيغة السومرية ziu-sud-ra مرادفة للصيغة البابلية Ut-napish-tim، في أحد النصوص المسمارية^(١)، كما أن (زيوسدار) الوارد ذكره في النسخة السومرية ذكره أحد المؤرخين البابليين بنفس الصيغة ، وحدد له مدة حكم خيالية قدرها ٤٠٠٠ سنة ، وأن معنى اسم زيوسدار هو (الرجل الذي طال عمره أو طالت حياته)^(٢) ، وإذا أخذنا ذلك بعيداً عن الارتباطات الأسطورية حول هذه الشخصية نجد أن هذه الوصف يقترب مع شخصية نوح الوارد ذكرها في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ العنكبوت: ١٤ ، وفي القصة البابلية أن البطل الذي يقابل أوتونابشتم ورد باسم اتراخاسيس واسمه يحمل معنى الرجل كثير الإحساس والعاطفة والحكمة ، وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى أن معنى اسم نوح بالسريانية الشاكر ، وسمي نوحاً لكثرة بكائه على نفسه .

إذاً يتبين من المقارنة أعلاه أن :

١ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ٣٥ (نقلاً عن مصدر اجنبي).

٢- ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ١٦٩.

أوتونابشتم البابلي = زيوسدار السومري = الرجل الذي طال عمره .

و أتراحاسيس البابلي = مفرد الإحساس والحكمة = ما جاء في المصادر الإسلامية من وصف النبي نوح كونه شاكراً ، والشكر يأتي من الإحساس بالنعمة فيشكر المنعم ، كذلك البكاء والالام والنوح هي صفات يمتلكها من يحس بالمسؤولية ، فالقرآن الكريم وصف أنبيائه بهذه الصفات ، فيقول عن نوح قَالَ تَعَالَى: ﴿ نُوحٌ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٣) الإسراء: ٣ ، وقال عن إبراهيم قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٧٥) هود: ٧٥ ، وعن الرسول الاكرم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٣) ، وكل هذا يعزز لنا الحقيقة القرآنية التي تم حفظها على هذه الرقم الطينية التي مفادها أن زيوسدار و أوتونابشتم و أتراحاسيس ما هم إلا شخصية واحد و هي نوح (عليه السلام) . فما تم حفظه على هذه الرقم الطينية يكاد أن يكون متطابقاً كلياً مع شخصيته ووصفه ، وأنَّ الخلاف حول هذه الشخصيات لا يشكل ضرراً، فإنَّها وبكل تأكيد قد نسج حولها ووضعت ضمن أطار أسطوري تعبيراً عن أخيلة الكتاب والأدباء والشعراء ، والحقيقة التي اختفت ضمن هذه الأساطير هي تأكيد حدوث الطوفان ، ذلك أنَّ تكرار ورود حادثة الطوفان ضمن الأساطير يؤكد وقوع هذا الحدث (١) . يقول عالم الآثار طه باقر : ((وأنه كان بالأصل حدثاً تاريخياً واقعياً حدث في طيات الماضي البعيد وكان من جسامته التأثير وقدامته أنه ترك أثراً بليغاً في عقول الأجيال المختلفة فتناقلته بالروايات الشفوية وشوهت تفاصيله الواقعية)) (٢) .

١ - ينظر : فاضل عبد الواحد ، الطوفان في المراجع المسمارية : ٣٥-٣٩ . ينظر : طه باقر ، ملحمة

كلكامش : ٢٦ . ينظر : الكيلاني ، الأنبياء : ١٦٨-١٧٠ .

٢ - د . طه باقر ، ملحمة كلكامش : ٢٥-٢٦ .

ثانياً: الحدود المكانية والزمانية للحدث

تراوحت معاني المصطلحات الواردة في الأساطير السومرية والبابلية ، عن وصف حدث الطوفان بين العالمية والإقليمية ، فبحسب ما جاء في تلك الأساطير هنالك ما يوحي بشمول الطوفان لكل الأرض ، لكن تظهر بعض الشكوك والتأويلات لمعاني الكلمات ، مما يدل على أن الطوفان عم بقعة معينة من بلاد الرافدين ^(١) . ويذهب الكثير من النقاد إلى أن قصة الطوفان الواردة في أساطير بلاد الرافدين تعود فعلاً إلى طوفان أول حقيقي أغرق مساحات شاسعة من بلاد النهرين . ويقول في هذا الصدد عالم السومريات والآشوريات من جامعة كوبنهاجن بنت أستر : ((كثيراً ما يفترض - ضمناً إلى حدما - أن القصة التي تُروى في الملاحم السومرية تستند إلى أحداث تاريخية فعلية)) ^(٢) . يفترض أن يكون وادي الرافدين هو مكان حدوث الطوفان ، ذلك يعود لاكتشاف أول الرقم الطينية التابعة للحضارات التي سكنة المنطقة ، والتي دُوّنَ عليها قصص الطوفان الذي أغرق المنطقة ، وإضافة إلى كون المنطقة قامت عليها أقدم الحضارات و أن موقعها بين نهري دجلة والفرات يجعلها مؤهلة لتكون منطقة لحدوث طوفان كبير . ولقد ارتأت تلك الحضارات تسجيل هذا الحدث المهم ، ونجد أن معظم الأساطير التي تناقلت ما روته تلك الحضارات ، قد حددت وادي الرافدين مكاناً وقع فيه هذا الحدث فقد أجريت العديد من التنقيبات الأثرية في هذه المنطقة وكشفت هذه الحفريات أن المنطقة قد تعرضت لكوارث نتيجة فيضان نهري دجلة والفرات ^(٣) . وأن الطوفان لم يشمل الكرة الأرضية كلها إنما اقتصر على هذه المنطقة ، وأن هذه المنطقة كانت بالنسبة لسكانها كل الدنيا ^(٤) . ويرجح الآثاريون خلال تنقيباتهم عدة مواقع أثرية

١ - ينظر : أوكيل صبيحة ، ظاهرة التوحيد في حضارة وادي الرافدين بين النصوص القديمة والديانات السماوية : ٢٦٤ .

٢ - عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٤٦٢ (نقلاً من مصدر اجنبي) .

٣ - ينظر : يحيى هارون ، الأمم البائدة : ٢٤-٢٥ .

٤ - ينظر : محمد وصفي ، الارتباط الزمني والعائدي بين الرسل والأنبياء : ٦٧ .

مهمة لوقوع حدث الطوفان مثل مدن : (اور ، شروباك ، كيش ، الوركاء ، نينوى ..) ، مستنديين في ذلك إلى وجود طبقات رسوبية تحمل آثار الطوفان ، سيما أن هذه المدن كانت محصورة في منطقة صغيرة نسبياً^(١). وقد قام عالم الآثار ليونارد وولي في التنقيب عميقاً تحت مدينة أور ، لأنه اعتقد أن ذلك سيوصله إلى رواسب الطوفان الغرينية المنتشر عبر امتداد أراضي حين غرقها . فعند حفر خندق بمساحة تقدر بخمسة أمتار تحت المقبرة الملكية في أور ، ظهر على عمق واحد متر طبقة من الطين النقي ، حيث أنه ظن في البداية أنه أرض بكر ، إلا أنه بعد الاستمرار بالحفر لعمق تجاوز المترين ظهرت الأدوات والأواني الفخارية تعود لفترة عصر العبيد ، مما دعاه إلى الاستنتاج بأن المنطقة الغرينية هي دليل على أن طوفان هائل قد اكتسح هذه المدينة في أواخر عصر العبيد بحدود ٣٥٠٠ ق.م^(٢) . وكذلك في مدينة كيش السومرية أثر التنقيبات عثر على طبقات من التراب الأحمر الذي سببته مياه الطوفان . أما في مدينة شروباك كذلك كان أثر الطوفان واضحاً في الطبقات المختلفة من الحفريات التي أجراها علماء الآثار ، حيث تم العثور في عمق ٣-٤ متر تحت الأرض على طبقة من التربة الصفراء التي تشكلت نتيجة الطوفان^(٣) . ولا تقدم نتائج التنقيبات الأثرية أية معلومات دقيقة عن زمن حدوث الطوفان إلا أنها تؤكد وقوعه ، وذلك بالاستناد إلى الوثائق التي تتحدث عنه سيما في موطن الطوفان الأول وادي الرافدين ، وعلى ما يبدو أن رواية الطوفان الذي كان محلياً بحسب ما تخبر به تلك الوثائق قد تعمدت إلى ثقافات الشعوب الأخرى ، وبالتأكيد مع اختلافات في تفاصيل القصة ، إلا أن المبدأ العام المتفق عليه هو ضرورة حدوث طوفان لأجل معاقبة العصاة ونجاة الأمة المؤمنة على يد منقذ من الصالحين وإنتاج نسل صالح جديد .

١ - ينظر ، الأسود ، الرمز الفكرية في حضارة وادي الرافدين : ٢١٠ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٢١٠-٢١١ .

٣ - ينظر : يحيى هارون ، الأمم البائدة : ٣١ . ينظر : المصدر السابق : ٢١٢ .

إذاً فرواية الطوفان السومرية تعد الأولى تاريخياً، ومن ثم جرى تطويرها في الرواية البابلية ، ومن بعد ذلك انتقلت (١) ، إلى التوراة من بعد إجراء إضافات عليها لتتلاءم مع الشخصية اليهودية ، ومن بعد ذلك نجد هذه الرواية في القرآن بشكلها النهائي وهي الرواية الصحيحة ، إلا أنها تختلف عن ما سبق فيه منزلة من الله ، بخلاف الروايات السابقة ذات المصدر البشري (٢) .

١ - لا نريد هنا القول بأن الأديان السماوية تقتبس قصصها ، ومعتقداتها من الاساطير السابقة ، كما يذهب إلى ذلك الطاعنين في الكتب السماوية ، إنما القصد هو ما أقتبسه كتبة التوراة من التراث اليرافديني بعد تحريفهم لكتابهم وضياعه ، ولا غبار على وجود ذكر لهذا الحدث وغيره من القصص التي تشترك فيها الأديان السماوية والاساطير القديمة ، فالتشابه دليل قوة لا دليل نكران ، إلا أن المشكلة تقع هل أن القصة أو المعتقد الذي نجد مشتركاً بين المصادر هل هو فعلاً كما يزعم هؤلاء الطاعنين مقتبس من تلك الأساطير ، أصوله اسطورية أم مصدر ذلك الهي .

٢ - ينظر : شحرور ، القصص القرآني - قراءة معاصرة من نوح إلى يوسف : ١٨١٢ .

المطلب الخامس: إشكالات منهجية في تحليل حدث الطوفان

من الإشكالات التي تحول دون فهم حدث الطوفان ، أنه لا بد من الرجوع إلى أكثر من مصدر وترجمة للتمكن من تحليل الحدث وفهم المعاني كما أراد مدون النص الأسطوري و ذلك لكون الرقم الطينية التي دون عليها أساطير الطوفان فيها من النقص والكسر مما يبقي الكثير من تفاصيل الحدث غامضة وغير واضحة . ولهذا عند دراسة حدث الطوفان لا بد من الرجوع إلى أكثر من قصة وعدم الاكتفاء بمصدر واحد ، خصوصاً وقد علمنا أن النص السومري هو النسخة الأصلية لهذا الحدث ، ومنه استنتجت بقية الحضارات القصة . كما أن تحليل حدث الطوفان يتطلب الرجوع إلى أكثر من ترجمة للنص المراد ذلك لتوخي الدقة للوصول إلى مراد المتحدث أو مدون الأسطورة بعيداً عن تأثير المترجم في معاني الالفاظ ، خصوصاً إذا علمنا أن الترجمة لا تعطي دلالات الالفاظ بدقة ، مثلاً على ذلك تعبر إحدى الترجمات في وصف آثار الطوفان العظيم بقولها : (وتحطمت البلاد الفسيحة كما يتحطم الإناء) ، ونجد في ترجمة أخرى : (وتحطمت الأرض الواسعة مثلما يتحطم الإناء) ، فكلمة (البلاد) في النص الأول ترجمتها تعني المنطقة المحددة ، بينما في النص الثاني توحى ترجمة كلمة(الأرض) شمول كل الأرض . ونقرأ في ترجمة صموئيل كريمير عن المساحة التي اجتاحتها الطوفان بـ(اكتسح الطوفان البلاد) ، ونقرأ في ترجمة أخرى له بـ(وانداحت سيول الطوفان فوق وجه الأرض) ، فهنا أيضاً كلمة (البلاد) لا توحى أن الطوفان أجتاح كل الأرض ، بينما في ترجمته الأخرى كان لفظ (وجه الأرض؟) يوحي بشمولية الأرض باجتياح الطوفان . فضلاً عن الأسطر المفقودة أو غير الواضحة التي تقطع تسلسل الأحداث وتترك المعنى مما يفسح المجال لاجتهادات المترجمين حسب اعتقاداتهم وثقافتهم^(١) .

^١ - ينظر : جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية ، طوفان نوح بين الحقيقة والاهام : ٢٥ . صموئيل كريمير ، من الواح سومر : ٢٥٧ .

وأيضاً ما تشتمل عليه الأساطير من إسباغات بلاغية ورمزية من الممكن أن يتوه فيها القارئ إذ لم يأخذها بالحسبان أثناء قراءته وتحليله للنصوص ومحاولة فهم المعاني وما ترمي اليه بعيداً عن تأثير الرموز المستخدمة ، فمثلاً عندما نقرأ في أحد النصوص الأسطورية عن هول الطوفان : (وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان ، فهربوا وعرجوا إلى سماء آنو ..) فهذه التعبيرات هي رموز أسطورية للتعبير عن قوى الطبيعة ، وهذا موجود أيضاً بكثرة في الشعر ، حتى في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان: ٢٩) ، فلا السماء تبكي حقاً ولا الأرض إنما هذا تعبير عن عدم اكتراث الطبيعة بهم . إذاً فالقصد من وصف الأرباب بأوصاف غير لائقة لا يراد بذلك الإله الواحد الذي نقده ونعبده ، إنما تلك هي قوة الطبيعة أو قوى علوية ألبسوها لباس الألوهية ، لما كانت تمثله لهم من قوة . وإنَّ وضع كلمة (إله) أو (الآلهة) جاءت لغرض الأمانة العلمية عند النقل من نصوص المترجمين أو المعربين الذي تولوا عملية ترجمة النصوص الأسطورية من لغتها المسمارية إلى لغات العصر ، وإلا فهي ترجمة خاطئة ، والأصح منها هي (مدبر ، مسؤول ، رب ، راعي ، ملائكة ، قوة ، ملك ، مسبب ...) فهذه هي التعبيرات الصحيحة^(١) ، وهذا ما يتعلق بلغة الأسطورة وتعبيرها . أما فيما يتعلق بفهم أولئك المترجمين لتلك الرموز والتعبيرات فهنا يقع سوء فهم لمحتوى وتفاصيل الأسطورة ، ويضاف إلى ذلك عدم موضوعية المترجم ؛ لأنه أسير أفكار ومعتقداته، مما يوحي بوجود اختلافات جوهرية بين المصادر ، فيما لو فهمت الرموز كما قصدها مدونو الأساطير لما وجدنا هنالك اختلافاً جوهرياً بينها ، فعلى سبيل المثال يعتقد مترجمي الأسطورة أ (أيا) هو أحد الآلهة المدبرين ، وهو الذي أعلم أتونابشتم على حين غفلة بقرار الآلهة بالقضاء على البشر ، واحتج على إنليل على أثر قراره ، لكن فيما لو افترضنا أن (أياحيا) يرمز إلى غريزة الحياة أو قوى البقاء ، وكان الاحتجاج أمراً

^١ - ينظر : المصدر السابق : ٢٥-٢٦ .

طبيعياً لرفض سلب الحياة من الجميع وتمني اقتصار ذلك على العصاة فقط ، فرمز الحياة أيا يقول لإنليل : (ولو أنك بدلاً من إحدائك الطوفان سلطت السباع على الناس فقللت عددهم) ، فهذا دوره الطبيعي في الدفاع عن استمرار الحياة ، لو كانت الترجمة بهذه الكيفية لما وقع اللبس لدى مترجميها . يقول المختص بالسومريات (صموئيل كريمير) في خضم اعترافه بالأخطاء التي وقع فيها أثناء تفسيره لبعض النصوص الأسطورية التي تولى ترجمتها ودراستها ، منوهاً على الأسباب التي من الممكن أن تؤدي إلى هذه الأخطاء : ((... ولقد نشرت المحاولة الأولى التي قمت بها في جمع وترجمة هذه الأسطورة في كتابي (الميثولوجيا السومرية) ولكن جاء في تفسير حوادث الأسطورة جملة من الأخطاء الخطيرة وكان بعضها نتيجة للإغفال والبعض الآخر نتيجة للتورط في الرأي))^(١) ، لذا يجب أخذ تلك الملاحظات التي أشار إليها كريمير في أثناء قراءة وتحليل الأسطورة^(٢) .

يتبين مما سبق :

١. أنّ النص الأسطوري السومري أول نص وصل إلينا عن حدث الطوفان .
٢. إنّ الطوفان كان عقاباً من الآلهة للبشر على طغيانهم .
٣. أمر العقاب لم يكن بإجماع من الآلهة فكان منهم المعترض و المتسائل .
٤. تم اختيار شخص واحد يتصف بحسن الأخلاق والطاعة لإنقاذ البشر والحيوانات من الهلاك .
٥. إنّ العقاب كان عبارة عن طوفان هائل أغرق الأرض بحسب ما ورد في تلك الأساطير .
٦. نجاة البطل الأسطوري ومن معه تم من خلال سفينة كبيرة .
٧. تم بناء السفينة بأمر وتوجيهات الآلهة .

^١ - من ألواح سومر : ١٦٤ .

^٢ - ينظر : جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية ، طوفان نوح : ٢٨ .

٨. بعد انتهاء الطوفان قامت الآلهة بتكريم البطل الأسطوري ومنحه الخلود تمييزاً لجهوده .
٩. حدث الطوفان وقع ضمن جغرافية بلاد الرافدين ، كما دلت على ذلك نتائج التنقيبات الأثرية .
١٠. تقول النصوص الأسطورية موضع البحث إنَّ الطوفان أغرق كل الأرض ، في حين التنقيبات الأثرية التي أجريت في مدن (اور ، شروباك ، كيش ..) أن الطوفان وقع ضمن مساحة محددة أي أنه لم يكن عالمياً .

١١. إنَّ انتشار قصة الطوفان في أصقاع مختلفة من الأرض وفي أزمنة مختلفة ، وبين شعوب لا يوجد بينها روابط ، دليل يثبت أن الطوفان كان واقعة حقيقة فعلاً ، و أن هذه القصة قد أخذت من أصل واحد ، وانتقلت هذه القصة من جيل لآخر ، وأخذ كل جيل يزيد عليها من وحي خياله إلى أن تلبست تلك القصة الحقيقية بثوب الأسطورة .

المبحث الثاني : الطوفان في العهد القديم

كان الاعتقاد السائد قديماً أن قصة الطوفان هي قصةً توراتية ، ولا يوجد لها نظير في تراث الحضارات السابقة ، حتى اكتشفت القصة البابلية لحدث الطوفان ومن ثم السومرية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ومن بعدها توالى الكشف عن روايات الطوفان في أنحاء متفرقة من العالم^(١)، لكن ما يهمنا الآن قصة الطوفان في الكتاب المقدس.

المطلب الأول : حدث الطوفان التوراتي

أولاً : الرواية التوراتية لحدث الطوفان

وردت قصة حدث الطوفان في سفر التكوين من الإصحاح السادس إلى التاسع ، وجرت أحداثها كما يصورها النص العربي التوراتي كما يلي :

يمكن أن نلخص حدث الطوفان التوراتي بنقاط^(٢):

- ١- تحدث الإصحاح السادس عن سبب غضب الرب على البشر ، ووصف نوح وأبنائه ، وأمره لنوح ببناء الفلك ، ووصف هيئة الفلك: عندما كثُر الفساد في الأرض أراد الله أن ينزل عذابه على الظالمين والفاستدين، فأوحى الله لنوح عليه السلام أن يصنع الفلك وشرح له كيفية صنعها وقياساتها بالتفصيل، ثم أمره أن يركبها ويأخذ معه امرأته وبنيه ومن كل ذي جسد اثنين من ذكر وأنثى، فيركبوا فيه، ((ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثُر في الأرض ...، فحزن الرب أنه عمل الإنسان

١ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٤٤٣ .

٢ - ينظر : العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح : ٦-٧-٨-٩ .

في الأرض وتأسف في قلبه ، فقال الرب امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، ... و أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب ، ... ، هذه مواليد نوح كان رجلاً باراً كاملاً في أجياله))^(١) .

٢- الإصحاح السابع يصف بداية الطوفان ، وحمل الحيوانات ومدة الطوفان : ((... وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك، فارتفع عن الأرض. وتعاضمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض، فكان الفلك يسير على وجه المياه. وتعاضمت المياه كثيراً جداً على الأرض، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء...فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض: الناس، والبهائم، والدبابات، وطيور السماء. فانمحت من الأرض . وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط. وتعاضمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً))^(٢) .

٣- يتحدث الإصحاح الثامن عن انتهاء الطوفان ورسوا السفينة على جبل آرارات : وبعد أن تأكد نوح عليه السلام من أن الأرض قد نشفت أوحى إليه أن يخرج من الفلك ، ..) ، وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتتع المطر من السماء ، ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه ، واستقرت الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل آرارات ، ،...، وكلم الله نوحاً قائلاً: اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك. وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسد: الطيور، والبهائم، وكل الدبابات التي تدب على الأرض، اخرجها معك. ولتتوالد في الأرض وتثمر وتكثر على الأرض، فخرج نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه. وكل الحيوانات، كل الدبابات، وكل الطيور، كل ما يدب على الأرض، كل أنواعها خرجت من الفلك))^(٣) .

١ - سفر التكوين الإصحاح السادس : ١-١٠.

٢ - سفر التكوين ، الإصحاح السابع : ١٧-٢٤.

٣ - سفر التكوين ، الإصحاح الثامن : ٢-١٩.

٤- يتحدث الإصحاح التاسع عن فترة ما بعد الطوفان وانتشار نوح (عليه السلام) وبنيه في الأرض ، وما جرى بعدها من أحداث : ((وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ..وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك هم ساماً وحاماً ويافت))^(١) .

ثانياً : تفصيل قصة الطوفان التوراتية

أ: بطل الطوفان التوراتي

شخصية نوح^(٢) (عليه السلام) في التوراة : جاء ذكر نوح (عليه السلام) في التوراة (٤١) مرة^(٣) .

١. اسمه ونسبه : تعددت الأقوال في العبرية حول معنى أسمه منها : معنى اسمه هو (راحة) ؛ لأنه سيريح الناس كما جاء ذلك في النص التوراتي : ((ودعا اسمه نوحاً قائلاً : هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا بسبب الأرض التي لعنها الرب)) (سفر التكوين ٢٩١٥) . وبعض النسخ من سفر التكوين تستبدل كلمة (يريحنا) بـ(يعزينا) ، التي تعني الراحة بموت أصحاب المعاصي ، وبقاء الصالحين ، نوح (عليه السلام) مع الثلة المؤمنة ، ولأنه يتبع الموت التعزية^(٤) . ويذهب معظم علماء أهل الكتاب أن اسم نوح يشق من جذر (نوح) العبري ، والذي لا يكاد يختلف عن جذر (نوخ) في العربية . ونوح بالعبرية يعني استقر ، حل ، استراح ، نزل ، خيم^(٥) . و نجد تفصيلاً عن نسب نوح في التوراة ، فقد ذكر في النص التوراتي أن آدم (عليه السلام) هو الجد

١ - سفر التكوين ، الاصحاح التاسع : ١-١٨ .

٢ - عرف بطل الطوفان باسم نوح في الكتب السماوية الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن .

٣ - ينظر : أوكيل ، ظاهرة التوحيد في حضارات وادي الرافدين بين النصوص القديمة والديانات السماوية : ٥٣ .

٤ - ينظر : بطرس عبلد الملك واخرون ، قاموس الكتاب المقدس : ٩٨٢ . جميلة منصور ، نوح عليه السلام بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة : ٤ .

٥ - جميلة منصور ، نوح عليه السلام بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة : ٤ .

العاشر لنوح (عليه السلام) كما نقرء ذلك في النص التوراتي : ((نوح بن لامك ،..... بن أنوش ابن شيث بن آدم أبي البشر)) سفر التكوين الإصحاح الخامس (٣١١٣) .

٢. صفاته وأهله : قبل وقوع الطوفان نجد النص التوراتي يصفه بالورع والبر وأنه وجد نعمة الرب في عينيه ((أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب ، ... ، هذه مواليد نوح كان رجلاً باراً كاملاً في أجياله)) التكوين (٨١٦-١٠)، وبعد الطوفان والنجاة نجد النص التوراتي يصفه بأنه شارباً للخمر لدرجة الكفر بالله ^(١) : ((وشرب من الخمر فسكر ...)) التكوين (٢١١٩) .

وورد ذكر زوجة نوح (عليه السلام) في مواضع عدة من النص التوراتي ، ويذكر أنهم كانوا من الناجين من الطوفان بعد ركوبهم السفينة ، وجاء ذكر أسماء أبناءه الثلاثة في النص التوراتي ، وهم كل من سام وخام ويافت ((وولد نوح ثلاثة بنين: ساما، وحاما، ويافت)) سفر التكوين (٧١٧) ، يشير النص التوراتي إلى أنهم ركبوا الفلك مع زوجاتهم ^(٢) : ((فدخل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان)) سفر التكوين (١٤١٧).

٣. عمره وعصره : كما جاء في الاصحاح التاسع أن نوح (عليه السلام) عاش تسع مئة وخمسين سنة ومن ثم رحل عن الدنيا ^(٣) ، ((فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ، ومات)) سفر التكوين (٢٨١٩-٢٩) . أما عمر نوح (عليه السلام) عند وقوع الطوفان بحسب ما جاء في القصة التوراتية هو ستمائة عام ^(٤) ، ((ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الارض)) سفر التكوين (٦١٧) . ويشير النص التوراتي إلى أن عصر نوح (عليه السلام) عرف

١ - ينظر : الكيلاني : الأنبياء في العراق : ١٦٩ .

٢ - ينظر : سفر التكوين ، الاصحاح السابع : ٧-١٤ .

٣ - ينظر : سفر التكوين ، الاصحاح التاسع : ٢٨-٢٩ .

٤ - ينظر : سف التكون ، الاصحاح السابع : ٦ . ينظر : ابن حزم الاندلسي ، الفصل في الملل والاهواء والنحل: ١١/٢١٢ .

بانتشار الظلم والفساد والطغيان ، مما تسبب بغضب الله عليهم وحلول عقابه بهم ^(١) ، ((و رأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض، وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم. فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض، وتأسف في قلبه. فقال الرب: امحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته)) سفر التكوين (٦١٦-٧) . ولم يشير النص التوراتي إلى مسألة عبادة قوم نوح .

ب : وصف الطوفان (٢) :

١- سبب الطوفان : فكما بينا في النص أعلاه ، إن الطوفان حصل بسبب غضب الرب من الناس لكثرة شرهم وفسادهم في الأرض ، سفر التكوين (١١٦-١٠).

٢- إعلام الرب لنوح بصورة مباشرة ومن غير واسطة بخبر حدوث الطوفان المدمر : ((فَقَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ: «نَهَائِيَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لِأَنَّ الْأَرْضَ امْتَلَأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الْأَرْضِ)) سفر التكوين (١٣ ١٦).

٣- صنع السفينة : أن أمر صناعة السفينة وطريقة صنعها كان إلهيا ، وهذا ما يدل على أنها لم تكن بموصفات السفن المعتادة ، ((اصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًَا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِينَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. وَهَكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلَاثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ)) التكوين (١٤٦-١٥-١٦) .

٤- علامة بدء الطوفان : في النص التوراتي تم تحديد ميعاد الطوفان من دون إعطاء إشارة .

٥- ركاب السفينة هم أهل بيت نوح (عليه السلام) ، وأجناس الحيوانات : ((وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لِأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ. مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ

^١ - ينظر : سفر التكوين ، الاصحاح السادس : ٦-٧.

^٢ - ينظر : أبو السعود ، قصة الطوفان في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن : ١٧١-١٨٣.

تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةَ سَبْعَةٍ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى)) التكوين (١١٧-٢) .

٦- يتعرض النص التوراتي بتفصيل إلى وصف الطوفان : ((انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وتفتحت طاقات السماء ، ...وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه ... فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل سماء . خمس عشر ذراعاً في الارتفاع ..)) التكوين (١١٧-١٩) .

٧- النص التوراتي لقصة الطوفان يظهر أن الطوفان قد أفنى جميع المخلوقات على سطح الأرض والناجون هم فقط من كان مع نوح في السفينة : ((فمات كل ذي جسد يدب على الأرض . من الطيور والبهائم والوحوش وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط)) التكوين (٢١٧-٣٢)

٨- مدة الطوفان في التوراة تضاربت ما بين أربعين يوماً و أربعين ليلة ، ومائة وخمسين يوماً : ((وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة)) التكوين (١٢١٧١) ، وفي ذات الاصحاح ورد ((وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض)) التكوين (١٧١٧) ، ((رجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً . وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه)) التكوين (٣١٨) .

٩- الطوفان ينتهي بتوقف المطر وانسداد ينابيع الأرض : ((وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه . وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً)) التكوين (١١٨-٨) .

١٠- رسوا السفينة بنهاية الطوفان تشير القصة التوراتية للحدث أن السفينة رست على جبل يدعى (أراراط) ، وذلك في اليوم السابع عشر من الشهر السابع : ((واستقرت الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط)) التكوين (٤١٨) .

المطلب الثاني : الاختلافات في الرواية التوراتية لحدث الطوفان

١- يجمع نقاد العهد القديم على أن قصة الطوفان التوراتية كما هي مدونة في سفر التكوين تجمع بين روايتين متميزتين في أصلهما ، ومتناقضتين بصورة جزئية ، من دون أن يحاول المحرر التوفيق بينهما في سردية متسقة ، مما جعل قصة الطوفان التوراتية تتصف بالاضطراب والتشويش والتناقض في المعلومات (١) .

٢- ومن الاختلافات بين الراويتين في قصة الطوفان التي وصلت حد التناقض القاطع ، والتي من خلالها يثبت أن كل واحدة منهما مستمدة من مصدر منفصل ، هي ما جاء في الإصحاح السابع من سفر التكوين من أن الله أمر نوحاً أن يأخذ ((من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكراً وأنثى ، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكر وأنثى ، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكر وأنثى)) سفر التكوين (٢١٧-٣) ، ونمضي قليل ونقرأ في نفس السفر وفي نفس الإصحاح : ((ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض ، دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وأنثى ، كما أمر الله نوحاً)) سفر التكوين (٧١٩-٨) فهل أمر الله نوحاً أن يأخذ (سبعة سبعة) أم (اثنين اثنين) أم أن نوحاً قد عصى ربه - وحاشاه عن ذلك ، أم أن كاتب التوراة قد أخطأ ؟ وأن كان كذلك فأبي النصين وقع فيه الخطأ ؟ (٢) .

٣- سبب الطوفان يعزوه النص اليهودي إلى المطر العام الذي أستمر بالهطول أربعين يوماً من دون انقطاع ، في حين يعزو النص الإلهيمي سبب الطوفان ليس المطر وحده ، بل إلى تفجر ينابيع الأرض .

١ - ينظر : سيد سلامة غنمي ، التوراة و الأناجيل بين التناقض والأساطير : ٩٩ . ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ٢٢٦ .

٢ - ينظر : د. مهران ، دراسة في قصة الطوفان بين الآثار والكتاب المقدس : ٤٠٩ .

٤- مدة الطوفان بحسب الرواية اليهودية كانت أربعون يوماً بلياليها ، ومن بعد ذلك بقي في سفينته ثلاثة أسابيع حتى أنحسر الماء وتمكن من الرسو بسفينته ، وعلى أساس هذا الحساب فإنه الفيضان بقي واحد وستين يوماً ، في حين كان في الرواية الأخرى مدت هطول المطر مئة وخمسون يوماً ، واما مدة الطوفان في العموم فقد استغرقت اثني عشر شهراً ، وهذا تناقض صريح في النص التوراتي لقصة الطوفان (١).

٥- أمّا وقت حدوث الطوفان من عمر نوح (عليه السلام) لم تحدده الرواية اليهودية ، في حين نجد أن الرواية الإلهيمية تحدد أنه وقع عندما كان نوح (عليه السلام) في عمر ستمائة سنة (٢) .

٦- ينهي سفر التكوين قصة الطوفان والنبي نوح (عليه السلام) من خلال نقل صورة مشوهة تسيء لشخصية النبي نوح (عليه السلام) من خلال قصة لا تمت للحقيقة بأية صلة ، فقد صورته شارباً للخمر حتى الثمول فاقداً عقله ، وأن الغرض من نسج هكذا أكاذيب هو تشويه صورة الأنبياء والافتراء عليهم بالبهتان والزور والشذوذ ، لكي يخدموا أغراضهم الدنيئة ، ويقولوا للعالم أن الرذيلة هي موجودة في أصل الوجود الإنساني ، وتبرير استعبادهم للبشر ، وأن يضعوا الإنسانية على طريق الشك والارتياب من خلال استهداف شخصيات الأنبياء الذين جعلهم الله قدوة حسنة لبني البشر (٣). و يزعم مفسري العهد القديم أن هذه القصة أي (احتساء نوح للخمر حتى الثمول) كتبت لغرض بيان أن الرجال الانقياء من الممكن أن يخطئوا وأن تأثيرهم السيء يمتد إلى عائلاتهم (٤) .

١ - ينظر : بوكاي ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم : ٥٧ . ينظر : د. مهران ، دراسة في قصة الطوفان بين الآثار والكتاب المقدس : ٤١٠ .

٢ - المصدر السابق : ٥٧ .

٣ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٩١-٩٢ . للاطلاع على بقية الأسطورة التي نسجها اليهود بحق النبي نوح (ع) ينظر : علي الشوك ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة : ١١٢ .

٤ - ينظر : سفر التكوين من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ٢٩ .

المطلب الثالث : مقارنة بين قصة الطوفان التوراتية واسطورة الطوفان السومرية

– البابلية

يكاد أن يكون هنالك اتفاق بين العلماء ^(١)، على أن قصة الطوفان كما وردت في النص التوراتي ليست قصة عبرية أصلية ، إنما أخذها العبرانيون من بلاد الرافدين ، إلا أنهم لم يأخذوها بصورة عمياء ، بل تصرفوا فيها بطريقة تتلاءم مع أهداف كتابهم المقدس . فالهيكل العام للرواية ينطبق بكل خطوطه العريضة ، وفي بعض تفاصيله مع النص البابلي لأسطورة الطوفان الواردة في ملحمة كلكامش ، حتى أن بعض التعابير تكاد تنطبق بصورة حرفية مع النص البابلي . وأن الروايتان البابلية والتوراتية تعتمدان على العناصر نفسها ، والأحداث تسير على وتيرة واحدة . فالرواية البابلية أقدم عهداً من التوراتية بنحو ما يقرب من أحد عشر أو اثني عشر قرناً ، والرواية العبرية تقتضي في جوهرها أن يكون البلد المشار إليه من الممكن حدوث الفيضان فيه مثل بابل ، وهذا مما لا يدع مجالاً للشك أن الرواية التوراتية لحدث الطوفان قد تم كتابتها من قبل الكتبة في بابل أثناء فترة السبي البابلي ، ومن ثم انتقلت إلى فلسطين ^(٢) . وعليه يتطلب هنا عقد مقارنة بين النموذج الرافديني لحدث الطوفان والنموذج العبري لبيان أوجه الشبه والاختلاف بينهما على النحو التالي ^(٣) :

١ - ينظر : د. مهران ، دراسة في قصة الطوفان بين الاثار الكتب المقدسة : ٤١٥ ، يشير المصدر إلى بعض العلماء الغربيين الذين تبنون هذا الرأي .

٢ - ينظر : د. مهران ، دراسة في قصة الطوفان بين الاثار الكتب المقدسة : ٤١٥ . ينظر : كارم عزيز ، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى : ٢٢٧ . ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ٢٢٩ .

٣ - ينظر : د. مهران ، دراسة في قصة الطوفان بين الاثار الكتب المقدسة : ٤١٩-٤٢١ . ينظر : كارم عزيز ، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى : ٢٢٨-٢٣٢ . ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ٢٢٩ .

١. قرار الطوفان في أساطير بلاد الرافدين تم من خلال مجمع الآلهة ، أما في النص التوراتي يقوم الرب (يهوة) أو (إلهيم) منفرداً باتخاذ قرار الطوفان بحق البشر .
٢. بالنسبة إلى أسباب الطوفان فبحسب النص التوراتي السبب وراء ذلك هو ازدياد شر البشر على الأرض ، وأشارت النصوص المسمارية لبلاد الرافدين إلى ذلك بصورة غير مباشرة .
٣. وبالنسبة لبطل الطوفان تتشابه القصص في تحديد صفاته فهو رجل كريم الخلق ، يتصف بالتقوى والتواضع ، نقي السريرة ...
٤. لم يرد في النصوص المسمارية الحديث عن نسب البطل وأهل بيته ، خلافاً للنص التوراتي فنجد تفصيلاً في الحديث عن ذلك.
٥. بطل الطوفان في جميع النصوص تلقى تحذيراً إلهياً قبل حدوث الطوفان ، مع الاختلاف بطريقة تلقي التحذير ، فيؤمر ببناء سفينة للنجاة من الطوفان .
٦. أستمر نوح (عليه السلام) في بناء السفينة مائة سنة ، وهذا ما يظهر أناة الله على البشرية ، فيما نجد في أسطورة أترحاسيس البابلية أن السفينة قد بناها في غضون سبعة أيام فقط ، مما يظهر أن الآلهة طغاة متسرعون في الحكم على البشرية بالهلاك .
٧. في النص التوراتي والنصوص المسمارية نشأ الطوفان بفعل العواصف والأمطار الغزيرة وتفجر المياه السفلية ، إلا أن الرواية التوراتية قد أعطت فواصل زمنية بين الحوادث المؤلفة للقصة ، خلافاً للنص السومري حيث استمر الطوفان ستة أيام بلياليها ، والبابلي يكتفي بالقول أنه أستمر سبعة أيام بلياليها .
٨. في جميع النصوص البطل قد أنقذ عائلته والحيوانات في سفينته ، إلا أن هنالك اختلاف في عدد الناجين ، ففي القصة البابلية العدد أكبر .

٩. أن السفينة في القصة البابلية تستقر على قمة جبل يدعى (نيسير) أي الخلاص الواقع جنوب نهر الزاب الأسفل أحد روافد نهر دجلة . وفي القصة التوراتية تستقر السفينة على جبل (أراراط)^(١).

١٠. أن بطل الطوفان هنا وهناك يرسل طيوراً لاستكشاف حالة الجو، ومعرفة مدى انحسار المياه ، وفي كل من النص البابلي (ملحمة كلكامش) و النص التوراتي عادت الحمامة إلى السفينة ، والغراب لم يعد . أما النص السومري ومحمّة أتراحاسيس لا نجد ذكراً للطيور لربما يعود ذلك لتكسر الألواح .

١١. البطل في القصص الثلاثة ينال البركات بعد النجاة من الطوفان ، إلا أنه في كل من نص أسطورة زيوسدار و أسطورة اوتنابشتم قد نال الخلود ، أما في أسطورة أتراحاسيس فهذا الجزء مفقود . في حين في النص التوراتي نجد أن نوحاً نال البركات غير أنها لم تصل لدرجة الخلود .

١٢. من الاختلافات بين النص البابلي والعبري ، هو أن النص البابلي للطوفان الواردة في ملحمة كلكامش يتسم بالشاعرية ويتفوق من ناحية الصياغة الأدبية ، أما النص الورداد في سفر التكوين يفتقر إلى الشاعرية .

١٣. يذهب الأب سهيل قاشا إلى أبعد من هذا، فيدعي أن قصة التكوين مأخوذة بحذافيرها من الأساطير، بل أن الأساطير تمتاز عن قصة سفر التكوين فيقول : ((والصورة التي رسمها العهد القديم للطوفان مأخوذة بحذافيرها من القصص السومرية القديمة، والبابلية الحديثة، ولكن هذه القصص العراقية تمتاز عن التوراة في وصفها للظواهر الطبيعية في حين أن العهد القديم

^١ - في الواقع أن (آراراط) ليست اسماً لجبل بل هو أسم يطلق على بلاد أرمينيا ، وأن السفينة رست على أعلى قمة في هذه البلاد . ينظر : السواح ، مغامرة العقل الأولى : ١٩١ .

(التوراة) يمتاز عن الألواح البابلية في تصويره لفكرة الإله ((^(١)). كما يقول أيضًا ((إن التشابه الصاعق بين النصوص البابلية والنص التوراتي (في قصة الطوفان) يدعو لكثير من التأمل والتفكير.. لقد كتب مؤلفو التوراة نص الطوفان معتمدين بشكل واضح على أكثر من نص بابلي، مع بعض التعديل والتغيير))^(٢) .

١٤. ويرى فراس السواح أن النص التوراتي اعتمد على النص البابلي، أو على نصوص أخرى، أو قد تكون النصوص كلها في الحقيقة رجعت إلى نص أقدم منها ، أو رواية بقيت في أذهان شعوب المنطقة^(٣) .

إذن نحن لا ننكر القول بتأثر التوراة^(٤) بالأساطير البابلية ، فالنص التوراتي الذي أعاد صياغته عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد مما لا شك فيه قد تأثر بالحضارة الرافدينية ، فوجود طوفان عظيم لدى البابليين كان مادة مغرية للتأثر بتفاصيله والتي تطورت لاحقاً في جو وثني^(٥)، مع بقاء الاحتمال أن جميع النصوص التي تروي الحدث ترجع إلى نص أقدم منها ، أو إلى رواية بقيت عالقة في إذهان الناس في مختلف الشعوب من ديانة توحيدية سابقة^(٦) .

١ - التوراة البابلية : ٨٥ .

٢ - التوراة البابلية : ١٤٧ .

٣ - ينظر : القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ٢٢٩ .

٤ - عندما نشير إلى تأثر التوراة بالأساطير فلا نعني تأثر النص الأصلي المنزل من قبل الله على موسى(ع) ، إنما نعني النص الموضوع من قبل الكتبة ، والقصة الموجودة في النص الأصلي وأن اشتملت على مشتركات مع الأساطير فذلك يدل على وحدة الأصل الإلهي .

٥ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٤٦٧ .

٦ - ينظر سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية : ١٩٢ .

المطلب الرابع: عالمية الطوفان وذكره في العهد الجديد

أولاً: عالمية الطوفان

ينقسم مفسروا التوراة - يهود ومسيحيون^(١) - إلى قسمين : الأول يؤمن بعالمية الطوفان ، والثاني يؤمن بمحدودية الطوفان . والذين يؤمنون بعالمية الطوفان بدورهم ينقسمون أيضاً إلى فئتين : فئة تدافع عن ذلك إيماناً وتديناً بحرفية ما جاء في النص التوراتي ، وفئة أخرى تدافع عن ذلك لأجل مآرب وأهداف خاصة . والفئة التي تؤمن بمحدودية الطوفان هي أيضاً تنقسم إلى فئتين : الأولى ترى أن الطوفان محدود محلياً مستنداً في ذلك إلى براهين علمية مما يسقط نظرية عالميته ، مع التأكيد على قدسية التوراة . والفئة الثانية التي تؤمن بمحدوديته هي في الواقع متأثرة بنظرية النشو والتطور الداروينية لأن عالمية الطوفان تتضارب مع هذه المعتقد . وأن فكرت عالمية الطوفان تفرض مجموعة كبيرة من الأسئلة منها : كيف تعلق الكميات الهائلة من المياه التي غمرت الأرض حتى قمم أعلى الجبال ؟ وكيف أستطاع نوح (عليه السلام) أن يجمع ويحمل جميع أصناف الحيوانات ؟ وما هو رد معتقدي عالمية الطوفان على الأدلة الأثرية المكتشفة والتي تعود لحضارات ما قبل الطوفان ، ولم تدمر بفعل الطوفان العالمي كحضارة السومريين ، وغيرها الكثير من الأسئلة التي تطرح في هذا الخصوص . ويستند مفسري التوراة على مجموعة من الأدلة من النص التوراتي ليثبتوا عالمية الطوفان ، من هذه الأدلة على سبيل المثال :

١- إنَّ المياه غمرت الأرض كلها ، حتى أعلى قمة جبل .

٢- إنَّ جميع من في الأرض عدا من ركب السفينة قد غرق .

٣- أن حجم السفينة وطريقة بنائها كان لمواجهة حدث عالمي لا محلي .

١ - من أشهر مفسري التوراة بالعربية سعديا فيومي .

٤- أن المدة الزمنية الطويلة التي مكث فيها نوح (عليه السلام) ومن معه في السفينة دليل على أن الطوفان كان عالمياً .

٥- لعل من أكثر الأدلة التي استندوا إليها هي أن الحيوانات التي أمر بحملها على السفينة لاستبقاء نسلها ، دليل على أن الطوفان قد عم الأرض كلها وأهلك من عليها .

هذه كانت بعض من الأدلة التي استند إليها مفسري التوراة الذين يذهبون إلى القول بعالمية الطوفان ، في حين أن التوراة نفسها لم تصرح أن الطوفان كان عالمياً ، أنما بعض الألفاظ قد فسرت وفهمت من قبل بعض المفسرين ليفهم ذلك ، مثل لفظة (حرار) العبرية ، صارت (تلال) بالإنكليزية ، ثم صارت (الجال الشامخة) باللغة العربية ، وأن لفظ (كل وجه الأرض) أو (كل الأرض) ، لا يعني جميع الكرة الأرضية أنما المنطقة التي حصل فيها الطوفان . وبالطبع الكثير من هذه الأدلة لا تستند إلى المنطق والعلم بشيء ، مثل كيف أستطاع نوح والقلة الذين معه إطعام الأعداد الكبيرة من الحيوانات طيلة الفترة الـ ٣٦٠ يوماً التي مكثوا فيها في السفينة ، والبحث يطول كثيراً للإجابة على جميع التساؤلات التي تخطر ببال الإنسان حول عالمية الطوفان عند اليهود ، ولا مجال لذكرها (١) .

ويزعم مفسري العهد القديم أن لا مشكلة في مسألة جمع نوح (عليه السلام) لجميع أنواع الحيوانات في السفينة ولا داعي للتعجب من هذا الأمر لكون أن نوح يفعل ما يؤمر به من قبل الله ، و الله تعالى هو من أهتم بتفاصيل هذا العمل (٢) . في حين أننا لو اطلعنا على التفسير الحديثة للعهد القديم ، فإنها تقول أن الطوفان وقع ضمن رقعة جغرافية شاسعة محددة بوادي الرافدين أو أوسع من ذلك ، و نجد أن هذا

١ - ينظر :الجمعية الثقافية الاجتماعية ، طوفان نوح : ١٤٣-١٤٧ .

٢ - ينظر : سفر التكوين من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ٢٦ .

الرأي جاء متأثراً بالاكتشافات الأثرية التي تخص الطوفان ^(١) . وهناك رأي آخر هو أن الطوفان لم يغط كل الأرض إنما أهلك جميع الأجزاء المسكونة بالبشر ^(٢) .

ثانياً: ذكر الطوفان في العهد الجديد

لا توجد في العهد الجديد قصة لحدث الطوفان بصورة مفصلة ، كما في سفر التكوين من العهد القديم ، إنما جاءت إشارات متفرقة في سياق الحديث عن نوح . نستعرض بعضاً منها كما ورد في الأناجيل ^(٣) :

١-إنجيل متى : ((وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ . لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُرْوَجُونَ ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحُ الْفُلْكَ)) (٣٧١٢٤-٣٨) .

٢-إنجيل بطرس : ((إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا ، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللَّهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ ، إِذْ كَانَ الْفُلْكَ يُبْنَى ، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ ، أَيُّ تَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ)) (٢٠١٣) .

٣- ((وَلَمْ يُسْفِقْ عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ ، بَلْ إِنَّمَا حَفِظَ نُوحًا تَامِنًا كَارِرًا لِلْبَرِّ ، إِذْ جَلَبَ طُوفَانًا عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ)) (٥١٢) .

١ - ينظر : ديريك كدندر ، التفسير الحديث للكتاب المقدس -العهد القديم - سفر التكوين : ٩٩ .

٢ - ينظر : سفر التكوين من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ٢٦ .

٣ - الكتاب المقدس ، العهد الجديد : إنجيل متى - أنجيل بطرس الأولى - بطرس الثانية .

المبحث الثالث : المعطيات القرآنية لحادثة الطوفان وانميازها عن الفكر

الأسطوري

خصوصية حدث الطوفان برواية القران الكريم

في هذا المبحث نتناول المصدر الثالث الذي يروي قصة الطوفان العظيم ، و هو القرآن الكريم لعقد الموازنة والتحليل بينه وبين ما سبق من مصادر ، فهو المصدر الحق الذي لم ولن تصله ايدي العابثين ، الذي يميظ اللثام عن حقائق طالتها ايدي التحريف والتزوير .

المطلب الأول : الرواية القرآنية لحدث الطوفان

أن القرآن الكريم يسجل لنا أهم الأحداث التي مرت على البشرية والتي كانت ذات تأثير مفصلي ، ومن هذه الأحداث التي كان لها صدىً واسعاً في أصقاع مختلفة من العالم هو حدث الطوفان ، وما ثبتت ذلك الرُّقْم الطينية الأثرية التي سجل عليها هذا الحدث ، أو التنقيبات الأثرية التي تثبت وقوع حدث الطوفان . والقرآن الكريم يروي لنا هذا الحدث أيضاً لكن من دون تحريف وتزييف ، فيصلنا إلى الحقيقة كما هي نافضاً عنها غبار الزمان وما علق عليها من اساطير وخرافات ، بالإضافة إلى الدروس والعبر التي نستقيها من ثنايا هذه القصة . تبدأ قصة الطوفان القرآنية بإرسال الله أحد أنبيائه وهو نوح (عليه السلام) إلى قومه الذي استشرى فيهم الفساد ، ليهديهم إلى طريق الصواب ، ولينذرهم حلول عذاب الله فيهم إن بقوا على ما هم عليه من الكفر والظلاله ، ويوعدهم إن آمنوا بالله تعالى و استغفروه سيرزقهم الله من رزقه الواسع ، ولم يؤمن بدعوة نوح (عليه السلام) إلا القليل من الفئة الضعيفة من قومه ، بعد أن أمضى في قومه سنين طوال يدعوهم إلى الايمان وينذرهم عذاب الله ، فما كان منهم إلا النكران والاستهزاء به وبأصحابه وتهديدهم إياه بالإيذاء ، وبعد أن يأس نوح من هدايتهم شكى أمره لله ، وأخبره

أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ مَوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ

﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ

ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ

مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ هود: ٢٥ - ٤٩. ومن أجل تحليل وموازنة الرواية

القرآنية مع الرواية الأسطورية والتوراتية ، لا بد من تحليل القصة إلى عناصرها الأساسية ليتسنى لنا معرفة ما إذا كانت فعلاً كما يزعم البعض مقتبسة من أصول اسطورية ام لا.

أولاً : شخصية نوح عليه السلام

أن القرآن الكريم لم يفصل في شخصية النبي نوح (عليه السلام) وأكتفى بالإشارة إلى الملامح العامة

لشخصيته ، فنوح (عليه السلام) هو النبي الثالث من الأنبياء المذكورين في القرآن بعد النبي آدم (عليه

السلام) ، جده الأكبر هو النبي إدريس (عليه السلام) ^(١) ، ونوح هو أول رسل أولي العزم الخمسة ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا

مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ الأحزاب: ٧. وهو الأب الثاني للنسل البشري الحاضر قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا

ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ الصافات: ٧٧ ، وهو أبو الأنبياء عدا آدم وإدريس (عليهما السلام) ، ورد ذكره في

٤٣ موضعاً في القرآن الكريم ، يشار فيها بشيءٍ من قصته بصورة مفصلة أو مجملة ، كما نزلت سورة

كاملة باسمه . ولا نجد استيفاءً للقصة على وفق المنهج التاريخي من خلال ذكر نسبه ومولده وولده

١ - ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٥٠٩١١١ .

وبيته وشغله ووفاته وكل ما يتعلق بحياته الشخصية ، ذلك لكون القرآن الكريم لم ينزل كتاب تاريخي إنما كتاب هداية وإرشاد (١) .

أ. تسميته : أما معنى أسم (نوح) هو من الإناخة بمعنى الإقامة والمكوث في الأرض . وأن القدماء في زمن نوح (ع) لم يعرفوا حرف (الخاء) ولفظوها (حاء) فنطق أسمه (نوح) بدل (نوخ) (٢). وهناك رأي آخر في بيان معنى أسم (نوح) هو أنه سمي نوحاً لكثرة نواحه لمدة خمسمائة سنة خوفاً من الله وحسرةً على ضلالة قومه (٣) .

ب. نسب نوح (عليه السلام) : لا يوجد ذكر لنسب نوح (عليه السلام) في القرآن الكريم سوى دعائه نوح لوالديه من دون ذكر الأسماء ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ ﴿٢٨﴾ نوح: ٢٨.

ثانياً : نوح (عليه السلام) مع قومه: كان الناس أمة واحدة على دين آدم (عليه السلام) التوحيد ، والناس بدأوا حياتهم على الأرض مسلمين ، ومن ثم جاء الكفر والشرك طارئاً فيما بعد . وهذه حقيقة إيمانية تاريخية تؤكدنا نصوص القرآن الكريم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ البقرة: ٢١٣ ، فالآية القرآنية تؤكد أن الناس كانوا على دين واحد وهو التوحيد ، ويريد بـ الناس هم الذين كانوا بين زمان آدم ونوح (عليهما السلام) ، وهم عشرة قرون حسب رأي البعض

١ - ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ١٤٩ . ينظر : محمد باقر

الحكيم ، القصص القرآني : ١٥٧-١٦١ .

٢ - ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٥٧١٤ . ينظر : منصور عبد الحكيم ، الطوفان : ٢٩ .

٣ - ينظر : اللوساني ، تواريخ الأنبياء : ٢٧ .

، فكلهم كانوا على شريعة واحدة وهي شريعة الحق ^(١) . فقد روي عن ابن عباس : ((كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)) ^(٢) .

وبعد أن شاع في زمن نوح الفساد في الأرض والابتعاد عن دين الله ، وغاب العدل الاجتماعي بين الناس وتباعدت الطبقات فساد الأقوياء على الضعفاء ، وضاعت الحقوق ، واقبلوا على عبادة الاصنام ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ﴿٢٣﴾ نوح: ٢٣

مشركين بالله الواحد الأحد ، أرسل الله اليهم نوحاً (عليه السلام) ، وابتدأ نوحاً دعوته إليهم بالايمان بالله الواحد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ المؤمنون: ٢٣ ، إلا أنهم قابلوه بالرفض فقالوا له ما أنت إلا بشرٌ مثلنا ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ

الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ المؤمنون: ٢٤ ، زاعمين أن الرسول ينبغي أن يكون من غير

جنس البشر ^(٣) . متهمين إياه بالضلالة ، وأنه منغمس فيها وجاء كلامهم على نحو التأكيد ^(٤) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٦٠﴾ الأعراف: ٦٠ ، إلا أن نوح (عليه السلام) استمر في دعوته بالرغم من كل ما يلقاه منهم من التكذيب والاذى يرغبهم بالإيمان بالله تعالى ، طالباً

منهم أن يستغفروا الله عما صدر منهم من الكفر والتكذيب ، فإن ذلك مدعاة إلى حلول رحمة الله بهم ^(٥) ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٦٠﴾ الأعراف: ٦٠ ، إلا أن نوح (عليه السلام) استمر في دعوته بالرغم من كل ما يلقاه منهم من التكذيب والاذى يرغبهم بالإيمان بالله تعالى ، طالباً

منهم أن يستغفروا الله عما صدر منهم من الكفر والتكذيب ، فإن ذلك مدعاة إلى حلول رحمة الله بهم ^(٥) ،

١ - ينظر : الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وأحداث : ١٦٠ . ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢٧٥١٤ .

٢ - السيوطي ، الدر المنثور : ٢٨٢١١ .

٣ - ينظر : السبزواري ، ارشاد الازهان إلى تفسير القرآن : ٢٣٣١٢ .

٤ - ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٩٠١٨ .

٥ - ينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٣٩٠١٢ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ نوح: ١٠ - ١٢ وهذا ما يشير إلى أنهم أصيبوا بالقحط والفاقة ،

وبالرغم من كل ذلك أصرّوا على الكفر بالله وتكذيب دعوة رسوله إليهم ^(١) . و يحذرهم مراراً وتكراراً من

حلول غضب الله عليهم جراء كفرهم وإصرارهم على الطغيان، إلا أنهم تهادوا في طغيانهم ، وهددوه بالرجم

إن استمر في دعوته قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْزُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ الشعراء: ١١٦ ،

وبعد أن سمع تهديدهم ووعدهم له ، وتماديهم في الكفر والطغيان على مدى سنين طوال من دعوته

وتنكيره لهم ومحاولته هدايتهم قال ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦١﴾ إِنَّكَ

إِنْ تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَعَفَّارًا ﴿٦٢﴾﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧ . وبهذا يعتبر انحراف قوم

نوح (عليه السلام) اول انحراف عقائدي على وجه الأرض والسبب في ذلك كما يقول الطبري في أن قوم

نوح كانوا قوماً صالحين ، وكان لهم أتباع يتبعونهم من الصالحين ، فلما ماتوا زين لهم الشيطان أن

يصنعوا لهم صوراً ليذكروهم ، وما أن انقضت السنين حتى زين الشيطان لمن جاء بعدهم أن اباؤهم كانوا

يعبدون هذه التماثيل المصورة ، ومن ذلك الحين انتشرت عبادة الأصنام والشرك بالله في قوم نوح (عليه

السلام) ^(٢) .

إذاً فالنص القرآني يشير إلى الأبعاد العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية لقوم نوح ^(٣):

١- فهم من الناحية العقائدية كانوا مشركين ، واتخذوا الأصنام أرباباً لهم .

٢- ومن الناحية الأخلاقية اتصفوا بالجهل وسوء الخلق والتكبر .

١ - ينظر : الطوسي ، التبيان : ١٣٥١١٠ .

٢ - ينظر : سامي المغلوث ، أطلس تاريخ الأنبياء والرسول : ٧٦ .

٣ - ينظر : الحكيم ، القصص القرآني : ١٥٨ .

٣- أما من الناحية السياسية كانوا يتبعون سادتهم أصحاب القوة والمال والأولاد .

٤- ومن الناحية الاجتماعية ارتكبوا الخطايا وأفسدوا في الأرض واستضعفوا الفقراء ومارسوا شتى

أنواع الظلم الطغيان ، فكان التميز الطبقي هو السائد.

ثالثاً: اليأس من هداية قومه وصنع السفينة

بعد انقضاء تلك المدة الزمنية الطويلة لنوح (عليه السلام) مع قومه وهو يدعوهم إلى الإيمان بالله

تعالى وينذرهم من حلول غضبه بهم ، وكل الوسائل التي اتبعها في سبيل إقناعهم برسالته ، لم يجيبوه إلا

بالتكذيب والسخرية والاستهزاء وتهديده وإلحاق الأذى به فيأس من إيمانهم ^(١) ، فقال تعبيراً عن يأسه

منهم ^(٢) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾ نوح: ٥ -

٦ بل كانوا يطلبون منه أنزال العذاب الذي يعدهم به وهو يوكل امر ذلك إلى الله تعالى ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا

يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هود: ٣٢

وهذه المجادلة بين نوح (عليه السلام) وقومه كانت آخر مجادلة لهم معه بعد أن سئموا وضجروا من

دعوته لهم طوال السنين الماضية ، فأرادوا طي هذا الجدل الدائر بينهم فطلبوا منه حلول العذاب الموعد

بهم أن كان حقاً من الصادقين ^(٣) ، فأوحى تعالى إلى نبيه نوح (عليه السلام) أن قومه لن يؤمنوا به

١ - ينظر : الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ١٧٩١١ . ينظر : ابن كثير ، تفسير

القرآن العظيم : ٤٢٤١٢ . ينظر : القاسمي ، محاسن التأويل : ٥٧٩١٣ .

٢ - ينظر : أبن عطية ، المحرر الوجيز : ٧٣١٥ . ينظر : البيضاوي ، انوار التنزيل واسرار التأويل :

٤٨١٥ .

٣ - ينظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٦٠١١٢ .

غير الفئة القليلة التي آمنت به ، فنجد أن نبي الله نوح (عليه السلام) بعد إخبار الله له يعبر عن يأسه في عدة مواقف (١) :

١- إعلان القطيعة والبراءة من قومه .

٢- الدعاء عليهم وطلب نزول العذاب بهم من قبل الله سبحانه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ

عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ نوح: ٢٦

٣- الاستعداد لنزول العذاب من خلال صنع سفينة بأمر الهي للنجاة من العذاب .

وقد أوحى الله إلى نوح (عليه السلام) بصنع الفلك للنجاة من العذاب الذي سيحل بقومه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ

بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ هود: ٣٦ - ٣٧ ، فأخذ نوح (عليه

السلام) بصناعة السفينة بتسديد وعناية من قبل الله تعالى ، لأن نوح (عليه السلام) لم يكن يملك الخبرة

في تصميم السفينة أو حتى لم يكن يملك تصوراً حول وظيفة السفينة وحجمها وعن طبيعة الطوفان

المرتقب ، لهذا يقول له الله (اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) ، فالعملية كانت تتم بوحي وتوجيه منه تعالى

لنبيه ، ولهذا كان تصميم هذه السفينة بطريقة تتلائم مع حاجة نبي الله نوح لعملية إنقاذ الثلاثة المؤمنة معه

وما يحمله من حيوانات أمر بأخذها معه ، والتي كانت ضمن البيئة الجغرافية لمكان تواجد قوم نوح (٢) .

وكان قومه كلما مروا عليه سخروا مما يعمل ، ويبدو من ردة فعلهم الساخرة من نوح (عليه السلام) أن

١ - ينظر : الحكيم ، القصص القرآني : ١٦٥ .

٢ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ١٣٥ .

المنطقة التي كانوا يعيشون فيها فلاة لا يوجد فيها نهر أو بحر^(١) ، أو أن حجم السفينة وهيئتها تختلف عما هو شائع لديهم فكانوا لا يرون أي تفسير لما يقوم به نوح من صنع سفينة ، مما أثار ذلك فيهم السخرية والتعجب والاستغراب ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُونَ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ٣٨ هود: ، فالنص يشير إلى إن مقابل سخرتهم هذه من نوح (عليه السلام) كان يذكرهم بأن الدوائر ستدور بهم وسيصير الحال لهم من السخرية بعد حلول الطوفان بهم^(٢) . أما تفاصيل هذه السفينة من أبعادها و عدد الطوابق وتفاصيل عملية صنعها فلم يرد بيان ذلك من القرآن غير ما سبق بيانه ، ويورد العلماء والمفسرين بعض الأخبار والتفاصيل حول ذلك ونجد أن أغلبها متأثراً بما جاء في القصة التوراتية مثل ، كونها من اربعة طوابق ، وطولها ثمانين ذراعاً وعرضها ستون ذراعاً ، وكونها مطلية بالقار^(٣) ، وهذا يكشف تأثر بعض من الصحابة والتابعين بالمعلومات التي وصلتهم من أهل الكتاب حول قصة الطوفان^(٤) . وكما رأينا في النصوص الأسطورية والتوراتية إن صناعة السفينة تم بأمر إلهي وهذا يشير إلى أن هذه السفينة لم تكن بمواصفات السفن التي ألفوها ، فهي صنعت بمواصفات تستطيع أن تصمد أمام طوفان عظيم^(٥) .

١ - وهذا بحسب تصور بعض المفسرين أمثال ابن عطية و ابن الجوزي وغيرهم من المفسرين ، إلا أن مثل هذا التفسير لتفاصيل بيئة النبي نوح وتفاصيل بناء السفينة يبقى أغلبها افتراضات أصحابها لا يمكن القطع بها لعدم وجود نصوص قرآنية صريحة بها . أما عن كون بيئة نوح عليه السلام كانت خالية من الأنهار أو البحار فحسب المعطيات المتوافرة هذا رأي غير صحيحة كما سنوضح ذلك في الموضوعات اللاحقة التي نتحدث عن عصره وبيئته وطبيعة الطوفان ، وكان إيراد اقوال المفسرين على سبيل بيان كيفية تأثر فهم القصة وما يثار حولها من ادعاءات بتفسير المفسرين .

٢ - ينظر : ابن عطية ، المحرر الوجيز : ١٠٧١٣ . ينظر : ابن الجوزي ، زاد المسير : ١٢ ٢٧٢ .

٣ - ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ الأنبياء : ٤٥ .

٤ - ينظر : محمد باقر الحكيم ، القصص القرآني : ١٧٢ .

٥ - ينظر : صلاح أبو السعود ، قصة الطوفان في النصوص الأسطورية والتوراتية والقرآنية : ١٦٤ .

رابعاً: بدء الطوفان

وضع الله سبحانه علامة تنذر بقرب حلول الغضب الإلهي ، وهذه العلامة هي فوران التنور ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ كَبِيعَةً لِنَجِّيكَ بِهَا وَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَسَوْفَ نُجْزِيهِمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ وَوَحَيْنَا فِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَ أَهْلَهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَ فَأَكْفُرُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذْنَا مِيثَاقَ فِرْعَوْنَ وَسَخَّرْنَا مَلَائِكَتَنَا عَلَيْهِ فَوَلَّاهُ مَتَرًا وَمَتَرًا كَثِيرًا ۖ وَجَعَلْنَا نَارَ السُّورِ فَتَلَوُّوا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۗ وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرَفُونَ

﴿ ٢٧ ﴾ المؤمنون: ٢٧ ، فكان فوران التنور هو العلامة الفارقة التي تنبأ بوقوع الطوفان ، والتنور يراد به تنور الخبز المعروف ، قيل أنه كان في بيت نوح (عليه السلام) فأستدل من فوران الماء منه أن وقت العذاب قد حان ، وقيل أن التنور يقع في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كنده ، فهو الموضع الذي بنى فيه نوح سفينته وسط المسجد ، وكان وقت فورانه مع طلوع الفجر (١) ، وقيل غير ذلك يراد به وجه الأرض وأعلاها ، ومنهم من يفسر الآية تفسيراً إعجازياً علمياً ويرى إنَّ المراد هو فوران البركان وخروج بخار الماء منه بقوة وكميات كبيرة وارتفاعه إلى طبقات الجو العليا مكوناً السحب الماطرة ثم عودته من جديد إلى الأرض على هيئة امطار غزيرة تحولت إلى سيول عارمة اغرقت الارض . وعندما يفور التنور على نوح (عليه السلام) أن يحمل من كل أنواع الاحياء زوجين زوجين ، إضافة إلى

١ - ينظر : السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالأثور : ٤٢٢١٤ . ينظر: الزمخشري ، الكشاف : ٨٣١٣ . ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ٧٢١٢٣ . ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح عليه السلام في القرآن والاساطير القديمة : ٨٩ . ينظر : الحكيم ، القصص القرآني : ١٦٧ . ينظر : الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل احداث : ١٨٠١١ . عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ((إن نوحاً . صلى الله عليه . لما فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربه في إهلاك قومه أن يفور التنور ففار ، فقالت امرأته : إن التنور قد فار ، فقام إليه فختمه ، فقام الماء ، وأدخل من أراد أن يدخل ، وأخرج من أراد أن يخرج ، ثم جاء إلى خاتمه فنزعه ، يقول الله عزوجل : (فَفَقَّنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍ [٢] وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) قال : «وكان نجرها في وسط مسجدكم ، ولقد نقص عن زرعه سبعمائة ذراع)) . الكليني ، أصول الكافي : ٦٤١١٥ .

أهل بيته ممن آمن ، عدا من سبق عليهم القول في إهلاكهم كزوجته الكافرة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَاتٌ نُّوجٌ وَأُمْرَاتٌ لُّوطٍ ﴾ التحريم: ١٠ ، ومن آمن من قومه ، وطلب من تعالى أن لا يخاطبه في الكافرين (وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ) المؤمنون: ٢٧ (١) .

وبعد أن تبين لنوح (عليه السلام) أن موعد العذاب قد حان من خلال علامة فوران التتور ، وحمل ما حمل في السفينة ، انفتحت أبواب السماء بالمطر الغزير (منهمر) تعبيراً عن مدى غزارة المطر ، وتفجرت ينابيع الأرض ، والتقى ماء السماء بماء الأرض فتشكل طوفان عظيم اغرق كل ما موجود (٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ الْقَمَر: ١١ - ١٢ ، ومن بعد أن يستوي نوح (عليه السلام) ومن معه على السفينة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّتَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٨ ، يأمر الله بالحمد والشكر لنجاته من قومه الظالمين ، كما قال تعالى: ﴿ * وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمَرْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ هود: ٤١ ، فيذكر الله تعالى عند ابتداء رحلة نجات المؤمنين وهلاك الكافرين (٣) .

خامساً : الناجون والمغرقون (انتهاء حدث الطوفان) :

أختلف المؤرخون الإسلاميون في عدد الناجين الذين ركبوا السفينة ، فمنهم من ذهب إلى أنهم (٨٠) شخصاً (٤)، وهناك رأي يقول أنهم (٧٢) شخصاً ، ورأي آخر يقول أنهم (١٣) ، وآخر يذهب إلى أنهم

١ - ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٤٨١٥ .

٢ - ينظر : الطوسي ، التبيان : ٤٨٨١٩ .

٣ - ينظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير : ٤١٢١٥ .

٤ - ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ٢٣١٣ .

(١٠) فقط ، ورأي خامس يقول أنهم كانوا(٨) فقط نوح وامرأته وبنوه الثلاثة وزوجاتهم^(١) ، و رأي سادس

وأخير يقول أنهم (٧) فقط^(٢) . هذا فيما يخص عدد الناجين عند المؤرخين وأصحاب التفاسير ، أما

القصة القرآنية تشير بصريح الآيات إلى الناجين وهم نوح وذريته وأهله وآخرون ممن كانوا معه على الفلك

وكلهم من الفئة المؤمنة القليلة ، من دون الإشارة إلى عددهم أو شخصهم وبقية تفاصيلهم ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْتِي وَمَنِ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأُنجِيَنَّهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ

﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ الشعراء: ١١٨ - ١٢٠ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

الصفات: ٧٧ ، وأغرق الباقين من الكافرين^(٣) ، وكان من ضمنهم زوجته و ابنه ، فالقصة القرآنية تشير

إلى أن زوجة نوح (عليه السلام) كانت من الكافرين وكانت ضمن عداد الهالكين في الطوفان،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

١ - لا يوجد ذكر لأهل بيت نوح (عليه السلام) في القرآن غير زوجته وابنه الهالكين في الطوفان ، وأن

اغلب الآراء التي حددت عدد الناجين وأبناء نوح هي في الأصل تعتمد على روايات من الاسرائيليات ، فهذا

الرأي على سبيل المثال غير صحيح بدليل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ

ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ **مریم: ٥٨**، يتبين من الآية أن الذين نجوا مع نوح ليسوا فقط

زوجته وابناءه وزوجاتهم بدليل قوله تعالى : (وممن حملنا) لو كانوا فقط ذرية نوح عليه السلام لقال : (ذرية

نوح) ، وأيضاً يمكن ان يتبين ذلك من خلال أن الأنبياء بعضهم (من ذرية من حمل مع نوح) ، وليس من

ذريته مباشرة . وكذلك نجد في قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ **الإسراء: ٣٠** . ينظر : جمعية

التجديد الثقافية الإسلامية ، طوفان نوح : ٨٢ . ينظر : السمرقندي ، بحر العلوم : ٣٠٠١٢ .

٢ - ينظر : ابن الكثير ، البداية والنهاية : ١١١-١١٢ . ينظر : الفيومي ، دراسة في قصة الطوفان بين

الاثار والكتب المقدسة : ٤٣٢ . ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح عليه السلام في القرآن والاساطير القديمة :

٩٥ .

٣ - ينظر ، المظهري ، التفسير المظهري : ٧٦١٦ . ينظر : أبن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٦٤١١٩ .

ينظر : جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية ، الطوفان : ٨٠ .

صَلِحِينَ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ التحريم:

١٠، ولا يراد بالخيانة هنا البغي ، فإن ذلك لا يصدر من زوجات الأنبياء إنما يراد أنهما كانتا على غير

دين زوجيهما ، وزوجة نوح بالرغم من كونها زوجة نبي من أنبياء الله إلا أن ذلك لم يشفع لها في النجاة

من عقاب الله الذي حل بالكافرين (١) . والقصة القرآنية لحدث الطوفان أيضاً تذكر إن ابن نوح (عليه

السلام) كان من الكافرين وقد هلك بالطوفان قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ

مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ سَاءَ وِئَامٌ عَلَى الْمُجْرِمِينَ أَمْرٌ لَّهُمْ لَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

إِلَّا مَنْ رَحِمْنَا وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٥٣﴾ هود: ٤٢ - ٤٣ ، فعندما نادى نوح (عليه

السلام) ابنه عند حدوث الطوفان للركوب في السفينة للنجاة ولا يكون مع الكافرين الهالكين ، أبا هو واران

أن يلتجأ إلى الجبل للنجاة ، إلا أن نوحاً أخبره لا عاصم اليوم من الطوفان ، إلا من رحمهم الله ، أي

المؤمنين ، فأبى واستكبر وكان من الهالكين بالطوفان (٢) . وأن نوح (عليه السلام) لم يكن يعلم أن ابنه

يبطن الكفر مثل زوجته ، فكان غرقه امراً مفاجئاً لنوح ، فلو كان يعلم لما تفاجأ وهو القائل : قَالَ تَعَالَى: ﴿

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

كَفَّارًا ﴿٦٢﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧ ، و أن نوح (عليه السلام) عندما نادى الله في شأن ابنه اثناء غرقه ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٦١﴾

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْمَعَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْشَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ

١ - ينظر : البغوي ، تفسير البغوي : ٢٣١٥ . ينظر : الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل

أحداث : ١٨١١١ .

٢ - ينظر : الكاشاني ، زبدة التفسير : ٢٧٩١٣ .

أَجْهَلِينَ ﴿٤٦﴾ هود: ٤٥ - ٤٦ ، لم يكن يعلم كفره ، قائلاً : ربي أن ابني من أهلي ، وقد وعدتني بإنجاء أهلي ، فجاءه الرد الإلهي بـ (أنه ليس من أهلك)، ولا تسأل عما لا علم لك به ، فعند ذلك اتضح الأمر له قائلاً (١) : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ هود: ٤٧.

إذاً و الداخلون في السفينة هم ثلاثة أصناف حسب تصريح القرآن الكريم (٢):

- من كل زوجين من الحيوانات اثنين .
- وأهلك إلا من سبق عليه القول (زوجته + ابنه).
- ومن آمن ، وما آمن معه إلا القليل (أتباع نوح) .

و النص القرآني لم يذكر أي تفاصيل عن عائلة نوح غير زوجته وابنه الهالكين خلافاً للنص التوراتي الذي يفصل في ذكر أبنائه. ويذكر العلماء والمفسرون اخباراً عن نوح (عليه السلام) وأهله ، لا تخلو من التأثير بأهل الكتب . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ هود: ٤٤ ، بعد أن أهلك الله الكافرين بالطوفان وتم عذابه الموعود بحقهم ، أمر الله الأرض : (يا ارض ابلعي) ، أي أنشفي ماءك الذي نبعث به العيون ، واشربي ماءك حتى لا يبقى على وجهك شيء منه في أوجز مدة ، ولفظ (ابلعي) وصيغة الأمر الذي وردت فيه يدل على سرعة ابتلاع الماء من الأرض . وأمر الله السماء على نحو السرعة بالانقطاع عن المطر (٣) . وهذه الأوامر السريعة صدرت من الله بعد أن قضى الأمر بهلاك الكافرين ، ونجاة نوح (عليه

١ - ينظر : الحكيم ، القصص القرآني : ١٦٩ .

٢ - ينظر : رشيد البدرابي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ١٠٢١١ .

٣ - ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٨١١٥ . ينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٣٩٨١٢ .

السلام) ومن معه . (واستوت على الجودي) الجودي هو الجبل الذي استقرت السفينة عليه ، واختلف العلماء والمفسرون في تحديد مكانه ، فقيل أنه جبل يقع في مدينة الموصل من ضمن سلسلة جبال تنتهي إلى أرض أرمينية وهي التي تسمى (آارات) . وقيل أنه في الشام ، وقيل أنه في آمل (١) ، وقيل أن الجودي اسم لكل جبل ، أي أن السفينة استقرت على جبل ما . وبما أن القرآن الكريم لم يحدد مكان الجبل الذي رست فيه السفينة ، تبقى هذه الأقوال مجرد اجتهاد من أصحابها (٢) . و لم يتعرض النص القرآني إلى مدة الطوفان كم يوم أو ساعة استمر لان ذلك لا يؤثر في القيمة الإيمانية المرادة من القصة ، فكان يكفي بقاء الماء بضع ساعات أو حتى لبضعة دقائق لتموت الفئة الكافرة ، إلا أنه بعد توقف مطر السماء وتفجر عيون الأرض ، تختلف مدة جفاف الأرض من مكان لآخر حسب ارتفاعها ، وحسب كمية المياه الموجودة فيها ، فمثلاً قم الجبال تجف قبل الوديان وهكذا (٣) . إذاً فبطل الطوفان القرآني مرت حياته بثلاث محطات : الأولى هي : من ولادته حتى تكليفه ، وهذه لم يتحدث القرآن عنها بشيء . والمحطة الثانية : تبدأ من تكليفه بالرسالة حتى انتهاء الطوفان ، وهذه صرح القرآن عن الكثير من تفاصيلها في سور عديدة ، وهي مدة الألف سنة إلا خمسين .

أما المحطة الأخيرة : فهي حياة نوح وقومه بعد الطوفان أيضاً ولم يصرح فيها القرآن بشيء منها .

١ - ينظر : الطباطبائي ، الميزان ف تفسير القرآن : ٢٣٠١١٠ . ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٦١٣ .

٢ - ينظر : صلاح أبو السعود ، قصة الطوفان في النصوص الأسطورية والتوراة والقرآن : ١٨٢ .

٣ - ينظر : البدرابي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ١٠٨١١ .

المطلب الثاني : موقع الطوفان وحدوده

أولاً : جغرافية الطوفان

عند مراجعة المصادر التاريخية والإسلامية نجد الآراء مختلفة حول مكان تواجد نوح (عليه السلام) وقومه أي المكان الذي وقع فيه الطوفان ، وهذا التباين في الآراء يعود لعدم وجود نص قرآني صريح يبين مكان الحدث أو تواجد نبي الله نوح ، لهذا يعتمد الكثير من العلماء المسلمين إلى معرفة مكان الحدث استناداً إلى تحليل النصوص القرآنية التي تتحدث عن قصة الطوفان بغية معرفة مكانه أو طبيعة البيئة التي سكنها نوح مع قومه ، فكل فسر النصوص بطريقة تُوصِل لنتائج مختلفة ، في حين أنّ المعاصرين استعانوا بالمكتشفات الأثرية إضافة للنصوص القرآنية في تحديد مكان الحدث .،

إنّ الرأي السائد والمعروف يقول إنّ العراق هو موطن النبي نوح (عليه السلام) ^(١) ، وهو المكان الذي وقع فيه حدث الطوفان . وذهب آخرون إلى أن الطوفان وقع في الهند ، ورأي آخر يقول إنّه حدث بالطائف في جزيرة العرب ^(٢) ، وبالطبع لكل أدلته التي استند إليها . وما يعيننا في هذا البحث هو الرأي القائل بأن العراق هو موطن النبي نوح (عليه السلام) والمكان الذي وقع فيه الطوفان لارتباط هذا الرأي بدراستنا للأساطير الرافدينية التي دُوّنَ عليها قصة الطوفان وعلى اعتبارها المرجع الأول الذي يروي قصة الطوفان العظيم ، إضافة إلى أن هذا الرأي هو الأرجح والأكثر صواباً .

فمن خلال تحليل النصوص القرآنية ، ومزج هذا التحليل ومقارنته مع الحفريات والمكتشفات الأثرية يمكن جمع صورة قريبة عن عصره ومجتمعه ومكان تواجده ، فمن خلال التفاصيل التي سلط القرآن

^١ - ينظر : المغلوث ، أطلس تاريخ الأنبياء والرسول : ٥٧.

^٢ - ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح في القرآن والاساطير القديمة : ٤٩-٥٠.

الضوء عليها توصلنا لملاحم تعطي صورةً عن طبيعة مجتمع نوح (عليه السلام) وكونه يعد أقدم مجتمع بشري استشرى فيه الانحراف العقائدي والأخلاقي . والبيئة التي عاش فيها نوح (عليه السلام) وقومه يمكن تصورها على أنها بيئة خصبة فيها من البساتين والمزارع على مقربة من ضفاف الأنهار ، لأن الله سبحانه وتعالى عندما أمر بصناعة السفينة لم يكن الامر غريباً عليه ، ولا خارج عن إمكانياته وتصوراته. وأيضاً يشير النص القرآني أن بيئته اشتملت على المرتفعات أو الهضاب مع السهول ، فقد ذكر تعالى حكاية عن نوح عندما أشار إلى ابنه بركوب السفينة للنجاة من الغرق قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ هود: ٤٣ ، ولا يراد هنا بالجبل التل البسيط ذلك لأن ابن نوح وفي أثناء حدوث الطوفان وهوله العظيم أراد أن يعتصم بالجبل ، ولو كان تلاً بسيطاً كما يزعم البعض ، لما كان يعطي هذا الشعور بالأمان وأنه من الممكن النجاة من هول الطوفان العظيم من خلال اللجوء إليه .

والعراق سابقاً كان يمثل وحدة جغرافية مع كل من بلاد الشام والجزيرة العربية ، ولذا إن وجود النبي نوح وتأثيره وصل لتلك المناطق وتشكلت وحدة عقائدية وفكرية ، فالحديث عن العراق يعني الحديث عن هذه المنطقة . وهذه المسألة يمكن التعرف عليها بصورة أكثر تفصيلاً ، فعندما نقرأ قوله تعالى في وصف نوح لقومه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالُهُ وَّوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَْعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾ نوح: ٢١ - ٢٤ ، نجد نكراً لأسماء بعض من هذه الأصنام التي عبدها قوم نوح مثل (ودا) في الشعر الجاهلي كما في قول الحطيئة : فحياك ودا ما هداك لفتيه .. . و (سواع) الذي نقل أن هذيلاً عبده (١). وهكذا نجد إن أصنام قوم نوح قد فرضت تأثيرها على بلاد العرب

^١ - ينظر : د. عبد الرحمن نصرت ، الواقع والاسطورة في شعر ذؤيب الهذلي الجاهلي : ١٢٩-١٣٠.

(١) . إذًا فالمنطقة التي سكنها بطل الطوفان نبي الله نوح (عليه السلام) والمكان الذي وقع فيه الطوفان هو العراق ومناطق بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ، وعموماً تبقى كلها فرضيات ممكن أن تحمل الخطأ بنسبة متفاوتة ولا يمكن الجزم بالحقائق هذه التي لم يرد فيها نص قرآني ، وما توصل إليه من حقائق كانت من خلال الرجوع الى تحليل النصوص القرآنية والمقارنة مع ما توصل إليه الأركيولوجيون من شواهد أثرية عن الطوفان سبق و أن تم بيانها في مواضع مختلفة من الفصل هذا .

ثانياً : عالمية الطوفان أم محدوديته :

تباينت الآراء حول حدث الطوفان الوارد ذكره في القرآن الكريم ما بين الرأي القائل بعالميته ، وما بين الرأي القائل بمحدوديته ضمن رقعة جغرافية معينة :

الرأي الأول : إنَّ الطوفان كان محدوداً ضمن رقعة جغرافية معينة :

يرى القائلين بمحلية الطوفان ، إنَّ حدث الطوفان الوارد ذكره في القرآن الكريم على ما يتبين من خلال النصوص القرآنية أنه كان محدوداً جغرافياً ، ولم يكن عالمياً ، إنَّ الطوفان ما كان إلا عقوبةً من الله على القوم الكافرين الذين أنكروا الوحي الإلهي وأمره ، بدليل أن نوح (عليه السلام) كان مرسلاً إلى قومه لا إلى كل البشر في عصره ، كما يصرح القرآن بذلك : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ الأعراف: ٥٩ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ العنكبوت: ١٤ ، ولم يرسل الله تعالى رسولاً إلى كافة البشرية غير النبي الأكرم محمد

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٩٥-٩٧ . ينظر : المصدر السابق : ١٣٠ .

(صلى الله عليه واله وسلم) ^(١) ، فهو القائل : ((كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة)) ^(٢) ،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١٧) ﴿ الأنبياء: ١٠٧ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ: ٢٨ ، ولا يوجد نص قرآني صريح يشير إلى أن الطوفان كان
 خاصاً بقوم نوح إلا أن أصحاب هذا الرأي استندوا إلى النصوص القرآنية التي تصرح بأن الأنبياء يرسلون
 إلى أقوامهم الخاصة وليس إلى كافة الناس عدا الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ النحل: ٣٦ ، والدليل الآخر الذي استدل به أصحاب رأي محلية
 طوفان نوح (عليه السلام) هو ما نقرأه في قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ
 فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
 مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٢٧) ﴿ المؤمنون: ٢٧ ، فالنص القرآني يشير بوضوح إلى أن الله تعالى طلب من نوح (عليه
 السلام) ما أن يرى فوران التنور أن يحمل في سفينته من كل الحيوانات الموجودة على الأرض التي
 يعيش عليها هو وقومه زوجين اثنين ، ولا يقصد من كل أصناف الحيوانات الموجودة على الكرة الارضية
 برمتها ، وذلك لان عددها يصل إلى الملايين ، وبعضها ذات احجام كبيرة ، و هنالك أصناف من
 الحيوانات لا تستطيع العيش إلا في بيئتها الخاصة ، كأن تكون باردة أو حارة ، وكذلك أن ذلك يتطلب
 وقتاً طويلاً للغاية في جمع ملايين الأصناف من الحيوانات وتهيأة المكان المناسب لها في السفينة ، و
 تخزين الكميات الكبيرة من الطعام والماء لها ، إضافةً إلى أن ذلك يتطلب العدد الكبير من الأشخاص
 للقيام بكل ذلك ، وكما نقرأ في صريح القرآن الكريم أن أصحاب نوح (عليه السلام) المؤمنين قليل جداً

١ - ينظر : سامي عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الاركيولوجي : ٤٥٩ .

٢ - البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الصلاة : ٤٢٧ . مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد مواضع
 الصلاة : ٨١٥ .

(١) . والنقطة الأهم في هذا المورد أننا نقرأ في الآيات القرآنية التي تصف حلول الطوفان : (فَإِذَا جَاءَ

أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ

قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴿ هود: ٤٠ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴿ القمر:

١٠ - ١٢ . نلاحظ سرعة جريان الأحداث ، فلا يمكن مع هذه السرعة والعجلة أن ينصرف نوح (عليه

السلام) إلى البحث وجمع أصناف الحيوانات ووضعها في السفينة من أصقاع مختلفة ، ولم يرد أي نص

قرآني عن انصراف نوح (عليه السلام) إلى جمع الحيوانات ، إلا أن الأقرب إلى المنطق أن الحيوانات

التي حملها نوح (عليه السلام) على السفينة كانت متواجدة في بيئته ومحيط قومه ، مما يشير ذلك أن

الطوفان كان محدوداً (٢) . فكل هذه الدلائل تشير إلى أن طوفان نوح (عليه السلام) كان محصوراً ضمن

رقعة جغرافية معينة ، ومنحصراً في قومه الكافرين ، فغرق جميع الأرض ومن عليها من بشر وحيوانات

يستلزم أن تكون دعوة نوح (عليه السلام) دعوة عالمية (٣) . إذاً فدعوة نوح شملت قومه فقط ، والطوفان

أصاب قومه الكافرين فقط ، فلا يعقل أن يغرق الله أقواماً من دون أن يرسل لهم الأنبياء والرسل ، أو

أقواماً لربما كانت على ملة التوحيد ، فلا بد أن نأخذ بعين الاعتبار أن الفترة بين نبي الله آدم ونوح

(عليهما السلام) قرابة العشرة قرون ، كلها كانت على التوحيد ومن ثم جاءت عبادة الأصنام في عهد نوح

(عليه السلام) . وكذلك لا يعقل أن يكون هناك أقواماً يعبدون غير الله ، ولم يرسل الله لهم الأنبياء والرسل

لهدائيتهم (٤) ، ومن ثم يأخذهم العذاب فهذا مخالف لما جاء في كتاب الله ، ولمبدأ العدل الإلهي .

١ - ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح عليه السلام في القرآن والاساطير القديمة : ١٣٦-١٣٧ .

٢ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ١٣٦ .

٣ - ينظر : المصدر السابق : ١٣٧ .

٤ - ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح : ١٣٩ .

الرأي الثاني : حدث الطوفان عالمي :

والرغم من عدم وجود نص قرآني يصرح بأن الغرق بالطوفان قد عم جميع أهل الأرض ، إلا أن جماعة من العلماء قالوا بهذا ، مستندين في ذلك إلى ظاهر بعض النصوص القرآنية ، فهم يرون أنه لم يبق مع نوح (عليه السلام) إلا من كان معه في السفينة ، وعلى هذا جميع البشر اليوم هم من ذريته ، وإنَّ عدد البشر في عهد نوح ليس بالكثير لقرب عهده من عهد آدم (عليه السلام) ، وكذلك أن دعوته أستمريت لمدة زمنية طويلة لهذا شملتهم جميعاً ، وعلى هذا فالطوفان شمل كل من كان في الأرض آنذاك من الكافرين (١) .

ومن النصوص القرآنية التي احتجوا بها على عالمية الطوفان (٢) :

١- قول نوح (عليه السلام) في دعوته على قومه كما قال تعالى عنه ، ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ﴿٢٦﴾ نوح: ٢٦ ، فلا يعني بذلك الأرض كلها إنما كان المقصود الأرض التي يسكنها هو وقومه ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَقِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ المائدة: ٣١ وأيضاً قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ يونس: ٨٣ ، فالغراب لم يحفر في كل الأرض ، إنما في المكان الذي كان فيه . وأن فرعون لم يكن طاغياً في أرجاء الأرض كلها إنما في مصر (٣) ، أو الأرض التي كانت تحت نفوذه ،

١ - ينظر : الزحيلي ، التفسير الوسيط : ٧٧١٣ .

٢ - ينظر : البدرائي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ١١١١١ .

٣ - ينظر : السمرقندي ، بحر العلوم : ٢٨١٢ .

وكذلك قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يوسف: ٢١ ، فالمراد بالأرض هنا ، أرض مصر (١).

٢- كما سبق أن أشرنا إلى أن المفسرين الذين قالوا بعالمية الطوفان استندوا إلى مجموعة من النصوص القرآنية ، وتدرجت أدلتهم ما بين المباشرة وغير المباشرة ، منها ما ذهب إليه صاحب تفسير الميزان من القول بعالمية حدث الطوفان بالاستناد إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ العنكبوت: ١٤ ليثبت من خلال ذلك أن دعوة نوح (عليه السلام) كانت عالمية لأنه من الأنبياء أولي العزم وكانت دعوتهم عالمية فيذكر : ((أن نوحاً (ع) أول أولي العزم ، أرسله الله إلى عامة البشر بكتابة وشريعة .. وهو الأب الثاني للنسل الحاضر من الإنسان إليه ينتهي أنسابهم والجميع من ذريته)) (٢) ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (٧٧) الصافات: ٧٧ ، ويؤكد الطباطبائي على أن الامامية يؤمنون بعالمية رسالة نوح (عليه السلام) وبالتالي بعالمية حدث الطوفان ، بدليل أن نوح (ع) من الرسل أولي العزم وهم مبعوثون إلى كافة البشر ، وله كتاباً وهو المشتمل على شريعته مستنداً إلى قول الامام الرضا (عليه السلام) : إن الأنبياء أولي العزم خمسة لكل منهم شريعة وكتاب ونبوتهم عامة لجميع من سواهم نبياً أو غير نبي (٣) . في حين يذكر الطباطبائي أن مفسري أهل السنة الذين قالوا بعالمية الطوفان استندوا إلى ظواهر الآيات كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (٧٧) الصافات: ٧٧ (٤) .

١ - ينظر : القشيري ، لطائف الإشارات : ٧٦١٢.

٢ - الطباطبائي : ٢٥١١١ .

٣ - ينظر : الطباطبائي ، الميزان : ٢٥٢١١٠.

٤ - ينظر : جمعية التجديد والثقافة الاجتماعية ، طوفان نوح : ١٣٢-١٣٤.

٣- واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ تَرْتُّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ۞

الشعراء: ١١٩ - ١٢٠ ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ۞ الصافات: ٧٧

وفيها اقوال : الأول : لم يكن في السفينة غير ذرية نوح (عليه السلام) فهم الناجين فقط من الطوفان .
الثاني : أن الخلق كلهم ماتوا بعد الطوفان ، وكل الذين تولدوا كانوا من نسل نوح فقط ^(١) . فلا توجد في هذه الآية القرآنية إشارة على أن الطوفان عم كل الأرض وأهلك كل من عليها عدا أهل السفينة ، ولعل المراد من ذريته هم الباقين أي من قومه لا من جميع البشر ، وإن الآيتان هنا لا تدلان على هلاك جميع أهل الأرض بالطوفان ، إنما إلى نجاة نوح (عليه السلام) ومن كان معه في السفينة ، وهلاك قومه الكافرين بالطوفان ^(٢) . و من اعتقد بشمولية الطوفان فقد اضطر أن يفترض إنَّ البشر كل سكنوا العراق في ذلك الوقت ، وكلهم من ضمن قوم نوح ^(٣) (عليه السلام) وجميعهم عدا ركاب السفينة أبيدوا بفعل

١ - ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ٦١١٨-٧ . وقد فسرت مجموعة من المفسرين هذه الآية بأن كل أجيال البشر التي أتت بعد نوح (عليه السلام) هي من ذريته . وقد نقل الكثير من المؤرخين بقاء ثلاثة أولاد من ذرية نوح (عليه السلام) هم (سام) و (حام) و (يافت) بعد الطوفان ، وأن وكل القوميات الموجودة اليوم على الكرة الأرضية تنتهي إليهم . ينظر : الشيرازي ، تفسير الأمل : ٣٤١١٤ .

٢ - ينظر : البدرابي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ١١١-١١٣ . ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح عليه السلام في القرآن والاساطير القديمة : ١٤٠ .

٣ - يستند القائلين بهذا الرأي بقوله : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّرُ سَمِعْتَهُمْ تَرْتُّ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ۞ هود: ٤٨ ، فالآية هنا تشير إلى وجود أمم مع نوح (عليه السلام) ، وقد تباينت آراء المفسرين إزاء تفسير المقصود من قوله : (أمم ممن معك) : فمنهم من حمله على أولئك الاقوام الذين نجوا معه وجعلهم أمماً وجماعات ، لأنه في ذلك الوقت لم يكن هنالك أية أقوام أخرى في الأرض غير قوم نوح ، ولهذا السبب جعلهم أمماً . ومنهم من قال : أن المراد كل من ملك ولداً ونسلاً ، والدليل على ذلك لم يكن معه الا القلة من المؤمنين . ومنهم من قال أن المراد هو مجموع الحاضرين ومن سيولدون بعد ذلك . والرأي الراجح هو الثاني . و الكثير من المفسرين ذهبوا إلى القول بعالمية الطوفان

الطوفان ، وأول دليل على عدم صحة هذه الفرضية هو الآثار المكتشفة في العراق وفي أماكن آخر تعود إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، أي قبل الطوفان بالفي سنة ، ولو أن كل الأرض أصابها طوفان دمر كل ما عليها لما بقي أي أثر لتلك الآثار التي تكتشف على نحو مستمر عند نوبان الجليد وجفاف الأنهار أو في الكهوف والمغارات والاهرامات والتلال من مدن كاملة أو أدوات وجرار واثاث مرتبة في أماكنها أو هياكل عظمية محفوظة بصورة جيدة تحفها الأجواء الطقسية من نباتات وأدوات ، والتي أكتشف العلم الحديث أن تاريخها يعود لآلاف السنوات قبل الطوفان ، فهذه الآثار تدحض عالمية الطوفان ، فلو كان عالمياً لجرف ودمر تلك الآثار وما بقي لها أثر (١) (٢).

منهم : فخر الدين الرازي ، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) : ٣٦٠١١٨ . الشيرازي ، مختصر الأمثل : ٣٩٧١٢ .

١ - ينظر : جمعية التجديد والثقافة الاجتماعية ، طوفان نوح : ١١١ .
٢ - أما تفسير الماديين للطوفان فهو: هنالك اتجاه معاصر يتبناه أصحاب الفكر الحداثي المادي الذين يحاولون إرجاع معجزات الأنبياء والرسول إلى أسباب طبيعية مادية ، ويمحون صفة الخارقة المعجزة عنها ، ومن هذه المعجزات التي حاولوا إرجاعها لأسباب مادية طبيعية بحته بعيداً عن الخوارق والمعجزات التي تتدرج ضمن سنة الله في استبدال الأمم والجماعات هي معجزة طوفان نوح (عليه السلام) . فكما نعلم أن معجزات الأنبياء كانت مقترنة بما شاع في أزمانهم ، وكان فيضان نهري دجلة والفرات أمر شائعاً لدى سكان العراق ، وما كان ليفوتهم الفرق بين الفيضانات العالية المدمرة التي كانت تضرب المنطقة بين فترة وأخرى ومعجزة الطوفان العظيم . فكان سبب الفيضانات المعتادة التي تضربهم يعود إلى تساقط الامطار الغزيرة أو نوبان تلوج الجبال في منطقة المنبع ، مما يتسبب ذلك بفيضان مجرى النهرين وارتفاع المياه لأمتار قليلة واندفاع الماء بصورة سريع من الشمال إلى الجنوب مدمرة كل مظاهر الحياة التي تكون في طريقها .
أما طوفان نوح (عليه السلام) كان شيئاً مختلفاً عن كل ما الفوه فمياه الامطار لم تتساقط على مناطق المنبع ، بل شملت كل أرض العراق والمناطق المجاورة ، وتجزرت الأرض من الأرض العيون والينابيع يندفع منها الماء بصورة قوية جداً ، فارتفعت المياه أمتاراً ، وبلغت مستويات عالية جداً ، ولم يكن اندفاع الماء من الشمال إلى الجنوب فقد كانت المياه في كل مكان ، والامواج العالية كما يصفها القرآن (في موج كالجبال) ، ولو كان فيضاناً موسمياً كما صوروه لاستطاع الكثير من قومه النجاة من خلال الالتجاء إلى المرتفعات أو من خلال ركوب السفن الموجودة في ضفاف النهرين على اعتبار أنهم الفوا هذا الحدث ولهم تصور مسبق عما يكون ،

بعد استعراض الرأيين السابقين يتبين لنا أن منشأ الاختلاف في القول بعمومية حدث الطوفان أو محليته يعود إلى الاختلاف في تفسير وفهم النصوص القرآنية ، وكل طرف يسوق الآيات التي تتوافق مع توجهه الذي ربما يكون متأثراً بما سبق من مصادر تحدثت عن هذا الحدث . وأيضاً وجدنا أن هذا الاختلاف في القول بعالمية أو محلية حدث الطوفان لدى مفسري ونقاد الكتاب المقدس فمنهم من قال أنه عالمي وآخرون ذهبوا إلى القول بمحليته وبالطبع لكلٍ منهما أدلته .

ثالثاً : ارتفاع الماء :

أن ارتفاع ماء الطوفان من المواضيع المثيرة للجدل في هذا الحدث ، فهل كان ارتفاع الماء كافياً لتغطية قمم أعلى الجبال أم أن في ذلك مبالغة ؟ يخبرنا القرآن الكريم أن سفينة نوح (عليه السلام) قد رست في النهاية على الجودي ، والجودي عموماً هو اسم جبل معين ، إلا أن معناه في العربية هو المكان المرتفع ، وعلى هذا علينا أن لا نغفل عن كون الجودي الذي أشار إليه القرآن هو المكان المرتفع ولا يعني جبل معين في ذاته ، فالسفينة قد استوتت على مكان مرتفع من الأرض ، ومعنى الجودي قد يشير إلى أن الماء قد وصل ارتفاعه إلى حد معين ، ولم يصل إلى مستوى قمة جبل ، ولم يغمر كل الأرض كما أشاره إلى ذلك العهد القديم ، أما غطى مساحة معينة من الأرض (١) .

إلا أن هذا الطوفان العظيم لم يكن هنالك شيء ليصمد أمامه سوى السفينة التي صنعها نبي الله نوح (عليه السلام) بإرشاد الهي . واعتمد المستشرقين وأصحاب الفكر الحدائثي في تفسيرهم لحدث الطوفان إلى المدونات الأسطورية ، من خلال القول بأن هذه النصوص تروي تصورات الإنسان البدائي الأول عن الظواهر الطبيعية من خلال محاولته تفسيرها ، ومن ثم اقتبست الأديان هذه القصص من تلك الأساطير مع إجراء تغييرات على تلك النصوص بما يتناسب مع أهداف الدين . ينظر : البدراوي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ١١٨١ .

١ - ينظر : يحيى هارون ، الأمم البائدة : ٢٤ .

المطلب الثالث : تحليل ومقارنة

بعد أن استعرضنا أوجه الشبه والاختلاف بين القصة الأسطورية للطوفان ، والقصة التوراتية يتضح مدى التشابه الكبير بين القصتين ومواقع الاقتباس في النص التوراتي ، وأن القصة التوراتية الموضوعية من قِبَل الكتبة لحدث الطوفان مقتبسة في كثير من اجزائها من الأساطير السومرية والبابلية ، وعلى ضوء هذا يتبين أن القصة التوراتية المدونة هي من تعاني من إشكالية الأصل الأسطوري . والآن بعد استعراض القصة القرآنية لذات الحدث نأتي الآن إلى استعراض أوجه الالتقاء والافتراق ما بين النص التوراتي والقرآني لحادثة الطوفان بصورة مختصرة لنرى من خلال ذلك هل فعلاً القصة القرآنية لهذا الحدث تستمد أصولها من القصة التوراتية التي توصلنا مسبقاً أن فيها نسبة اقتباس كبيرة من أصول أسطورية (١) :

١. أن كلاً من القصة التوراتية والقرآنية جعلت مسألة نقشي الفساد والظلم كخلفية للأحداث ، غير أن التوراة لم تتحدث بصورة تفصيلية عن الأسباب . في حين نجد القرآن يكشف عن أسباب جوهرية ، وإن لم يصرح بها بصورة مباشرة بل يترك للقارئ استنتاجها من خلال حوار نوح (عليه السلام) مع قومه .
٢. لم ترد في القرآن الكريم أية معلومة عن آباء نوح وأبنائه ونسبه ، خلافاً للتوراة التي تفصل وبأسلوب أسطوري في الإخبار عن ذلك ، وأن له أبناء هم سام وحام ويافت .
٣. ذكر العهد القديم عمر نوح من مولده إلى وفاته ، ولم يرد ذكر ذلك في القرآن الكريم .
٤. لم يصرح العهد القديم بنبوة نوح (عليه السلام)، وصرح القرآن الكريم بنبوته .
٥. اكتفى العهد القديم بوصف قوم نوح بالمعصية والفسق، وقد صرح القرآن بأنهم كانوا وثنيين .

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٩٣ . ينظر : عبد الحكيم ، طوفان نوح (عليه السلام) في القرآن والأساطير : ١٥٧-١٥٨ . ينظر : د. زاهية الدجاني ، أحسن القصص بين إجاز القرآن وتحريف التوراة : ٢١١-٢١٤ .

٦. يذكر القرآن معالم دعوة نوح (عليه السلام)، وهي الإيمان بالله ورساله واليوم الآخر ولم يرد شيء من هذا في التوراة.

٧. لا حديث عما دار من صراع بين نوح (عليه السلام) وقومه في العهد القديم ، في حين نجد أن القرآن الكريم فصل موقف قوم نوح منه ومن دعوته ومن المؤمنين به .

٨. تقدم التوراة معلومات مفصلة عن طبيعة السفينة من ناحية البناء والتركيب ، في حين القرآن الكريم أشار فقط إلي صناعتها (بأعيننا ووحينا) . ويجمع المصدرين على تأكيد الدور الإلهي في توجيه نوح(عليه السلام) لصنع السفينة ، وهذا ما يؤكد بدوره على حاجة بني آدم الدائمة لتلقي العلم من الله سبحانه وتعالى .

٩. كما جاء في قصة الطوفان التوراتية ، أن الله سبحانه قد قسم البهائم إلى طاهرة وغير طاهرة ، ويتوجب على نوح أن يحمل إلى السفينة سبعة سبعة من الطاهرة ، ويحمل من البهائم غير الطاهرة اثنين اثنين . فيما لم يرد أي من ذلك في القرآن الكريم ، حيث كان المطلوب منه أن يحمل من كل زوجين من الحيوانات اثنين من غير تحديد .

١٠. يحدد الاحبار كتبة التوراة موعد حدوث الطوفان باليوم و الشهر والسنة ، و حتى عمر نوح (عليه السلام) زمن حدوث الطوفان فقد حددوه في سنة ستمائة من عمره ، وكأنهم كانوا معه وقت الطوفان ، وكل هذه مزاعم باطلة يكذبها القرآن الكريم.

١١. فيما يخص ركاب السفينة ، كان تصنيف ركابها تصنيفاً عشائرياً نسبياً ، وليس تصنيفاً يعتمد معايير إيمانية كما جاء في القصة القرآنية ، فنقرأ في القصة التوراتية أن الله يأمر نوح أن يحمل كل أهل بيته سواء كانوا كافرين أو مؤمنين فكانوا حسب النص التوراتي كل من : (هو وامرأته وبنوه وسام وحام ويافت ، وثلاث نسوة بنيه) . في حين أن النص القرآني يشير إلى حمل

أهل بيت نوح إلا من سبق عليه القول (زوجته+ ابنه) ، والفئة القليلة التي آمنت به . لم يشير النص التوراتي إلى كفر زوجة نوح وابنه إطلاقاً ، خلافاً للنص القرآني (١).

١٢ . نجد في القصة التوراتية أن عملية انحسار الفيضان عن الأرض استغرقت وقتاً من الزمن ، في حين يشير القرآن الكريم إلى أن عملية انتشار الأرض من الفيضان أتت بشكل سريع . والغاية من ذلك اظهار السيطرة الربانية التامة على الطبيعة ، فكما جاء الامر الإلهي للطبيعة للبدء بفوران التنور وغمر الأرض بمياه الطوفان بشكل سريع ، جاء الأمر الإلهي للتوقف بسرعة مذهلة .

١٣ . لم يبين العهد القديم أن حركة السفينة واستقرارها كان باسم الله لكن القرآن الكريم يصرح بذلك .

١٤ . ذكر العهد القديم قصة بناء نوح مذبحاً للرب بعد نجاته ولم يشر القرآن الكريم إلى ذلك .
١٥ . جاء في التوراة العهد بين نوح (عليه السلام) وربه بعدم إهلاك أهل الأرض ثانية ولم يشر القرآن إلى ذلك.

١٦ . جاء في القصة التوراتية أن السبب في إهلاك ابن نوح أنه رأى عورة أبيه ولم يسترها أما السبب في القرآن فكفره بالله .

١٧ . جاء في القصة التوراتية أن الطوفان عم سائر الأرض ولم يقطع القرآن الكريم بذلك .

^١ - ينظر : د. صلاح الخالدي ، سفر التكوين في ميزان القرآن : ١٠٥-١٠٧ . ينظر : البدراني ، قصص الأنبياء في القرآن : ١١٠/١١ .

و أن ما احتوته القصة القرآنية من إضافات جوهريّة ، قد أخرجها من الطابع التاريخي البحت إلى الطابع الأزلي ، الذي يصلح لكل مكان وزمان ، من خلال ما تقدمه من عبر ودروس لتشمل بذلك الإنسانية في كافة العصور^(١).

١٨ . يكتنف القصة التوراتية لحدث الطوفان الكثير من التناقضات ، خلافاً للقصة القرآنية

التي جاءت في أكمل وأبهى صورة . وكذلك أن القصة التوراتية تعمقت كثيراً في التفاصيل بصورة تفصيلية وكان الأسلوب السردى واضحاً جداً ، في حين لا نجد مثل هذا في القرآن الكريم ، وأن الغرض الإيماني العقائدي واضح في القصة القرآنية ، والقصة التوراتية تفنقر لذلك .

١٩ . ينهي سفر التكوين قصة الطوفان بنسج مجموعة من الأكاذيب التي تشوه صورة بطل

الطوفان نبي الله نوح (عليه السلام) ، في إساءة واضحة لا تمت إلى الحقيقة بأيّ صلة ، من تصويره بكونه شارباً للخمر وفاعلاً للرزيلة ، وفي ذلك تشويه لأنبيا الله وليس فقط لمقام نبي الله نوح (عليه السلام) ، لأغراض دنيئة تخدم أهداف اليهود في تشويه الفطرة الإنسانية التي خلق الله الناس عليها، وتصوير الرذيلة بكونها أمراً طبيعياً . في حين أن القرآن الكريم المصدر الحق الذي يرينا الحقيقة كما هي ويبين لنا كيف أن الله اختار صفوة خلقه أنبياءً ورسلاً، فهم القدوة الحسنة للبشر في صفاتهم وأفعالهم ، وحاشا أن يصدر منهم ما يصوره أهل الكتاب من انحرافات أخلاقية . فما هذا التناقض الذي عليه النص التوراتي بداية يعطي الصفات المحمودة لنبي الله نوح ، ويختاره الله لمهمة صنع السفينة والنجاة من الطوفان المدمر الذي سيحل بقومه ، و في نهاية سردية التوراة لهذا الحدث يصفه بالرزيلة والانحراف ، وهذا بالطبع تناقض صارخ يثبت كون هذا النص هو نص محرف منسوج من مخيلة الكتبة لا من عند الله الواحد .

^١ - ينظر : الدجاني ، أحسن القصص بين القرآن وتحريف التوراة : ٢١٤ .

٢٠. كانت أساطير الطوفان السومرية والبابلية مادة دسمة للأخبار للاقتباس منها في سرد قصة الطوفان مع إضافة بعض التفاصيل لتتناسب مع معتقداتهم وأهدافهم ، خلافاً للقصة القرآنية وإن اشتركت في بعض التفاصيل مع المصادر السابقة إلا أنها ربانية المصدر بصورة مطلقة لا تقبل التشكيك .

إن الاختلاف واضح بين الحدث التوراتي والقرآني فتفاصيل القصتين مختلفة بصورة كبيرة عن بعضها، مما يبعد دعوى كون القرآن أقتبس الاحداث من العهد القديم (١) ، وإن اشتركت في التفاصيل العامة للحدث فذلك يعود إلى وحدة المصدر الإلهي ، إلا أن النص التوراتي المنزل من قبل الله تعالى على نبيه موسى (عليه السلام) قد تعرض للتحريف ، إما القرآن الكريم فبقى محفوظاً من التحريف ولم تناله أيدي العابثين لهذا روايته للأحداث هي الحقيقة التي لا يشوبها أي تزيف . . وبعد أن تبين أن حدث الطوفان لم يكن أسطورة خرافية سطرها السومريون ومن بعدهم البابليون وهكذا انتقلت إلى بقية الحضارات القريبة والبعيدة ومن ثم تلتقتها الديانات السماوية ، فالطوفان العظيم حدث حقيقي وقع في الزمن الغابر وما أثبت ذلك هو الاكتشافات الأثرية ، إلا أن حقيقة هذا الحدث من عدمها ليست أساس الموضوع ، إنما هل هذا الحدث المذكور في القرآن الكريم يستمد أصوله من تلك الأساطير أو من الكتب المقدسة التي سبقتة ، أم لا ؟ والجواب على ذلك بالطبع لا . فالرواية القرآنية لا تطابق الرواية الأسطورية ولا حتى التوراتية ، مع العلم أن الرواية التوراتية تطابق الأسطورة البابلية بنسبة كبيرة وبصورة واضحة فالإقتباس واضح من الأسطورة ، إلا أن الرواية القرآنية وأن كانت تشترك في الخطوط العامة مع رواية الأسطورة والتوراة ، إلا أنها تختلف كثيراً عنهما في التفاصيل ، وهذا لا يدل إلا على حقيقة الحدث، والدور القرآني المصحح في

١ - يزعم المشككين من المستشرقين والنقاد أن الكتب المقدسة اقتبست أحداثها من الأساطير القديمة وأضفت عليها إضافات لتتناسب مع معتقداتها وأهدافها ، وهدفهم من ذلك تفنيد كون التشابه الموجود بين الأساطير والكتب المقدسة يعود لسبب الأصل المشترك الذي استقت منه هذه القصص او المعتقدات او الشعائر .

إعادة صياغة هذه الأحداث التاريخية المهمة التي أثرت على تغيير كبير في مسيرة البشرية بقلب جديد بعيداً عن المبالغة والخرافات ، حاملاً في طيات روايته الكثير من المضامين الإيمانية والأخلاقية إضافة إلى تصحيحه لهذا الحدث الذي طرأ عليه بفعل تقادم الزمان الكثير الانحرافات والخرافات ، فكان دور القرآن الكريم أن يزيل عن تلك الأسطورة القشور التي علق عليها ليظهر لنا لب القصة كما هي من دون أي إضافة لا تمت إلى الحقيقة بصلة. إن الاختلافات التي تقع في تفسير النصوص سواء كانت أسطورية أم نصوص الكتاب المقدس أم النصوص القرآنية تعود كلها لسوء فهم مدلول الألفاظ واختلاف القراءات لتلك النصوص ، وهذا أمر طبيعي جداً لبعدها الزمنية بين زمن كتابة تلك النصوص (الأسطورية - الكتاب المقدس) وزمن تفسيرها أما بالنسبة للنص القرآني فإن منشأ الاختلاف في كثير من الأحيان يعود لتأثر المفسر بالإسرائيليات التي تغزو التفاسير القديمة بكثرة أما المفسرين و العلماء المعاصرين فهم أيضاً متأثرين بالنصوص الأثرية المكتشفة وقراءات الآثاريين لها ، فهذه الرقعة الطينية التي دونت عليها تفاصيل الكثير من القصص التاريخية أحدثت نقلة نوعية في تفسير الكتب المقدسة بصورة عامة ، إذ لا بد من تأثر العلماء والمفسرين بالمكتشفات الحديثة سواء كانت علمية أو أثرية ، وهذا التأثير انعكس على قراءتهم للنصوص . وكذلك من الملاحظات التي توصلنا إليها أثناء دراسة هذه النصوص وتحليل أصحاب الشأن لها أن هناك أموراً مشتركة وقع فيها الخلاف من قبل مفسري ومفككي هذه المصادر الثلاثة ، مثل قضية عمومية الطوفان أو محدوديته ، نجد هناك اختلافاً في الرأي بين الآثاريين والذين فسروا النصوص الأسطورية لقصة الطوفان ، هل فعلاً كان عاماً للأرض أو أنه وقع ضمن رقعة محددة. ونجد ذات الأمر لدى مفسري التوراة عندما ينقسموا إلى فريقين منهم من يذهب لكونه عالمياً ومنهم من يقول بمحدوديته على الرغم من نص التوراة على عمومية الطوفان ، إلا أنه كان لكل فريق أدلته . وعندما نأتي إلى مفسري القرآن نجد ذات الأمر اختلاف الرأي في ذلك وكل فريق له من الأدلة ما يستند إليها . وكذلك قضية موقع الطوفان ورسو السفينة من المسائل التي اختلف فيها المفسرون

لتلك المصادر . وهذه الاختلافات في الرأي لدى المفسرين والعلماء المختصين في تلك المصادر ومرجع هذه الاختلافات إلى التأويلات المتعددة لمعاني الكلمات ، وهذا ما يعطينا انطباعاً واضحاً لسبب ربط هؤلاء المتقولين على ساحة القرآن الكريم في أن الكثير مما ورد في القرآن الكريم سواء كانت قصصاً أو غيرها ترجع في جذورها إلى الأساطير السالفة أو الديانات السابقة ، أن إطلاق مثل هذه الاتهامات يعود في الكثير من الأحيان إلى اعتمادهم إلى مثل هذه التأويلات والتي في الغالب تكون اجتهادات من أصحابها لكل نص يجهلون تفسيره أو قضية معينة سكت النص موضوع البحث عن بيانه فيعمد المشتغلين في هذه المصادر إلى إعطاء تفسيرات لربما تكون بعيدة كل البعد عن الحقيقة مستندين في ذلك إلى أدلة معينة تكون تارةً من ذات النص وأخرى من خارجه . فتأثر مفسري القرآن الكريم بالروايات الإسرائيلية واضح جداً في كتب التفسير ، فكانت تفسيراتهم لتلك الاحداث مقارنة نوعاً ما لتفسير أهل الكتاب ، ومن ثم بعد الاكتشافات الأثرية لكثير من النصوص المسمارية التي دونت عليها بعض الاحداث منها حدث الطوفان ، أخذ العلماء والباحثين المقارنة بين ما جاء في تلك الرقم - بحسب قراءتهم لها بالتأكيد- وما جاء في القرآن الكريم معتمدين في ذلك على كتب التفسير التي تغص بالاسرائيليات ؛ لأن ذلك يخدم أهدافهم في تشويه صورة القرآن الكريم ووصفه بكونه كتاباً بشرياً يستقي احداثه وتعاليمه من أصول سابقة له لا من عند الله . وما حدث الطوفان إلا حقيقة دينية تاريخية جاء خبرها بوحى إلهي على الأنبياء والرسل في كل حقبة زمنية من تاريخ البشرية الذي لم تخلو منه حقبة من غير رسول أو نبي ، إلا أن الناس بانحرافهم عن جوهر دين الله وحقيقته ، تسرب لهذا الحدث وغيره من الاحداث والشخصيات والمعتقدات ما يحولها إلى أسطورة .

المقارنة :

الرواية الأسطورية للطوفان :السومرية والبابلية	الرواية التوراتية للطوفان	الرواية القرآنية للطوفان
١- الطوفان حدث ديني تاريخي	الطوفان حدث ديني تاريخي	الطوفان حدث ديني تاريخي
٢- سبب الطوفان هو غضب الإلهة على المجتمع البشري لانتشار الفساد والشر ومخالفة أوامر الإلهة (بمفهوم عقيدة الشرك).	السبب هو غضب الرب على البشر لانتشار الفساد والشر (بمفهوم عقيدة التوحيد).	السبب هو غضب الله على قوم نوح الكافرين العصاة وانتشار الظلم والفساد .
٣- أمر إهلاك البشر بواسطة طوفان مدمر لم يصدر من جميع الإلهة فمنهم من عارض الأمر.	صدر الأمر من الرب الواحد الذي لا شريك له .	صدر الأمر من قبل الله الواحد الأحد .
٣- لم ترسل الإلهة مبعوثاً يحذر البشر ويهديهم إلى الصلاح والخير .	النص التوراتي لا يذكر أن نوح أرسل إلى قومه لهدايتهم قبل إحلال العذاب بهم .	أرسل الله نبيه نوح(عليه السلام) لهداية الناس وتحذيرهم من غضب الله عليهم .
٤- البطل المنقذ في الأسطورة السومرية هو زيوسيدار ، والاسطورة البابلية هو أتراحاسيس	البطل المنقذ من الطوفان في النص التوراتي هو نوح (عليه السلام)	البطل المنقذ في النص القرآني هو نبي الله نوح (عليه السلام).

		، وفي الأسطورة البابلية كلكامش هو أوتونابشتم.
لا وصف أدق من أن الله اصطفاه لمهمة النبوة والرسالة .	يتصف نوح بالورع والتقوى والبر.	٥- يتصف البطل في النصوص العراقية بحسن الصفات والنبيل والورع والتقوى .
يذكر النص القرآني بصريح العبارة أن نوح(عليه السلام) مرسل من قبل الله تعالى إلى قومه . فهو نبي وأول رسل أولي العزم.	لا نجد ذكراً لنبوة نوح (عليه السلام) في النص التوراتي ، وكونه مرسلًا لقومه لهدايتهم .	٦- بطل الطوفان في النصوص الأسطورية كان حاكماً للمدينة التي سكنها.
لا يوجد مثل هذه التفاصيل في النص القرآني .	يذكر ذلك وبتفصيل .	٧- لا يوجد ذكر لنسب بطل الطوفان الأسطوري، وولادته ، ووفاته وأبناءه.
يخبر الله نوح (عليه السلام) عن طريق الوحي بحدوث الطوفان المدمر .	إعلام الرب لنوح بصورة مباشرة بأحداث الطوفان المدمر .	٨- إعلام من جهة إلهية بواسطة الجدار للبطل بحدوث الطوفان المدمر .
يأمر الله نوح بصنع السفينة للنجاة ، ويكتفي النص القرآني	الرب يأمر نوح بصنع السفينة وكيفيتها للنجاة من الطوفان .	٩- الإلهة تأمر البطل بصنع سفينة لإنقاذ البشر ، وترشده لكيفية صناعتها.

بيبان أن بناءها كان بعناية إلهية .		
لم يذكر القرآن مدة البناء .	استغرق بناءها مائة سنة .	١٠- مدة بناء السفينة قصيرة ، تقدر في أحد النصوص بسبعة أيام .
في النص القرآني كانت العلامة فوران التنور .	لم يذكر النص التوراتي علامة لاقترب موعد الطوفان .	١١- تعطي الإلهة علامة لقرب حلول الطوفان .
الناجين هم نوح (عليه السلام) وأهله عدا زوجته وابنه لكفرهم ، وأصحابه القلة المؤمنة .	الناجين هم نوح وزوجته وأبناءه وزوجاتهم .	١٢- الناجين هم أهل البطل وأصحابه ، والصناع المهرة .
جميع الكافرين المكذبين .	كل من له جسد يدب على الأرض .	١٣- المغرقون (رأيت البشر جميعاً عادوا إلى الطين) .
يذكر القرآن أن زوجة نوح كانت في عداد الهالكين لكفرها هي وابنه .	لم يذكر النص التوراتي أن زوجة نوح كانت من الكافرين الهالكين ، بل يذكر أنها كانت من الناجين .	١٣- - -
هلاك ابن نوح (عليه السلام) غرقاً بالطوفان لكفره بالله .	هلاك ابن نوح بحسب النص التوراتي لم يكن بالطوفان بسبب	١٤- - -

	كفره ، إنما كان هلاكه في فترة ما بعد الطوفان لخلافه مع والده.	
نوح (عليه السلام) يأخذ من كل زوجين من الحيوانات أثنين .	في النص التوراتي حمل نوح من الحيوانات الطاهرة أثنين أثنين والغير طاهرة سبعة سبعة مع الاختلاف في العدد عن الاصحاح السادس.	١٥- حمل البطل معه الحيوانات الحقل والبر .
ذات الامر .	الامطار الغزيرة المنهمرة ، وتفجر ينابيع الأرض .	١٦- الطوفان كان بفعل الامطار المنهمرة الغزيرة وتفجر ينابيع الأرض .
لم يحدد مدة الطوفان.	في القصة التوراتية آراء متضاربة حوله مدة الطوفان : أربعين يوماً وأربعين ليلة - أربعين يوماً - مئة وخمسين يوماً.	١٧- مدة الطوفان سبعة أيام، أو سبعة أيام بلياليها.
ينتهي بنفس الأسلوب الورد غفي التوراة .	ينتهي بتوقف المطر وانسداد ينابيع الأرض .	١٨- ينتهي الطوفان من دون مقدمات أو بانتهاء العاصفة .
علم نوح بانحسار الماء بأمر الله له بالنزول من السفينة .	نوح يرسل نوعين من الطيور لاستكشاف اليابسة .	١٩- يرسل البطل الطيور لمعرفة ما اذا كانت المياه انحسرت .

<p>لم يصرح القرآن فيما اذا كان الطوفان قد عم الأرض كلها .</p>	<p>ورده أنه شمل كل الأرض .</p>	<p>٢٠-المساحة التي شملها الطوفان أنه أكتسح البلاد بحسب النصوص الأسطورية .</p>
<p>لم يذكر القرآن أنها استقرت على جبل ، بل قال فقط على (الجودي).</p>	<p>استقرت على جبل آراراط .</p>	<p>٢١-استقرت السفينة على جبل نيسير أو نصير .</p>
<p>لم يحدد القرآن تاريخ رسو السفينة.</p>	<p>استقرت السفينة في السابع عشر من الشهر السابع.</p>	<p>٢٢-لا تذكر الأساطير تاريخاً لرسو السفينة على الجبل .</p>
<p>بارك الله لنوح (عليه السلام) ، فعمه الخير من كل الجهات .</p>	<p>بارك له الرب لإنقاذ البشر .</p>	<p>٢٣-نال البطل الخلود تثميناً لجهوده في انقاذ البشر من الانقراض .</p>
<p>توجد قصة واحدة لحدث للطوفان في القرآن الكريم وقد وردت في أكثر من سورة من دون وجود أي تناقض .</p>	<p>توجد قصتان لحدث الطوفان في التوراة وفيهما الكثير من التناقضات الواضحة .</p>	<p>٢٤- توجد اكثر من اسطورة تروي حدث الطوفان .</p>
<p>توجد الكثير من التفاسير التي تفسر هذه الحادثة واختلف المفسرون في تفسيرهم لها.</p>	<p>توجد تفاسير متعددة للنص التوراتي ، واختلف المفسرين في تفسيرهم للنصوص التي تروي قصة الطوفان .</p>	<p>٢٥- هنالك قراءات متعددة للأثارين للنصوص الأسطورية التي دونت عليها قصة الطوفان.</p>

إذاً التفاصيل المشتركة لحدث الطوفان بين المصادر الثلاثة (الأسطورية والتوراتية و القرآنية) هي :

١- غضب إلهي

٢- سبب حدوث الطوفان

٣- وجود شخصية البطل المنقذ

٤- الاعلام بحدوث الطوفان

٥- الأمر الإلهي بصنع السفينة (النجاة بواسطة سفينة)

٦- ركاب السفينة من البشر والحيوانات

٧- نجاة عدد محدود من البشر.

هذه تكاد أن تكون الخطوط العامة التي تشترك فيها المصادر الثلاثة ، أما بقية التفاصيل تختلف فيما بينها بنسب متفاوتة ، خصوصاً القصة القرآنية سواء من ناحية التفاصيل ، أو القيم الإيمانية والأخلاقية التي نتلمسها في ثنايا القصة القرآنية لحدث الطوفان.

الفصل الثالث :

أنبياء وشخصيات مقدسة بين الفكر الأسطوري والقرآن الكريم

المبحث الأول: دعوى الأصول الأسطورية لشخصيات نبوية في القرآن الكريم

- المطلب الأول : شخصية النبي موسى (عليه السلام)
 - المطلب الثاني : شخصية النبي يونس (عليه السلام)
- #### المبحث الثاني : شخصيات مقدسة بين القرآن الكريم والفكر الأسطوري
- المطلب الأول : ذو القرنين
 - المطلب الثاني : أصحاب الكهف

المبحث الأول: الأصول الأسطورية لشخصيات نبوية في القرآن الكريم

في هذا الفصل نتناول بالبحث بعض الشخصيات النبوية والمقدسة التي يدعى أن القرآن الكريم أقتبسها من الاساطير السالفة وكونها شخصيات اسطورية

المطلب الأول : شخصية النبي موسى (عليه السلام)

تعد شخصية النبي موسى (عليه السلام) حوالي (٤٠٠ ق.م) من الشخصيات التاريخية الدينية المهمة في العالم . فقد ذُكرت قصته في أسفار التوراة^(١)، (سفر الخروج)^(٢)، و ذكرت قصته في القرآن الكريم في سور متعدد منه، فكل من اليهودية والمسيحية والإسلام تؤمن بشخصية النبي موسى (عليه السلام) وكونه نبياً من قبل الله تعالى . وقد تعرضت شخصية النبي موسى عليه السلام لشبهة الأصل الأسطوري، بمعنى أن لا وجود حقيقي للنبي موسى عليه السلام بالمواصفات القرآنية، فهذه الشخصية من نسج الخيال ، وحقيقة الامر إنَّ كل ما موجود هو تحريفات وتغييرات أدخلت على احداث تخص شخصيات تاريخية،

١ - يطلق لفظ التوراة على الشريعة المكتوبة ، وهي التي نزلت على موسى (عليه السلام) ، ويطلق اسم التوراة أساساً على الاسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم ، وهي كل من سفر التكوين و الخروج واللاويين ، والعدد والتثنية . ويطلق لفظ التوراة على العهد القديم كله . ينظر : د. محمد البار ، المدخل لدراسة العهد القديم : ١١١ .

٢ - سفر الخروج : يسمى بالعبرية (وإله شموت) أي : أسماء .وهو أحد الاسفار الخمسة (كتب موسى) التي يتألف منها العهد القديم ، ويعرض سفر الخروج تاريخ بني إسرائيل في مصر ، وقصة موسى (عليه السلام) وخروجهم من مصر ، وتاريخهم في أثناء مرحلة (التيه) في صحراء سيناء التي دامت أربعين عاماً ، وأيضاً يتضمن سفر الخروج على مجموعة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات . وسمي بسفر الخروج لتناوله قصة خروج بني إسرائيل من مصر . ينظر : د . مصطفى حلمي ، الإسلام والاديان دراسة مقارنة : ١٢١ . ينظر : السقا ، نقد التوراة " اسفار موسى الخمسة": ٤٧ .

فجرى تغيير بعض معالمها وتميرها على إثرها شخصية نبوية، وادعاء ان موسى (عليه السلام) شخصية أسطورية ، لتشابه قصة ولادة موسى (عليه السلام) مع ولادة سرجون الأكدي .

أولاً : ادعاء الأصل الأسطوري لشخصية موسى (عليه السلام)

إنَّ القول بأنَّ القرآن الكريم اخذ قصة موسى (عليه السلام) من الأساطير القديمة ، وإنَّ شخصية موسى (عليه السلام) تشبه إلى حد كبير شخصية (سرجون الاكادي) الواردة في النصوص المسمارية ، في الواقع هو ادعاء باطل بحق القرآن الكريم ؛ لكونه لا يستند إلى دليل ، وهذا الادعاء نابع من اتهام هؤلاء النقاد التوراة بذلك (لكون شخصية موسى (عليه السلام) هي شخصية تورانية ، فهو نبي من أنبياء بني إسرائيل وقد ورد ذكره في العهد القديم قبل القرآن) ، ومن ثم اسقطت هذه الشبهة على القرآن الكريم كونه امتداداً للكتب السماوية^(١)، وقد اختلفت آراء من تبنى هذه الشبهة حول شخصية النبي موسى (عليه السلام) ، فمنهم من ذهب إلى أنه شخصية خيالية لا وجود لها تاريخياً ، ومنهم من قال أنه شخصية حقيقية تاريخية إلا أن شخصيته محاطة بالأساطير^(٢)، ومنهم من قال أن شخصية موسى هي مصرية لا عبرية^(٣) . وعلى هذا نتناول في البحث الإشكالات التي أثرت حول قصة موسى التوراتية لكونها ذات أصول أسطورية بحسب الادعاء، ومن ثم تحليلها ومقارنتها مع شخصية موسى القرآنية .

١ - فبحسب زعمهم أن القرآن الكريم في تاريخه لا يختلف عن الكتاب المقدس في شيء ، فهو أيضاً قد ناله التحريف بمختلف أشكاله ، وتعاورته الايدي طوال أكثر من قرن . ينظر : محمد الطالبي ، ليطمئن قلبي : ٣٥ .

٢ - سبق أن بينا في التمهيد أن الأسطورة هي عبارة عن قصة حقيقية إلا أنها تغلفت بالخرافات والاكاذيب مع مرور الزمن.

٣ - أن من أسباب التشكيك بجنسية موسى (عليه السلام) أن كان مصرياً او عبرياً هو أن التوراة كانت حريصة جداً على إثبات أنساب العديد من الشخصيات ، إلا أنها تمر مرور الكرام على نسب موسى (عليه السلام) فتقول في سفر الخروج أن أباه وأمه كانا من بيت لاوي . وهذا ما دفع المؤرخ اليهودي (سيل روث)

نجد إنَّ دائرة المعارف البريطانية تصرح بالبعد الأسطوري في قصة موسى عليه السلام : ((أن الكثير من الباحثين المشهورين ومنهم مارتن نورث يرون أن شخصية موسى المذكورة في التوراة ، هي من صنع مؤلفي التوراة الذين كتبوها بعد مضي مئات السنين من وفاة موسى المزعوم ، وتقول دائرة المعارف البريطانية : (ربما كان موسى شخصاً حقيقياً ، ولكنه شخصية بسيطة من موآب (في الأردن) وليس من بني إسرائيل ، وكل الأحداث التي تلتصق به هي من صنع الأساطير التي تجمعت في الحقب التي تكون فيها شعب يدعى بني إسرائيل))^(١). في حين يذهب فرويد وإشباعاً لطموحاته في التحليل النفسي ، يخرج لنا بفكرة أن موسى هو شخصية مصرية حولته الأسطورة إلى شخصية عبرية ، بالرغم من وجود الأدلة التاريخية والدينية التي تشير إلى عكس ذلك . فهو يزعم أن موسى من الفراعنة ونشأ في قصر فرعون ، وقام بحملة ناجحة في الحبشة بأمر من فرعون ، وتزوج من أميرة الحبشة ، وعندما عاد إلى مصر قام بانقلاب عسكري

إلى القول : أن موسى ينتمي إلى قبيلة (أفرايم) ، مع نوع من الإنتساب المصري أكثر من أنتمائه إلى قبيلة لاوي ، والتي ينتسب إليها عن طريق النقايد . وإذا أضفنا إلى ذلك عدم وجود أية وثيقة تاريخية معاصرة عن موسى (عليه السلام) ، غير ما ورد في الكتاب المقدس ، فضلاً عن أن اليهود اصبحوا لا يعرفون حتى مكان دفن نبيهم موسى ، وهذا يبين كيف أضاعوا هذا الرجل العظيم وجحدوا مكانته العظيمة ، وهذا مما أدى في نهاية المطاف إلى أن يبدي بعض المؤرخين وعلماء الآثار المصرية والدراسات اليهودية شكوكهم حوله تاريخية شخصية كليم الله . فهذا (جوستاف لوبون) يقول بصراحة : ((إن موسى شخص أسطوري ، أكثر من كونه شخصاً تاريخياً ، أي أن ذاتيته رتبت ، كما رتبت ذاتية (بوذا) بعد حين)) .

يعترض المنكرون لتاريخية موسى (عليه السلام) بعدم وجود شواهد تاريخية له ، فهم يرون أن الخبر القرآني عن قصة موسى (عليه السلام) مواجه لصمت التاريخ المصري القديم ، وهذا الصمت يدفع لأنكار صدق ما جاء فيها من تفاصيل . ينظر : بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن : ٤١٠-٤١١ . سفر الخروج : ١١٢-٢ . جوستاف لوبون ، حضارة العرب : ٧٥ .

١ - د. محمد البار ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم : ٦٠ (نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية :

(٤٨٧١٢)

فاشل على حكم فرعون ، ذلك لأن موسى كان يدعو إلى عقيدة الإله الواحد أختاتون المتمثل في (الشمس) ، في حين أن فرعون موسى (رمسيس الثاني) كانت عقيدته ودعوته إلى الالهة المتعددة وهو من ضمنها^(١). ومن الملاحظ ان شخصية موسى (عليه السلام) من أكثر الشخصيات في العهد القديم وضوحاً، ذلك لكثرة ما وردَ عنه في التوراة والكتب المقدسة ، وفي القرآن الكريم ، وإعماله الدينية والتاريخية معروفة ، إلا أن فرويد يتجاهل كل ذلك ، ولا يأخذ من قصة موسى سوى طفولته ليبنى عليها نظرياته . واهتمام فرويد بطفولة موسى معروف ، فلو أن فرويد قد قبل المعطيات التاريخية لحياة موسى (عليه السلام) في طفولته ، لأدرك أن أحداث طفولة موسى (عليه السلام) حقيقية خالية من أي تركيب أسطوري ، إلا أن رفض فرويد للدين هو الذي جعله ينظر لشخصيات نبوية مقدسة وما حققته من معجزات على أنها خلق الأسطورة ، وهذا ما يجعله يقارن بين موسى وعدد من الشخصيات التي تنتمي إلى التراث الأسطوري في بلاد النهرين والفرس واليونان . وهذه مقارنة غير عادلة ، وأن كانت هنالك بعض الأمور أو العناصر تتشابه في حياة هذه الشخصيات ، فالتشابه ليس كل شيء في المقارنة ، لكن الأسس أو المبادئ التي تنتج هذا التشابه هي الفيصل في الحكم النهائي على وجود علاقات تسمح بالمقارنة أو لا^(٢). و قد تمسك فرويد بعناصر التشابه وتناسا الأصول أو الأسس التي تقوم عليها هذه العناصر ، مما جعله يقع في خطأ منهجي كبير عندما قارن بين شخصية موسى (عليه السلام) وشخصيات أخرى في التاريخ القديم على أساس قاعدة التشابه ، لا على أساس المبادئ والأصول التي تتحكم في هذه الشخصيات^(٣) . وهناك من يقارب بين شخصية موسى (عليه السلام) ، والملك الاكدي (سرجون) ، فيذهب سهيل قاشا إلى أنه لو كان هنالك شخصية حقيقية تاريخية باسم (موسى) فعلاً فإنها تشبه إلى حد كبير شخصية سرجون الاكدي، يقول قاشا

١ - ينظر : د. محمد البار ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم : ٦١ .

٢ - ينظر : محمد أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية : ٨٤-٨٥ .

٣ - ينظر : محمد أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية : ٨٤-٨٥ .

عن شخصية موسى^(١) : ((يشابه كثيرًا ما رواه البابليون في أساطيرهم عن حياة (سرجون الأول) ملك أكاد المُسمى (شارغاني-شار-ألي) الذي ظهر وأضطهد، ونجا وعاش، ومازال يجد ويسعى حتى غدا ملكًا على بابل بأجمعها، وغزا السومريين واحتل بلادهم وقضى على دولتهم))^(٢). بل إنَّ أحداث ولادة موسى تشبه إلى حد كبير اسطورة ولادة سرجون الاكدي : ((وكما جاء في النصوص المسمارية أنه كان للملك صارغون (سرجون) العظيم الذي حكم عام ٢٣٥٠ ق.م. وأسس الدولة الأكادية في بلاد ما بين النهرين مصير موسى نفسه، فأمه الكاهنة ولدتها سرًا ووضعته في سلة مطوية بالقار، وألقته في النهر فرآه أكا الساقى والبستاني وأخرجه من النهر. تحمل هذه القصة بين طياتها معالم واضحة للأسطورة لكن صارغون كان شخصية تاريخية حقيقية والأدلة على ذلك موجودة في الوثائق التي اكتشفت بين أنقاض مدن ما بين النهرين وهي صحيحة ولا يُشك فيه))^(٣). فانطلاقاً من فكرة زعيم الضرورة و الرمز ، أحب اليهود أسوة بالشعوب الأخرى ، التي كانت تتفخر بزعمائها ، استنباط فكرة هذا الزعيم الأوحد ، مما دفعهم إلى اختراع أو بالأحرى ، جعل زعيمهم موسى كباقي زعماء القبائل التي جاورها ، سيما بعد أن اطلعوا على تراثهم السياسي والاقتصادي ، فنسجوا حول موسى الأقاويص ، والتي استمدوها من تراث الشعوب ، وبالأخص من أسطورة سرجون الاكدي^(٤) . هذه كانت بعض الآراء حول شخصية موسى (عليه السلام) التوراتية ، ومدى تشبيبههم لقصة ولادته بولادة الملك الأكدي سرجون مدعين أن شخصية موسى التوراتي ، مقتبسة من شخصية سرجون الأكدي لتشابه مجريات الولادة في كلتا القصتين ، مما يشير إلى أننا نتكلم

١ - ينظر : التوراة البابلية : ١٧٦.

٢ - المصدر نفسه ١٦٧.

٣ - زينون كوسيدوفسكي ، ترجمة محمد مخلوف ، الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية : ١١٨.

٤ - ينظر: عبد الكريم العلوجي ، الملك سرجون الاكدي: ٢٨.

عن الشخص نفسه بحسب زعمهم ، وأن أحبار اليهود استمدوا تلك القصة من التراث الرافديني المعروف في تلك الحقبة الزمنية .

لنأتي الآن لنضع الراوية الأسطورية والتوراتية جنباً إلى جنب ولنرى مدى دقة هذه الادعاءات ونعرضهما فيما بعد على الرواية القرآنية التي تفصل في شخصية موسى (عليه السلام) وقصته مع فرعون وبني إسرائيل لنحكم على صدق أو كذب ادعاءات هؤلاء .

-أسطورة سرجون الآكدي :

سرجون الآكدي (٢٣٥٠-٢٢٣٠ ق.م) : هو مؤسس السلالة الاكديّة ، فهو أول حاكم سامي حكم كل بلاد ما بين النهرين . اسمه الحقيقي غير معروف ، أما تسمية (سرجون) فتعني (الملك الصادق) أو (الملك الحق) ، وباللغة الاكديّة (شرو-كين) ، وهي تسمية أصطنعها أول فترة من حكمه ^(١) . فمن النصوص المسمارية ^(٢) التي ترجع إلى العصر الآشوري الحديث ، والتي تتعلق بأصله وطفولته ، تبين أن والدته كانت كاهنة من الدرجة الأولى ، وأنه ولد نتيجة طقس الزواج المقدس، الذي ينتهي بانتهاء الطقس ، والطفل الذي يولد نتيجة هذا الزواج يعد من مرتبة الآلهة ، إلا أن الزواج الطقسي الذي كان سائداً في تلك الفترة وكان يتم في بداية الربيع بين الكهنة ، لاعتقادهم أنه يسبب وفرة المحاصيل قد منع في بعد انتقال السلطة السياسية في فترة الالف الثالث قبل الميلاد، إذ لا يجوز أن يكون هنالك ملك في البلاد ويظهر

^١ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : ٣٩٢ .

^٢ - النصوص المسمارية المتوفرة التي تحكي عن قصة سرجون الاكدي تعود لعصر الاشوريين في القرن السابع قبل الميلاد ، ذلك لأن النصوص المسمارية التي وصلت عن الأكديين قليلة جداً ، لسببين الأول : تعرضها للتلف بعد زوال المملكة الاكديّة ، والثاني لم يتم العثور على مدينة اكد عاصمة الإمبراطورية الاكديّة . فما موجود هي نصوص بابلية واشورية دونت عليها قصة سرجون الاكدي لأعجابهم الشديد بشخصيته وعظمته ، ونوع من الاعتزاز بتاريخهم كونهم جميعاً من اقوام الجزيرة العربية . ينظر : فوزي رشيد ، سرجون الاكدي أول امبراطور في العالم : ١٦ . ينظر : أنطون مورتكارت ، تاريخ الشرق الأدنى القديم : ٨٧ .

شخص آخر يدعي أنه من مرتبة الالهة مولود من طقس الزواج المقدس، وفي حال حصل ذلك بعد قرار منع الكاهنات من ذلك ، فإنها تخسر الطفل، ومن خلال ما يتبين من الأسطورة أن والدة سرجون قد ولدتها بهذه الطريقة سراً ، وقد أخفت ذلك عن أعين المسؤولين ، ومن ثم قامت بوضعه بسلة من القصب بعد أن طلتها بمادة القار ، وأحكمت تغطيتها ورمته في نهر الفرات ، وحمل النهر السلة بعيداً ، حتى وصل لمكان الساقى (آكي) ، الذي قرر حمايته وتربيته ، كما تقول الأسطورة على لسان سرجون : ((ان الساقى اقي قد رباني كما لو أنني كنت ابنه المتبنى))، وهذا يشير إلى أنه علمه مهنته أيضاً لأن أصحاب المهن في تلك الفترة الزمنية لا يعلمون مهنتهم إلا لأبنائهم^(١). ومن الإشارات التي وردت في الأسطورة التي تدل على أن سرجون قد ولد نتيجة طقس الزواج المقدس أنه لا يعرف ابيه ، لان لم يولد من أب يعيش مع أمه ، فالكاهنة لا تتزوج زوجها الحقيقي، بل هو زواج لاعتبارات دينية ، وينتهي بانتهاء الطقس . أما المدينة التي ولد فيها سرجون حسب ما تشير الأسطورة أنها تقع على ضفاف الفرات ، فقد يذكر المختصون بالدراسات المسمارية إنها تقع عند مصب نهر الخابور أو الباليخ في نهر الفرات^(٢). أما عن وصول سرجون الأكادي إلى الحكم توجد معلومات اسطورية وتاريخية ، وبعد أن أجرى المختصين المقارنة بينهما تم التأكد من ان الأساطير القديمة مهما احتوت من المبالغات في بناء أحداثها إلا أنها تبقى مستندة إلى معلومات حقيقية تاريخية انبثقت منها، وهذا مما يعني أن الأسطورة لا تصنع من الخيال المجرد ، بل تعمل فقط على تجسيم تلك الحقائق التاريخية والمبالغة فيها ، ذلك لأن التجسيم والمبالغة في سرد الأحداث كان يستهوي

١ - ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : ٣٩٣. ينظر : رشيد فوزي ، سرجون الأكدي

أول إمبراطور في العالم : ١٨-١٩.

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ١٨-١٩.

محبي الادب آنذاك^(١). ويشير النص الأسطوري أن سرجون بعد أن تربى في بيت الساقى (أكي)^(٢) ، وبلغ رشده أخذ يعمل فلاحاً ، وكان يمارس عمله بكل همة ونشاط ، وفي أحد الأيام رأته الآلهة عشتار فأعجبت به وبقوته وحبه لعمله ، مما جعلها تساعد في الوصول إلى الحكم ، وبقي في الحكم مدة خمس وخمسين سنة ، وهذا ما يدل على أنه تسلم مقاليد الحكم في بداية شبابه ولم يتجاوز العشرين من عمره^(٣). تقول الأسطورة على لسان سرجون^(٤) : (("أنا سرجون الملك العظيم ، ملك بلاد أكد . كانت أُمِّي كاهنة عظمى ، وأنا لا أعرف أبي ، كان شقيق أبي يحب التلال ، مدينتي أزوبيرانو، التي تقع على ضفاف الفرات ، لقد حملتني أُمِّي وولدتني سراً ، وضعتني في سلة من البردي وختمت غطاءها بالقيصر . ومن ثم رمتني في النهر الذي لا يغمرني ، فحملني النهر و أخذني إلى الغراف أكي ، فأخذني الغراف أكي أبناً له . وجعلني الغراف أكي بستانياً عنده . وعندما كنت بستانياً منحتني عشتار حبها ، ومضت الأيام إلى أن سرت ملكاً ، فاضطلعت بمهمة الملوكية أربعاً و (خمسين) سنة)) . وبعد فترة زمنية لا تقل عن ألف عام - حسب دعوى الأصول الأسطورية- ظهرت نفس هذه القصة من جديد في التراث العبري عند تحدثها عن موسى (عليه السلام) ، فكما يرون أن موسى (عليه السلام) قد يكون شخصية حقيقية، ولكن مما لا شك فيه أنه تم نسج الأساطير والخرافات حول هذه الشخصية من قبل اليهود وعلى نفس منوال شخصية سرجون

١ - ينظر : المصدر نفسه : ٢١ .

٢ - في مصدر آخر نقرأ أن الذي أنتشله سرجون من النهر هو متولي شؤون الري الإله أكي ملك كيش ورياه كابن له . ينظر : عبد الكريم العلوجي ، الملك سرجون الاكدي : ٢٦ .

٣ - ينظر : رشيد فوزي ، سرجون الأكدي أول إمبراطور في العالم : ٢١ .

٤ - عبد الكريم العلوجي ، الملك سرجون الاكدي : ٥ . عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٩٥-٣٩٧ .

الآكادي ، مع إضافة بعض التفاصيل لتتناسب مع الشخصية العبرية^(١) ، يقول الخوري بولس الفغالي : ((نحن هنا أمام ولادة (أسطورية) ولادة عجيبة مدهشة (اخر ٢ : ١ - ١٠) فحين يروي المؤرخ القديم ولادة شخص عظيم يروي أولاً الظواهر الفائقة التي تحيط بهذه الولادة. فمثلاً، حين ولد سرجون (الأول) الذي سيصبح ملك بلاد الرافدين، وضعت أمه في سلة طلتها بالقار وجعلتها على الفرات. هو خبر أسطوري. أما سرجون فكان ملكاً حقيقياً وقد أسس سلالة أكاد في القرن ٢٣ ق.م. استعمل الكاتب النهج عينه حين روى ولادة موسى. فخير المُرْضِع (الرضيع) الذي وُضِع في سلة من البردي على النيل، توحى تنبيه القارئ إلى أهمية هذا الشخص وإلى أنه موضوع عناية الله منذ ولادته))^(٢). , فالكاتب هنا يرى أنه كما نسجت حول قصة ولادة شخص عظيم مثل سرجون الآكدي وهو شخصية حقيقية (الاساطير) ، حدث ذات الامر في قصة ولادة موسى (عليه السلام) وما ذلك إلا لبيان أهمية الشخص ، وهذا التصريح من قبلهم يشير إلى أن نسخة الكتاب المقدس التي بين أيديهم قد دخل فيها الكثير من الاقتباسات الأسطورية ، فهؤلاء الكتبة يدونون الاحداث المذكورة في الكتاب على منوال الاساطير ، بعد أن فقدوا وحرفوا ما جاءهم به موسى (عليه السلام) من عند الله ، فعمدوا إلى ما شاع في زمانهم من أساطير للإفادة منها في تسجيل الاحداث التوراتية.. فقصة الطفل الطافي في النهر هي كانت وجه الشبه بين قصة سرجون وموسى (عليه السلام) ، ومن خلالها اتهموا شخصية موسى التوراتية و من ثم القرآنية بالأصول الأسطورية . وكما لاحظنا مسبقاً أن دعوى الأصل الأسطوري لقصة موسى (عليه السلام) ترتكز على مدى تشابه أحداث ولادته مع ولادة سرجون الآكدي ، مدعين أن التوراة ، ومن بعدها القرآن الكريم اقتبسوا أسطورة الطفل الطافي فوق الماء

١ - ينظر : مقال منشور على موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب تحت عنوان (قصة ولادة سرجون العظمى وسرقة اليهود لها ونسبها لموسى) ،

<http://www.wata.cc/forums/showthread.php?۴۹۲۵۱>.

٢ - في رحاب الكتاب ، العهد الأول : ٢٠٤ .

من تراث الحضارات السابقة خصوصًا الرافدينية منها (قصة سرجون الآكدي)^(١)، إلا أنه بعد استعراض أسطورة سرجون الآكدي المدونة على الألواح المسماوية ، وبالطبع ركزنا على تفاصيل ولادته التي هي مورد التشابه مع قصة موسى التوراتية والقرآنية ، تبين أن موارد التشابه تكاد تكون قليلة جداً لا تتعدى تفصيل خوف الام على مولدها من الهلاك ، مما يدفعها إلى وضعه في سلة وإلقاءه في النهر ، ونجاته بعد التقاطه من النهر من قبل أحدهم . وهذه التفاصيل القليلة التي تتشابه فيها مع النصوص السماوية لا يمكن من الناحية المنطقية الاحتجاج بها ، و ادعاء ان العبرانيين والمسلمين اقتبسوا شخصية نبيهم ، من شخصية تاريخية نسجت حولها الأساطير ، ولا يمكن أيضاً الاحتجاج بقول من يقول أن شخصية موسى (عليه السلام) الواردة في النصين هي نفسها شخصية سرجون الآكدي ، فهناك اختلافات كبيرة بين قصة كل منهما من حيث البيئة الجغرافية لكل شخصية وتفاصيل ولادته وحياته ويمكن أن يتوضح ذلك بصورة جلية عندما نستعرض بإيجاز بقية تفاصيل قصة موسى في كل من التوراة والقرآن الكريم . فهؤلاء الكتاب أخذوا من النص الشعري الذي تحدث عن الملك سرجون حجة للتشكيك في أصالة قصة ميلاد موسى (عليه السلام) التوراتية والقرآنية ، وهذه الوثيقة التي تحدثت عن ميلاد سرجون لم تشتهر هذا الاشتهار إلا لسبب ما جاء فيها من تشابه لقصة ميلاد موسى التوراتية^(٢).

١ - ويذهب هؤلاء المشككين من الملاحظة الى القول أن قصة طفولة موسى ونجاته من الموت ما هي الا محاكاة لقصة سرجون العظيم مع بعض التغييرات في بعض التفاصيل ، ثم جاءت المسيحية ووافقت على هذه الاسطورة التوراتية باتخاذها العهد القديم جزء من كتابها المقدس ، ثم جاء الاسلام ووافق ايضا ، بل اقتبس الاسطورة بثوبها التوراتي دون اي تغيير جوهري . ينظر : مقال منشور على موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب تحت عنوان (قصة ولادة سرجون العظيم وسرقة اليهود لها ونسبها لموسى) ، <http://www.wata.cc/forums/showthread.php?۴۹۲۵۱>.

٢ - ينظر : عامري . الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٩٤ . ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : ٣٩٣ .

ثانياً: موسى (عليه السلام) في التوراة والقرآن الكريم

يمكن تقسيم حياة النبي موسى (عليه السلام) على أربعة مراحل هي :

١- ميلاد موسى ٢- خروجه من مصر إلى مدين ٣- تكليف موسى (عليه السلام) بالرسالة وعودته

لأرض مصر ٤- خروج موسى (عليه السلام) ببني إسرائيل وغرق فرعون وجنوده :

وما يهمنا هنا هو المرحلة الأولى من حياته ، لكون أن شبهة الأصل الأسطوري لشخصية موسى التوراتية والقرآنية تم بناءها استناداً على تشابه أحداث ولادته مع بعض الأساطير (أسطورة سرجون الأكادي) .

المرحلة الأولى : ميلاد موسى (عليه السلام):

نقرأ في سفر الخروج (١١٢-٥) عن ميلاد موسى (عليه السلام):

((١. وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَآوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لَآوِي، ٢. فَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ٣. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحَمْرِ وَالزَّفْتِ، وَوَضَعَتْهُ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. ٤. وَوَقَّفَتْ أُمُّهُ مِنْ بَعْدِ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. ٥. فَانزَلَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِيَتَغَسَّلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفَطَ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أُمَّتَهَا وَأَخَذَتْهُ))^(١) . يتبين من النص التوراتي أن موسى (عليه السلام) ولد من أب (عمران بن قاهث بن لاوي) وأم من أبناء لاوي ابن يعقوب (عليه السلام) ، وأن أمه ولدتها سراً ، ذلك خشيةً عليه من القتل ، إذ أن فرعون موسى في تلك الحقبة الزمنية استاء من ازدياد أعداد بني إسرائيل وقوتهم في مصر ، فأراد التخلص منهم شيئاً فشيئاً بأساليب مختلفة^(٢) ، منها قتل أي مولود ذكر يولد في بني إسرائيل ، ولذا خبأته

١ - الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر الخروج : ١-٥ .

٢ - هنالك قصة توراتية تقول أن فرعون بعد استيائه من زيادة عدد العبرانيين وتشكيلهم خطراً ، دعا القابلاتين العبرانيتين اللتين لا ثلاثة لهما في كل شعب بني إسرائيل وطلب منهما أن يقتلا كل طفل يولد لبني إسرائيل

لثلاثة أشهر إلا أنها خشيت افتضاح امره وهلاكه على ايدي جلاوزة فرعون ، فقامت بوضعه في سلة من البردي مطلية بمادة القير ، ووضعتة في النيل ^(١). ووجدته ابنة فرعون ورقه قلبها له فأخذته ، وتساءلت أن كان من أبناء العبرانيين ، وكانت أخت موسى تراقب من بعيد لتعرف ماذا يفعل به ، فقالت لابنة فرعون ، هل ادلك على امرأة مرضعة له ؟ فقبلت ابنة فرعون، وذهبت الفتاة ، ودعت أم موسى (عليه السلام)

ذَكَرًا ((١٥ وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتِي الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الْأُخْرَى فُوعَةُ، ١٦ وَقَالَ: «حَيْثَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكُرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا». ١٧. وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللَّهَ وَلَمْ تَفْعَلَا كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَتَا الْأَوْلَادَ.)) سفر الخروج (١٥١١-١٧) . هذه القصة بحسب وجهة نظر منتقدي اصالة الكتاب المقدس تعد قصة ساذجة ، كونها تضيفي على فرعون مصر العجز عن التخلص من عبده بأجراء حاسم مع قناعته بأنهم يشكلون خطراً كبيراً ، فيلجأ إلى التآمر مع قابلتين ! فذلك مطلب سخيف . ويرى الكاتب أن هذه القصة هي الصورة اليهودية لأسطورة طالما اقترنت مع مولد الابطال المخلصين لتضيفي عليهم الجلال والقوة والبهاء . فهذه الأسطورة وضعت لنجاة موسى ابن عمران دون غيره من أطفال بني إسرائيل بطريقة عجيبة . ينظر : عصام الدين ناصف ، اليهودية بين الاسطورة والحقيقة : ٢٣٧.

١ - ينظر : البدرابي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ٨٠٢١٤ . يرى عصام الدين ناصف أن موسى (عليه السلام) ولد بطريقة سوية ، ولم تكن خارقة كولادة المسيح ، إلا أن نجاته من الهلاك كان بطريقة خارقة . و يرى بعض الباحثين أن الغرض من إلقاء موسى في النهر هو ليس إنقاذه من فرعون بل كان بغية التأكد من نسبه ، فقد كان من المألوف عندهم في زمانهم الجاهلي أن الطفل الذي يشك في صحة نسبه يلقي في اليم ، فإن طفا على الماء فذلك يدل على شرعية مولده ، وأن غرق عدوه غير شرعياً . ومثار الظن حسب زعم هؤلاء في نسب موسى (عنه السلام) كون أباه عمران قد تزوج عمته يوكابد وأنجب منها مريم وهارون وموسى ، وكان اليهود يعدون مثل هذا الزواج زنا بين المحارم بحسب ما سجلته الشريعة الموسوية فيما بعد . وأن أسطورة الطفل الطافي على الماء كانت معروفة في ذلك الزمان بين الشعوب ، ولعل قصة نجاة موسى (عليه السلام) من الموت على هذه الكيفية تكون منتحلة من قصة سرجون الأكادي الاب أول الملوك الساميين الذي حكم بابل . وقد تناول فرويد أسطورة ولادة البطل المنقذ بالدراسة والتحليل في ذلك : ((إن أقدم من نعرفه من الأشخاص الذين ارتبطت بهم خرافة الولادة هذه هو سرجون الاكدي ، مؤسس بابل حوالي عام ٢٨٠٠ ق.م وألف الأسماء إلينا في السلسلة التي تبدأ مع سرجون الاكدي إسماء موسى ، كورش و رومولوس ...)) فرويد ، موسى والتوحيد : ١٦ . ينظر : ناجح المعموري ، الأسطورة والتوراة : ٧٧ . ينظر : عصام الدين ناصف ، اليهودية بين الأسطورة والحقيقة : ٢٣٩.

لترضعه ، مقابل أجر من ابنة فرعون ، وأطلقت عليه ابنة فرعون أسم (موسى)^(١) ، وقالت انتشلتته من الماء^(٢) ، وعاش موسى (عليه السلام) بعدها في قصر فرعون أربعين سنة^(٣) .

ونقرأ عن ولادة نبي الله موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم : تشير المصادر الإسلامية أن موسى (عليه السلام) هو : ((موسى بن عمران بن يصر بن قاهث بن لاوي ، ينتهي نسبه إلى يعقوب عليه السلام ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم افضل الصلاة والتسليم ، أخوه هو هارون (عليه السلام) الذي بعثه الله عضيداً ومعيناً لموسى حينما أراد أن يبعثه إلى فرعون))^(٤) . وتعد قصة موسى (عليه السلام) من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم ، ولم يذكر خبر نبي بالتفصيل والتكرار مثل خبره . نزلت على موسى (عليه السلام) التوراة التي أتبعها من بعده جميع أنبياء بني إسرائيل ، ولم تتسخ إلا بعد نزول القرآن الكريم . وقد جاءت قصة أخيه هارون في ثنايا قصته^(٥) .

^١ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ٧٥ . تى لو تأكدت أنه ابن إحدى العبرانيات ، فلا بد أنها اطلقت عليه اسماً مصرياً . فأسم (موسى) مصري ، فوأن الرأي القائل أن جذر أسم (موسى) عبري خطأ ، وما كان لأبنة فرعون أن تطلق عليه اسماً عبرياً ، فهو ببساطة الكلمة المصرية (موس) والتي تعني طفل . فمن الأسماء المصرية الشهيرة تحوتمس ، أي تحوت + موس ، أي الاله تحوت منح طفلاً . وأيضاً أمنموس أي أمون + موس ، أي أن الاله امون منح الطفل . وقال بعضهم أن الاسم الذي أطلقوه عليه لا بد أن يكون من مقطعين ، والمقطع الأول يتضمن أسم أحد الالهة ، إلا أنه اهمل المقطع الأول بالتدريج واكتفي بالمقطع الثاني . ومن الآراء أنها لم تطلق عليه اسماً ، بل أن ابنة فرعون (حسب الرواية التوراتية أو زوجته حسب الرواية القرآنية) عندما التقطته من النهر عهدت إلى الجوازي العناية به وظل يشار إليه بـ موس ومع مرور الوقت مدَّ نهاية الاسم ، ذلك أن فرعون لم يطلق عليه اسماً حقيقياً أملاً منه في أن يولد له ولد من صلبه ليعطيه اسماً ونسباً وليرث العرش من بعده . هذا أحد الآراء التي فسرت اسم موسى . ينظر : البدراوي ، موسى وهارون (عليهما السلام) - من هو فرعون موسى : ٨٠٨ . ينظر : محمد أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية : ٦١ .

^٢ - ينظر : غطاس عبد الملك الخشبة ، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج : ١٧٩ .

^٣ - ينظر : القمص تادرس ملطي ، تفسير سفر الخروج : ٢٤ .

^٤ - الصابوني ، النبوة والانبياء في القرآن الكريم : ١٧٧ .

^٥ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٥٥ .

أما القصة القرآنية لولادة موسى ^(١) فتقول : أن فرعون استعبد بني إسرائيل واذاقهم حياة الذل والعبودية ، وتسلب عليهم ، واستحيا نساءهم للخدمة ، وأمر بقتل كل مولود ذكر لهم ، ذلك لخشيته منهم وخوفه على سلطانه ^(٢)، وفي خضم هذا الطغيان الكبير من فرعون ولد نبي الله موسى (عليه السلام) ، ولخشية أمه عليه من القتل ، ألهمها الله في قلبها بأن تضعه في التابوت ^(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي طَه: ٣٨ - ٣٩ ، وأن تلقي به في النهر (النيل) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذَا حَمَلْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧ ، فأوحى الله إليها أن لا تخاف عليه من الضياع والفرار، وأنه راده إليها وجاعله من الأنبياء ^(٤) . وأمرت أم موسى (عليه السلام) أخته أن تقتص أثره ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ القصص: ١١ ، وشاءت المشيئة الإلهية أن يلتقط آل فرعون موسى (عليه السلام) من النهر ، فرق قلب زوجة فرعون لهذا الطفل وطلبت عدم قتله و إبقاءها عسى أن تتخذه خادما أو ولداً قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ أُمَّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ ۖ

١ - فقد ذكر موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم مائة وستاً وثلاثين مرة ، موزعة على أربع وثلاثين سورة ، اجمالاً وتفصيلاً ، وأكثر السور تتاولاً لقصة موسى (عليه السلام) سواء قصة ولادته أو قصته مع فرعون أو بني إسرائيل هي كل من : سورة الأعراف - القصص - طه - البقرة - يونس - الشعراء . ينظر : الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل احداث : ٢٧٠١٢ . ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٤٦٩ .

٢ - ينظر : الخالدي ، القصص القرآني : ٢٦٨١٢ . ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ الأنبياء : ١٥٤ .

٣ - ينظر : الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : ٨٢١٣ .

٤ - ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٧٧١٧ .

لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ القصص: ٩ . في حين نجد أن القصة التوراتية لموسى (عليه السلام) تشير إلى أن ابنة فرعون هي من رأت الصندوق الطافي في النهر ، وهي من كان لها دور في حضانة موسى وتربيته في القصر الفرعوني (١) . وبعد أن عرض الطفل على المرضعات أبى أن يقبل واحدة منهن ، وهنا اغتتمت أخته الفرصة وعرضت على آل فرعون أن تدلهم على امرأة تتكفل بإرضاعه والعناية به ، وهكذا رد موسى (عليه السلام) إلى حضن والدته ليطمئن قلبها وكما وعدنا الله ، قَالَ تَعَالَى: ﴿١٢﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٣﴾ القصص: ١٢ . وبقي موسى (عليه السلام) في قصر فرعون حتى اشتد عوده وصار شاباً ووهبه الله العلم والحكمة (٢) (٣) . ولم يعرض النص التوراتي لحادثة أعراض موسى (عليه السلام) وهو طفل عن المرضع ، والتي أشار إليها القرآن في معرض حديثه عن تحقق الوعد الإلهي لام موسى بعودته إليها (٤) . وهذه هي تفاصيل ولادة موسى (عليه السلام) كما وردت في النص التوراتي والنص القرآني.

١ - ينظر : الدويكات، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة : ٦٥ .

٢ - ينظر : الحكيم ، القصص القرآني : ٢٣٣-٢٣٤ . ينظر : الطباطبائي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ٨٠٥١٤ .

٣ - ومن المسائل التي ينبغيها المنكرون لتاريخية حقيقة نبي الله موسى (عليه السلام) - ينكرون وقوعها تاريخياً لعدم وجود ما يثبتها : هي مسألة تربية موسى (عليه السلام) في قصر فرعون ، فالمطلع على تاريخ الفراعنة وعاداتهم في زمن المملكة المصرية الحديثة ، يرى أن هذا الأمر كان شائعاً عندهم في تربية أبناء من غير نسلهم ، ومن أصول غير مصرية . والقرآن الكريم قدم سبباً منطقياً واستثنائياً لتبني موسى (عليه السلام) ، وهو أن زوجته قد وقع حب هذا الطفل في قلبها ، ولعل ذلك لكونها عقيماً لم تتجب بعد قَالَ تَعَالَى: ﴿١٢﴾ وَقَالَتِ

أَمْرًا فِرْعَوْنَ فَرَّتْ عَيْنٌ لِيَ وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

﴿ القصص: ٩ . ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٨١ .

٤ - ينظر : نضال الدويكات ، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة : ٦٥ .

المرحلة الثانية : خروجه من مصر إلى مدين

ومن بعد أن كبر موسى (عليه السلام) في قصر فرعون وقضى فيه أربعين عاماً^(١) ، قتل مصرياً عندما أستتصره أحد العبرانيين فهرب موسى (عليه السلام) من مصر خوفاً من القتل ((وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبَرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيُنْظَرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ١٢ فَالْتَقَتْ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ...)) سفر الخروج(١٣١٢-١٥). فالنص التوراتي هنا يصور موسى (عليه السلام) قاتلاً عن عمد ، ومن دون أن تذكر التوراة أي شيء يدل على ندمه على هذا الفعل الشنيع^(٢). أما القصة القرآنية تقول : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ القصص: ١٥ - ٢٠، فالمنتبع لسيرة الأنبياء والرسل قبل بعثتهم ، يرى بوضوح بأنهم أبعد الناس عن المعاصي ، صغائرها وكبائرها ، ذلك لسمو ورفعة اخلاقهم ونقاء سريرتهم وعلو فطرتهم ، ذلك ليكونوا خير أنموذج ليقندي الناس بهم ، وأيضاً لا يكون أي اشكال على دعوتهم ، وعلى هذا جرت سيرة القرآن فمن هؤلاء الأنبياء موسى (عليه السلام) الذي أختاره الله من صفوة البشر ، وجعله

١ - ولا يشير النص القرآني إلى المدة التي قضاها موسى (عليه السلام) في قصر فرعون ، واختلف المفسرون في ذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ القصص: ١٤، فالمراد بـ(أشده) أي بلغ وأستوى (الأربعين أو الثلاثين أو الخمسة وعشرون ..) فالأقوال في تحديد المراد بـ(أشده) متباينة . ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٣٦١١٩ . ينظر : الماوردي ، النكت والعيون : ٢٤٠١٤ .

٢ - ينظر : الدويكات ، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة : ٦٦ .

من الأخيار المعصومين عن المعاصي . إلا أننا نجد التوراة المحرفة تأبى إلا أن تلتصق أبشع التهم واقبحها ، وعلى رأسها تهمة القتل العمد بموسى (عليه السلام) ، فهذا هو موسى التوراتي يتلفت ما حوله ومن ثم يقدم على قتل الرجل المصري ، ولم يكتف بذلك بل عمدَ إلى طمره بالرمل ، ومن دون الإشارة إلى ندمانه على فعلته . بينما نجد النص القرآني ينزه الأنبياء ومنهم موسى (عليهم السلام) من كل هذه الأفعال السيئة . فقتل موسى للمصري لم يكن عن قصد إنما كان حادثاً عرضياً^(١) . فموسى القرآني لم يستخدم آلة من شأنها القتل عادة ولم يضرب الرجل ضرباً مبرحاً يؤدي إلى القتل ، فقد عبر القرآن الكريم عن ما صدر من موسى بالوكز أي الضرب بجمع الكف في الصدر ، فهو كان يريد دفعه لا قتله ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ندم موسى (عليه السلام) على فعله هذا واستغفر ربه وأقرَّ بأنه من عمل الشيطان وطلب الرحمة والمغفرة من الله^(٢) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ القصص: ١٥ - ١٦ ، ومن بعد هذا الحدث خشى موسى (عليه السلام) افتضاح أمره ، ولما علم بأن أمره أصبح مكشوفاً ، وأن القوم يأتَمرون لقتله فخرج من المدينة خائفاً حذراً^(٣) ، فقصده مدينة مدين وجلس وحيداً قرب بئر ، وكان لكاهن مدين سبع بنات ، فأتين البئر من أجل التزود بالماء ، إلا إنَّ الرعاة طردوهن ، فسقى لهن موسى (عليه السلام) ، وعندما علم الكاهن بذلك من بناته طلب من إحدى بناته دعوته لتناول الطعام ، ومن بعد ذلك

^١ - ينظر : عفيف طبارة ، مع الأنبياء في القرآن : ٢١٩ ، ينظر : الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها :

٣٨٨ . ينظر : الصابوني ، النبوة والانبيا : ٥٣ .

^٢ - ينظر : السمر قندي ، بحر العلوم : ٦٠١١٢ . ينظر : الماوردي ، النكت والعيون : ٢٤٢١٤ . ينظر :

ابن منظور ، لسان العرب : ٤٣١٥ ، (مادة وكز) .

^٣ - ينظر : القشيري ، لطائف الإشارات : ٩٥١٣ . للأطلاع على تفاصيل الحدث ينظر : الصابوني ، النبوة

والانبيا : ١٨٢-١٨٣ .

ارتضى الكاهن ان يزوج موسى إحدى بناته ، واصبح راعياً للغنم عنده بعد أن كان أميراً مصرياً (١)))
فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبُئْرِ. ١٦. وَكَانَ لِكَاهِنِ مِصْرَ سَبْعُ بَنَاتٍ،
فَأَتَيْنَ وَأَسْتَقِينَ وَمَلَأْنَ الْأَجْرَانَ لِيَسْتَقِينَ عَنْهُنَّ أَبِيهِنَّ. ١٧. فَأَتَى الرَّعَاءُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَهَضَّ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى
عَنْمَهُنَّ..... فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَدَنَا مِنْ أَيْدِي الرَّعَاءِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْعَنْمَ». ٢٠. فَقَالَ
لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكَتُنَّ الرَّجُلَ؟ ادْعُوهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». ٢١. فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ،
فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتَهُ.)) سفر الخروج (١٧١٢-٢٣). أما المصادر الإسلامية تشير إلى أن كاهن
مدين هو نبي الله شعيب (٢) (عليه السلام) ، وكان له بنتين وليس سبعة كما يشير النص التوراتي ، وأن
موسى (عليه السلام) لما قصد مدين وسقى للبنتين ، أرسل شعيب بعد علمه بما جرى في أثر موسى (عليه
السلام) ، فجأته إحدى البنتين على استحياء تدعوه للحضور ، ولما علم شعيب (عليه السلام) ما جرى
لموسى (عليه السلام) طمنه بالنجاة من فرعون وقومه ، وأقدم على تزويج موسى من إحدى بناته مقابل أن
يأجره موسى (عليه السلام) عشر سنوات ، فعمل خلالها راعياً للغنم عند شعيب (٣) . الاختلافات بين
القصة التوراتي والقرآني هنا تكاد تكون طفيفة في بعض التفاصيل ، كعدد بنات شعيب (عليه السلام) أو
الحوار الذي دار بين موسى والفتاة بطلب من والدها ، والحوار الذي دار بين موسى (عليه السلام) وشعيب

١ - ينظر : سفر الخروج من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٣٣. ينظر : السواح ، القصص القرآني
ومتوازياته التوراتية : ٧٦.

٢ - يقال أن كاهن مدين هو نبي الله شعيب ، وقيل أنه ابن أخيه ، وقيل أنه ابن عم شعيب وليس شعيب
النبي الذي ارسله الله إلى مدين ، إلا أن أرجح الآراء المشهورة بين المفسرين أنه هو نبي الله شعيب (عليه
السلام) فقد مد الله في عمره وعاصر موسى (عليه السلام) ، وأيضاً من الآراء الراجحة أنه رجل مؤمن من أهل
مدين . ينظر : الصابوني ، النبوة والانبياء : ١٨٤. ينظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير : ٢٢٨١٦. ينظر
: الخالدي ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل احداث : ٣٣٧١٢.

٣ - ينظر : علي يوسف ، موسى (عليه السلام) : ٣٩

(عليه السلام) والاتفاق المبرم بينهما ^(١). وتقول الرواية التوراتية في أثناء وجود موسى (عليه السلام) في مدين مات فرعون ، وتولى ملك جديد زمام الحكم في مصر ((٢٣ وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلَكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا، فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ)) سفر الخروج (٢٣١٢) ، ((وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِديَانَ: «أَذْهَبْ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ، لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ»)) سفر الخروج (١٩١٤). في حين يشير النص القرآني إلى خلاف ذلك ففرعون الذي نشأ موسى (عليه السلام) في قصر لم يميت في تلك الفترة بدليل قوله تعالى ^(٢) : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ...

﴿ الشعراء: ١٨ - ٢٢ ﴾

المرحلة الثالثة : تكليف موسى (عليه السلام) بالرسالة وعودته لأرض مصر (مواجهة مع فرعون) :

أما عن تكليف موسى (عليه السلام) بالرسالة ، يكشف النص التوراتي أن موسى (عليه السلام) كان منشغلاً في عمله برعاية الأغنام ، وكان قرب جبل حوريب هنالك رأى شجرة مشتعلة لكنها لا تحترق ، فلما ذهب ليستطلع الأمر هنالك ناداه الرب وطلب منه أن يخلع نعله لأنه في الوادي المقدس ^(٣) ((١ وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِديَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وِراءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ. ٢ وَظَهَرَ لَهُ مَلَائِكُ الرَّبِّ بِلَهِيْبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عَلْنِيَّةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلْيَقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلْيَقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. ٣ فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعُلْيَقَةُ؟». ٤ فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالٌ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعُلْيَقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هَأَنْدَا». ٥ فَقَالَ: «لَا تَقْتَرِبْ إِلَيَّ هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَقِفْتَ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ»)) . سفر الخروج (١١٣-٥) . وطلب

١ - ينظر : أرحام العودات ، سفر الخروج في توراة اليهود عرض ونقد : ١٣٣ .

٢ - ينظر : العودات ، سفر الخروج في توراة اليهود عرض ونقد : ١٣٣ .

٣ - ينظر : سفر الخروج من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٣٤ .

الرب من موسى العودة إلى مصر وإنقاذ بني إسرائيل من المصريين ووعده موسى أنه معه في هذا التكليف ، وحاول موسى أن يعتذر لشعوره بعدم أهليته لهذه المهمة الكبيرة ، وخوفه من عدم تصديقه ، إلا أن الرب لم يطلب من موسى ذلك بمفرده بل أعطاه موارد أخرى لمعونته وهي (تكليف اخوه هارون معه ، و معجزة العصا ، واليد البيضاء) ^(١) ((٢) فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا». ٣. فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ٤. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنْبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ. ٥. «لِكَيْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». ٦. ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخُلْ يَدَكَ فِي عُيُنِي». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُيُنِي ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءٌ مِثْلَ التَّلْجِ)) سفر الخروج (٢١٤-٦) . وبعد أن عاد موسى (عليه السلام) والتقى بأخيه هارون ، وزعماء بني إسرائيل ، عرض هارون على زعماء اليهود المعجزات الإلهية لكي يؤمنوا بهم بنو إسرائيل ، وبعد أن آمنوا بهم ، ذهبوا إلى فرعون ، وعرضوا عليه المطلب الأساسي وهو اطلاق بني إسرائيل ليعبدوا الله في البرية ، وقد أنكر فرعون طلبهم هذا ، ويتبين مما ذكره النص التوراتي أن الهدف الأساسي لرسالة موسى (عليه السلام) هو اخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون ، ولا يوجد ذكراً في التوراة يدل على أن موسى عرض على فرعون الإيمان بالله ، وكأنه مستثني من هذه الدعوة ، وأنها مختصة ببني إسرائيل وحدهم دون غيرهم ^(٢) . وقد تحدث النص التوراتي عن المواجهة بين موسى وهارون (عليهما السلام) مع فرعون وحاشيته عندما طلب منهما فرعون معجزة : ((وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٩ «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيْبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرُ ثُعْبَانًا». ١٠. فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلَا هَكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونَ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عِبِيدِهِ

١ - ينظر : سفر الخروج من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٣٥ .

٢ - ينظر : الدويكات ، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة : ١١١ . ينظر : صلاح بن عبد الله السميح ، موسى عليه السلام بين القرآن والتوراة : ١٦١ .

فَصَارَتْ تُعْبَاتًا. ١١. فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عِرَافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذَلِكَ. ١٢. طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتِ الْعِصِيُّ تُعَابِينَ. وَلَكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصِيَهُمْ. ١٣. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ)) سفر الخروج (٨١٧-١٣) . فقد أجرى الله المعجزة على يد هارون عندما تحولت عصاه إلى حية كبيرة ، وعند ذلك دعا فرعون السحرة والحكماء لمواجهة موسى وهارون (عليهما السلام) ، وقد عمدوا إلى تقليد ما جاء به موسى وهارون من خلال السحر والأعمال الشيطانية ، إلا أن تلك الأعمال كلها فشلت أمام معجزة موسى وهارون (عليهما السلام)، فما هي العصا عندما يلقيها هارون تتحول إلى ثعبان كبير يبتلع عصيهم وحبالهم التي سحروا بها أعين الناس ، وفشلوا أمام المعجزات الإلهية . ومع ذلك الانتصار لم يؤمن فرعون بهما ولم يطلق بني إسرائيل (١) ، فاستحق بذلك عقوبات ربانية كي تستدرجه لأطلاق بني إسرائيل ، فكانت تلك العقوبات هي تحول الماء إلى دم ، فكان موسى يطلب من هارون أن يضرب بعصاه النهر فيتحول إلى دماء ، وكذلك أرسل الله إليهم الضفادع ، والذباب ، واهلك مواشيهم (الخروج ، الاصحاح ٧-١١) . والخبر القرآني عن تكليف موسى (عليه السلام) بالرسالة يروي لنا أن موسى لما قضى الاجل المنفق عليه بينه وبين شعيب (عليه السلام) عزم موسى (عليه السلام) العودة إلى مصر فسار موسى (عليه السلام) بأهله وبينما هو في الطريق ، وفي ليلة مظلمة باردة تاه ولم يهتدي في ذلك الظلام ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلََمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ القصص: ٢٩ ، وكما يوضح النص القرآني ، بينما هو كذلك آنس ناراً من جانب الطور ، فأوقفهم موسى (عليه السلام) في مكانهم ، وذهب صوب النور لعله يأتيهم بقبس منها أو هدى ، فلما وصل ناداه الله ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلََمَّا آتَاهَا نُورٍ مِنْ شَطِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنَّ

١ - ينظر : سفر الخروج ، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٤٣ .

يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ القصص: ٣٠ ، وكلم الله موسى (عليه السلام) وكلفه بالرسالة عند جبل الطور المسمى (طور سيناء) ، وآتاه معجزة العصا واليد البيضاء في تسع آيات ، واختاره للرسالة إلى فرعون وقومه ، وكلفه بإنقاذ بني إسرائيل من فرعون ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ القصص: ٣١ - ٣٢ ، وارسل الله معه أخوه هارون رسولاً ^(١) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴿٣٥﴾ القصص: ٣٥ ، ولما وصل موسى (عليه السلام) إلى مصر سار مع أخوه هارون (عليه السلام) إلى فرعون وقالوا أنا رُسل رب العالمين ، وطلب موسى من فرعون وقومه الايمان بالله تعالى ، وأن يرسل معه بني إسرائيل ، و أن يرفع عنهم العذاب قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ طه: ٤٧ . إِلَّا أَنْ فِرْعَوْنَ اسْتَكْبَرَ الدَّعْوَةَ الْجَدِيدَةَ ، وجادل موسى (عليه السلام) ، فهو كان يدعي الربوبية ، فاتهم موسى وأخيه هارون بالجنون والكذب ، وما موسى إلا ساحرٌ كذاب ، بعد أن أقام عليه موسى (عليه السلام) الحجة من خلال المعجزات التي منحها إياه الله ، فعند ذلك أشار قوم فرعون وخاصته أن يوجه سحر موسى بالسحر ، فحدد موعد وحشد الناس وأتى بالسحر ليغلبوا موسى (عليه السلام) ، وينتصر عليه ، فألقى السحرة عصيهم وحبالهم ، فأتوا بسحر عظيم من ثعابين وحيات ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْفُوا فَاذًا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ طه: ٦٦ ، ولما

^١ - ينظر : الصابوني ، النبوة والانبياء : ١٨٦ . ينظر : البدراوي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ٨٣١٤ . ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآني وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٤٦٩ .

القي موسى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين وأعلنوا إيمانهم برب موسى

وهارون ، إلا أن فرعون اصر على جحوده وعناده ، وأمر بقتل السحرة لأيمانهم (١) ، قَالَ تَمَّالَى: ﴿وَأَلْقَى مَا

فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُبْحًا قَالُوا

ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ إِنَّهُ لَكَبِيرُكَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ﴿٧١﴾ طه: ٦٩ - ٧١ ، وبعد يوم الزينة وخسارة فرعون وملئه أمام موسى

(عليه السلام) ، لم يكف عن إيذاه لبني إسرائيل بل زاد ذلك ، ولم يرسل معه بني إسرائيل ، واستمر

موسى وأخا هارون (عليهما السلام) في مواجهة فرعون وتحذيره عبر آيات كثير عسى أن يهتدي، (٢) (٣).

المرحلة الرابعة : خروج موسى (عليه السلام) ببني إسرائيل وغرق فرعون وجنوده

١ - ينظر : الصابوني ، النبوة والانبياء : ١٨٧ . ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآني وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٤٧٠ . ينظر : الحكيم : القصص القرآني : ٢٣٩-٢٤٠ .

٢ - معجزات موسى كما ذكر القرآن تسع هي : الطوفان ، الجراد ، القمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، اليد ، انفلاق الحجر ، وانفلاق البحر . وإذا تتفق التوراة مع القرآن في بعض المعجزات مثل : اليد ، العصا ، الجراد ، الضفادع ، انفلاق الحجر ، انفلاق البحر ، وتختلف في أخرى مثل : الظلام الكثيف ، وإسقاط البرد ، والدمل والذباب ، والبعوض ، وموت المواشي . ينظر : العوادات ، سفر الخروج في تورا اليهود عرض ونقد : ١٢٥ .

٣ - يجادل المنكرون لحقيقة موسى (عليه السلام) حول الابتلاءات أو الضربات كما عبرت عنها التوراة ، التي إصابة مصر ، فكيف تضرب البلاد كل هذه العقوبات من قلة الماء ، والطوفان ، والجراد والضفادع .. المذكورة في كل من النصين التوراتي والقرآني ، ولا نجد لها أثراً في الاثار ، فمن المحال أن تغفلها الاثار لو أنها وقعت حقاً . والجواب على ذلك نقول : لم تحفظ لنا منطقة دلتا النيل من أخبار عصر رمسيس الثاني وأبنة سوى الاثار التي تركها الفرعونان تمجيداً لحكهما ، وتمجيد سلطتهما ، أما أخبار موسى وما نزل بمصر فلا وجود لذكرها ، ذلك لكونها مصدر اذلال لفرعون ، لهذا لا نجد لها أي خبر . وعلى ما يبدو أنها وقعت في زمن متقارب لربما في عام واحد أو في موسم الحصاد فقط . وبالتالي اغفال أحداث عام واحد او عامين ، من فترة حكم رمسيس الثاني الذي دام (٦٦) سنة ، ليس بالأمر العجيب أو الغير ممكن . ينظر : - عامري ، الوجود التاريخي : ٣٨٤-٣٨٦ .

أمر الله موسى (عليه السلام) أن يسري ببني إسرائيل هرباً من فرعون وجنوده حتى إذا وصل البحر مد موسى يده فوق البحر ، وأرسل الله الرياح الشرقية فتراجع البحر إلى الورا ، وعند ذلك عبر موسى (عليه السلام) وقومه ، حسب ما يوضح النص التوراتي ، ((فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ ٢٣ وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ . جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ .)) الخروج (٤ - ٢٢) ، ولحقهم فرعون وجنوده . أما القصة القرآنية تذكر أن موسى (عليه السلام) أمره الله أن يضرب البحر بعصاه فانشق أثنا عشر طريقاً يابساً عبر من خلاله بني إسرائيل ^(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ الشعراء: ٦٣ - ٦٦ ، وما أن لحقهم فرعون وجنوده حتى أغرقهم الله وكانوا من الخاسرين ، الرواية التوراتية تقول أن فرعون الخروج قد غرق في البحر الأحمر ، ولم يعثر له على أثر . أما الرواية القرآنية تقول ، أن فرعون قد غرق وجثته قد انتشلت ليكون عبرة وموعظة لمن يأتي من بعده ^(٢) . نكتفي بهذا الحد من قصة موسى (عليه السلام) في كل من التوراة والقرآن الكريم ، وبصورة موجزة ، لأن قصة موسى (عليه السلام) غنية بالأحداث، إذ كانت الغاية بيان الفروقات الكبيرة بين الأحداث في المصدرين الكتاب المقدس والقرآن الكريم حتى تغند فكرة إنَّ القرآن أخذ من الأساطير بوساطة الكتاب المقدس، إذ كيف سوف تفسر هذه الاختلافات في التفاصيل حينها؟.

نخلص مما تقدم

١ - ينظر : أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٣١١٦ . ينظر : الشوكاني ، فتح القدير : ٤٤٦١٣ . ينظر : المشهدي ، تفسير كنز الدقائق : ٢٤٣١١ .

٢ - ينظر : أبو العينين ، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن : ٦٦ . ينظر : سفر الخروج ، من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٦١ . للاطلاع على القصة التوراتية والقرآنية بتفصيل ، ينظر : البدراوي ، قصص الأنبياء والتاريخ : ج ٤ .

إنَّ من أبرز المشتركات بين القصة التوراتية والقرآنية :

- ١- الظلم والاضطهاد الذي تعرض له بني إسرائيل على يد فرعون .
- ٢- ولادة موسى (عليه السلام) سراً ، وإلقاءه في النهر .
- ٣- التكليف الإلهي لموسى وهارون (عليهما السلام) بإخراج شعب بني إسرائيل من مصر .
- ٤- مجيء موسى (عليه السلام) بمعجزات وآيات لغرض محاجة فرعون وقومه .
- ٥- إنزال العقوبات المتتالية على فرعون وقومه .
- ٦- هروب موسى (عليه السلام) وقومه من مصر ، شق البحر لهم من قبل الله للعبور ، وغرق فرعون وجنوده .

أما أهم الفروقات بين القصة التوراتية والقصة القرآنية :

- ١- من تناقضات التي وقع فيها النص التوراتي هي طريقة إنقاذ موسى (عليه السلام) ، فأمه لما ولدته ورأته أنه حسن خافت عليه ووضعتة في تابوت ، ووضعتة على حافة النهر ، وأن جواري بنت فرعون رأين الصندوق بين الحشائش على حافة النهر ، فأم موسى ما كانت تلقيه الآ بعد ما رأته (أنه حسن)! ، في حين أن النص القرآني يذكر أن السبب في إلقاءه في النهر هو إنقاذه من فرعون ، وكذلك أن أم موسى لما وضعتة في الصندوق ، ألقته الصندوق في النهر لا على جرف النهر بين الحشائش .
- ٢- جعل النص التوراتي من موسى (عليه السلام) مجرماً ، عندما قتل الرجل المصري ، ولم يذكر أنه ندم على فعلته ، بل فعل ذلك عن سبق الإصرار . في حين يذكر النص القرآني أن موسى (عليه السلام) لم يفعل ذلك عن قصد ، وأنه ندم على ذلك واعترف أنه من عمل الشيطان واستغفر ربه .

٣- في القصة التوراتية كان لكاهن مدين سبع بنات ، وقمن بالذهاب إلى البئر لأخذ الماء . أما في القصة القرآنية فإن لكاهن مدين بنتين فقط .

٤- أن موسى التوراتي قد تلقى الوحي عندما كان منشغلاً برعي الأغنام ، أما موسى (عليه السلام) في القصة القرآنية قد تلقى الوحي الإلهي في طريق عودته إلى مصر ، أمر بالتكليف الإلهي.

٥- في التوراة نجد أن معجزة قلب العصا إلى حية كانت على يد هارون ، وليس موسى (عليهما السلام) ، أما القرآن أشار بصريح العبارة أن ذلك حدث على يد موسى (عليه السلام).

٦- عندما سرد النص التوراتي قصة موسى (عليه السلام) اهتم بالأحداث ، ولم يتطرق إلى الخصائص الإيمانية ، على سبيل المثال ، لم يذكر شيئاً عن مدى صلاح بنات كاهن مدين ، وكذلك لم يذكر أن موسى (عليه السلام) قد دعا فرعون للإيمان بالله ، بل أن رسالته كانت مقتصرة ببني إسرائيل وحدهم ، أنه فقد طلب منه أن يترك بني إسرائيل للذهاب معه . في حين ركز القرآن الكريم على إبراز الخصائص الإيمانية ، من دعوة فرعون للإيمان بالله ...

٧- تذكر التوراة أن فرعون الخروج قد غرق في البحر ولم يعثر على بدنه ، أما القرآن يذكر أنه أنقذ بدنه ليكون عبرة للعالمين .

إذاً فالاختلاف بين القصة التوراتية لموسى (عليه السلام) والقصة القرآنية واضح بالرغم من وجود الكثير من المشتركات بين كل من النصين وهذا بالطبع يثبت وحدة المصدر الإلهي للكتابين السماويين .

ولسنا بصدد بيان التناقضات والأخطاء التي وقع فيها النص التوراتي فقصة موسى (عليه السلام) سواء التوراتية منها أم القرآنية واضحة ، فهي تختلف عن أسطورة (سرجون الآكادي) ولا مجال للقول أن شخصية موسى (عليه السلام) لها جذور أسطورية ، فلا النص التوراتي بالرغم من وقوع التحريف فيه اقتبس شيئاً من أسطورة سرجون الآكادي ، ولا النص القرآني الحق اقتبس شيئاً من الأساطير ، ولا من النص التوراتي ، إنما كانت القصة القرآنية عن موسى (عليه السلام) مصححة أو مؤيدة للخبر التوراتي الذي وقع فيه

التزييف بالرغم من تشابه تفاصيل القصة في كثير من الموارد .
وعلى هذا فإنّ دعوى اقتباس شخصية النبي موسى (عليه السلام) من أسطورة سرجون دعوى مرفوضة
لأسباب كثيرة منها :

١- إنّ موضوع التشابه في القصتين كما أشرنا هو فقط في وضع الأم لطفلها سراً ، ومن ثم وضعه
في سلة مطلية بالقيصر والقائه في النهر . أما بقية التفاصيل الجزئية فلا تشابه فيها مع قصة موسى
(عليه السلام) الوارد ذكرها في كل من التوراة والقرآن الكريم :

أ. إنّ أمّ موسى (عليه السلام) لم تكن كاهنة ، بل كانت امرأة عظيمة وجليلة .

ب. والد موسى (عليه السلام) لم يكن مجهولاً ، فهو رجل من ابناء لاوي ، حسب النص التوراتي .

ت. موسى (عليه السلام) وضع في مجرى ماء في مصر (نهر النيل) ، أمّا سرجون الآكادي وضع في
مجرى ماء (نهر الفرات) في بلاد الرافدين .

ث. إنّ أمّ موسى (عليه السلام) لم تضعه في سلة وتلقي به في النهر لأنه مولود غير شرعي ، إنما
خشيةً من أن يقتله فرعون .

ج. جاء في أسطورة سرجون أن الذي التقطه من النهر وتولى رعايته ، هو رجل فقير يعمل ساقياً ،
أما في النص التوراتي أن من اكتشف الرضيع وتولى رعايته هي ابنة فرعون ، وفي النص القرآني
زوجة فرعون .

ح. سرجون الآكادي ترعرع في بيت الساقى الفقير ، في حين أن موسى (عليه السلام) ترعرع في
قصر فرعون .

خ. إنّ سرجون كان يعمل بستانياً ، ومن بعد أن أحبته إلهة الحب (عشتار) في بلاد الرافدين ، ساعدته
فصار ملكاً لبلاد الرافدين ، أمّا موسى (عليه السلام) عندما عاش اول مرحلة من حياته في قصر

فرعون لم يصير ملكاً ، فهو خرج هارباً من قصره ، وبعد بعثته بالرسالة ، وهروبه ببني إسرائيل خارج مصر صار زعيماً أضافه لكونه نبياً لهم .

٢- يقول النقاد إن قصة سرجون الآكادي قد كُتبت في منتصف النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد ، قبل عصر موسى (عليه السلام) بقرون . وإثبات إن قصة موسى (عليه السلام) تعتبر مجرد نسخ لتراث قديم يعود لعصر سرجون الآكادي ، يحتاج إلى دليل قوي ، وحالياً لا يوجد أي دليل يثبت أن هذه القصة تعود إلى عصر ما قبل موسى (عليه السلام) .

٣- أن التشابه في بعض تفاصيل القصة لا يعني بالضرورة أن أحدها أخذ من الآخر ، خصوصاً إذا كانت الاختلافات بين القصتين واضحة وكبيرة . وقد جمع (دونالد ردفور) كل أساطير (الطفل المتروك) المعروفة في تراث منطقة الشرق الأدنى القديم ، وقسمها إلى ثلاثة أنواع هي :

أ. الطفل المتروك بسبب العار .

ب. محاولة الملك أو شخصية أخرى ذات قوة ونفوذ قتل الطفل ، لكونه يشكل تهديداً مستقبلياً لحكمه .

ت. مجزرة تهدد حياة طفل وآخرون .

وانتهى إلى أن قصة سرجون الآكادي تمثل النوع الأول ، وقصة موسى (عليه السلام) تمثل النوع الثالث ، وعلى أساس هذا أنكر أن تكون الشخصيتين متقابلتين .

٤- وقد فسر عالم المصريات (هوفماير) ورود قصة الوليد الذي يلقي في النهر في تراث الشرق الأدنى القديم بكثرة ، لكون هذا الامر كان شائعاً ، ذلك أما بقصد حمايته من تهديد معين أو للتخلص منه

. كما في وقتنا الحاضر وجود ظاهرة ترك الطفل حديث الولادة على باب مسجد أو أحد دور العبادة

الأخرى ، أو مستشفى أو دار ايتام ، لأسباب متعددة (١).

٥- لعل من أهم الأسباب التي استند إليها الملاحدة وأصحاب القراءات الحداثية في اطلاق دعوى

الأصل الأسطوري لقصة موسى(عليه السلام) ، هو ليس فقط ما ذهبوا إليه من تشابه قصة ولادته

مع ولادة سرجون الأكدي ، إنما لسبب صمت الآثار المصرية عن قصة موسى وبني إسرائيل .

فمن الواقع جداً أن لا يتوقع منصف أن أخبار قلة قليلة مستضعفة في مصر، وقد هاجرت في

زمن حاكم طاغية متأله ، ومنذ أكثر من ثلاثة الآف سنة ، ستترك لها بصمات في الآثار المصرية

، لذا فغياب الشواهد الأثرية لقصة موسى (عليه السلام) سواء (أسمه أو ولادته ، أو حياته في

قصر فرعون ، أو أحوال بني إسرائيل في تلك الحقبة الزمنية ، أو مواجهة موسى وهارون (عليهما

السلام) لفرعون ، ...) ، أمر متوقع جداً ، وإنّ رفض الكثير من الأركيولوجين لهذه القصة جاء

لغياب الشواهد الأثرية التي تدل على وقوعها .

ولا ننسى أن التاريخ المصري ليس أميناً في ذكر أخبار العصر ، وأن النقوش الأثرية بالرغم من كثرتها

وتنوعها في الحضارة المصرية ، إلا أنها ليست على الطريقة السردية ، المعروف في كتب المؤرخين ،

إنما هي سرديات في أغلبها نقشتم لتمجيد الفراعنة وسرد بطولاتهم وفتوحاتهم وإنجازاتهم . وقد يبلغ الأمر

في التعامل مع الاحداث بشيء من الكذب والتزييف صيانة لسمعة الفرعون ، والشواهد على ذلك كثيرة مما

توصل إليها المؤرخين والاركيولوجين (٢) . يذهب (جاردنر) إلى أن قصة خروج بني إسرائيل من مصر

يجب أن تبقى تفاصيلها في حدود الأسطورة ، كما في قصة التكوين التوراتية ، حتى العثور على براهين

جديدة تختلف عما موجود بين أيدينا ، ولابد من السعي إلى تفسير هذه القصة على فرض أنها أساطير .

١ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٩٧.

٢ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٧٣-٣٧٤ . للاطلاع على الشواهد التي أستندو إليها ، ينظر : نفس المصدر : ٣٧٤-٣٧٧.

وأن عدل جاردرنر عن رأيه هذا فيما بعد ، عن القول أن كل قصة الخروج خرافية ، إذ أنها تعكس حادثة تاريخية معينة ، خروج الهكسوس من أرض مصر ^(١) . فيما يعلل (سمث) صمت الآثار المصرية عن قصة الخروج ، بكون ذلك لا يدعو إلى الدهش ، فالآثار المصرية لا تحتفي بذكر حادث هروب مجموعة من العبيد من سادتهم ، وذلك الحدث غير مثير للاهتمام عند المصريين ^(٢) . وفي معرض الرد على رأي جاردرنر وسمث ، أولاً : فالقصة وأن لم تُذكر في المصادر المصرية إلا أنها ذُكرت في كل من التوراة والقرآن الكريم ، ومن البديهي أنه ليس من باب العلم ولا من باب الإيمان بالله وكتبه وأنبياء ، أن نشكك في أمر أجمعت الكتب السماوية عليه . وكما أنه ليس بالأمر البعيد أن تكشف التنقيبات الأثرية عن بعض الآثار التي تثبت وقوع هذه الأحداث ^(٣) . وثانياً : أن عدم العثور على أسماء الأنبياء والمرسلين في النصوص الأثرية ، ذلك لكون حقيقة الصراع بين الملوك و دعوات الأنبياء يدعو إلى عدم سماح هؤلاء الملوك والمؤهلين إلى تسجيل مبادئ هذه الدعوات والصراع الدائر بينهم ، و هذه المصادر كانت تكتب بأمر من الملوك أو مدعي الألوهية ، فكيف لملك يدعى بكونه إلهاً أن يقبل أن تسجل نصوص الفراعنة ، غرق الإله الفرعون ، ونجاة العبيد المستضعفين ، فهذا أمر ترفضه العقيدة المصرية ، وهذه الظاهرة يلمسها المؤرخ بوضوح في تاريخ الشرق الأدنى القديم ^(٤) . فجاردرنر لم يستند في ادعائه إلى دليل ، وهذا بالطبع يمثل منهج اللادينيين اليوم في تفاعلهم مع النص القرآني .

١ - ينظر : بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن : ٣٣١١٢ .

٢ - ينظر : بيومي ، دراسات تاريخية من القرآن : ٣٣٠١٢ .

٣ - كما أشارنا في ما سبق من فصول الاطروحة ، بعض الأسباب وراء عدم قراءة النصوص الاثرية بصورتها الصحيحة ، وبالتالي عدم وصولنا إلى مراد كاتبها .

٤ - ينظر : بيومي ، دراسات تاريخية من القرآن : ٣٣٢ . ينظر : بيومي ، الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفرعونية : ٣ .

، ونقول بناءً على ما سبق من فصول هذه الأطروحة ، لا وجود للاقتباس في قصة موسى (عليه السلام) سواء التوراتية أو القرآنية ، فلم نرَ تلك الاقتباسات النصية من الأساطير السابقة كما وجدنا ذلك في قصة التكوين التوراتية ، فكانت الاقتباسات واضحة ، وحتى في بعض المواضع كانت نصية من الاساطير ، وكذلك في قصة نبي الله نوح ، فكانت اقتباسات الكتبة من الاساطير جلية للقارئ .

المطلب الثاني : شخصية النبي يونس (عليه السلام)

يحاول اللادينين كالعادة البحث عن ثغرات_ حسب تصورهم_ للطعن في الأديان السماوية ، والدين الإسلامي بصورة خاصة ، فكما عمدوا إلى استغلال ذلك التشابه البسيط بين قصة ولادة النبي موسى(عليه السلام) ، والإمبراطور الآكدي سرجون ، للطعن في شخصية موسى التوراتية والقرآنية ، فعلوا ذات الشيء مع نبي الله يونس (عليه السلام) ، وفي هذه المرة أتخذوا من حادثة ابتلاع الحوت ليونس (عليه السلام) باباً للطعن في هذه الشخصية الدينية التاريخية مدعين أنّها مقتبسة من أساطير قديمة كأسطورة هرقل اليونانية ، الذي ابتلعه الحوت لثلاثة أيام ، ثم نجا بعد ذلك ، ومن أسطورة (أوانيس) ، وغيرها من الأساطير التي تتكلم عن أمر ابتلاع الحوت للبطل.

أولاً: زعم الأصل الأسطوري لقصة يونس (عليه السلام) :

إنّ تشكيك الكثير من الباحثين بتاريخية يونس (عليه السلام) ، يعود لكون أبرز أحداث قصته (التوراتية والقرآنية) هي خارقة ابتلاع الحوت له ومن ثم لفظه حياً . وإنّ أمر هذه الخارقة لا يدخل في مباحث النظر الأركيولوجي ؛ فمثل هذا لا تخبر به أسوار نينوى ولا النقوش ولا آنيته . فإن أمر تصديق الخوارق يتعلق بفروع الإيمان بالله تعالى ، فمن آمن بالخالق الذي أنشأ الوجود من العدم ، وخلق كل هذا الكون ، لا يعجزه أن يحفظ نبيه حياً في بطن الحوت مدة من الزمان^(١). وهؤلاء الباحثين عدوا أمر هذه الخارقة حدث أسطوري يعود في أصوله لأسطورة أقدم عهداً ، وقام العبرانيون باقتباسها ، ومن بعدهم المسلمين ، مستفيدين من الوقع التاريخي لتلك الأساطير ، والأثر الذي أحدثته في الواقع من خلال رسوخها في ذاكرة الشعوب ، وتناقلها جيلاً بعد جيل ، ويمكن القول أن آراءهم لا تمثل سوى وجهات نظرهم الشخصية النابعة من بناء أفكارهم ، فلا يمكن الركون إليها ، وعدها دليلاً منطقياً . فالعبرانيون

^١ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٤٨.

جعلوا من يونس (عليه السلام) نبياً قومياً منهم ، وربطوا أحداث قصته ومآثرها ببني إسرائيل. فهذه القصة التي تروي عن يونس بحسب وجهة نظر أولئك الباحثين ذات طابع أسطوري ، فقد وجدت بعض المدونات البابلية قصة ذات طابع أسطوري ترتبط بشخصية يونس (عليه السلام) ^(١): ((فقد حفظ لنا المؤرخ البابلي بيروسس ^(٢) في بقايا تاريخه التي حصلنا عليها بعد أن ضاع معظمه ، أحاديث قديمة جداً عن بداية الحضارة في بلاد ما بين النهرين . وفقاً لهذه الأحاديث رأى السكان البدائيون ، وهم في مستوطناتهم الكائنة في المستنقعات الواقعة حول الخليج العربي مخلوقاً خرافياً عرف باسم (أونيس) ^(٣) ، وكان نصف إنسان ونصف سمكة ، يخرج هذا المخلوق من الماء فيمضي النهار بين السكان مرشداً إياهم إلى كل فرع من فروع المعرفة ثم يرجع كل ليلة إلى الأعماق ..)) ^(٤). وأن أسم (أونيس) أو (أونيس) ، على ما يبدو قريب جداً من يونس ، و كذلك ارتباط الشخصية بالسمكة يقرب عناصر القصة . ونجد علي الشوك يحاول أن يقرب بين الشخصيتين ، قائلاً : ((ولا أدري إن كانت هنالك صلة بين أسم (يونان) أو (يونس) و (أونيس) الكائن الأسطوري السومري الذي يرتبط أسمه بالطوفان ، وبالسمكة . يحدثنا هارولد بيك في كتابه (الطوفان) عن (أونس) هذا ، قائلاً : ((ويحكى لنا بيروسس عن أسطورة حول كائن هولة غريب ، يدعى أونس ، نصفه سمكة ونصفه الآخر إنسان ، خرج من البحر ، وجاء بالمعرفة لسكان ما بين النهرين)) ^(٥) .

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٣١٧ .

٢ - بيروسس : هو كاهن معبد بابل الذي ترجم مؤلفات البابليين في الفلك والتنجيم إلى اليونانية ، وقد ضاعت مؤلفاته ، ولم يبق منها سوى فصول وشذارات . جورج كونتينو ، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور : ٣٦٣ .

٣ - معنى (أونيس) هو الذي أعيدت ولادته من فم الحوت : الحوار المتمدن

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٥٦٣٨٧٦>

٤ - جورج كونتينو ، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور : ٣٦٣ .

٥ - ينظر : الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة : ٣١١ .

ويقول د . جون واتس ناسباً يونس إلى أساطير الآلهة الشمسية :

((هنالك العديد من الخرافات والاساطير التي تخبرنا عن بطل يُبتلع بواسطة وحش البحر . تقريباً إجمالي تلك القصص مشابه لقصة يونس . تُصور أسطورة الشمس في مسار هبوطها باتجاه الغرب وعلى إثر ذلك تُبتلع من قبل الوحش، لتظهر ثانية فقط في الشرق . كان ذلك معروفاً في مصر وفارس . إن التشابه بين قصة يونس والشمس ذلك ل سفره باتجاه الغرب ، وابتلاعه في الغرب ، وعودته ليظهر في الشرق من داخل ظلمة جوف السمكة. ولكن إن كان هذه القصة أثرت تماماً على مؤلف قصة يونس ، فقد غيرها تماماً . والآن إنها تأخذ حيزاً في التاريخ ، مع أدوار تُلعب من قبل مخلوقات الطبيعة ، وشاهده على سلطة كلمة الله والتي تسيطر على الخليقة والتاريخ البشري مجتمعين))^(١). يقول روبرت غريفز : ((أن بقاء يونس في جوف الحوت ثلاثة أيام يذكرنا باختفاء هرقل في جوف تيامت ثلاثة أيام أيضاً ، قبل يشرق طريقه إلى الخارج . وكلتا القصتين مستعارتان من صورة (أيقونة) كانت شائعة في سوريا وآسيا الصغرى ((^(٢) . يذهب خزعل الماجدي ، إلى أن أونيس هو شخصية سومرية ، وليس آشورية ، فهو رسول أو مساعد الإله السومري أنكي (إله الماء) ، وكان يرتدي رداءً أو عباءةً سمكية ، ورأس السمكة ، عندما كان يصور لدى السومريون و من ثم الآشوريين يصور على هيئة كائن نصفه الأعلى على شكل الإنسان ونصفه الأسفل على هيئة سمكة ، فعند النظر إليه كصور يبدو على شكل رجل تبتلعه حوت ، وهذه الصورة أوحى للعبرانيين والكتبة شخصية يونان ، فهم اقتبسوا شخصية يونان من أونيس التي صورت في الألواح والجداريات . فالأصل السومري للنبي يونس جاء من اسم الكائن السمكي المساعد للإله إنكي

١ - مقال منشور بعنوان (النبي يونس نموذج كأسطورة شمس -قمرية قديمة قراءة جديدة) ، موقع الحوار المتمدن ، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=563876>.

٢ - علي الشوك ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة : ٣١٠ ، نقلاً عن كتاب (الميثولوجيا الإغريقية : ١٧٤١٢) .

واسمه بالسومري (أوانيس) ، حيث كانت تصور الرسومات السومرية والآشورية برجل في نصفه الأعلى
وسمكة في نصفه الأسفل ، فبدا وكأنه حوت يبتلع رجلاً^(١) .

ثانياً: ذكر النبي يونس في الكتاب المقدس

تسمي المصادر العبرانية يونس (عليه السلام) بـ (يونان بن أمتاي) ، وهو من بني إسرائيل ، يتصل
نسبه بـ (بنيامين) أحد أبناء النبي يعقوب (عليه السلام) أخو يوسف (عليه السلام) الشقيق^(٢) . من (جت
حافر) على مقربة من الناصرة بأرض الجليل^(٣) ، ولا نجد تحديداً لتاريخ هذا النبي في سفر يونان ، إلا
أن أغلب الباحثين يربط زمن يونس (عليه السلام) بزمن (يربعام الثاني) ملك السامرة في القرن الثامن
قبل الميلاد ، محتجين في ذلك بما جاء في سفر الملوك^(٤) . و أن أكثر وأقدم المصادر التي تحدثت عن
حياة يونس (عليه السلام) ، هي التوراة ، حيث وضعت سفرًا كاملاً ، يشتمل على أربعة إصحاحات ،
يتحدث عنه تحت اسم (سفر يونان)^(٥) .

١ - حلقة تلفزيونية على قناة ارتي عربية ، برنامج رحلة في الذاكرة مع عالم الأديان والحضارات خزعل
الماجي .

٢ - ينظر : الصابوني ، النبوة والانبياء : ٣١٤ .

٣ - بيومي مهران ، دراسات تاريخية في القرآن الكريم : ١٨٨٤ .

٤ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٤٧ .

٥ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار : ٣٠٩ .

هنالك ثمة إشكالات على سفر يونان ، كونه مجهول التاريخ ، إذ ليست فيه اية إشارة إلى حدث تاريخي له
شواهد من خارجه ؛ كاسم ملك أو معركة أو أي حدث تاريخي له شواهد حية معروفة . وكذلك لا يعرف من
هو مؤلف هذا السفر ولا حتى زمن تأليفه من طريق موثوق من التراث الإسرائيلي . كما فيه إشكالات تاريخية
كحديث هذا السفر عن ملك نينوى بالرغم أن نينوى لم تكن مملكة ، إنما كانت تابعة لكيان سياسي أكبر .
وحديثه عن حجم نينوى ، وتصويرها بحجم أكبر بكثير من حجمها الحقيقي . ينظر : عامري ، الوجود
التاريخي للأنبياء : ٣٤٧ .

إن قصة يونان بن أمثاي الواردة في سفر يونان تدور حول تكليف الرب ليونان بالذهاب إلى مدينة نينوى الآشورية ، لتبشير أهلها ، وتحذيرهم من غضب الرب عليهم ، بعد استفحال الشر فيهم ، لكن يونان حاول التملص من أمر الرب ، وظن أن الرب لن يطاله إذا سافر لمكان بعيد ^(١). مقطع من سفر يونان الاصحاح الأول : ((اَوْصَرَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمْتَايَ قَائِلًا: ٢ «فَمَ اذْهَبْ إِلَى نَيْنَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي» ٣. فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرَشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرَشِيشَ، فَدَفَعَ أَجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرَشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. ٤. فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَّثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَتَكَبَّرُ. ٥. فَخَافَ الْمَلَأْحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلَهِهِ، وَطَرَحُوا الْأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلًا. ٦. فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ فَمَ اصْرُخْ إِلَى إِلَهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ إِلَهُهُ فِينَا فَلَا نَهْلِكَ» ٧. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرْعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَأَلْقَوْا قُرْعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ)) العهد القديم ، سفر يونان (١١١-٧).

ونوجز بالمختصر قصة يونان الواردة في العهد القديم :

أوحى الله إلى يونان أن يذهب إلى نينوى ، ليهدي أهلها ، حيث أن معاصيهم وشرورهم قد كثرت ، إلا أن يونان هرب من الرب ^(٢) قاصداً ترشيش ، فنزل يافا ، وركب سفينة كانت متوجهة إلى ترشيش ،

١ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٤٩ .

٢ - فكما يصور مفسري سفر يونان أن سبب هرب يونان من الله بعد تكليفه بالرسالة هو كرهه الشديد للآشوريين ، ويرى أنهم لا يستحقون رحمة الله بهم فهو يرغب بالانتقام منهم لا الرحمة والنجاة ، فخشى أن تصيبهم رحمة الله ، لذا حاول الهروب من أمر الله . فكما جاء في مقدمة سفر يونان ((يونان من مواليد إسرائيل وقد دعاه الله ليحمل سالة التوبة إلى مملكة آشور التي كانت عاصمتها نينوى وهي المملكة التي قامت بتدمير مملكة إسرائيل في سنة ٧٢٢ ق.م . عندما تسلم يونان الرسالة من الله أبت روح الوطنية أن يبشر

وعندما ركب السفينة ، أرسل الرب رياحاً شديدةً ، فهاج البحر ، وأوشكت السفينة على الغرق ، وبينما كان يونان نائماً جاء إليه الريان ، طلب منه أن يدعوا الله أن ينقذهم ، واقترح البعض عمل قرعة ليعرفوا سبب هذا البلاء الذي حله بهم ، فوقعت القرعة على يونان ، وعند ذلك ظنوا أن المصيبة التي حلت بهم بسببه ، وطلبوا منه أن يخبرهم من هو ، ومن أي أرض ، فأخبرهم يونان أنه عبراني ، وجاء إلى البحر هرباً من الرب الذي خلق البر والبحر ، فهلع الرجال مما سمعوا ، فرموا في البحر ، وعند ذلك هدأ البحر ، أما يونان فأبتلعه حوت كبير ، ومكث في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليالي . فأخذ يونان وهو في بطن الحوت يصلي للرب ، ويدعوه ، فأمر الرب الحوت بأن يقذفه في البر . وأوحى الرب إلى يونان بالذهاب إلى نينوى ، ويبلغ أهلها الرسالة الإلهية ، ويخبر أهلها بالتوبة للرب وإلا تتقلب المدينة بعد ٤٠ يوماً بهم ، فأمن ملك نينوى وأهلها وتابوا ، وصاموا للرب جميعاً ، ورجعوا إليه ، وتركوا طريق الرذيلة والظلم لعل الرب يغفر لهم ، ويرفع عنهم العذاب ، وعند ذلك عفا عنهم الرب (١).

ثالثاً: النبي يونس (عليه السلام) في القرآن الكريم

لم يذكر النص القرآني نسباً ليونس (عليه السلام) ، وحتى المؤرخون لم يذكروا ذلك ، إلا أنهم أتفقوا على أن اسمه هو (يونس بن متى) و (متى) هي أمه (٢) ، ولم ينسب من الرسل إلى أمه غير (عيسى

بالخلاص أمة وثنية ، فحاول الهرب من الله على ظهر سفينة ..)) . ينظر : تفسير سفر يونان ، من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٧٧٢ . الكتاب المقدس ، العهد القديم ، توضيح ومقدمة على كتاب يونان من قبل مجموعة من علماء اللاهوت : ١٠٨٩ . ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٤٥ .

١ - ينظر : محمد الصفي ، الارتباط الزمني والعقائدي بين الرسل والأنبياء : ٢٨٢ . ينظر : علي الشوك ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة : ٣٠٩ .

٢ - يذكر البخاري أن (متى) هو اسم ابوه وليس اسمه ، فقد روى بسنده عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) قال : ((ما ينبغي لعبيد أن يقول إني خير من يونس بن متى . ونسبه إلى أبيه)) ، رواه أيضا مسلم وأبو داود . صحيح البخاري : ١٩٣١٤ . صحيح مسلم : ١٠٢١٧ .

ويونس) عليهما السلام . ولقد ورد ذكر يونس في القرآن الكريم أربع مرات في كل من سورة (النساء - الانعام- يونس - الصافات) ، وذكر بالوصف في موضوعين من القرآن ، فقد لقبه الله بـ(ذي النون) أي صاحب الحوت ، في سورة الأنبياء قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الأنبياء: ٨٧. ولفظ صاحب الحوت ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ القلم: ٤٨ ، وبهذا يكون قد ذكر ست مرات في القرآن ، أربع مرات بالاسم ، ومرتين بالوصف (١).

وقد صرح القرآن الكريم بنبوة يونس (عليه السلام) ، وأن الله أوحى إليه كما أوحى إلى الأنبياء من قبله (٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٦) الأنعام: ٨٥ - ٨٦ ، و أشار القرآن الكريم إلى قصة يونس (عليه السلام) ، مع قومه وما جرى عليه ، في سور متعددة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الصافات: ١٣٩ - ١٤٨ ، و قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨) الأنبياء: ٨٧ - ٨٨ ، فقد أرسله

١ - ينظر : الصابوني ، النبوة والانبيااء : ٣١٤ . ينظر : بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم : ١٧٦١٤ .

٢ - ينظر : الخالدي : القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ٣٣١٤ .

الله إلى أهل (نينوى) من أرض الموصل في العراق ^(١)، فكانت الوثنية قد انتشرت بين أهل نينوى ، ولهم صنم يدعى (عشتار) يعكفون على عبادته ، فدعاهم يونس (عليه السلام) إلى الإيمان بالله عزوجل إلا أنهم كذبوه وتمردوا عليه ، ولما طال عنادهم وكفرهم ، جاءهم عذاب من قبل الله واعدهم به يونس (عليه السلام) ، ثم خرج من بينهم من دون أن يأذن الله له بذلك ، وهذا سر ابتلائه ولوم الله له. ولما شارف العذاب أن يحل بهم ، وشاهدوه مشاهدة عيان ، أجمعوا على الإيمان بالله والتوبة إليه ، فكشف الله عنهم العذاب ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ يونس: ٩٨ . ولما أستخبر يونس (عليه السلام)

عن خبرهم علم أن العذاب انكشف عنهم ، وعلى ما يبذوا أنه لم يعلم بإيمانهم بالله تعالى وتوبتهم ، فلم يعد إليهم ، خوفاً من أن يتهموه بالكذب ، وذهب إلى وجهة بعيدة من شدة غضبه وسخطه عليهم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَا النُّوْبِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ الأنبياء: ٨٧ ، و (ذهب مغضباً) أي لقومه ^(٢)، (فظن أن لن نقدر عليه) ، أي ذنبه لم يبلغ مبلغ العقوبة أو ظنه أن الله لا يضيق عليه ^(٣) ، فابتلاه الله عندما ركب السفينة للذهاب إلى وجهة بعيدة عرض لهم حوت كبير في وسط البحر ، فلم يجد من كان في تلك السفينة بدأً إلا أن يلقوا أحدهم في البحر للحوت لينجو البقية ، فأخذوا قرعة فيما بينهم ،

^١ - ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٣٣١٥ . ينظر : البغدادي ، تاريخ الأنبياء : ٢٨٧ .

^٢ - والقول أنه ذهب غاضباً من ربه و هو يظن أن الله غير قادر عليه وهو يفوته بالابتعاد منه ، هذا قول يجل منه ساحة الأنبياء بصورة قطعية فهم معصومون بعصمة الله ، ولا يصدر منهم ذلك إطلاقاً لأن كفر بالله تعالى . ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : ٣١٥١٤ . ينظر : أبو معاش ، تفسير القرآن الكريم : ٩٣١٢ . البغدادي ، تاريخ الأنبياء : ٢٨٨ . ويذهب الكثير من الناقلين من الإسرائيليات إلى أن يونس ذهب مغضباً على ربه لأنه لم يحل بهم العذاب ، فهذا التفسير نجده في الكثير من التفسير .

^٣ - ينظر : السمرقندي ، بحر العلوم : ٤٣٩١٢ .

ووقعت القرعة على يونس (عليه السلام) فألقوه في البحر حينها ، وأبتلعه الحوت . ومن بعد ذلك حفظ الله يونس في بطن الحوت سالماً أياماً وليالي، أما يونس فكان يعلم أن ذلك ابتلاء ابتلاه به الله سبحانه مؤاخذه لما صدر منه ، فأخذ ينادي الله وهو في بطن الحوت (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) . فأستجاب له الله سبحانه وتعالى ، وأمر الحوت بأن يلفظه في البر ، وهو سقيم ، فأنبت الله شجرة من يقطين يستظل بأوراقها ، حتى يشفى ، ولما استعاد قوته ، أرسله الله مرة أخرى إلى قومه ، فدعاهم إلى الأيمان من جديد ، فلبوا دعوته وآمنوا بالله الواحد ، ومتعهم الله حتى حانت آجالهم في الدنيا ^(١). أن القرآن الكريم يقدم لنا صورة واضحة المعالم عن يونس (عليه السلام) ، وقومه وعصره ، وهذه الصورة تبين أيضاً تناقص النص التوراتي عن يونان ، ومدى تحريف الكهنة لسيرة هذا النبي الجليل ، وتحريفهم لمجريات التاريخ ونسبتهم النبي يونس (عليه السلام) إلى بني إسرائيل عنوةً . فالنص القرآني قدم معلومات وافية عنه (عليه السلام) تغني من الرجوع إلى المصادر الأخرى . فكما أشرنا مسبقاً أنه لم ينسب النبي يونس (عليه السلام) إلى أب وسماه — (ذا النون) و (صاحب الحوت) . أما قرينه التي أشار إليها النص القرآني ، وبحسب إجماع المؤرخين والمفسرين القدماء منهم والمحدثين هي نينوى ، التي أخذها الآشوريون عاصمة لهم سنة ١٠٨٠ ق.م ^(٢) ، ونيوى تقع في الجانب الشرقي من دجلة قبالة الموصل القديمة . وما يؤكد ارتباط نينوى بيونس (عليه السلام) ، الرواية المروية في كتب السيرة عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذهابه إلى الطائف يدعوهم للإسلام فرفضوا دعوته ، ورموا الرسول بالحجارة فالتجأ إلى بستان ، وتحدث مع غلام يدعى

١ - ينظر : ينظر : الخالدي : القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ٤٥١٤ . ينظر : الاطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٥٨٤-٥٨٥ . ينظر : سامي المغلوث ، أطلس تاريخ الأنبياء والرسول : ١٧٥ .

٢ - ينظر : سعيد الديوه جي ، الموصل في العهد الأتابكي : ٤ .

(عداس) وسأله عن بلاده ، فأجابه أنه من (نينوى) ، فقال له الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) : ((أمين قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس ؟ قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي (...))^(١) . والقرآن الكريم يشير إلى حقيقة مهمة عن قوم يونس (عليه السلام) عند ما ذكر عددهم ، قال تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٧٧﴾) ، فالقرآن بين لنا أن قرية يونس (عليه السلام) كانت قرية أو مدينة عظيمة وكبيرة ، والقرآن يطلق لفظ (القرية) على المدينة أو الدولة ، فهذا التعداد السكاني الكبير يشير إلى ملامح العصر الذي عاش فيه يونس (عليه السلام) ، فكان زمن نشوء المدينة الكبيرة^(٢) . وما ذهب إليه اليهود في أن يونس (يونان) كان نبياً من بني إسرائيل ، وأن الله أرسله إلى نينوى الآشورية ، فهذا خبر غير دقيق يقدمه لنا شراح العهد القديم ، فلا وجود لدليل غير العهد القديم يؤكد ذلك إلا أننا نستطيع أن نفهم من خلال النص القرآني طبيعة الحياة السياسية في قرية يونس ، فهذه القرية لم تكن محكومة من قوة سياسية قوية النفوذ بحيث تتصدى أو تقف أمام دعوة نبي (عليه السلام) ، فالقرآن الكريم عندما تحدث عن قوم يونس (عليه السلام) وموقفه ، أعطى صورة طيبة عن هذا المجتمع ، فهم مجتمع متوازن و كان فيهم الحكماء ، ورجع هذا القوم وتاب إلى الله تعالى بغياب نبيه عندما شاهدوا علامات العذاب . وأيضاً لم يبرز لنا القرآن أنه كان هنالك قوة سياسية تحول دون ذلك ، وتتسلط عليهم ، وأن كانت هنالك قوة كهنوتية تحاول أن تقف بالضد ، فكان مجتمع يونس (عليه السلام) مثلاً للمجتمع التائب الذي صرف الله عنه العذاب نتيجة للتوبة والرجوع إليه^(٣) . وهذا ما يشير إلى أن نينوى في عصر يونس لم تكن وقتها تحت النفوذ الآشوري . ويذهب الأستاذ محمد دروزة إلى أن سفر يونان هو رسالة نبوية خاصة بأهل نينوى ، ولا علاقة له ببني إسرائيل وتاريخهم

١ - ابن هشام ، السيرة النبوية : ١٧٩١٢ . ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٢٨٩ .

٢ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٢٩٠ .

٣ - الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٢٩٣ .

(١) ، و يرجح أن عصر النبي يونس (عليه السلام) أقدم من عصر ظهور الدولة الآشورية ، وعلى هذا لا علاقة لرسالة يونس (عليه السلام) بالحروب التي كانت بين الدولة الآشورية ودولة بني إسرائيل (يهودا-إسرائيل) في فلسطين ، إلا أن شراح العهد القديم الذين تعرضوا لدراسة عصر يونس (عليه السلام) ربطوا بين قرية يونس وآشور الدولة وعلاقتها بدولتي اليهود في فلسطين وما جرى بينهما من حروب . فجاء القرآن الكريم ليخلصنا من هذا الإرباك والمغالطات في المعلومات من خلال نص واضح الدلالة ، كل ذلك يرجح أن عصر يونس (عليه السلام) كان حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، ومكان يونس هي مدينة نينوى القديمة، ولا علاقة له ببني إسرائيل ، فلم يشير النص القرآني إليهم في قصة يونس إطلاقاً . إلا أن اليهود لما رأوا تسلط الآشوريين عليهم أرادوا أن يجعلوا لهم فضلاً عليهم ، من خلال نسبة يونس (عليهم السلام) إليهم ، وأن الله أختار نبي منهم وأرسله إلى قرية لا علاقة لها ببني إسرائيل . وهذا اقحام واضح ومتعسف لا يدل إلا على الحقد اليهودي تجاه الآشوريين وعلى نينوى (٢) . وهذا ما يفسر لنا دوافع كاتب كتاب يونان في العهد القديم ، والذي لم يعرف حتى يومنا من الذي كتبه في روايته الحالية . وأن العلماء يذهبون إلى أنه كُتب في حدود سنة (٣٥٠ ق.م) ، ولا يوجد أي دليل على أن يونان نفسه هو كاتب هذا السفر الذي يحمل اسمه (٣) . و من الأمور التي وقع الخلاف فيها ، هي دعوة يونس (عليه السلام) لقومه أكانت بعد حادثة ابتلاع الحوت ، أم قبلها ، فما يفهم من النص القرآني ، ومن دون الرجوع إلى المصادر الإسرائيلية ، هي أن دعوة يونس كانت قبل حادثة الحوت ، وإلا لماذا غضب وخرج من نينوى ، فقد كان سبب غضبه كما يبين لنا النص القرآني هو بسبب عدم استجابة قومه وعنادهم ، ولما لم يصبر عليهم ، تركهم وخرج من نينوى ، وظن أن البقاء معهم لا ينفع ، وأن أرض الله واسعة ، ليبحث

١ - ينظر ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم : ٢٠٦-٢٠٩ .

٢ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٢٩٣-٢٩٤ .

٣ - ينظر : مهران بيومي ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم : ١٨٩١٤ . ينظر : بيومي ، بنو إسرائيل :

عن قوم آخرون أفضل منهم ، فكان يظن أن الله لا يضيق عليه وسع الأرض ، فحبسه الله في بطن الحوت ، خلافاً لظنه . فالنص واضح الدلالة أن رسالته لقومه كانت قبل حادثة الحوت ، وإلا كيف يخرج منهم غضباً ، وعلى ماذا يغضب ؟ إن لم يكن أرسله إلى قومه ولقى منهم المعارضة . أما عن مقصده عندما غادر قومه ، فقد اتجه نحو بلاد الشام ، ذلك لارتباط نينوى عن طريق الجزيرة بكل من فلسطين والأردن ، وهو طريق معروف ومطروق ، سيما لو علمنا أن هذا الطريق شهد حملات الآشوريين على فلسطين ، إلا أنه لا يوجد دليل على المكان الذي ركب منه يونس (عليه السلام) السفينة ، فقد يكون البحر المتوسط ، أو ايلات على خليج العقبة ، و الرأي الأرجح أنه ابهر من ايلات وأيضاً لا يوجد دليل على أن الحوت ابتلع يونس (عليه السلام) من خليج العقبة ودار به حول شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم البحر الأحمر ، وصولاً لخليج عدن ، ثم بحر العرب ، فخليج عمان ، ثم الخليج العربي ، ومنه إلى نهر دجلة ثم نينوى^(١) . هذا الرأي المتداول جاء نتيجة الاسرائيليات التي غزت التفاسير ، والا لا يوجد نص إسلامي يؤكد ذلك ، بل أن المنطق يستبعد هذا الرأي لأن من غير المعقول أن يقطع الآلاف الكيلومترات ، والتي تستغرق زمناً طويلاً للوصول يتجاوز الشهر . ولا يوجد دليل أكثر وضوحاً مما أشار إليه القرآن الكريم ، فالحوت عندما القي يونس على الساحل ، كان ذلك الساحل لا نبات ولا شجر فيه ، منطقة جرداء ، قال تعالى : (* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾) فالقرآن يذكر ذلك بقوله (فنبدناه بالعرء) ، وهذا يشير إلى أنه مكان أجرد ، صحراء خالية^(٢) ، خلافاً لصفاف نهر دجلة التي غالباً ما تكون محاطة بغطاء نباتي ، وهذا ما يرجح أن الحوت القاه على ساحل خليج العقبة ، وليس شاطئ نهر دجلة الذي يكون عادة مأهولاً بالنبات والسكان^(٣) . ولا ننسى أن حوتاً

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٣٠٥ . ينظر : بيومي ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم : ١٧٩١٤ .

٢ - ينظر : القشيري ، لطائف الإشارات : ٢٤١١٣ . ينظر : الخطيب ، أوضح التفاسير : ٥٥٠١١ .

٣ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٣٠٧ .

كبيراً بهذا الحجم لا يستطيع أن يبحر في عمق نهر دجلة . وتتفق الرواية القرآنية والتوراتية على أن شخصية المتحدث عنه واحدة ، هي النبي يونس (عليه السلام) ، وكونه نبياً من أنبياء الله ، وكذلك تتفق الروايتان على حدث ابتلاع الحوت له، وبقائه حياً ولفظه خارجاً . فيما عدا هذا تختلف الرواية القرآنية عن التوراتية ، ويمكن أن نوجز أهم الفروق بينهما بإيجاز :

١- نسبت التوراة يونس (عليه السلام) إلى بني إسرائيل ، أما القرآن فجعل من يونس (عليه السلام) نبي قومه .

٢- تذكر القصة التوراتية أن يونس هرب عند تكليفه بالذهاب إليهم ودعوتهم للإيمان بالله ، أي أنه لم يبلغهم الرسالة ، وهرب من أمر الله إلى ترشيش ، أما القرآن الكريم يبين أن يونس (عليه السلام) بلَّغ قومه رسالة ربه ، ومن ثم غادرهم قبل أن يأذن الله له بالمغادرة .

٣- يبين النص التوراتي أن سبب هروب يونس وغضبه هو كرهه للأشوريين كونهم أعداء بني إسرائيل ولا يريد لهم ان تشملهم رحمة الله ، في حين أن النص القرآني يبين أن سبب غضبه كان لعدم إيمانهم ، وعدم حلول العذاب بهم ، وأما التفسيرات التي تذهب إلى أنه كان غاضباً من الله فهي تفسيرات متأثرة بما وردة عن أهل الكتاب .

٤- تذكر التوراة أن يونس بقى في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالي ، في حين القرآن الكريم لم يحدد المدة التي مكثه فيها يونس (عليه السلام) في بطن الحوت .

٥- إضافة إلى تفاصيل أخرى فصل فيها النص التوراتي من حيث بيان وجهة يونان عند الهرب ، ومعلومات تسلط الضوء على مدينة نينوى التي بُعث إليها (١) .

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٣١٢ .

٦- كالعادة وجدنا أن القصة التوراتية تطعن بشخصية النبي يونس (عليه السلام) وتسيء لساحة أنبياء الله .

فعندما نأتي إلى قصة يونس (عليه السلام) ، في القرآن الكريم ، نرى أن ليس هنالك ما يدعو إلى التشكيك بحقيقتها أو فيها شيئاً من الأسطورة وذلك^(١):

١- فليس في خبر يونس (عليه السلام) في القرآن الكريم أمراً لا بد أن نجد له أثراً في الكشوف الأركيولوجية .

٢- ولا يوجد في الخبر القرآني ما يخالف حقيقة تاريخية .

٣- إنَّ انكار حقيقة تاريخية شخصية يونس (عليه السلام) ، بسبب خارقة ابتلاع الحوت له ولفظه حياً ، لا يقوم على أساس أركيولوجي ، فهذا أمر يقوم على أساس عقائدي .

٤- لا يوجد في القرآن الكريم أي تحديد زمني لعصر يونس (عليه السلام) ، ولذا لا حجة لمن أراد أن يستنكر حقيقة هذا النبي ، من خلال استبعاد إيمان أهل نينوى في القرن الثامن قبل الميلاد .

وقبل ختام هذا الموضوع لا بأس بالوقوف عند سؤال قد يعرض في هذا الشأن ومفاده، لماذا لا نجد ذكراً للأنبياء في الحفريات والرقم الطينية ؟

هذا سؤال مهم جداً ، فهذا الاستبعاد لا ندري هل جاء عفويًا ، أم أنه استبعاد مقصود ، واخفاء متعمد ؟ بالرغم من ذلك نجد في الرقم الطينية ذكراً لأحداث مرتبطة بالأنبياء وشخصياتهم ، ومن خلال هذا الذكر والحدث المذكور في تلك الرقم يتضح أن تلك الحوادث وقعت فعلاً ، و أن ظاهرة ربط هذه الأحداث بغير شخصيات الأنبياء ،- الذين نعرفهم بأسمائهم المعروفة اليوم - جاء نتيجة لاختلاف الأسماء ، و بسبب التضخيم الأسطوري ، والبعد الزمني والتاريخي في الحدث ، وكذلك التغيرات التي طرأت على

١ - ينظر : عامري ، الوجود التاريخي للأنبياء : ٣٤٨ .

البيئة الاجتماعية والثقافية ، والعقلية ، والتبدلات اللغوية واللفظية في طبيعة النطق ؛ كل هذا أدى إلى اختلاف نطق الأصوات لأسماء الأنبياء والشخصيات الأخرى ، أو أن تلك الأسماء نقلت إلينا معانيها ، كما مر علينا في قصة نوح (عليه السلام) ، فهو الرجل الذي طال عمره ، أو مرهف الحس ، وهكذا من حضارة وأخرى أختلف الاسم ، وبقي المعنى .ومما ساهم في حفظ المعلومات عن هؤلاء الأنبياء والشخصيات ، وما ارتبط بهم من أحداث جرت لهم أو مع أقوامهم الذين عاصروها ، هو وقعها التاريخي ، والأثر الذي أحدثته لا يمكن نسيانه أو تغاضيه بسهولة ، بل طبعت تلك الاحداث في ذاكرة ومشاعر الناس وتناقلوها جيلاً بعد جيل حتى تم تدوين تلك الاحداث على الرقم الطينية ، بعد كل ما تعرضت له من إضافات وتغيرات ، إلا أن جوهر الحدث بقي كما هو ^(١) .إذاً نستطيع أن نقول في هذا المقام أنّ مجرد التشابه في حادثة ابتلاع الحوت ليونس (عليه السلام) ، مع ما ورد في التراث الأسطوري لبعض الشعوب السالفة لا يعني أن الكتب السماوية تقتبس من تلك الأساطير ، فقصة يونس التوراتية أو كما يطلقون عليه بالعبرانية يونان لا يوجد أوجه شبه بينهما وبين ما جاء في الاساطير السابقة ، وإن كان ما وصل إلينا نصوص قليلة جداً ، ولا يعني أيضاً هذا أن ما جاء في النص التوراتي عن يونان وقومه صحيح ، فهناك لغط كبير وقع في رواية هذه القصة ، ونوايا اليهود وغاياتهم السياسية وأحقادهم الدينية على الحضارة الآشورية واضحة بصورة جلية كما بينا . وعندما نأتي إلى القصة القرآنية لا نجد فيها ما يدل على زعمهم بوجود الاقتباس الأسطوري ، فخارقة ابتلاع الحوت ليونس لا يعد مؤشراً يمكن الوثوق بيه وعده دلالة على الأصل الأسطوري ، فعموم الخوارق التي يحدثها الله على يد انبيائه وأوليائه وغيرهم لا يمكن استيعابها من الناحية المنطقية والعقلية ، فهي معجزة خارقة خارج حدود الطبيعة والمنطق ، وتتدرج ضمن المسائل الاعتقادية . فكل الحضارات كانت تروي ما يجري من أحداث - سيما تلك التي يكون لها وقع كبير - على شكل قصص أو أساطير ، إلا أن القرآن الكريم يعطي الشواهد الحقيقة ،

١ - ينظر : الكيلاني ، الأنبياء في العراق : ٣١٦-٣١٨.

ويروي الاحداث بصورة صحيحة و بلغة عالية الدقة ، فهو القائل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ يوسف: ٣ ، إذا فلماذا نفترض إن

هذه القصص أخذتها الديانات السماوية التوحيدية من تلك الحضارات ، لما لا يكون العكس ، ففحوى

القصة واحد ، وتوجد في ديانات متعددة ، وفي حضارات متباعدة مكاناً وزماناً ، مثل قصة الطوفان

المنتشرة في أصقاع مترامية من الأرض ، أليس هذا بدليل وحجة قوية على وحدة الأصل السماوية لتلك

الاحداث ، ما الذي أثر في تلك الحضارات وجعلها تعد هذه القصة ذات طابع مقدس ، أنها العقيدة

المقدسة ، وهذه جاءت من خلال الأنبياء والمرسلين ، الذين لم يخلو زمان منهم ، فهو جل تعالى القائل

: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ فاطر: ٢٤ . ولا وجود لدليل ملموس غير الشبهات التي أطلقها

المستشرقين ، والملاحظة هنا وهناك من خلال إيجاد بعض التشابه بين هذه القصص والأساطير . كما

توجد في تلك الحضارات العريقة الكثير من القصص التي لا تطابق فيها ، الا ما ندر منها والتي تتشابه

فيها مع ما موجود في الكتب السماوية . فما نستنبطه من التشابه الوارد بين الأساطير والأديان السماوية

في بعض القصص والمعتقدات ، في أنها حقيقة ، وكونها وردت في جميع الديانات ، وفي حضارات

متعددة ، لا يمكن عدها سرقة إطلاقاً ، إلا في حال أراد البعض الغاء فكرة ارسال الأنبياء والمرسلين من

قبل الله تعالى ، وإلغاء اتفاق البشر على وجود آدم وحواء ونوح ، وإبراهيم ويونس .. وبناءً على هذا

نصل إلى أن الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء وهم الذين يخبرون أقوامهم بهذه القصص والمعتقدات ،

وبعد موتهم يقوم البشر بتزوير تلك الاحداث لأسباب كثيرة سبق وتكلمنا عنها ، بعدها جاء القرآن الكريم

خاتم الكتب السماوية يصحح الرسالات السابقة ، ويزيل الشوائب عن الأحداث والشخص والقصص والمعتقدات ،

ليظهرها بصورتها الصحيحة كما أراده الله سبحانه وتعالى .،

المبحث الثاني : شخصيات مقدسة بين القرآن الكريم والفكر الأسطوري

المطلب الأول : ذو القرنين

وقع خلافٌ كبير حول شخصية ذو القرنين المذكورة في القرآن الكريم ، و قد ارتبط اسمه بالعديد من الشخصيات التاريخية والأسطورية ، مشيرين إلى أنه أحد تلك الشخصيات.

فقد اختلف المؤرخون العرب ، وأصحاب السيرة، والتفسير ، في تحديد هوية ذو القرنين . و اختلف المستشرقون ، والنقاد في شخصيته أيضاً مدعين أن القرآن الكريم اقتبسها من أصول أسطورية .

وأهم الآراء في الموضوع هي :

١ . أنه الإسكندر المقدوني (الأكبر)، مُستندين في ذلك إلى انتصاراته في جميع غزواته التي شملت

مناطق مُتعددة حيث وصل إلى أفغانستان واحتلّ بلاد فارس والهند.

٢ . أنه الصعب ذو القرنين الحميري ، أحد ملوك القدماء لليمن ، ذلك لأن ألقابهم تبدأ بكلمة ذي

مثل ذي نؤاس وذي يزن.

٣ . أنه رجل صالح في عهد نبي الله إبراهيم^(١) (عليه السلام) . طاف مع الخليل إبراهيم (عليه السلام)

حول البيت ، وأول من آمن به ، وكان الخضر (عليه السلام) وزيره^(٢) .

٤ - وظهر رأي جديد تبناه الباحثين في هذا العصر ، في أن ذو القرنين هو (كوروش الكبير) مؤسس

دولة الفرس.

١ - وأصحاب هذا الرأي اكتفوا بالإشارة إلى زمانه ، ولم يتعرضوا لبيان شخصه . ينظر : أبو زيد ، فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم . أوطانهم . زمانهم : ١٢٦ .

٢ - ينظر : د.عبد العليم خضر ، مفاهيم جغرافية في القصص القرآني " قصة ذي القرنين" : ٢٣ .

وعَدَّ آخرون أنه ملك من الملائكة ، فقالوا على لسان عمر بن الخطاب إنه عندما سمع رجلاً ينادي الآخر " يا ذا القرنين " قال عمر : ((ما اكتفيتم من لأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة))^(١) . وبما أن هذه الدراسة عملت على ملاحقة الأصول الأسطورية لبعض الاحداث والشخصيات القرآنية ، فأنا سوف نقف هنا عند الاسكندر المقدوني وبدرجة أقل كورش الأخميني، فمن أهم الأشخاص الذين اقترن ذكرهم بذكر ذي القرنين قديماً وحديثاً هو الإسكندر الأكبر فممن ذكر ذلك:

١- أصحاب السيرة : أن من أول الذين قالوا أن الإسكندر الأكبر هو (ذو القرنين) ، هو ابن هشام صاحب كتاب السيرة .

٢- أصحاب التفاسير : ومن أصحاب التفاسير الذين قالوا بذلك هو البيضاوي ، والسيوطي ، الفخر الرازي ، وآخرون . وأن الذي دفع بهم إلى تبني هذا الرأي هو مدى التشابه الذي وجدوه بين قصة ذي القرنين القرآنية ، وما وصلهم من أخبار الإسكندر ، ويلخص ذلك ما قاله الفخر الرازي : ((فَلَمَّا ثَبَّتَ بِالْقُرْآنِ أَنَّ ذَا الْقُرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مَلَكَ الْأَرْضَ بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهَا، وَثَبَّتَ بِعِلْمِ التَّوَارِيخِ أَنَّ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ مَا كَانَ إِلَّا الْإِسْكَندَرَ وَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِذِي الْقُرْنَيْنِ هُوَ الْإِسْكَندَرُ))^(٢) .

في حين أن العلماء واجهوا إشكالاً كبيراً في تعريف ذي القرنين بالإسكندر ، سيما وقد علموا أن الاسكندر هو تلميذ أرسطو ، وأرسطو كان وثنياً ولم يكن موحداً ، وحاول البعض حل هذا الاشكال

١ - ينظر : وليد فكري ، أساطير مقدسة : ١٣٣ . ينظر : محمد يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢٥ . ينظر : حمدي أبو زيد ، فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم . أوطانهم . زمانهم : ١٢٦ .

٢ - مفاتيح الغيب : ٤٩٣١٢١ .

من خلال القول أن ارسطو كان وثنياً ، وربما تتلمذ الإسكندر على يده إلا أنه خالف استاذة في
المعتقد (١) .

٣- **المؤرخون:** وفي كتب مؤرخي العرب نجد أن الطبري يقول إن الإسكندر ذو القرنين ، ويذهب ابن
الاثير في كتابه (الكامل في التاريخ) إلى ذات الأمر . بينما يتحفظ المسعودي في كتابه (مروج
الذهب ومعادن الجواهر) فيما إذا كان ذو القرنين هو الإسكندر أم لا ، ويذكر ابن خلدون غزوات
الإسكندر من دون أن يقرنه بذوي القرنين . ونفى كل من ابن كثير والبيروني ، أن يكون ذو القرنين
والاسكندر رجلاً واحداً (٢) .

كانت هذه آراء القدماء من العرب في شخص ذو القرنين ، ولم يقل أي أحد منهم بوجود الاقتباس
الأسطوري أو التاريخي من أخبار الاسكندر ، إلا أن بعضهم ذهب إلى أن القرآن يتحدث عن ذات الشخصية
(الاسكندر) عند حديثه عن ذو القرنين ، في حين كان للمستشرقين رأي آخر فهم يذهبون إلى أن القرآن
اقتبس شخصية الإسكندر المقدوني تحت اسم (ذو القرنين) .

٤- **المستشرقين :** أما المستشرقين فقد أثاروا العديد من الشبهات حول القرآن الكريم ، وهم يزعمون
أن القرآن الكريم أخذ من أساطير الإسكندر الأكبر التي كانت متداولة في عصر الرسول الاكرم
(صلى الله عليه واله وسلم) ، ويعدونه شخصاً مؤمناً موحداً لله تعالى ، و أنه بنى سداً في القوقاز ،
وهذا أمر مخالف تماماً للحقائق التاريخية (٣) .

١ - ينظر : حاتم الهمدان ، ذو القرنين - النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة :
٦٠٥-٦٠٦ .

٢ - ينظر : محمد يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢٥ . ينظر : وليد فكري ، أساطير
مقدسة : ١٣٣ .

٣ - ينظر : الهمدان ذو القرنين - النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة : ٧٤٧ .
وتقول الشبهة : ((أن القرآن يستلهم من رومانسيات الإسكندر ، ويقع في أخطاء تاريخية فادحة ، فيقول أن

ويبرز لنا من المستشرقين الألماني الشهير (تيودور نولدكه) صاحب كتاب (تاريخ القرآن) الذي أثار شبهةً حول قصة (ذو القرنين) القرآنية ، حيث ادعى اقتباس القرآن هذه القصة من رواية أسطورية تنسب إلى الإسكندر المقدوني ، وقد دونت داخل مخطوطات سريانية ، ونجد فيها قصة بناء السد على أقوام يأجوج ومأجوج ، وبنفس طريقة سرد القرآن لها ، ووجود التشابه الكبير بينهما يصل لحد التطابق ، مع فارق السبق الزمني بين رواية الاسكندر وذو القرنين القرآنية ^(١). وأيضاً نقرأ في كتاب (الاسكندر الأكبر) الذي يحكي سيرة الإسكندر الأكبر ومنجزاته ، أن الاسكندر اشتهر بألقاب عديدة في ثقافات وشعوب العالم عبر الأزمنة المختلفة ، و أنه لما جاء العرب ، عرفوه باسم ذي القرنين ^(٢). وهذا ادعاء واضح من قبلهم بأن العرب تقتبس شخصية الإسكندر تحت أسم ذي القرنين. يبدأ الادعاء أن القرآن الكريم قد اقتبس قصة (ذو القرنين) من نص أقدم منه ، نص (سرياني) ، وذلك عبر الفرضية التي ذكرها الألماني تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠م) ، والتي قال فيها أن القرآن اقتبس القصة من قصيدة عرفت اختصاراً بـ(نشانا) ، أو (قصيدة عن الملك الورع الإسكندر الأكبر والبوابة التي قام ببنائها ضد يأجوج ومأجوج) ، المنسوبة إلى القديس (يعقوب السروجي ت ٥٢١م) ، والتي فيها نفس قصة ذو القرنين عند ذهابه إلى قوم يأجوج ومأجوج وبناء السد عليهم ، إلا أنها دونت بفترة سابقة عن القرآن بقرن من زمان تقريباً ، و البطل هنا بدل ذو القرنين هو الإسكندر المقدوني .

الإسكندر كان مؤمناً ، وأنه بلغ مغرب الشمس ، ومطلعها وهو ما لم يحدث ، وأنه بنى سداً من حديد في القوقاز ، وهذا كله مخالف لحقائق التاريخ . والرد هو أن القرآن لم يقصد الإسكندر الأكبر ، فذو القرنين هو نبي قديم ، وهو نفسه (أزيرس) ، ونص القرآن مطابق أكثر بكثير لقصة (أزيرس) ، بعد أن أعدنا قرأتها وبناءها)) . الهمدان ، ذو القرنين- النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة : ٧٤٩.

^١ - ينظر : كريم عبد المجيد ، هل اقتبس القرآن قصة ذي القرنين من أسطورة سريانية ؟ : ١ .

^٢ - الكتاب يرجع لدراسة فوكس وبيرن في الأصل . ينظر : ١٣٨ .

وكذلك نجد نفس القصة في نص سرياني آخر يعرف بـ(أسطورة الإسكندر) ، والتي يتوهم بأنها الترجمة السريانية لقصة الإسكندر لكاليستينس المزيف . وهذه الأسطورة تختلف عن ما سبقها بصورة كلية .

إذاً فنحن أمام ثلاثة نصوص مزيفة تسبق النص القرآني هي : قصيدة يعقوب السروجي - أسطورة الإسكندر - أسطورة الاسكندر . وجاء نتيجةً للأبحاث التي أجريت على امتداد القرن العشرين ، حول تحليل النصوص الثلاثة تتضح مجموعة من الحقائق هي :

١- لا نجد لقصة الإسكندر ذكراً في أقدم النسخ المخطوطة ، سواء كانت اليونانية أو اللاتينية التي تعود للقرن الرابع الميلادي ، او النسخة الارمينية التي تعود للقرن الخامس الميلادي أو قبل هذا التاريخ، ولا نجد ذكراً للسد أو الجدار الذي أقامه الاسكندر على قوم يأجوج ومأجوج . بل إن أول ظهور نجده في العمل السرياني المعروف بـ(أسطورة الإسكندر) ، ومن بعد ذلك نقلت إلى نسخ القصة الأخرى ، وهو عمل مختلف كلياً عن قصة الاسكندر ، وقصص كُتبت في القرن السابع الميلادي^(١).

١ - يتبادر هنا سؤال على ذهن القارئ وهو : كيف عرف أو توقع الباحثين المختصين كتابة هذا النص في تلك الفترة الزمنية ؟

الجواب على ذلك : أن هذا النص ينتمي إلى لأدب يعرف باسم (الأبوكاليس) ، وهو نوع من الادب لاقى انتشاراً واسعاً مع التهديد الذي شهدته الدولة البيزنطية بالفتوحات الإسلامية ، وقد ارتبط في الازهان الامل بالخلاص من السيد الاتي ، وللتعبير عن حلم بات من الصعب تحقيقه على ارض الواقع عمد الكتاب إلى نسج سيناريوهات تعبر عن اراءهم المستقبلية لمصير العالم ونهاية الزمان ، فأخذو بمزج هذه الرؤى التي استوحوها من التوراة والانجيل ، كالحرب مع قبائل يأجوج ومأجوج ، وقصة ظهور المسيح الدجال . أي بمعنى آخر أن هذه الكتابات كانت تكتب بعد وقوع الاحداث الفعلية والتي يؤرخ لها ، ويقوم الكتاب أولئك بنسبها إلى رجل دين مسيحي أو مؤلف قد مات من زمن بعيد ليوحي بذلك للقارئ بأنها نبوءة مستقبلية ، مما يضفي مصداقية على أحداثها . ينظر : عبد المجيد ، هل أقتبس القرآن قصة ذو القرنين من أسطورة : ٤ .

٢- من خلال البحث والمقارنة وجد أن (أسطورة الاسكندر) هي المصدر لقصيدة (يعقوب السروجي) ، والتي لم يرها الرجل ، ولم يكتبها ، إنما نسبت إليه زوراً ، وكذلك هي مفقودة الأصل ، وقد وصل منها ثلاث نسخ ، أقرب نسخة للأصل في ٦٩٨ بيت فقط ، وأنها تشتمل على أحداث مختلفة ومن ضمنها وصف بناء السد على قوم يأجوج ومأجوج من قبل الاسكندر ، وهي تتضمن اختلافات عن القصة القرآنية ، وعن الأسطورة أيضاً . وقد تمت كتابتها من قبل شخص مسيحي مجهول الهوية يعتقد أنه سكن شمال العراق . وقد ادعى نولدكه أن هذه القصيدة قد كتبت حوالي منتصف القرن السادس الميلادي ، إلا أنه بعد البحث وجد أنها كتبت في القرن السابع ، بعد فترة قليلة من فتح المسلمين للشام وبلاد الرافدين . وكتبت تعقيباً على (أسطورة الاسكندر) تنبأً بوقوع الحرب ونهاية العالم ^(١) . ورأي نولدكه في اقتباس القرآن لقصة الإسكندر الأكبر ، لم تكن وليدة خياله أو آرائه، فقد سبقه مؤرخي وعلماء المسلمين في ذلك ، إلا أنهم لم يقولوا بأن شخصية ذو القرنين مقتبسة من الأسطورة أو أية شخصية تاريخية أخرى ، فهم حاولوا الكشف عن هوية (ذو القرنين) ، لكون القرآن الكريم لم يذكر اسمه وعصره بالتحديد فذو القرنين ما هو إلا لقب أو نعت أطلق على الرجل الذي مكنه الله في مغرب الأرض ومشرقها ؛ وكلّ بحسب ما توصل إليه من أدلة حدد شخصية معينة ، وأدعى إنها هي شخصية ذو القرنين القرآنية ، وكان أبرز الآراء وأكثرها تداولاً هي (الإسكندر الأكبر) ، لدى من ادعى أن ذو القرنين القرآني هو ذاته الاسكندر ، ومن ادعى أن القرآن اقتبس قصة الإسكندر .

^١ - ينظر : عبد المجيد ، هل اقتبس القرآن قصة ذو القرنين من أسطورة : ٤ .

إذا فالإسكندر الأكبر هو الشخصية المرشحة من بين الفريقين (مؤرخي العرب ، مؤرخي الغرب) ليكون هو (ذو القرنين) ، فقبل أن نتعرف على شخص الإسكندر وقصته ومدى مشابهتها لقصة ذي القرنين نقف أولاً على قصة ذو القرنين بحسب ما وردت في القرآن الكريم :

١- ذو القرنين في القرآن الكريم :

يطلق القرآن الكريم على الرجل الذي قام بالرحلات الثلاثة الورد ذكرها في سورة الكهف بـ(ذو القرنين) ، ولقد حاول المفسرون القدماء أن يعللوا سبب إطلاق هذا اللقب عليه، فقال بعضهم أنه كان له قرنين في رأسه ، وهذا الرأي على ما يبدو جاء متأثراً بصورة الإسكندر الأكبر المنحوتة على بعض العملات ، فقد وضع له الفنان قرنين في رأسه (١) . ورأي يقول ، لأنه دعا إلى الله فضرب على قرنه الأيمن فمات ، فأحياه الله بعد ذلك ، فدعا لله فضرب على قرنه الأيسر فمات ، وأحياه الله مرة أخرى ، فسمي بذا القرنين (٢) . وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((إنه سئل عن ذي القرنين أنبيأ كان أم ملكاً فقال لا نبياً ولا ملكاً بل عبداً أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصح له وبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم ما شاء الله ثم بعثه الثالثة فمكن الله له في الأرض وفيكم مثله يعني نفسه)) (٣) . وقال بعض العلماء إنَّ سبب إطلاق هذا اللقب عليه هو بلوغه قرني الشمس أي بلوغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها . ورأي آخر يقول ذلك لأنه بلغ قرن الشمس من

١ - ينظر : د. حاتم الهمدان ، النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة : ٣٩٩ .

٢ - ينظر : محمد يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢٧ .

٣ - الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي : ٢٥٩١٣ .

مطلعها، وقرنها من مغربها، فسمي بذي القرنين^(١). وقيل لأنه كان له ضفيريّتان من شعر، -فالعرب تطلق على ضفيرة الشعر قرن-، والصفائر تسمى قروناً، وقيل: كان له قرنان تحت عمامته^(٢).

وبما أن دراستنا حول شخص ذو القرنين الوارد ذكره في القرآن فنعرّفه هكذا بعيداً عن الآراء المتأثرة بالإسرائيليات^(٣)، وما جاء به المستشرقين، فهو: ((رجلٌ ضاعت أخباره على مر التاريخ، ولم يسلم منها إلا ما ذكره الله عز وجل، وما ثبت عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونتف أخرى قليلة من التاريخ، أعتمدها بعض الثقات من المؤرخين. أنه الرجل الطواف في الأرض، الصالح العادل، الخاشع لربه، والمنفذ لأمره، والقائم بين الناس بالإصلاح. والذي ملك أقاصي الدنيا واطرافها، فلم يغيره مال ولا منصب ولا جاه ولا قوة ولا سلطان؛ بل إنه بقي ذاكراً لفضل ربه ورحمته))^(٤).

١ - ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان: ١٨٨١١.

٢ - ينظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢٨٨١١. ينظر، الالوسي، روح المعاني: ٩٢٤١١٦. اختلف العلماء و المؤرخون في المقصود ب(ذي القرنين)، اختلافاً بيننا، فمنهم من قائل أن تاريخه يسبق الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثمائة سنة، ومنهم من أرجعه إلى ما قبل عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بألفي سنة أو أكثر، ومنهم من ذهب إلى بين ذلك و وبين. ينظر: محمد يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح: ٢٥.

٣ - ذكر بعض المؤرخين والمفسرين الكثير من الروايات والاثار والاخبار الموضوعية والمنكرة عن ذي القرنين، وكذلك ذكروا الكثير من الروايات المستوحات من الإسرائيليات والتي نقلها إليهم كعب الاحبار ووهب بن منبه واخرون من اليهود الذين أسلموا. وقد ذكر ابن جرير عن وهب بن منبه أثراً طويلاً، وعجيباً في سيرة ذي القرنين ورحلاته وبناء السد، عن قوم يأجوج ومأجوج، وفيه من الغرابة، والطول والنكارة في اشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم.....، ومروي بأسانيد لا تصح. للاطلاع على ما رواه ابن جرير أنظر: الطبري، جامع البيان: ٩٣١١٨. ينظر: ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض لعبد الحكيم منصور: ٦٢. و من الإسرائيليات ما ذكره السيوطي في كتابه الدر المنثور: ((وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْذُوقِيهِ وَابْنُ عَدِي وَابْنُ عَسَاكِرَ وَابْنُ النَجَّارِ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَقَالَ: يَأْجُوجُ أُمَّةٌ وَمَأْجُوجُ أُمَّةٌ كُلُّ أُمَّةٍ بِأَرْبَعِمِائَةِ أُمَّةٍ لَا يَمُوتُ أَحَدُهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ صَلْبِهِ كُلِّ قَدِ حَمَلِ السِّلَاحِ،)) ٤٨٥١٥-٤٨٥.

٤ - ينظر: محمد يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح: ٢٤٨.

جاء ذكر ذو القرنين في أواخر سورة الكهف من الآية ٨٣-٩٨ من القرآن الكريم : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ

عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ

سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلْنَا يَنْدَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ

تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ

مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا

﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾

الكهف: ٨٣ - ٩٨ ، سبب نزول هذه الآيات كان ، هو طلب اليهود من المشركين سؤال النبي محمد (صلى

الله عليه واله وسلم) ، عن الرجل الذي طاف الأرض ، ولم ينكروا أسمه أو لقبه (١) ، فجاءهم الجواب في

قوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا) . وأن الله سبحانه مكن لذو

القرنين في الأرض ، قال الطبرسي في قوله تعالى : (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾

(الكهف : ٨٤ ، أن الله بسط يده في الأرض حتى مكنه من السيطرة عليها (٢) . ولم يتعرض القرآن الكريم

١ - ينظر : محمد معرفة ، التفسير الاثري الجامع : ٣٥١١٥ . لقد اعتاد مشركي مكة أن يرسلوا إلى أهل

الكتاب مستفسرين عن بعض القضايا ، ثم اختار النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بها ، وذلك

كنوع من التشكيك بنبوته ، والسؤال عن ذي القرنين كان أحد هذه الأسئلة التي وجهت له (صلى الله عليه واله

وسلم) . د عبد العليم خضر ، مفاهيم جغرافية في القصص القرآني - قصة ذي القرنين - : ٢٣ .

٢ - ينظر : مجمع البيان : ٧٥٦١٣ .

لاسمه (١) ، أو ولادته ولا زمانه ولا نسبه وحياته ، ولا سائر مشخصاته ، بل نجد أن القرآن الكريم اكتفى بذكر ثلاث رحلات له ، وهي : رحلة إلى مغرب الشمس ، ورحلة إلى مطلع الشمس ، ورحلة أخرى حتى بلغ بين سدين (٢) .

أولاً : رحلته إلى مغرب الشمس :

إنَّ ذا القرنين بدأ رحلته في الأرض مع جيشه ، داعياً إلى الله تعالى ، فاتجه أول الأمر نحو الغرب ، قال تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) الكهف : ٨٦ ، حتى وصل إلى عين حمئة كبيرة ، كأن الشمس تغرب فيها . والمقصود بالعين الحمئة ، هو الماء غير الصافي المائل للكدره والعكارة ، فهي ((عين ماء ساخنة ذات طينة سوداء وهي موجودة على حدود الدائرة القطبية الشمالية حيث تغرب فيها الشمس في الانقلاب الصيفي)) (٣) . وذلك حين بلغ الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى ، ورأى الشمس تغرب في بحر (إيجا) على سواحل تركيا الغربية شرقاً ، واليونان غرباً كما قيل (٤) . وعندما وصل ذو القرنين إلى هذه الأرض قال له تعالى : (قُلْنَا يَدَا آلِقَرَيْنِ إِمَّآ أَن نَّعُذَّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ أَحْسَنُ ..) الكهف : ٨٦-٨٨ ، وترك له حرية التعامل مع أهلها كما هو في ظاهر الآية ، أي بين تعذيبهم

أو الإحسان إليهم ، إلا أنه يتبين من ذيل الآية أنه خوطب بكلا السلوكين ، فمن آمن فجزاءه الإحسان ،

١ - يذكر الراوندي ، أنه كان يسمى عياشاً ، وكان أول الملوك بعد نوح (عليه السلام) ومملك ما بين المشرق والمغرب . ينظر : قصص الأنبياء : ١٢٢ .

٢ - ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٣٤٣ .

٣ - د . شاهيناز يوسف ، بلوغ ذو القرنين مغرب ومطلع الشمس وزيارته لقومي الخانتي والمنسى في سيبيريا لهذه الزيارة : الدلة الفلكية والتاريخية : ٢٦٥ .

٤ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ١١-١٢ .

ومن كفر وأصر على ذلك فله العذاب ، وعلى هذا الأساس تعامل معهم ذو القرنين ^(١) ، لكن ما معنى هذا الخيار ؟ هل أنهم كانوا قوماً منحرفين يستحقون العذاب جزاءً لذلك ، أم أنهم كانوا يرجون المعاملة الحسنة والعفو على أساس جهلهم وتخلفهم ، مما قد يكون ذلك مبرراً لهم ، وليكون ذلك من أسباب تراجعهم عن خط الانحراف ، عندما يعيشون روح التسامح التي تكون طريقاً لفتح عقولهم وقلوبهم على الخير القادم من الله تعالى ؟ وما وقوف ذو القرنين بين الخيارين ، إلا لكونه يريد أن يواجه المسؤولية من خلال الحكم على الواقع الذي عاشه هؤلاء ، فلا بد من الاطلاع على تاريخ حياتهم ليعرف ماذا فعلوا من صلاح أو فساد ، ليكون ذلك هو الوجه البارز لحركته في حكم المجتمع في المستقبل ، وما يمكن أن يقوم به الآخرون من بعده ، ومن جهة أخرى يجب أن يكون هذا هو الخط المتحرك في النهج الذي يجب أن يحكم سلوكه في حياتهم العامة والخاصة ، وعلى هذا تكون حركة مسؤوليتهم في ما يواجهون الله به بعد ذلك ، وهذا ما بينته الآية الكريمة التي نقلت جواب ذي القرنين (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَى ..) ^(٢) .

ثانياً : رحلته إلى مطلع الشمس (الشرق) :

وبعد انتهاء رحلة الغرب توجه ذو القرنين بجيشه شرقاً ، قال تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا) الكهف : ٩٠ ، فوصل لمنطقة اختلف الناس فيها ، فقد قيل أنها أمّا أن تكون وقت طلوع الشمس ، أو مكان شروق الشمس ، أو الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولاً

١ - ينظر : السبحاني ، القصص القرآنية ، دراسة ومعطيات وأهداف : ٥٦٣١٢ .

٢ - ينظر : فضل الله ، من وحي القرآن : ٣٨٥١١٤ .

، وقيل جهة المشرق من سلطانه ومملكته ^(١). وهذه المنطقة كانت أرضاً مكشوفةً ، لا توجد فيها أشجار ولا مرتفعات ، تحجب عن ساكنيها أشعة الشمس . فكان هؤلاء القوم بدائيين من الذين يعيشون عراة مثل قبائل وسط افريقيا حتى الآن ، ليس لديهم ما يسترهم من الشمس ، كالبيوت ، ولا يعلمون من الحضارة شيئاً . فكانت هذه البيئة التي ذهب إليها ذو القرنين غير عادية ، فقد وجد الانسان هنالك مكشوفاً للحر والبرد . فهذا المكان كانت له صفة خاصة ومعروفة ، وهي مطلع الشمس ، وكانت تطلع على قوم غربيين ، ولا أسمائهم ، ولا نعرف مكانهم على وجه التحديد والدقة ، في مكان أقرب ما يكون إلى الشرق القديم ، وليس بينهم وبين الشمس ستراً ، وأقرب ما يقال إلى الستر هو الثياب ، وايضاً منطقتهم كانت مكشوفة ^(٢). وتشير الآيات القرآنية بوضوح إلى أن ذو القرنين كان ملكاً عادلاً صالحاً ، حتى ظن البعض أنه كان نبياً . فذو القرنين يمثل النموذج الطيب للحاكم الصالح ، الذي مكنه الله ، وأعطاه من أسباب القوة ، فيجتاح الأرض غرباً وشرقاً ، ومع كل ما يملكه من قوة وسلطة ، لا يتكبر ولا يتجبر ، ولا يطغى ، ولا يستغل الافراد والجماعات والبلدان ولا يسخر أهلها . بل كان يرجع كل ما هو عليه من القوة والتمكين في الأرض إلى الله تعالى ، ويستخدم كل ما وهبه الله من أسباب القوة في الإصلاح ، وأحقاق الحق ، ولا ينسى أن كل قوته وما هو عليه تحت سطوة الخالق ، وأنه راجع إليه ^(٣).

١ - ينظر : المظهري ، التفسير المظهري : ٦٥١٦ . نظر : ابن عاشور ، التحرير والتوير : ٢٨١١٦ . فمن الآراء الكثيرة التي تسعى إلى تحديد منطقة مطلع الشمس التي قصدتها ذو القرنين ، يقال أنها منطقة في وسط جزيرة غينيا الجديدة والتي تعد جزء من بلاد مشرق الشمس ، إذ توجد هنالك سلاسل جبلية تسمى (سلسلة الجبال المحورية) ، وتوجد بين هذه السلاسل الجبلية أودية سكنها البشر ، ويرى صاحب هذا الرأي أن هذه المرتفعات هي مطلع الشمس الذي قصدته الآية الكريمة . ينظر : همدان ، ذو القرنين - النبي المصري الذي طاف بالعالم : ٤٠ .

٢ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ٢٣٧ .

٣ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ١٢-١٣ . ماخذه من ظلال القرآن لسيد قطب

ثالثاً : رحلته إلى مبلغ السدين :

ومن أهم ما جاء في قصة ذي القرنين هي قصته مع قوم يأجوج ومأجوج^(١) وبناء السد عليهم ، قال تعالى

: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ

يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾) الكهف :

٩٣-٩٤(٢). ويأجوج ومأجوج اسم لقبائل بربرية كانت تفسد في الأرض ، وتعتدي على الأقوام المجاورة

إليها بالسلب والنهب والقتل . وقد وردت أخبار كثيرة في بيان منهم ، فمما ورد أن يأجوج ومأجوج هم

المغول والتتار ، وكانت هذه الأقوام تقطن بالشمال الشرقي من آسيا^(٣) . وقد ورد خبرهم في سياق قصة

ذي القرنين القرآنية . فبعد رحلته إلى مغرب الشمس ، في أقصى نقطة من الأرض ، حيث تغرب الشمس

على أفق المحيط ؛ وبعدها رحلته إلى أقصى الشرق ، حيث تشرق الشمس من وراء البقاع المجهولة ،

١ - يأجوج ومأجوج اسمان مشتقان من أجيح النار وهو ضوءها وحرارتها ، وقد أطلق الاسمان على القبيلتين تعبيراً عن الكثرة والشدة . وأيضاً قيل أن هذا التعبير اشتق من الأجاج ، وهو ما يعبر عن الماء عند شدة ملوحته . وكذلك قد قيل أنهما اسمان أعجميان غير مشتقين ، وقد لا يهمز الاسمان ، فيصيرا (يأجوج ومأجوج) . ينظر : فليفل ، يأجوج ومأجوج : ٣٥ . وأن ما قيل في اوصافهم دخل فيه الكثير من الاوصاف الغريبة والبعيدة عن الواقع ، والسبب في ذلك أن هذه الاخبار والاقوال أما أنها ترجع إلى الاسرائيليات في كثير من الأحيان والتي بات يعج بها تاريخنا القديم للأسف ، أو أنها كانت مرتعاً خصباً للقصاصين ، الذين يزيدون عليها ما طاب لهم من الخيال والمبالغات ، يبتغون في ذلك إعجاب العامة ورضاهم . ومن هذه الاوصاف التي قيلت فيهم أنهم لا يشبهون الانس بل يشبهون البهائم يأكلون العشب ، يفترسون كل ذي روح . وأن لهم المخالب والاذافر والقرون وأضراس كأضراس الوحوش . ومنهم من قسمهم إلى ثلاثة أصناف بأطوال وأصناف مختلفة . ينظر : محمد يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٣٠٠-٣٠٢ .

٢ - ذكرت قصة يأجوج ومأجوج في موضعين من القرآن الكريم ، في سورة الكهف عند الحديث عن ذي القرنين ، وفي سورة الأنبياء ذكر أنهم سينقبون السد في آخر الزمان ويخرجون .

٣ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٦٥ . ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٣٦٥ .

وصل ذو القرنين إلى قوم لا يفقه من لغتهم الغربية^(١)، يسكنون عند فجوة بين سلسلتين من الجبال ، وكانت اقوام يأجوج ومأجوج تتدفق عليهم بين الحين والآخر ، وتفتك بهم من دون أن يستطيعوا ردهم . طلب هؤلاء القوم من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين القبيلتين المفسدتين سداً ، يقيهم بطشهم وفسادهم ، وعرضوا عليه المال مقابل ذلك ، إلا أن ذا القرنين رفض ذلك قائلاً (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٢٠﴾)^(٢) . فأمر ذو القرنين القوم على مساعدته في بناء السد بينهم وبين يأجوج ومأجوج ، فطلب منهم ذو القرنين أن يأتيه بجزر الحديد أي القطع الكبيرة من الحديد ، فأحضر القوم اكوماً هائلة من قطع الحديد ، وأكوماً هائلة من الحطب ، فبناها ، قال تعالى : (ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) ، حتى ملأ ما بين الجبلين ، وسماها صدفين ، لكونهما متصادقان ، أي متقابلان ، ولما ملأ ما بين الجبلين بالحديد ، ووضع بين كل قطعتين من الحديد قطعة حطب ، أمرهم بإضرام النار فيها ، حتى صار الحديد كالحمم ، طلب منهم أن يأتيه بالقطر ، وهو النحاس المنصهر ، وصبه على الحديد والحطب ، فصار الجميع كتلة واحدة صلدة من الحديد والنحاس ، وقيل أنه حفر له الأساس حتى بلغ الماء ، فكان بناءً صلباً وعظيماً جداً ، ولم يقدر

١ - (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ قَوْلًا) ، في ما يوحي به ذلك من بساطتهم وسذاجة فهمهم ، فهم أناس لا يعيشون العمق الفكري في مواجهتهم للمشاكل ، فكانوا يحتاجون إلى الشخص الذي يدبر لهم أمورهم ، ويقودهم إلى الحلول الممكنة ، والتي كان من الممكن الوصول إليها بأنفسهم ، لو كانوا يملكون الوعي الكامل المنطلق من حالة المعاناة الفكرية. وهذا ما واجهوه مع أولئك الذين كانوا يعيشون في الجانب الآخر من المنطقة ، وراء الجبلين ، فقد كان بإمكانهم أن يبحثوا عن الوسيلة التي يستطيعون أن يتخلصوا بها من ضغطهم على واقعهم . فضل الله ، من وحي القرآن : ٣٨٩١١٤ .

٢ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٦٥ . ينظر : حسن فليفل ، حقيقة أغرب من الخيال " يأجوج ومأجوج " : ٤١ . ينظر : وليد فكري ، أساطير مقدسة : ١٤٠ .

يأجوج ومأجوج على نعبه أو تسلقه بالرغم مما يتمتعوا به من قوة ، قال تعالى : (فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ

وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءُ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾) الكهف

: ٩٧-٩٨ . ولما فرغ ذو القرنين من بناء السد ، قال لهم أن هذا التمكين من فضل الله ورحمته ، فهو الذي

الهمه وأعطاه القوة على ذلك (١) (٢) . وهناك الكثير من الآراء والتكهنات حول مكان وجود أقوام (بأجوج

ومأجوج) ومكان السد الذي شيده ذي القرنين ، ولا يمكن الركون التام لأحد هذه الآراء - التي سنورد بعضها

لاحقاً- ، فلم يصل من خبر ذي القرنين إلا ما ذكره القرآن وبعض الأخبار التي لا يمكن التسليم بصحتها

دائماً ، لذا يمكن القول وبدون الانحياز إلى رأي معين أن (بأجوج ومأجوج) لا تعني قومية معينة ، ولا

جنساً خاصاً من البشر . بل هي كلمة تطلق على أقوام همجية ، كانت تغسد في الأرض ، وقد كان لهم

وجود في عصر ذي القرنين ، وقد وضع ذو القرنين من خلال بناءه للسد حداً من إفسادهم على الآخرين

١ - ينظر : د.عبد العليم خضر ، مفاهيم جغرافية في القصص القرآني " قصة ذي القرنين" : ٤٠ . ينظر :

عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ٢٦٣ .

٢ - أن ذو القرنين أشار بعد تمام أنجاز السد إلى أمرين مهمين : الأول هو توجيه فكرهم إلى أن هذا العمل

هو رحمة من الله ونعمة أجراها على يده ، وهذا ما يدل على كون ذو القرنين مؤمناً متواضعاً شاكراً لخالقه

تعالى ، ولم يصيبه الغرور بإنجازه لهذا العمل ، بل نسب كل ذلك لله تعالى كما قال : (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن

رَبِّي) . وهناك شعر ذي القرنين بالطمأنينة الروحية و الراحة النفسية التي يلمسها ويشعر بها المؤمن عند ما

يقوم بمسؤوليته أمام ربه ، فيرى رحمة في القوة التي منحها الله له ، وكذلك في الروحية التي فتح فيها قلبه

وعقله على مواقع الخير ، مما يعطي الموقف معنى الإيمان الذي يعيش معه الإنسان ، بعيداً عن كل مشاعر

القوة الذاتية والكبرياء الشخصي. ينظر : فضل الله ، من وحي القرآن : ٣٩١١١٤ .

الثاني : هو أن لكل شيء اجل حتى الأبنية الشاهقة والقوية والسدود المحكمة ، فلها عمر محدد وتنتهي وتزول

من الوجود ، كما قال : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءُ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) . وأما الوعد الذي جاء في نهاية الآية

هو خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان كما جاء في سورة الأنبياء ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ

وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴿ الأنبياء : ٩٦ . ينظر : السبجاني ، القصص القرآنية

، دراسة ومعطيات واهداف : ٥٧١١٢ .

. ولم تستطع هذه الاقوام الهمجية في تلك الحقبة الزمنية من اختراق السد ، كما قال تعالى : (فَمَا اسْتَطَعُوا

أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَجَابًا) ، وليس في الآية ما يدل على أن هذا السد سيكون مانعاً من خروجهم

في المستقبل . وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُذِّبَتْ يَنْسِلُونَ

﴿ ٩٦ ﴾ الأنبياء: ٩٦ ، فهذه الآية تعني أن هؤلاء الاقوام سيخرجون من كل مكان ، وليس من وراء ذلك السد

فقد ، فالآية الكريمة واضحة الدلالة فهؤلاء لا ينسلون من وراء السد إنما من كل حذب . أما عن جنسية

هؤلاء الاقوام بالرغم من تعدد الآراء في ذلك ، لكن يبقى علم ذلك عند الله (١) .

-الملاح الجغرافية لمنطقة السدين (٢):

من خلال قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ ﴿ ٩٣ ﴾

الكهف: ٩٣ ﴿ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ﴿ ٩٤ ﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

رَدْمًا ﴿ ٩٥ ﴾ ﴿ الكهف: ٩٤ ٩٥ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ ﴿ الكهف: ٩٦ .

يتبين من تلك الآيات القرآنية :

١- إنَّ ذا القرنين وصل أثناء رحلته إلى موضع يمكن وصفه بأنه بين سلسلتي جبال ، وليس موضع

بين جبليين ، لأن لو كان بين جبليين عاديين لما عبر عنها بسدين ، ولتمكن قوم يأجوج ومأجوج

من الالتفاف والدوران من وراء أحدهما ، والتمكن من الوصول إلى القوم .

١ - ينظر : محمد يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٣٢٩-٣٣٠ .

٢ - ينظر : الهمدان ، ذو القرنين النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة : ٣٠٦ .

٢- أن السدين هما حاجزان يمنعان يأجوج ومأجوج من الاغارة على القوم ، بدليل أنهم طلبوا من ذي القرنين أن يجعلن بينهم سداً مماثلاً .

٣- ويتبين من تسمية ذي القرنين لسده (بالردم) بدلاً من السد إلى أنه لا يقارن بالسدين ، فهو يسد بين فتحة صغيرة بينهما ، يتسلل من خلالها يأجوج ومأجوج .

٤- ويتبين من قوله : (حتى اذا ساوى بين الصدفين) ، أي أن سلسلتي الجبال تقتربان كثيراً من بعضهما ، وأن ذو القرنين بينائه الردم ساوى بينهما ، أي سد ردمه ، الموضع المفتوح بين السلسلتين .

فبعد أن تبين لنا من خلال النص القرآني أن يأجوج ومأجوج لم يكن باستطاعتهم الخروج إلى الأراضي المجاورة لهم والافساد فيها إلا من خلال ما يمكن أن نسميه بالممر الضيق بين سلسلتي جبال ، وتم غلق هذا الممر من خلال بناء السد . فقد تباينت الآراء قديماً وحديثاً حول مكان وجود هذا السد ، هذه السلسلة الجبلية التي يقبع يأجوج ومأجوج خلفها ، يقول الرازي : ((الأظهر أن موضع السدين في ناحية الشمال ، وقيل جبالن بين أرمنية وبين أذربيجان ، وقيل هذا المكان في مقطع أرض الترك))^(١) . ويذهب القاسمي إلى أن من المرجح أن يكون مكان السد في إقليم داغستان التابع لروسيا بين مدينتي دربند وخوارز ، فقد يوجد بينهما مضيق شهير منذ القدم ويعرف بكونه (سد) ، وفيه موضع يسمى (باب الحديد) ، وهو أثر سد حديدي قديم جداً بين جبلين من جبال القوقاز ، وكان يشاع أن فيه السد و وراءه أقوام يأجوج ومأجوج الذين سيخرجون في نهاية الزمان^(٢) . أما سيد قطب يقول : ((كشف سد بمقرية من مدينة (ترمذ) عرف بباب الحديد . وقد مر به في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، العالم الاسباني (سيلد برجر) ، وسجله في كتابه . وكذلك سجله المؤرخ الاسباني (كلافيجو) في رحلته سنة (١٤٠٣) وقال : أن سد مدينة باب الحديد

١ - التفسير الكبير : ١٦٩١٢١ .

٢ - ينظر : محاسن التأويل : ٧٦١٧ .

على الطريق - سمرقند والهند ... وقد يكون هو السد الذي بناه ذو القرنين ((^(١)) في حين يذكر الدكتور عبد العليم خضر أن سلسلة جبال القوقاز تمتد لمساحات شاسعة وعلى ارتفاع كبير ، وتكون صعبة الاجتياز ، معدومة الممرات إلا في ممر موحد الذي هو عبارة عن مضيق (داريال) في السوط ويجري فيه أحد روافد نهر ترك العليا ، وهذه السلسلة الجبلية تمتد حتى تكاد أن ترتطم بأموج بحر قزوين من جهة الشرق ، وتمس مياه البحر الأسود من جهة الغرب على طول امتداد ٢٠٠ كم ، وهي أعلى جبال في أوروبا بصورة قاطبة ، ولا يمكن اجتيازها اطلاقاً إلا من خلال ممر داريال ^(٢) . وإذا ما علمنا من خلال ما سبق أن هنالك من يرى أن هذا السد لا يزال قائماً ويعين مكانه ، ويحدد اسمه ، وحتى المضيق الذي سُدَّ . هنالك من يرى أن هذا السد قد دك . فليس لنا أن نحدد مكانه ، فتلك أزمان بعيدة للغاية ، و قد قال الله في كتابه : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) ، ولا علم لنا إن كان جاء وعد الله وجعل هذا السد ارضاً مستوية . ولربما بحسب ما يورده بعض المحققين أن ما يحدث جراء الثورات البركانية وغيرها من المظاهر الطبيعية القوية أن تتخسف ارض معينة أو ترتفع بعض الأراضي لتصير جبالياً ، فهذا امر مشاهد حتى يومنا هذا . وإذا سلم أن سد ذو القرنين المذكور في القرآن غير موجود حالياً لربما قد زال بسبب هذه التأثيرات التي تحدث في الطبيعة . و لا وجود لما يدل في النص القرآني على أن هذا السد يبقى إلى يوم القيامة . فقولته تعالى : (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (٩٨) الكهف : ٩٨ ، يدل على أن هذا السد كان رحمة من الله على الأمم والاقوام المجاورة ، لمنع غارة

١ - في ظلال القرآن : ٢٢٩٣١٤ .

٢ - ينظر : مفاهيم جغرافية : ٢٩٦ .

يأجوج ومأجوج عليهم ، ولكن يجب أن يفهموا أن هذا السد بصلابته وقوته لا يمكن أن يقاوم المشيئة الربانية ، فمتى ما أمر الله ، جعله أرضاً مستوية ، و وعده ثابت كائن متحقق لا محالة له (١) .

ونتوصل مما سبق من قصة ذي القرنين (٢):

١- إنَّ صاحب القصة كان يسمى بـ (ذي القرنين) من قبل نزول قصته في القرآن الكريم ، فهو كان

يلقب بهذا اللقب في أثناء حياته ، وهذا ما نجده في النص القرآني : قَالَ تَعَالَى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي

الْقَرْيَيْنِ) ، (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْيَيْنِ) ، (فُلْتَا يَدَا الْقَرْيَيْنِ) .

٢- من خلال النص القرآني يتبين أنَّ ذا القرنين كان رجلاً مؤمناً بالله تعالى ، قال تعالى : (قَالَ هَذَا

رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءُ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) . وأن قوله تعالى لذو القرنين : (قُلْنَا

يَا ذَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّمَا أَن نُّعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) يدل على تأييده بوحى إلهي أو إلهام ، أو إنَّه

نبياً من أنبياء الله كان يسدده بتبليغه الوحي الإلهي .

٣- كان ذو القرنين ممن جمع الله له خير الدنيا والآخرة ، فقد مكن له من مشارق الأرض إلى مغاربها

، أما خير الآخرة فمن خلال إقامة العدل بين الناس وحفظ كرامتهم والعفو والصفح ، وبث الخير

ومحاربة الشر .

٤- أن ذا القرنين صادف قوماً ظالمين في المغرب فعذبهم .

١ - ينظر : محمد حجازي ، التفسير الواضح : ٨١١٦ . ينظر : القاسمي ، محاسن التأويل : ٧٧١٦ . ينظر :

الطباخ ، ذو القرنين وسد الصين : ٦٣ .

٢ - ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : ٣٧٤-٣٧٣١١٣ . و القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في

تفسير الميزان : ٣٤٥ .

٥- إنَّ السد الذي بناه في موضع غير مغرب الشمس ومطلعها ، فإنه بعد ما بلغ مطلع الشمس أتبع سبباً حتى بلغ ذلك المكان الذي يوجد فيه اقوام يأجوج ومأجوج ، وأيضاً من مشخصات ردمه الذي بناه أنه واقع بين جبلين كالحائطين ، وأنه قد ساوى بين الصدفين ، مستعملاً في ذلك زبر الحديد والقطر ، ولا محالة أن يقع في مضيق يربط بين ناحيتين من نواحي الأرض المأهولة .

٢- الإسكندر المقدوني :

وهو ((الإسكندر الأكبر أو الإسكندر المقدوني ولد في اليونان وتوفي في بابل كما يقولون ، هو حاكم الإمبراطورية المقدونية ، قاهر الإمبراطورية الفارسية ، وواحد من أذكى وأعظم القادة الحربيين على مر العصور ، وكان أرسطو معلمه الخاص))^(١) .

اختلاف الآراء في تحديد شخصية الإسكندر :

وقع خلاف في شخص الإسكندر بين كلا الفريقين ، فبعض علماء المسلمين يرون أن الإسكندر رجل مؤمن ، وهو ذو القرنين ، خلافاً للغربيين ورأيهم في كونه من غير الموحدين لله تعالى ، فتنقسم الآراء حول شخصية الإسكندر إلى^(٢):

١. قسم يطلق اسم الإسكندر على ذي القرنين ، ولا يقصد به الإسكندر المقدوني .
٢. قسم آخر يرى أن هنالك فرقاً بين كل من الإسكندر الرومي ، والإسكندر اليوناني ، فالأول قديم ، والآخر قبل عصر نبي الله عيسى (عليه السلام) بثلاثة قرون .
٣. وقسم يرى أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني ، وهؤلاء فريقين :

^١ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ٩٢ .

^٢ - محمد خير يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٨٣ .

• الفريق الأول ، الذي يذهب إلى أن الإسكندر المقدوني رجل مؤمن ، عقيدته لا تخالف الدين ، لذا فهو ذو القرنين .

• الفريق الثاني ، يذهب إلى أن ذو القرنين لم يصرح بإيمانه في القرآن الكريم ، إذاً فهو الإسكندر المقدوني ، وفقاً لما كتبه الغربيون عنه . ، وهذا بالطبع رأي غير صحيح فالآيات القرآنية بينت بصورة واضحة إيمان ذي القرنين بالله تعالى .

إنَّ شخصية الإسكندر مثل شخصية النمرود وفرعون وغيرهم من الملوك الكبار المعروفين ، الذين حكموا الأرض ، أو معظمها ، وكان لهم تاريخ حافل بالغزوات والإنجازات ، ولهذا لم يكن في التاريخ القديم فرعون واحد إنما كان هنالك فراعة ، وكذلك هنالك أكثر من نمرود حكم بابل ، أشهرهم كان النمرود الكبير . وذات الأمر بالنسبة للإسكندر ، فهنالك أكثر من شخصية حملت اسم الإسكندر عبر التاريخ ، بينهم عامل مشترك وهو حب الطواف والغزو في الأرض ، لكن أحدهم مؤمن والآخر وثني ، عرف الأول بالإسكندر الأول ، وقيل عنه أنه أسطوري ، والثاني يعرف بالإسكندر الأكبر المقدوني ، وهو الأكثر شهرةً ، والذي سبق عصر نبي الله عيسى (عليه السلام) قرابة الثلاثمائة سنة ، أما الآخر ظهر في التاريخ السحيق ، بعد الطوفان . إلا أن لقب (ذو القرنين) لا يحمله إلا رجل واحد ، وبه عرف ، ولم يعرف باسم آخر ، وقد أختار المفسرون والعلماء فيمن يكون هذا الرجل ، ومتى كان زمانه ، في حين إنَّ البعض أسقطه على الإسكندر المقدوني ، وهذا أمر غير صحيح ، لاختلاف الرجلين ، فالإسكندر المقدوني كان رجلاً وثنياً يعبد الأصنام ، في حين أن ذا القرنين كان مؤمناً موحداً ، وعبداً صالحاً . الإسكندر المقدوني قد تأثر بشخصية ذو القرنين ، في عدة أمور منها ، وضع قرنين على صورته أو على تاجه ، وكانت هذه عادات الملوك الكبار والعظماء في الزمن القديم ^(١) . فذو القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم ملكٌ أعطاه الله من

^١ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ١٤٥ . ينظر : السبجاني ، القصص القرآنية : ٥٧١١٢ .

الأسباب التي مكنته من السيطرة وحكم الأرض من مشرقها إلى مغربها ، وكان حاكماً عادلاً موحداً لله تعالى ، وحتى أن البعض ذهب إلى أن ذا القرنين ملك نبي ، مثل نبي الله سليمان (عليه السلام) ^(١) .

ويذكر أبو الفداء في كتابه (المختصر في أخبار البشر) أن ما ذكر عن الإسكندر من أنه انصرف من مشرق الأرض إلى مغربها ، وبنى سداً على قوم يأجوج ومأجوج ؛ أن ذلك غير صحيح ، ولم يكن له إطلاقاً ، بل أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه المبارك هو ملكٌ قديم كان في زمان نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وقد أخطأ كل من ظن أن الإسكندر الرومي هو ذو القرنين . وكذلك ما قد أستفاض على اللسان من إنَّ لقب الإسكندر هو (ذو القرنين) هذا أمر غير صحيح، ذلك أن لفظة (ذو القرنين) لفظة عربية محضة ، وهي من ألقاب العرب ، ملوك اليمن ، وكان من ذلك (ذو جدن) و (ذو قلاع) و (ذو نواس) و (ذو القرنين الصعب بن الرانث) ، وقد قيل إنَّ ذا القرنين بن صععب هو الذي مكنه الله في الأرض ، وعظم له في ملكه ، وهو باني السد على يأجوج ومأجوج ^(٢) . وكلام أبو الفداء هذا أيده كثير من المؤرخين والباحثين ، فهو الرأي الأقرب إلى الصحة في تحديد هوية ذي القرنين ، فاسمه عربي الأصل وعرفه العرب القدماء . وأن اليهود حينما سألوا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذي القرنين ، قالوا رجلاً طاف بالأرض ، ولم يذكروا اسمه أو لقبه ، ولو ذكروا لقبه لعرفته قريش ، وكذلك النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لهذا نجد أن إجابة الله في القرآن كانت ^(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِمَّا ذُكِّرَ ﴾

الكهف: ٨٣ ، أما أسم الإسكندر من الأسماء المقدونية الغربية ، وعلى هذا لا يصح أن يطلق على ذو القرنين الإسكندر ، ذلك لكون ذو القرنين عربي الأصل من العرب ،

١ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ١٤٦ .

٢ - ينظر : ٤٥١١ .

٣ - ينظر : عبد الحكيم ، ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض : ١٤٦ .

العاربة^(١) . وتضم سيرة الاسكندر في طياتها عدد من الاساطير والقصص الخيالية ، والتي من المحتمل أن يكون الإسكندر بنفسه قد شجع على اشاعتها وكتابتها . وكان للإسكندر مؤرخه الخاص يدون له وهو (كاليستس أو لكاليستينس) . وقد جمعت كل الأساطير المتعلقة بالإسكندر بعد عدة قرون من رحيله في كتاب عرف باسم (رومانسية الاسكندر) ، ونسب هذا الكتاب خطأً إلى كاليستس ، وقد خضع هذا الكتاب إلى المراجعات العديدة ، ودخلت فيه الكثير من الإضافات منذ العصور القديمة حتى العصور الوسطى ، لهذا نجد أنّ هذا الكتاب قد احتوى على الكثير من القصص المشكوك بصحتها . وتُرجم هذا الكتاب إلى عدة لغات منها اليونانية ، والسريانية ، والأرمنية ، والسريانية ، واغلب لغات أوروبا الغربية . وذكر الإسكندر ومنجزاته في نصوص بعض الحضارات القديمة والحديثة . وقد لعب كتاب (رومانسية الاسكندر) دوراً مهماً في التأثير على رسم صورته في تلك الحضارات ، سيما الفارسية ، والاوربية الوسطى ، واليونانية المعاصرة^(٢) . وإنّ النسخة السريانية من كتاب (رومانسية الإسكندر) تجسده كملك مسيحي صالح مؤمن مقيم الصلاة ، ويفتح الممالك ابتغاء مرضاة الله ودعوة الناس إلى عبادة الله . وإنّ جميع النصوص المكتوبة عن سيرة حياة الإسكندر من قبل أشخاص عاشروا الإسكندر ورافقوه في رحلاته ، أو التي جمعوها من رفاقه ، قد ضاعت واندثرت ، ولم يبقَ منها إلا عدداً قليلاً من المخطوطات^(٣) . وهكذا نجد أن تاريخ الإسكندر لم ينقل كله بشكل صحيح ، وأن ما وصل إلينا عنه ما هي إلا أخبار وملاحم كتبت بعد وفاته بقرون ، ومن ثم نقلها وترجمها المؤرخون القدامى عن سابقهم ، مع علاتها ، وزادوا عليها أو نقصوا منها حسب عقائدهم ومصالحهم^(٤) .

١ - ينظر : المصدر نفسه : ٩١ .

٢ - ينظر : د.سمير أبو شرف ، شخصيات غيرت مجرى التاريخ " الإسكندر الأكبر " : ٦٧ .

٣ - ينظر : د.سمير أبو شرف ، شخصيات غيرت مجرى التاريخ " الإسكندر الأكبر " : ٦٩-٧٠ .

٤ - ينظر : محمد خير يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ١٣١ .

عقيدته : هناك مصادر متعددة تحدثت عن سيرة الإسكندر منها الأجنبية والعربية ، وبما أن الإسكندر شخصية يونانية ، نرى أنه لا بد من الاعتماد على المصادر الغربية التي تحدثت عنه .

تذكر المصادر اليونانية أنه كان على عقيدة أهل اليونان ، من عبادة الإلهة ، وتقديم القرابين لها ^(١). فقد ذكر أنه قبل سفره للفتوحات أراد أن يستخير الآلهة في معبد دلف على عاداتهم . وأنه كان يقدم القرابين على الساحل السوري قبل شروق الشمس . وأنه لما زار مصر كان يقصد معبد الإله آمون . تذكر الأخبار أن الإسكندر كان يؤدي واجبات العبادة لكل الآلهة التي كان يصادفها في فتوحاته ، فقد كان يعتقد أن جميع هذه الآلهة واحدة في حقائقها و أن اختلفت في أسمائها والكثير من الأخبار التي تثبت وثنية الإسكندر ^(٢) . وحتى أن ذهب إلى أكثر من ذلك ، إذ تذكر بعض المصادر أن الإسكندر راح يبحث على الاعتقاد بألوهيته ، وغرضه من ذلك فرض نفسه كحاكم مطلق على اليونانيين ، من غير أن يؤدي مشاعرهم في الحرية ، فعند ذلك أمر الحكومة اليونانية أن تعترف به ابناً لـ (زيوس آمون) ^(٣).

رحلات الإسكندر : نذكر من رحلات الاسكندر ما كان مورد تشابه مع رحلات ذو القرنين :

أولاً : رحلته إلى واحة سيوة (الغرب) : أن الإسكندر زار واحة سيوة المصرية ، قاصداً معبد الإله المصري (آمون) ، وأن هذه الواحة تقع على مسافة بعيدة عن بلاد اليونان ، إلا أنها كانت تعد موقعاً مقدساً بالنسبة لليونانيين القدماء ، فقد كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً أنه يمكن استشارة الإله آمون في مختلف الأمور ، ولهذا السبب قصد الإسكندر الواحة . وعثر على نص قديم لـ(هيرودوت)^(٤) ، والذي عاش في القرن الخامس

١ - ينظر : محمد خير يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ١٤٥ .

٢ - ينظر : هارولد لامب ، الإسكندر المقدوني : ٤٥ . ينظر : المصدر السابق : ١٤٧ .

٣ - ينظر : وليام لانجر ، موسوعة تاريخ العالم : ١١٦٦-١٦٧ . ينظر : محمد خير يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ١٢٣ .

٤ - هيرودوت أو هيرودوتس ، مؤرخ إغريقي يوناني .

قبل الميلاد ، أي قبل الإسكندر بأكثر من مائة عام ، انه يوجد في هذه الواحة عين مياه يطلق عليها (عين الشمس) وأن المياه فيها تصل لدرجة الغليان في منتصف الليل ، ويكون بارداً في فترة الظهيرة والغروب. أما عن وجه الشبه بين رحلة ذو الإسكندر هذه ورحلة ذو القرنين المذكورة في القرآن حسب رأيهم :

١- أن واحة سيوة هي أبعد مكان من جهة الغرب ذهب إليه الإسكندر المقدوني .

٢- وجود عين من قبل عصر الإسكندر كانت تسمى بعين الشمس ، و انها عين حامية، فقد كانت في حالة غليان .

إلا أنه لا يمكن اطلاق اسم مغرب الشمس على واحة سيوة ، فمن الناحية العلمية تمتد الأرض بعدها جهة المغرب مسافات شاسعة جداً . وأن هذه العين وأن كانت تسمى بعين الشمس ، إلا أنه لا يمكن لأحد أن يرى أن الشمس تهبط فيها وذلك لكونها صغيرة ، وتقع في منخفض ، فإذا كنت في مكان قريب منها او بعيد ترى أن الشمس تغرب وراءها في الأفق . وبحسب ما ذكره هيرودوت أن هذه العين كانت تغلي في منتصف الليل ، بينما إنها باردة في فترة الغروب . في حين نجد أن النص القرآني يذكر أن ذو القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة حامية ، وكانت مياهها راكدة ، وهذه العين ليست كذلك . والأهم من ذلك لا يوجد ذكر أن الإسكندر قد ذهب إلى هذه العين أو شاهد غروب الشمس في العين ، ولا كان الغرض من حملاته غرض إصلاحي ومساعدة الضعفاء وإقامة العدل^(١) .

ثانياً: رحلته إلى الهند (الشرق) : يقول هيرودوت في وصف الهند : أن هؤلاء الهنود كان يعيشون في المكان الأقرب إلى جهة الشرق ، وإلى مطلع الشمس ، ولم يكن وراءهم غير الرمال والصحاري ، وكان هؤلاء القوم الذين قابلهم الإسكندر عراة ، ولا يمتلكون بيوتاً يحتمون فيها من اشعة الشمس والبرد .. فكانوا يعيشون في العراء .وهنا نلاحظ وجه الشبه بين ما ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت عن رحلة

^١ - ينظر : ذو القرنين النبي المصري الذي طاف بالعالم ... : ٦٧٨-٦٨١.

الإسكندر هذه وما جاء في القرآن من ذكر لرحلة ذي القرنين إلى مطلع الشمس . وبالرغم من أن وجه الشبه يبدو كبيراً ، إلا أن القصة القرآنية تقول أن القوم الذين قصدهم ذو القرنين كانوا أقصى شرق العالم ، أي آخر الأرض من جهة الشرق ، وليس قبل الرمال والصحاري كما يدعي هيرودوت . والنص القرآني يقول أن ذا القرنين وجد الشمس تطلع ، وهذه إشارة إلى أن هؤلاء القوم سكنوا المرتفعات في منطقة أقصى شرق الأرض ، وهذا الامر ينطبق -حسب بعض الآراء- على سكان اودية المرتفعات في غينيا وليس الهند^(١) . وحول مدى تطابق شخصية الإسكندر مع شخصية ذي القرنين القرآنية ، يذكر الكاتب (أولسرنج ويلكن) ، أنه قد توصل من خلال أبحاثه وتحليلاته التي أجراها ، وما جاء في القرآن الكريم عن ذي القرنين يُؤكِّد أن ذا القرنين الذي ورد ذكره في القرآن هو شخصية مُختلفة تماماً عن الإسكندر . وساق لذلك أدلة مفادها^(٢):

١- إنَّ ذا القرنين كان مؤمناً بالله تعالى ، ومنهجه في التعامل مع الناس ، وتمكين الله له في مشارق الأرض ومغاربها يؤكد لنا ذلك . بينما الإسكندر فكل الشواهد تدل على أنه عاش قبل ميلاد المسيح (عليه السلام) ، وفي القرن الرابع (ق.م) ، وهذا ما يدل على أن أوروبا بما فيها اليونان ووطن الإسكندر لم تعرف أي دين سماوي بعد في تلك الفترة ، ذلك لأن الدين المسيحي هو أول دين سماوي في أوربا .

٢- الاختلاف في المناهج والوسائل : يذكر الكاتب تحت هذا الدليل أن الإسكندر كانوا يغزو البلاد بهدف السيطرة عليها ونهب ثرواتها ، وتنصيب نفسه ملكاً على البلاد التي يغزوها ، كما حدث عندما غزا بلاد فارس العدو التقليدي لليونان .

١ - ينظر :الهمدان ، ذو القرنين النبي المصري الذي طاف بالعالم ... : ٦٨٢-٦٨٣.

٢ - ينظر : حسن الناطق ، مجلة دراسات دعوية : ١٢٨ وهو عرض لكتاب (حمدي أبو زيد ، فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم . أوطانهم . زمانهم) .

أما ذو القرنين فكان سعيه من أجل نشر العدل ودفع الظلم عن الناس ، وهداية الناس إلى عبادة الله الواحد ، وتقديم يد العون للضعفاء والمحتاجين ، كما فعل عندما بنى الردم بين القوم المستضعفين ومأجوج من دون أن يقبل أن يأخذ منهم أجراً لعمله .

٣- اختلاف النطاق الجغرافي لمسيرة كل منهما : إنَّ آخر نقطة وصل إليها الإسكندر بحسب ما تشير المصادر هي منتصف البنجاب ^(١)، حيث كان الاعتقاد سائداً أنها تمثل الحافة الشرقية من الكرة الأرضية . وهذا يبين أن الإسكندر لم يكن يعلم أنه كان على حدود الصين ولم يدخلها . أما بالنسبة لذو القرنين ، فإن رحلاته امتدت شرقاً حتى وصل منتصف المحيط الهادي حيث بلغ (مطلع الشمس) . ثم عاد ليسر غرباً حتى وصل الصين ، والتي - بحسب دراسة الكاتب ورأيه - وقعت أحداث قصة مأجوج ومأجوج عليها .

٤- بناء الردم: لم يرد تاريخياً أن الإسكندر قد قام ببناء السد ^(٢). أما ذو القرنين فقد ورد بشكل واضح وصريح في القرآن الكريم أنه قام ببناء الردم لصد مأجوج ومأجوج . , إذاً استناداً لما سبق في سيرة الإسكندر وما عرف عنه من إنجازات وفتوحات وغيرها مما دُوِّنَ في مختلف المصادر لا يمكن الركون إليها ، فحتى الإسكندر فهو كقائد كبير كان يهتم بإشاعة وتوثيق أخبار عنه فيها ما فيها

١ - اختلفت الآراء كثيراً في تحديد رحلات ذو القرنين التي قام بها غرباً وشرقاً ، بحسب أبحاث ومصادر كل صاحب رأي ، لهذا نقلنا أكثر من رأي من دون الوقوف على رأي معين ومناقشته لأن ذلك ربما يبعد البحث عن جوهره في بيان الوجه في استعراض دعوة الأصل الأسطوري ومناقشتها ، وما يهمننا هو تحديد هذه الدعوى وتقنيدها .

٢ - ولا نجد ذكراً لخبر بناء السد في كتابات الغربيين عن الإسكندر ، إلا من استند إلى القرآن الكريم ، وظن أن المقصود بذو القرنين هو الإسكندر المقدوني ، وأن هارولد لامب نفى في كتابه أن يكون الإسكندر هو باني السد ، كما يذكر ذلك بعض المؤرخين . وأن استناد كل مؤرخ ورجوعه إلى ما سبقه من المصادر التي كتبت عن ذلك ، مما ساعد على أنتشار الخبر ، إضافة إلى ذلك ساعده غموض شخصية ذو القرنين على ذلك . ينظر : محمد خير يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ١٢٦ .

من المبالغة والخرافة ، شأنه شأن الكثير من الملوك والعظماء عبر التاريخ . غير أن ما دون عنه جاء بعد وفاته بقرون عديدة ، وما تعرضت له هذه الكتابات من إضافات وتلاعب عبر العصور . وهذا ما يدفعنا إلى عدم استبعاد تأثير الاسكندر بشخصية ذو القرنين فنحن لا علم لنا بعصر ذو القرنين لكن نعلم أنه من العصور الموعلة في القدم وعلى الأرجح أنه سبق عصر الاسكندر ، وكانت أخبار ذي القرنين متداولة وقتها ، فكان من المتأثرين بشخصه ، كما تأثر غيره من العظماء عبر التاريخ بشخصيته فحاولوا هم او من دون لهم فيما بعد بنسب تلك الإنجازات والمآثر التي عرفت عنه لهم وهذا شأن الكثير من الاحداث والشخصيات عبر التاريخ . فسيرة الإسكندر غير واضحة ولا يمكن أن نقارنها بسيرة ذي القرنين القرآنية ، ونحن كمسلمين لدينا القرآن الكريم المصدر الحق على الاطلاق الذي لا نشك بصدق خبره ولو طرفة عين ، فالقرآن حدثنا عن عبد صالح موحد لله تعالى أقام حكم الله في مشارق الأرض ومغاربها ، أما الاسكندر فتباينت المصادر في أخباره بين كونه موحد أو وثني . وبالرجوع إلى أركان قصة ذو القرنين القرآنية ومقارنتها مع ما ورد عن الاسكندر لا نجد في ذلك تطابقاً إذا لا صحة لدعوى الأصل الأسطوري لقصة ذو القرنين ، ولا يهم أن كان هنالك تطبقاً في بعض الموارد .،

كوروش الأخميني :

أما الرأي القائل بأن (كوروش الأخميني) الملك الفارسي الكبير ، هو ذو القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم ، فهذا رأي معاصر ، وأول من قال به هو (أبو الكلام آزاد) وزير المعارف في الهند سابقاً ، والذي أطلع على التاريخ الإيراني . وقد تبني هذا الرأي بعض علماء الشيعة ، ومن مصر وزير الأوقاف الأسبق عبد المنعم النمر الذي قال : أن أول ما لفت نظر ابا الكلام آزاد هو أن الذين سألوا الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذو القرنين كانوا يهوداً ، وقد توصل من خلال هذا أنه لا بد أن يكون هنالك ذكراً لذي القرنين في التوراة وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يعرف عنه شيئاً ، لذا فإن أبو الكلام بحث في التوراة حتى عثر على نص توراتي في سفر دانيال يذكر كبش ذا القرنين : ((فَرَفَعْتُ عَيْنِي وَرَأَيْتُ وَإِذَا بِكَبْشٍ وَقِفٍ عِنْدَ النَّهْرِ وَلَهُ قَرْنَانِ وَالْقَرْنَانِ عَالِيَانِ، وَالْوَّاحِدُ أَعْلَى مِنَ الْآخَرِ، وَالْأَعْلَى طَالَعٌ أَخِيرًا)) الاصحاح الثامن : ٣ ، ويقول في تفسير الرؤيا : ((أَمَّا الْكَبْشُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فَهُوَ مُلُوكُ مَادِي وَقَارِس)) الاصحاح الثامن : ٢٠. ومن هنا جاءت فكرة أبو الكلام : فلم لا يكون ذو القرنين هو كوروش ، فهو الذي وحد الميدين والفرس في دولة واحدة ، وبذلك اصبح كوروش المؤسس لدولة الفرس الأخمينية ؟ وكما أن كوروش الأكبر هو الذي سمح لليهود المأسورين في بابل بالعودة إلى القدس ، وكذلك إعادة بناء الهيكل لهم ، وقد ذكر كوروش في التوراة بأن الله ألهمه إعادة اليهود إلى أرض فلسطين ، بل أنه لقب بمسيح الله ^(١) ، ((هَكَذَا قَالَ كُورُشُ مَلِكُ فَارِسَ: جَمِيعُ مَمَالِكِ الْأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ، وَهُوَ أُوصَانِي أَنْ أُبْنِيَ لَهُ بَيْتًا فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا. مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ، لِيَكُنْ إِلَهُهُ مَعَهُ، وَيَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا فَيَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ....)) سفر عزرا ، الاصحاح الأول (٣- ٤) . ورأى أبو الكلام أن صفات كوروش تنطبق على ذي القرنين ، مما عرف به من العدل والإصلاح

^١ - ينظر : محمد خير يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢١١. ينظر : الهمدان ، ذو القرنين النبي المصري الذي طاف : ٧٢٠-٧٢١.

بين الرعية ، والقوة وحروبه وفتوحاته . وأن أبو الكلام قد دعم رأيه بالدلائل والبراهين ، وساند ذلك بالدراسات والبحوث الأثرية والجغرافية . فهو قد مكن الله له في الأرض وقام بفتوحات كثيرة شملت اصقاعاً من المعمورة ، يقال أن كورش :

١- قام بحملة نحو مغرب الشمس ، وأخضع مملكة ليديا .

٢- قام بحملة جهة مشرق الشمس ووصل فيها إلى بلاد السند .

٣- وترجح الوثائق أنه بنى سداً حسب مواصفات السد الذي ذكره القرآن الكريم . وبناء هذا السد كان يستلزم قوة مادية وبشرية ضخمة جداً ، وقد توفرت هذا المتطلبات في كورش ، ويقول أبو الكلام أن هنالك كتلاً هائلة من الحديد المخلوط بالنحاس موجودة في جبال القوقاز ، في منطقة مضيق دريال الجبلي في دولة جورجيا .

٤- إن كورش قد حارب قبائل همجية تفسد في الأرض ، تشابه ما ذكره القرآن الكريم عن فساد يأجوج ومأجوج في الأرض .

٥- يقال إن العين الحمئة التي ذكرت في القرآن تنطبق صورتها على خليج أزمير حين تختلط حمرة الغسق بالطين الأحمر والأسود . وهذا المكان هو مغرب الشمس الذي وصل إليه كورش^(١) .

٦- عثر أثناء التنقيبات الأثرية في القرن التاسع عشر الميلادي ، تمثالاً لكوروش بقامة إنسان ، وعلى كتفه جناحان مثل اجنحة العقاب ، وعلى رأسه تاج يحمل قرنين ، ومن خلال هذا الاكتشاف تؤكد أبو الكلام إن كوروش هو ذو القرنين نفسه^(٢) .

١ - ينظر : محمد خير يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢٢٦ .

٢ - ينظر :مقال منشور لـ د. عبد المنعم النمر ، ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرناً و كشف عنها - أبو الكلام آزاد - : موقع إعجاز القرآن والسنة <https://quran-m.com> .

السؤال الأساسي هنا هل أن كوروش حقاً هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم ؟ وهل يعني تطابق بعض الصفات وتشابهها بين الشخصيتين يعني أنهما شخص واحد ؟

نقول ليس كل ما قيل عنه أنه دليل ، فهو دليل يعتبر ، فكل ما قاله أصحاب هذا الرأي يبقى مجرد ظن واجتهاد . وليس بحقائق مطلقة وقطعية يمكن الأخذ بها من دون شك ونقاش (١) .

وبعد أن تعددت الآراء حول هذه الشخصيات (الإسكندر المقدوني ، كوروش الكبير) في حقيقة كون أي واحد منهما أو غيرهما من الشخصيات المطروحة هو (ذو القرنين) المذكور في القرآن وبين من قال بأن القرآن اقتبس شخصية ذي القرنين من إحدى الشخصيات التاريخية والأطورية ، فمن خلال بيان مدى تطابق أحداث قصص هؤلاء الشخصيات مع الأركان الأساسية في قصة ذو القرنين القرآنية التي نستقيها من الآيات القرآنية في سورة الكهف ، يتبين مدى حقيقة تلك الدعوات من عدمها :

وأركان قصة ذي القرنين هي (٢) :

١- إيمان ذي القرنين بالله تعالى ، وبأنبيائه واليوم الآخر . وغرضه من رحلته في الأرض هو الدعوة إلى الله الواحد ، وإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلومين . وهذا واضح جداً عندما نستعرض قصته القرآنية .

٢- تمكين الله تعالى لذي القرنين في الأرض ، فقد سخر الله له من الأسباب ، ولم يتكبر أو يغتر على قوته هذه بل أرجع ذلك كله لرحمة الله وفضله .

٣- بلوغه مطلع الشمس .

٤- بلوغه مغرب الشمس .

١ - ينظر : محمد خير يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢٢٧ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٢٩ .

٥- بلوغه السدين ، وبنائه للردم بمساعدة الجميع من دون مقابل ، وفصله بين القوم الذين لا يفقهون

قولاً ، وبين قوم يأجوج ومأجوج .

٦- عدم قدرة يأجوج ومأجوج من خرق السد أو الصعود عليه .

وفي حال سقط أي ركن من أركان هذه القصة القرآنية ، ولم يتطابق مع أحداث قصص الشخصيات

المزعومة فإن أبحاثهم ودعواتهم لا تعد عملاً مكتملاً ، يمكن الاعتماد عليه علمياً . فمثلاً إذا تبين أن

كوروش لم يفعل بعض مما ذكرناه ، لا انه اخفيه علينا ، ذلك لأنه لا يمكن إنكار شيء لم يتحقق منه ،

فلا يمكن أن نقول إنه ذا القرنين ^(١) . ونفس الأمر بالنسبة للإسكندر المقدوني .

، فلا يمكن أن نقارن بين قصة شخصية حصل لنا اليقين بوقوع أحداثها فعلاً ، وأنها نزلت على النبي

الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل الوحي الإلهي ، وبين قصص وأساطير لشخصيات اختلف فيها

التاريخ اختلافاً كبيراً وحرف فيها ما حرف .

^١ - ينظر : محمد يوسف ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح : ٢٣٠ .

المطلب الثاني : أصحاب الكهف

لاحقت دعوى الأصل الأسطوري الكثير من الشخصيات القرآنية ، سواء النبوية منها أو الغير النبوية . ومن هذه الشخصيات أو لنقل القصص التي لاحقتها هذه الدعوى الباطلة ، هي قصة أصحاب الكهف الوارد ذكرها في سورة الكهف . وأصحاب الكهف هم مجموعة من الفتية المؤمنين الذين رفضوا عبادة الاوثان ، وعبدوا الله الواحد الأحد ، وهربوا إلى كهف خارج المدينة، ويطلق عليهم المسلمون (أصحاب الكهف) كما جاء في القرآن الكريم ، أما المسيحيين فيطلقون عليهم أسم (السبعة النيام).

أولاً : الشبهة المثارة " دعوى الأصل الأسطوري لقصة أصحاب الكهف " :

مثل غيرها من القصص القرآنية التي تعرضت لظعن المشككين من أعداء الإسلام ، تعرضت قصة (أصحاب الكهف) في القرآن الكريم لافتراءات أولئك المغرضين ، مدعين أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) قد اقتبس هذه القصة من الأساطير السابقة ، مدعياً أنها وحي إلهي، فهذا القس والمؤرخ الإنجليزي (وليام سان تيسدال) في كتابه (المصادر الاصلية للقرآن) يذهب إلى القول بأسطورية قصة أصحاب الكهف الواردة في السورة الثامنة عشر من القرآن ، ويقدم معالجة لذلك ، فبعد أن يستعرض الآيات القرآنية التي تروي قصة أصحاب الكهف واصفاً إياها بالمرتبكة ، ويقول ؛ بحسب ما أفاده المفسرون أن بعضاً من الوثنيين العرب في مكة تحدوا النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بأن يري لهم قصة أصحاب الكهف ، وذلك بهدف اختبار ادعائه بالوحي ، وعلى ما يبدو أنها كانت سارية بينهم بشكل وآخر ، وبأكثر من صيغة للرواية ، وأن محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) وعدهم بالجواب في اليوم التالي كما في الآيتين (٢٣-٢٢) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا

مِرَاءَ ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٤﴾ الكهف: ٢٢ -

٢٣ ، يقول تيسدال ، أنه كان ينوي الاستفسار من أحد حول هذه القصة ، وأنه فشل على ما يبدو في الحصول على معلومات مؤكدة حول أصحاب الكهف ، ولهذا ترك السؤال عن عدد الفتية في الكهف مضطرباً ، وكما أنه لم يخبر عن مكان الكهف ولا زمان وقوع الحادثة؛ إلا أنه جازف -حسب تعبير تيسدال- في التأكيد على حقيقة واحدة ، هي مدة رقادهم في الكهف وهي : (٣٠٩) أعوام . ولكنه لسوء الحظ كان مخطئاً في ذلك، وأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن لديه شك بأن هذه الحادثة وقعت فعلاً ، وتوصل تيسدال من خلال الأسلوب العام للآيات بأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن بحوزته أية وثيقة مكتوبة عن الحادثة ، ولا حتى راوٍ موثوق في متناول اليد كان من الممكن أن يمده بالمعلومات الصحيحة والتفاصيل الدقيقة حول القصة، ويستأنف تيسدال قائلاً أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) مدين للصيغة الشفوية لأسطورة أصحاب الكهف في التفاصيل التي أوردها في القرآن الكريم ، وليس إلى الوحي الإلهي كما يزعم (١) . ويرى تيسدال أن قصة أصحاب الكهف هي قصة غير واقعية ، ويضع اللوم على الجهلة من المسيحيين في القبول بصحتها ، حتى انتشرت على أنحاء واسعة ، وهي في الواقع ليست إلا قصة مبتدعة في أكثر الاحتمالات ، وأن من المرجح الغرض منها أن تكون رمزية ، أو كونها نوعاً من الرومانسية الدينية ، وقد أصيغت بنية تبشيرية لكي تظهر سرعة أنتشار العقيدة المسيحية ، من خلال بث روح الإخلاص والتضحية حتى الموت من أجل العقيدة . ولكي يغدو هذا الاستنتاج ممكناً ، حصلت أسطورة أصحاب الكهف على المزيد من المصادقية في منطقة الشرق ، وحتى قبل عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بفترة زمنية طويلة ، وحتى في زمنه كان هنالك من يؤمن بهذه الأسطورة (٢) . ونقرأ في مقال منشور على موقع مجلة الحوار المتمدن لأحد اللادينيين (أثير العراقي) وهو يحاول

١ - ينظر : ١٢٣-١٢٤ .

٢ - ينظر : المصادر الاصلية للقرآن : ١٢٦ .

نقد قصة أصحاب الكهف المذكورة في القرآن الكريم ويعدها اقتباساً من أسطورة النيام السبعية السريانية ، وأن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لم يكن يملك معلومات عنهم غير ما سمعه من تلك الأسطورة ، فيقول : ((ويبدو من النص القرآني أنه يريد إقناعنا أن الإله المزعوم كان مصمماً تماماً على عدم ضم محمد إلى "القليل" من الناس الذين يعرفون عدد أهل الكهف بإخباره بتلك المعلومة البسيطة، لكن هذا يجعلنا نسأل عن سر هذا التخبط حيث يُفترض من الإله أن يكون مستعداً لتزويد نبيه المزعوم بالتفاصيل التي يُسأل عنها وبما يحتاجه من آيات قبل أن يقرر إرساله للناس وإلا فيجب عليه من حيث الحكمة التوقف عن إرسال أنبياء إذا لم يكن لديه الوقت أو الرغبة في تزويدهم بما يلزم...)) ، فهو يرى أن عدم تحديد عدد أصحاب الكهف بدقة تخبطاً ، وسبباً يكشف زيف ادعائه النبوة ، وأن مصدر هذه القصة هو الوحي الإلهي . ويرى أنه لا يمكن تبرير التشابه بين القصة القرآنية ، وأسطورة النيام السبعية ، بأن الإسلام جاء مصداقاً لما قبله من الكتب السماوية ، فقصة النيام السبعية غير مذكورة في الكتاب المقدس بعهديه ، بل هي قصة مسيحية متأخرة ، وأن أحداثها تدور في زمن ما بعد المسيح . وأن القرآن الكريم عده قصة حقيقية لا أسطورية . ويختم حديثه بطرح سؤاله مشككاً بصدق الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) :

والسؤال هو: ألا ترون معي أن قصة أهل الكهف القرآنية لا يمكن أن تكون وحياً نزل على محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من قبل ربه ، كونها قصة أسطورية شديدة الشبه بالقصة النيام السبعية السريانية التي كان يتم تداولها قبل ادعاء محمد (صلى الله عليه واله وسلم) نزول تلك القصة عليه؟^(١) .

ثانياً : أسطورة النيام السبعية

١ - ينظر : أثير العراقي ، مقال منشور في موقع مؤسسة الحوار المتمدن بعنوان " أليست -قصة أهل الكهف- اقتباساً قرآنياً لأسطورة النيام السبعية؟! " <https://www.ahewar.org/debat/nr.asp> .

وردت قصة أصحاب الكهف أول مرة في التراث الديني المسيحي تحت عنوان (النيام السبعة في أفسس) أو (النيام السبعة) ، وتتسب هذه الأسطورة إلى الاسقف السوري (جميس) من أهل ساروج ؛ ولهذا يسمى (جميس الساروجي) ^(١). كما تذكر الموسوعة البريطانية هم أبطال أسطورة (Legend) وعددهم سبعة (أو ثمانية) من المسيحيين الذين أختبؤا في كهف واغلق عليهم قرب مدينتهم في أفسس وذلك خلال اضطهاد المسيحيين عام ٢٥٠ قبل أن تعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة ، خلال حكم الإمبراطور الروماني (داقيوس) ، وكانت معجزة نومهم في ذلك الكهف لفترة طويلة ^(٢). فهؤلاء الفتية رفضوا التخلي عن دينهم وإيمانهم بالله ، وكان عددهم سبعة شبان ، ومنهم من قال انهم ثمانية ، ومنهم من قال أقل أو أكثر من ذلك ، ومن بعد أن ذهبوا للاختباء في كهف بأحد الجبال ، ناموا ودخلوا بسبات عميق ، وقد اختلفت الروايات والأساطير في تحديد مدة نومهم في الكهف ، فقد روي في تلك الأساطير أن مدة سباتهم في

١ - ينظر : د. أحمد المجدوب ، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن : ٥٨. وجهة النظر التي يتبناها العلماء الآن هي أن القصة كتبت في البداية باليونانية ثم نقلت إلى اللغات الأخرى و ينسبونها إلى القديس إتيان في القرن الخامس ميلادي . وعن رواية النص وتدوينه مر بمراحل هي :

- راوي القصة إتيان الإفسوسي سنة ٤٤٨

-تم تدوينها باليونانية تقريبا سنة ٤٤٩

-نقلها يعقوب السروجي إلى السريانية سنة ٤٩٠ تقريبا

-نقلها يوحنا الإفسوسي إلى السريانية سنة ٥٧٠ تقريبا

-نقلها عنه قرقوار دي تور إلى اللاتينية سنة ٥٨٠ تقريبا .

حقيقة قصة أهل الكهف ، محمد النجار ، منتدى اللادينيين العرب

<http://www.ladeenyon.org/forum/viewtopic.php?f=١١&t=٢٥٥٧٤> .

أثير العراقي ، مقال منشور على موقع مؤسسة الحوار المتمدن بعنوان " أليست قصة أهل الكهف - اقتباسا قرانيا لأسطورة النيام السبعة؟! " <https://www.ahewar.org/debat/show.art.as> .

٢ - الموسوعة البريطانية - Seven Sleepers of Ephesus

<http://www.britannica.com/EBchecked/topic/Seven-Sleepers-of-Ephesus٥٣٦٥٢١>

الكهف دامت (٣٠٧) سنين . وكانت الدولة قد تحولت من الوثنية إلى الدين المسيحي ، فقد استيقظوا في زمن الإمبراطور (ثودوسيوس الثاني) الذي حكم بين عامي ٤٠٨ و ٤٥٠ ، وكانت الديانة المسيحية (التوحيدية) هي الديانة الرسمية السائدة حينها . وبعد أن خرج أحد الفتية من الكهف ليشتري طعام ، أصيب بالذهول عند رؤيته للكنائس منتشرة في المدينة ، واستحسن الامر ، وعندما ذهب إلى البائع ليشتري الطعام ورأى البائع النقود القديمة التي قدمها لها ظن أنه عثر على كنز ، وسأل عن مصدرها ، ساقه إلى الكهف حيث ينتظر أصحابه ، عندها علم الملك وأهل المدينة أن الفتية أصحاب الكهف قد عادوا إلى الحياة ، وبعد ذلك عاد الفتية إلى سباتهم إلى الأبد ، وأمر الملك بسد باب الكهف عليهم ، ونقش سيرتهم على لوح وتركهم داخل الكهف . وقد ظهرت قصة النيام السبعة في المسيحية بعد رحيل النبي عيسى (عليه السلام) بقرنين من الزمن (١) .

وننقل جزءاً مترجم من النص السرياني للأسطورة : ((عندما ملك DECIUS داقبوس الأثيم (٢٤٩ . ٢٥١م) على المملكة الرومانية، وزار مدينة أفسس، أصدر أمره إلى نبلائها بنحر الذبائح للأصنام، وأمر بقتل المسيحيين الذين لم يخضعوا لأمره، فقتل عدد كبير منهم وألقيت جثثهم للغريان والنسور والعقبان وسائر الجوارح. وحاول بالوعد والوعيد إقناع سبعة شبان من أبناء النبلاء، وشي بهم إليه، أن ينكروا دينهم المسيحي، الذي تمسكوا به بعروة وثقى، ويقدموا الذبائح للأوثان، فرفضوا. فنزع عن أكتافهم شارات الحرير، وأخرجهم من أمامه، واستمهلهم أياماً عليهم يعدلون عن رأيهم ويخضعون لأمره. وانطلق داقبوس الملك إلى زيارة مدن أخرى مجاورة لأفسس على أن يعود إليها ثانية للغاية المذكورة أعلاه. وكانت الفرصة سانحة

^١ - ينظر : إبراهيم مناصرية ، أهل الكهف والأسرار المخفية : ٩. ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٥٦.

ومؤاتية للفتيان السبعة ليقنوا إيمانهم بأعمال الرحمة، فأخذوا من دور آباءهم ذهباً، ومالاً كثيراً، وتصدّقوا به على الفقراء، سرّاً وعلناً، والتجأوا إلى كهف كبير، في جبل أنكيلوس مواظبين على الصلاة ((^(١)).

ثالثاً: أصحاب الكهف في الكتاب المقدس

لا يوجد ذكر لأصحاب الكهف في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فقصة أصحاب الكهف قصة مسيحية متأخرة جرى تداولها في العهد الذي أصبحت فيه الديانة المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية ، وذلك عقب تحول الامبراطور قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) إلى الدين المسيحي ^(٢) .

و ان عدم وجود ما يشير إلى قصة أصحاب الكهف في كتب اليهود ولو من بعيد ، يرجع لسبب واحد، وهو أن هؤلاء الفتية كانوا من اليهود الذين آمنوا بالمسيح رسولاً من الله ، وهو ما بشر به أنبياء بني إسرائيل المتعاقبين ، ومهد لظهوره نبي الله يحيى بن زكريا (عليهما السلام) ، ولأن اليهود وزعاماتهم كانوا يتوقعون أن يكون ذلك النبي المرتقب على شاكلة موسى و داوود وسليمان (عليهم السلام)، أي أن يكون نبياً قوياً و زعيماً سياسياً ومحارباً وقائداً عسكرياً ، يحقق لهم النصر على أعدائهم وينكل بهم الأعداء ، وينهب أموالهم ، ويسبي نساءهم ..، كما صورت لهم التوراة النبي المرتقب ، ولما جاءهم عيسى (عليهم السلام) ودعاهم إلى السلام والتسامح والحب والاستعداد لقيام ملكوت الله ، أصيبوا بخيبة ، وسخروا منه ونصبوا له العدا ، وغضبوا على كل من تبعه ، وعدوه عدواً لليهود ويجب أن يعاقب وينكل به ، فكانوا يرحمون من تصل أيديهم إليه من هؤلاء المؤمنين ، ومن لم تصل أيديهم إليهم ك (أصحاب الكهف) فإنهم عاقبوهم بالتجاهل وتحريم ذكرهم ، وهذا ما فعلوه حين تعمدوا أن تخلوا أسفارهم من أي إشارة إلى الفتية الذين ذهبوا

١ - القس يوسف الحومي ، سيرة أهل الكهف " بين المصادر السريانية والرواية القبطية " : ٥٠ . دائرة

الدراسات السريانية ، أهل الكهف في المصادر السريانية . <https://dss-syriacpatriarchate.org>

٢ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٥٥ .

في الدهر الأول، فكما أشارت المصادر الإسلامية إلى أن اليهود هم الذين حرضوا مشركي قريش على سؤال النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بعض الأسئلة بقصد اختبار مدى صحة ادعائه النبوة ، فكان من بين الأسئلة ، سؤالهم عن أصحاب الكهف ، أو (الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول وما كان من أمرهم) وهذا يدل على أنهم كانوا على معرفة بقصتهم (١) .

رابعاً: أصحاب الكهف (٢) في القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم بصورة مجملّة ملخصة في أربعة آيات ومن ثم شرع بذكر التفاصيل في (١٤) آية (٣) : قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٠﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١١﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٣﴾ الْكَهْف: ٩ - ١٢ . يظهر من خلال قوله تعالى : ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴿١٤﴾ الْكَهْف: ١٣ ، ان هذه القصة كانت معروفة بين الناس قبل نزول القرآن الكريم ، إلا أنها تعرضت للكثير من التزييف والتحريف عبر التاريخ ، حالها كحال الكثير من الأحداث التاريخية التي

١ - ينظر : د. المجدوب ، أهل الكهف في التوراة والانجيل والقرآن : ٥٧-٥٨ .

٢ - أطلقت عليهم هذه التسمية بسبب لجؤهم إلى الكهف لكي ينجذوا انفسهم من بطش الملك بهم . أما (الرقيم) ففي الأصل مأخوذة من (رقم) وتعني الكتابة ، وحسب اعتقاد أغلب المفسرين فإن هذا هو اسم ثان لأصحاب الكهف، لأنه في النهاية تمت كتابة أسمائهم على لوحة وضعت على باب الغار. البعض يرى أن (الرقيم) اسم الجبل الذي كان فيه الغار. - والبعض الآخر اعتبر ذلك اسما للمنطقة التي كان الجبل يقع فيها. أما بعضهم فقد اعتبر ذلك اسما للمدينة التي خرج منها أصحاب الكهف، إلا أن المعنى الأول أكثر صحة كما يظهر. الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٠٥٩ .

٣ - ينظر : السبحاني ، القصص القرآنية ، دراسة ومعطيات واهداف : ٥٢٩١٢ .

أُلصقت بها الاباطيل، والله تعالى في كتابه المباركة يعرضها على حقيقتها من دون تزييف وتحريف .
وقصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم تتحدث عن مجموعة من الفتية الذين آمنوا بالله الواحد ، وكانوا يعيشون في وسط مجتمع كافر ، فكانوا يكتمون إيمانهم خشية على حياتهم من بطش ملكهم ، وكان اسم الملك (دقيانوس) ، واسم مدينتهم (أفسوس) ، وكان الملك على عبادة الاصنام ويقتل كل من يخالفه، أما الفتية فقد كانوا على دين المسيحية . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ الكهف: ١٤ . و بعد أن ربط الله على قلوبهم وزادهم ثباتاً ، قرروا أن يعلنوا إيمانهم بالله رب السماوات والأرض أمام الملاء ورفضهم لعبادة الأوثان ، غير أبهين بطش السلطة الحاكمة . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴿١٦﴾ الكهف: ١٦ ، ومن بعد ذلك قرروا أن يعتزلوا قومهم ، ففروا إلى كهفٍ في احد الجبال خارج المدينة ، ويسر الله لهم ذلك الكهف ليكون معداً و صالحاً لأن يلبثوا فيه من السنين الطويلة (١) . و دخلوا الكهف واستقروا في داخله ومعهم كلبهم باسط ذراعيه في الوصيد أي منتصف الكهف ، فضرب الله على اذانهم حجاباً يمنع السمع ، فقد أنامهم الله في ذلك الكهف سنين عديدة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ الكهف: ١١ . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ

١ - ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣١٤١٦-٣١٦.

وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ

ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ الكهف: ١٧ - ١٨

(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) أي تميل ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم (١) ، أي أن الشمس

إذا طلعت مالت عن كهفهم جهة اليمين ، إذا غربت تمر (ذات الشمال) أي جهة شمال الكهف ولا تصيبه

. وهم رقود في فجوة (متسع) منه ، ولا أحد يستطيع الاقتراب منهم ، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاطاً ، وهم

في الحقيقة نيام ، ولربما ذلك لكون عيونهم كانت مفتحة وهم نيام ، أو لكثرة تقلبهم ذات اليمين وذات

الشمال ، فكان الله يقلبهم على الجهتين كي لا تأكل الأرض أجسادهم . أما كلبهم فكان باسط ذراعيه في

مقدمة الكهف (العتبة أو مدخل الكهف) ، فكان هذا حالهم داخل الكهف ولا أحد يستطيع الدخول عليهم فكل

من ألقى نظرة عليهم لهرب رعباً (٢) . قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ

كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ

هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا

﴿١٩﴾ الكهف: ١٩ . وبعثهم الله من جديد بعد أن رقدوا في الكهف سنين طويلة من دون أن يعلموا ، فقد

ظنوا أنهم لبثوا في الكهف يوماً أو يومين ، وخرج أحد الفتية من الكهف إلى المدينة ببعض المال لشراء

طعام لهم ، فدخل المدينة ، ووجد أنها قد تغيرت عما كانت عليه بالأمس ، فأحوال الناس والمدينة لم تكن

عما هي عليه ، فلم يزل في حيرته ، وعندما أراد شراء الطعام بما عنده من الورق (النقود) عرف البائع أن

هذه الورق تعود لثلاثة قرون مضت ، وبعد حدوث مشاجرة بينهما أدرك أمر عجيب ، و هو أن هذا الفتى

كان أحد الفتية المؤمنين في الكهف . وشاع خبر عودة الحياة لأصحاب الكهف في المدينة ، فسار جمع

١١ - ينظر : الفيض الكاشاني ، التفسير الأصفي : ٧٠٩١٢ .

٢ - ينظر : الشوكاني ، فتح القدير : ٢٧٤١٣-٢٧٥٠ .

غفير من أهلها ومعهم الفتى نحو الكهف فشهدوا ما فيه تصديق الفتى ، فيما أخبرهم به من نبأ رفقته ،
وظهرت للناس الآية الإلهية في أمر المعاد، ولم يلبث أصحاب الكهف بعد بعثهم كثيراً حتى أن توفاهم الله
تعالى ، وعند ذلك اختلف أهل المجتمعون على باب الكهف ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا
أَنَّهُ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا
رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ الكهف: ٢١ ، فالذين كفروا
قالوا لنبني عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، أما الذين آمنوا قالوا لننخذ عليهم مسجداً (١) . قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُونَ
ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
أَحَدًا ﴿٢٢﴾ الكهف: ٢٢ ، ويقول الله لنبيه (صلى الله عليه واله وسلم) سيختلف القائلون في عددهم فمنهم
من يقول ثلاثة رابعهم كلبهم ، ومنهم من يقول خمسة سادسهم كلبهم ، وما قولهم إلا من باب الظن بالغيب
، ومنهم من يقول سبعة وثمانهم كلبهم ، وما يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى (٢) . ويبين الله المدة التي
لبث فيها أصحاب الكهف في كهفهم (٣٠٩) سنة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ
وَأَرْزَادًا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ الكهف: ٢٥ . وهذا هو القول الحق ، ولا ينبغي الاصغاء إلى قول آخر ، فالذي
أنامهم كل هذه الفترة الطويلة هو أعلم بمدة نومهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

١ - ينظر : الطباطبائي ، القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان : ٤٠٣-٤٠٤ .

٢ - ينظر : الطوسي ، التبيان : ٢٦١٧ .

وَالْأَرْضِ ﴿ الكهف: ٢٦ ، إلى هذه الآية تنتهي قصة أصحاب الكهف القرآنية، من دون أن يشير القرآن

الكريم إلى مكان الكهف أو تحديد زمانهم وغيرها من التفاصيل الجزئية^(١)، ذلك لكون القرآن كتاب هداية وليس كتاب تاريخ ، ليؤرخ للأحداث بتفصيل مطول كما في كتب التاريخ. وبعد أن استعرضنا أسطورة النيام السبعة السريانية ، و قصة أهل الكهف القرآنية ، يمكن أن نختصر أوجه الشبه والاختلاف بينهما بنقاط^(٢)

١- نقرأ في كلا القصتين أن هنالك فتية مؤمنين عاشوا في حقبة زمنية كانت تسود فيها عبادة الأوثان.

٢- رفض الفتية عبادة الاصنام وتقديم القرابين لها ، وتحذوا الملك برفضهم عبادة الأوثان كما تقول

الأسطورة ، والقرآن الكريم تحدث عن إيمانهم بالله ورفضهم عبادة غيره قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ

ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ الكهف: ١٣ - ١٤ .

٣- تشير الأسطورة إلى أن عددهم كان سبعة أو ثمانية ، ولم تذكر عددهم بصورة دقيقة لاختلاف

الروايات ، القرآن الكريم نفسه يشير إلى هذا الاختلاف الحاصل في بيان عددهم ، ويذكر اختلاف

القوم في عددهم فيقول ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ

سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا

يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ الكهف: ٢٢

١ - ينظر : السبحاني ، القصص القرآني : ٥٤٨١٢ .

٢ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ١٥٧-١٥٨ .

٤- الأسطورة السريانية لا تذكر شيئاً عن كلبهم الذي كان معهم في الكهف ، في حين القرآن ذكر أنه

كان معهم كلب في الكهف قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ

سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا ... ﴾ الكهف: ٢٢

٥- القرآن الكريم ذكر أنهم كانوا موحدين مؤمنين بالله الواحد ، ولم يذكر أنهم كانوا نصارى [المسيحيين

الأوائل كانوا موحدين فعقيدة التثليث دخلت متأخرة]، في حين تقول الأسطورة أنهم كانوا مسيحيين

(وحاول بالوعد والوعيد إقناع سبعة شبّان من أبناء النبلاء، وشي بهم إليه، أن ينكروا دينهم

المسيحي) .

٦- الفتية في كلا النصين يلجؤون إلى كهف خارج المدينة (والتجأوا إلى كهف كبير، في جبل

أنكيلوس)، هرباً من قومهم الكافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذِ اعْتَرَسْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى

الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ الكهف: ١٦

٧- دام سبات الفتية في الكهف كما تقول الأسطورة (٣٠٧) سنين في حين يقول القرآن أنهم لبثوا

(٣٠٩) سنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَابْتِئُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ الكهف: ٢٥.

٨- عندما استيقظ الفتية ظنوا أنهم لم يناموا إلا ليلة واحدة ، ويقول القرآن أنهم ظنوا لبثوا يوماً أو يومين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا

أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ

أَيُّهَا أَرْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١٩

٩- أرسل هؤلاء الفتية أحدهم إلى المدينة ليجلب لهم الطعام واستطلاع الاخبار ، والنقود القديمة هي

من كشفت أمرهم ، وكذلك عرفوا كم لبثوا في الكهف ، والقصة القرآنية تقول إلى أنهم بعثوا أحدهم

بما لديهم من مال لشراء طعام لهم من مصدر حلال ، وليكن على حذر من أن لا ينكشف أمرهم . ولم يشير النص القرآني إلى بقية التفاصيل ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿١٩﴾ الكهف: ١٩ .

١٠- بعد ان أنكشف أمرهم في المدينة ذهب الامبراطور وجمع من الناس إلى موقع الكهف ، ويقول له الفتية أن الله فعل ذلك بهم ليؤكد حقيقة البعث ، القرآن الكريم يشير إلى الامر نفسه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ الكهف: ٢١ .

١١- الإمبراطور يأمر ببناء مقام ديني في موقع الكهف بعد أن أماتهم الله ، والقرآن الكريم يبين اختلاف قومهم في بناء بنيان عليهم أم بناء مسجد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ﴿٢١﴾ الكهف: ٢١ . وعليه فأن هنالك جملة من الأسباب التي كانت وراء مثل هذه

الادعاءات من قبل الناقدين يمكن أن نشير إلى بعضها : ١- إنَّ المستشرقين والنقاد الذين تعرضوا لهذه القصة وحتى غيرها من القصص القرآنية ، لم يبنوا آراءهم وأحكامهم من فراغ بل هنالك أسباب عديدة دعت إلى ذلك ، لعل منها ما وجدوه في تفاسير المسلمين ، فقد وردت روايات مختلفة ، اختلفت متونها بحيث لا تكاد تتفق في جهة بارزة من جهات القصة ، مثلاً كالاختلاف على زمانهم ، والملك الذي قاموا عليه ، ونسبهم ، واسماءهم ، وغيرها من جزئيات القصة التي حصل فيها الاختلاف .

١- كذلك إنَّ هذه القصة مما اعتنى فيه أهل الكتاب ، فكما ورد في أسباب نزول هذه القصة أن قريشاً تلقته عنهم وسألوا الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) عنها، وأن المسلمين قد بالغوا في أخذ الروايات وضبطها وتوسعوا فيها ، فأخذوا ما عندهم وما عند غيرهم ، خاصةً وقد دخل في الإسلام قوم من أهل الكتاب كوهب بن منبه ، وكعب الاحبار ، فأخذ عنهم الصحابة والتابعين الكثير من الأخبار عن السابقين ، وعامل السلف عن الخلف تلك الروايات معاملة الأخبار الموقوفة عن النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) .

٢- أن موقف المفسرين والمؤرخين المسلمين من قصة أهل الكهف بصورة خاصة ، ومن القصص القرآني بصورة عامة ، ينقسم إلى فريقين ، سواء فيما يتعلق بالتفسير ، أو فيما يتعلق بالوقائع التاريخية ، وهذا الانقسام جاء نتيجة للمنهج الذي يتبعه كل فريق ، فالفريق الأول يلتزم في تحليله للقصص القرآنية بحدود النص القرآني ، وذلك من خلال توضيح ما في القصة من عبر وإشارات ، والإجابة عما أثير حولها من مشكلات وشبهات، وأصحاب هذا المنهج غالباً ما يتبعون طريقة تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة والأثر الصحيح ، وإذا ما اخذوا الأخبار من كتب السيرة ، فإما لأنها متواترة مشهورة تلائم حقائق القرآن والسنة ، وأما أنها مزيفة وتحتاج إلى الرد والتنبية ، ومن هذا الفريق ابن كثير^(١) والرازي والزمخشري ، وسيد قطب ، ومحمد عاشور^(٢) .

أمَّا الفريق الآخر يذهب في تفسيره للقصص القرآنية نحو الاستقصاء والإحاطة ، لغرض إرضاء فضول المهتمين بهذه القصص ، مما جعله لا يتحرى الدقة والمصداقية فيما يرويها وما جمعه من نقول والتي امتزجت في كثير من الأحيان بالأساطير والخرافات والإسرائيليات ، وكان من هذا الفريق الطبري

١ - يمثل هذا رأي صاحب الكتاب ، وإلا فالحقيقة أن أبين كثير عرف في مؤلفاته بكثرة اعتماده على الاسرائيليات .

٢ - ينظر : نقرة التهامي ، سيكولوجية القصة في القرآن : ٣١ .

، ابن العساكر ، الذهبي ^(١)، وقصة أصحاب الكهف لا تختلف عن غيرها من قصص القرآن الكريم من حيث موقف الفريقين ، فبينما يسعى الفريق الأول بالالتزام عند تفسيره للقصة بالهدف والغاية التي نزلت من أجله ، مستعيناً من أجل بلوغ الهدف ببيان المعاني ، وإيضاح المواقف ، والكشف عما قد يكون هناك من علاقات بين المواقف وإيضاحها ، وكذلك إبراز حيوية السياق والتبنيه على ما فيه من إيقاع واتساق ، أما الفريق الثاني ينحو في تفسيره لهذه القصة وسردها نحو الاستقصاء والإحاطة ، مستعيناً بالإسرائيليات والنصرانيات ، على الرغم مما فيها من الأخطاء والمبالغات والتناقضات وعدم الاتساق ^(٢) .، وكتابات هذا الفريق بالذات من العوامل التي فتحت الباب على مصراعيه لأولئك المغرضين المتصيدين الذين يحاولون النيل من كتاب الله كل ما سنحت لهم الفرصة ، فما يجدونه في هذه الكتب من أخبار أسطورية وخرافات وإسرائيليات ، سبق وأن أطلعوا عليها في تراث السابقين وفيها ما فيها من التزييف والخرافات على اتهام القرآن الكريم بكون قصصه ما هي في الحقيقة إلا اقتباسات من كتب وأساطير السابقين .،

٣- يستفاد من التماثيل والمنحوتات التي وجدت في الكهوف في شتى بقاع الأرض أن القصة هذه قد اكتسبت شهرة عالمية ، والقصص التي هذا شأنها أن تتجلى لكل قوم في صورة تلائم معتقداتهم وآراءهم ، وتختلف رواياتها ^(٣). إذا فأولئك المشككين توصلوا إلى إن قصة أصحاب الكهف الواردة في القرآن الكريم أسطورية بناءً على :

١- التشابه بين القصتين .

٢- عدم ذكر القرآن الكريم تفاصيل القصة ، وهي في نفس الوقت مذكورة في النص الأسطوري ؟

١ - ينظر : د . مجدوب ، أهل الكهف في التوراة والانجيل والقرآن : ٧٠.

٢ - ينظر : د . مجدوب ، أهل الكهف في التوراة والانجيل والقرآن : ٧٠-٧١.

٣ - ينظر : الطباطبائي ، الميزان : ٢٩٠، ٢٩١-٢٩١.

٣- عدم وجود ذكر لأصحاب الكهف في الكتاب المقدس ؟

٤- عدّهم أسطورة النيام السبعة قصة خرافية رمزية ، والقرآن الكريم عدّها حقيقة .

، فعدم ذكر التفاصيل التي تذكرها الأسطورة ليس سبباً في الاعتراف بها من قبل المسلمين ، والتي لا يعترف بها الغربيون أنفسهم ، فلماذا يتوقعون أن يطابق النص القرآني تلك الأساطير ، وإذا طابقتها فما الغاية من ذكره لنفس الواقعة المحرفة ، فالقرآن يذكر تلك القصص التي من الممكن أن تكون قد ذكرت في الأساطير والكتب السابقة لغايات عديدة منها العظة والعبرة ، والتأكيد على وقوعها ، وتصحيح ما تم تحريفه عبر الزمن . . فالاحتجاج بأنّ القرآن لم يتعمق في التفاصيل ولم يذكر مكان الكهف او عدد الفتية بالضبط لا يعد دليلاً او حجة يمكن الركون إليها في القول بأن الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) تلقى ذلك مما سمعه من الأساطير ، وليس الوحي الإلهي ، فالقرآن الكريم ذكر من هذه القصة ما هو اللب والثمرة وترك التفاصيل التي لا عبرة فيها ، فذكر المكان الجغرافي للكهف او عدد الفتية لا يضيف شيئاً من العظة والعبرة ، فسيرة القرآن جرت على الاقتصار في سرد القصص على مختارات من نكاتها المهمة والمؤثرة ، مع الإيفاء بالغرض ، ومن غير التبسيط في القول الذي يفقد النكهة والعبرة ، كالتعرض للأوضاع الجغرافية ومحل الكهف . لذا نجد اختلاف آراء المؤرخين في تحديد مكان الكهف (١).

١ - ينظر : السبحاني ، القصص القرآنية ... : ٥٤٩١٢ . اختلفت آراء المؤرخين في تحديد مكان الكهف ، فقد عثر في بقاع مختلفة من الأرض على كهوف عديدة نقش على جدرانها تماثيل رجال ثلاثة أو خمسة أو سبعة ومعهم كلبهم ، ومن هذه الكهوف :

- ١ . كهف إفسوس : وهو المشهور بين المفسرين ويقع في تركيا بالقرب من مدينة أزمير .
- ٢ . كهف رجب : في الأردن بالقرب من العاصمة عمان . ويرى السيد الطباطبائي أن مشخصات هذا الكهف أوضح انطباقاً على ما في القرآن الكريم.
- ٣ . كهف جبل قاسيون في دمشق .
- ٤ . كهف في البتراء في بلاد فلسطين .
- ٥ . كهف أكتشف في شبه الجزيرة الاسكندنافية من أوروبا الشمالية .

ينظر : السبحاني ، القصص القرآنية ... : ٥٤٩١٢-٥٥٠ . الميزان : ٢٩٩-٢٩٥١١٣ .

الفصل الرابع :

دعوى الأصول الأسطورية للممارسات العبادية في القرآن الكريم

المبحث الأول : الشعائر والطقوس الدينية

- المطلب الأول : الشعائر والطقوس الدينية في اللغة والاصطلاح – المفهوم
- المطلب الثاني : تحول الشعائر الدينية إلى طقوس (طقسنة الشعائر الدينية)

المبحث الثاني : الصلاة

- المطلب الأول : الصلاة في طقوس سكان العراق القديم
- المطلب الثاني : الصلاة في طقوس المصريين القدماء
- المطلب الثالث : الصلاة في تعاليم أهل الكتاب
- المطلب الرابع : الصلاة في الإسلام

المبحث الثالث : الصيام

- المطلب الأول : الصيام في طقوس سكان وادي الرافدين والمصريين القدماء
- المطلب الثاني : الصيام في تعاليم أهل الكتاب
- المطلب الثالث : الصيام في الإسلام

المبحث الرابع : الندور (القرايين)

- المطلب الأول : الندور والقرايين في طقوس سكان بلاد الرافدين
- المطلب الثاني : الندور والقرايين في تعاليم أهل الكتاب
- المطلب الثالث : الندور والقرايين في الجاهلية
- المطلب الرابع : الندور والقرايين في الإسلام

توطئة

في هذا الفصل سنتناول دعوى الأصل الأسطوري للشعائر الدينية ، فهذه الدعوى لم تقف عند حدود الجانب العقدي والقصصي من القران، وإنما امتدت لتشمل الممارسات العملية التي دعا لها القران الكريم ، فذهبت إلى القول بأن هذه الممارسات الدينية ،- التي تعد التعبير العملي للمعتقدات الدينية -هي في الحقيقة مستوحاة من التراث الأسطوري القديم ، وتعد هذه الشعائر ممارسات طقوسية .

وفي هذا الفصل سنركز البحث على بعض الشعائر والطقوس الدينية في التراث الأسطوري لبعض الحضارات القديمة ، وعند أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وما موجود في الإسلام ، لنرى ما مدى صحة هذه الدعوات ، و هل فعلاً شعائر ومعتقدات المسلمين تحمل جذوراً اسطورية ؟.

المبحث الأول : الشعائر والطقوس الدينية

المطلب الأول : الشعائر والطقوس الدينية في اللغة والاصطلاح - المفهوم

الطقوس هي : ((النظام والترتيب ، وعند النصارى : نظام الخدمة الدينية أو شعائرها واحتفالاتها))^(١).

وما يعيننا في هذا البحث هي الطقوس الدينية وهي : ((التعبير العملي للتجربة الدينية أو الاستجابة الكاملة للشخص للحقيقة العليا التي تتخذ شكل الفعل))^(٢).

و الطقوس ليست فقط شيئاً يمارسه الناس فحسب ، بل هي أيضاً طريقة للنظر إلى الأشياء ، أنها عبارة عن فعل وفكرة^(٣) . ولا يوجد دين من دون طقوس، فهي تعد من مستلزمات الدين ، وتتجلى العبادة بإجراء الطقوس وتضع الأساطير بعض أسس الطقوس ومظاهرها، ويستمر أداء الطقوس لأن الأسطورة أكدت إجراءها فيما مضى^(٤) ، وقد أوضح (موريس ليمان) أهمية الطقوس عند القدماء بقوله: ((إن الطقوس تؤكد الاحتياج الذي يجعل الإنسان والطبيعة يتعاونان، والطقوس أسلوب من التعبير للنفوذ في العالم الذي لا يخضع للتجربة ولإجراء مقايضة معه))^(٥) .

١ - نخبة من اللغويين ، المعجم الوسيط : ٥٦٢١٢ .

٢ - محمد بيومي ، علم الاجتماع الديني : ٣٠٩ .

٣ - ينظر : باري ستيفنس ، الطقوس : ٧ .

٤ - ينظر : بلخير بقة ، أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية " سومر وبابل " : ٥٣ .

٥ - طه الهاشمي ، تاريخ الأديان وفلسفتها : ٢١٧ .

وقد عرف خزل الماجدي الطقوس السومرية بأنها : ((هي الشعائر والاعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد و اللاهوت وتعبّر عن بعض جوانب الميثولوجيا وتكسبها صفة الديمومة والاتصال مع اللاهوت))^(١) .

أما الشعائر في اللغة : ((الشعائر جمع شعيرة، والشعيرة في اللغة تعني العلامة))^(٢) .

الشعائر في الاصطلاح الشرعي : و هي ما ندب إليه الشرع ، و أمر بالقيام به^(٣) ، وقيل أن المراد به ما يؤدي على سبيل الاشتهار كالصلاة والحج والصيام^(٤) ... ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ

فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ الْحَج: ٣٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَجْلُوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ

الْحَرَامَ ﴿٣٢﴾ المائدة: ٢. فشعائر الله معالم دينه الظاهرة ومتعبداته^(٥) . و عليه يمكن تعريف كل من الشعائر والطقوس الدينية على أنها : ((مجموعة من التقاليد المرعية والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ملزمة ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات معينة))^{(٦)(٧)}.

١ - متون سومرية : ٣٠٩.

٢ - الفراهيدي ، معجم العين : ٢٥١١١.

٣ - ينظر : د. سعدي أبو الحبيب، القاموس الفقهي : ١٩٧.

٤ - ينظر : د. محمود عبد المنعم ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية : ٣٣٧١٢.

٥ - ينظر : د. أبو الحبيب، القاموس الفقهي : ١٩٧.

٦ - حمداوي ، أنثروبولوجيا الطقوس والشعائر الدينية : ٢٢.

٧ - ويرى عالم الاجتماع الأمريكي وليام كراهام سمنر أن الطقوس ما هي إلا أعمالاً تؤدي بطريقة لا شعورية ، وهي فوق ذلك قوة في ذاتها ، لا تدانيها عقيدة أو قانون . فسمنر يرى أنه ليس هنالك عقيدة دينية أو قانون أخلاقي أو دليل علمي يمكن أن يداني في سيطرته على الناس سطوة الاعتياد على عمل معين ، تلازمه مشاعر وحالات ذهنية شبوا عليها منذ طفولتهم الأولى . العادات الشعبية (Folkways) : ٦٠-٦١.

جلال مدبولي ، الاجتماع الثقافي : ٩٣ .

، وعلى هذا يمكن أن نفرق بين كل من الشعائر والطقوس الدينية : فالطقوس أولاً هي ممارسات للعادات والتقاليد التي تكون من ابتكار الإنسان ، والتي تكون في الغالب انعكاساً لمعتقداته الدينية ، والاجتماعية ، سواء كان لهذه الطقوس الأثر الإيجابي أو السلبي على حياة الفرد ، أما الشعائر فهي ما أمر به الشرع المقدس ، وتعتبر عن الجانب التطبيقي من الدين . و قد كان للدين أهمية كبيرة في حياة الشعوب القديمة ، بل يعد الدين من أهم العوامل المؤثرة في حياتهم ، وأسلوب تطور حضارتها ، ولذا نجد أن الدين يشغل مكاناً بارزاً في حياة سكان بلاد الرافدين ، وغيرهم من الحضارات القديمة ، والذي يدل على ذلك هو وفرة المدونات ، والنصوص الأدبية التي خلفها أصحاب هذه الحضارة العريقة ، والتي تضمنت جملة من الشعائر الدينية كالصلوات ، وتقديم القرابين والاضاحي ، والاحتفالات بالأعياد الدينية ... (١) . ومن أجل عبادة الآلهة مارس الإنسان القديم طرقاً شتى ، منها الدعاء إليها ، وإنشاد التراتيل الدينية من أجل تمجيدها ، وأداء صلوات معينة ، في أوقات معينة عند الشعور بالحاجة إلى طلب العون من تلك الآلهة ، وكما كان جزء من العبادات تقديم الأضاحي والقرابين ، وأن ما وصل إلينا من نصوص مسمارية مكتوبة باللغتين السومرية والأكادية تحمل موضوعات مختلفة ، كان من بينها نصوص عن أنواع الصلوات والأدعية والتراتيل الدينية ، وبقية الطقوس الدينية التي كانوا يمارسونها (٢) ، فكانت هذه النصوص تعطينا تصور عن فحوى الشعور الديني الذي كان يهيمن عليهم إتجاه كل ما هو مقدس عندهم (٣) .

١ - ينظر : طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم : ٢٠٠. ينظر : سامي الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم : ٢٢٨.

٢ - ينظر : عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري): ١٣٣١٢.

٣ - ينظر : جان بوتير ، الديانة عند البابليين : ١٤٠.

ولأن سكان وادي الرافدين شعب متدين ، وتُسير حياتهم خشيتهم من الآلهة ، واعتقادهم بأنهم لم يخلقوا إلا من أجل خدمة الآلهة ، لذا نجد أن الطقوس والشعائر كان لها دور مهيم في حياتهم ، ولعل من أهم هذه الطقوس هي:

١- الطقوس اليومية ، التي كانت تشمل التطهير ، والصلاة ، القرابين ... ، وليس المقصود بالطقوس اليومية أنها تمارس كل يوم ، بل يراد لكونها الطقوس الدينية الشائعة والتقليدية ، وتؤدي باستمرار بشكل يمكن أن يقال شبه يومي .

٢- طقوس المناسبات : اذا كانت الطقوس اليومية تؤدي بصورة مستمرة ، وشبه يومية ، فإن طقوس المناسبات كانت تجري وفقاً لأحداث معينة تمر على الإنسان (الزواج ، الولادة ، الموت ..).

٣- الطقوس الدورية (الأعياد) : وهذه كانت تشغل حيزاً مهماً في حياة السكان ، وكما هو معروف كانت تقام في أيام محدودة في السنة ، ويشارك فيها عامة الناس ^(١) .

^١ - ينظر : فوزي رشيد ، حضارة العراق الدينية: ٢٠٧. ينظر : الماجدي متون سومرية : ٣١١-٣٣٤.

المطلب الثاني : تحول الشعائر الدينية إلى طقوس (طقسنة الشعائر الدينية)

من الأساليب التي يعتمد عليها أعداء الإسلام للطعن بشعائره المقدسة ونسب الأباطيل بحقها ، ورميها بتهم شتى منها كونها ممارسات مستوحاة من التراث الأسطوري القديم ، أو الديانات السابقة ، والهدف من ذلك هو محاولة تفرغ هذه الشعائر من روحيتها ، وبالتالي تفقد وظيفتها في أحداث التغيير الروحي لدى الإنسان.. ومن ذلك التجني الغير منصف أن يتهموا الإسلام بأنه نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية والصابئة ، وغيرها من الديانات الوثنية الأخرى ، متغافلين على أن الإسلام غير عن هذه الديانات ، في كل ما جاء به ابتداءً من العقيدة وانتهاءً إلى أمور الحياة الأخرى . وهذا الاختلاف بين الإسلام وغيره من الديانات لا حد له ، وأن اتفقت الأسماء ، وإذا صح الاتفاق بينه وبين غيره في الشعائر والفرائض ، فإن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لم يدع أنه جاء بدين يناقض الأديان الصحيحة ، بل أن دينه دين من سبقه من الرسل ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٣ - ١٦٥ ، وإذا جاء في القرآن الكريم وحتى السنة النبوية شيء مما في الديانات الأخرى ، فإن ذلك يعود لكون الإسلام دين الرسل جميعاً ، وإذا وجد في الوثنيات شيء من الحق فذلك يعود لما رثته من الديانات الصحيحة ، وعلى هذه فالصلاة والصيام والحج والذوق غيرها من الشعائر لم يأخذها الإسلام من الديانات والحضارات الأخرى ، وأن اتفقت الأسماء فالمسميات مختلفة (١) ، فلا

١ - ينظر : احمد عبد الغفور العطار ، الديانات والعقائد في مختلف العصور : ١١ - ٣٤٥ - ٣٤٧.

صلاتهم كصلاة الاسلام ، ولا صيامهم .. و مما لا ريب فيه أن كل الأنشطة العبادية ، التي تكون ذات بعد شعائري تهدف إلى تزويد الإنسان بصورة مستمرة بشحنات روحية خاصة ، تمنحه نوعاً من الاستقرار النفسي والروحي ، وهذه الشعائر ليست مجرد أنشطة فارغة من المعنى والروح ، ذلك أن القرآن الكريم قد حذر من خطر تحول هذه الشعائر إلى مجرد أعمال طقوسية فارغة من الروح و المعنى ، أو اختصار الدين بها ، مع أن الدين هو فعل إيمان ووعي ، لكون أهم ما يركز عليه القرآن الكريم في هذا الخصوص هو فهم رسالة الشعيرة ودلالاتها ووظيفتها ، فالشعائر لها وظيفة تغييرية على مستوى الروح والحياة العامة ، وليست طقساً جامداً . و الأعمال الطقوسية بحسب الرؤية القرآنية تفقد أهميتها أو قيمتها ، في حال ابتعدت عن وظيفتها في التغيير الروحي لدى الإنسان . فعلى سبيل المثال إن أحد أقدم الأنشطة الطقوسية عبر التاريخ البشري هو تقديم القرابين ، نجد أن القرآن قد فرغ من قيمته وقداسته في حال ابتعد عن التقوى ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ اللَّهِ عَنَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ الحج: ٣٧. وذات الأمر بالنسبة لبعض الأعمال ذات البعد الشعائري التي كانت تتوارث بعض القبائل العربية مهمة الإشراف عليها في البيت الحرام ، كسقاية الحاج ، وعمارة المسجد ، وهذه الأعمال التي تحولت فيما بعد مادة للتفاخر بين القبائل ، وأن القرآن الكريم قد حرص على إعادتها إلى حجمها الطبيعي ، برفضه جعل تلك الأعمال أساساً للتفاضل ، أو إعطائها قيمة مبالغاً ، قَالَ تَعَالَى: ﴿* أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ التوبة: ١٩. فالقرآن الكريم

من خلال هذه الآيات عبر عن رفضه (منطق الطقسنة) ، والذي ابتليت به الشرائع السماوية خصوصاً
شريعة موسى (عليه السلام) (١) .

وطقسنة الشعائر هي : ((هي قدرة الإنسان وبراعته على تفرغ العمل الشعائري والعبادي من مغزاه الروحي
ودلالاته الروحية والاجتماعية ، وتحويله إلى مجرد ممارسة طقوسية شكلية جوفاء ، يؤديها المؤمن إشباعاً
لرغبة داخلية دنيوية أو مراعاة لبعض الاعتبارات الخاصة أو حفاظاً لصورته الاجتماعية دون تغيير شيئاً في
حياته)) (٢) .

أما الدافع وراء لجوء الانسان إلى طقسنة الشعائر :

١- شعوره بصعوبة الالتزام عملاً بمغزى الشعائر ومقاصدها وأهدافها ، فالالتزام بها قد يكون ثقيلاً
على بعض النفوس ، وكذلك لا يتسنى للكثيرين الخروج عن الشريعة وشعائرها لأسباب متعددة ،
لذا يعمد مثل هؤلاء إلى التمسك بتلك الشعائر على نحو الظاهر فقط من دون أن تؤثر فيهم من
الناحية الفكرية والنفسية والاجتماعية والروحية .

٢- إنَّ بعض الممارسات الشعائرية قد ينخرط فيها الإنسان من دون وعي لمغزاه ، بل يكون ذلك
بتأثير الوعي الجمعي ، والذي يحرك الناس على أساس تقليدي يحاكي ما يفعلونه من دون وعي
وتبصر (٣) .

فمؤدى هذه الشبهة أن العديد من الأفكار التي يعتبرها البعض جوهر عقيدته ، لها جذور موهلة في القدم.

١ - ينظر : حسين الخشن ، فقه الشعائر والطقوس " التطبيق إنموذجاً" : ٢٠ .

٢ - الخشن ، فقه الشعائر والطقوس " التطبيق إنموذجاً" : ٢٨ .

٣ - ينظر : الخشن ، فقه الشعائر والطقوس " التطبيق إنموذجاً" : ٢٨-٢٩ .

فهناك الكثير من الأفكار والعقائد لم تعرفها اليهودية إلا بعد فترة السبي البابلي ، وفي الواقع أنهم أخذوها من بلاد الرافدين ، وظلت هذه الأفكار والعقائد راسخة في عقول أتباعها وقلوبهم ، حتى ما بعد انتشار المسيحية والإسلام بصورة خاصة (١) . وإنَّ السومريين قد طوروا خلال الألف الثالث قبل الميلاد أفكاراً دينية ومفاهيم روحية تركت أثراً مهماً لا يمكن محوه في العالم الحديث ، خاصةً ما وصل منها عن طريق الديانات الإبراهيمية ، بحسب ادعائهم ، فعلى المستوى العقلي استنبط الحكماء والمفكرون السومريون نتيجةً لتأملاتهم في أصل الكون والطبيعة نظرية كونية وأخرى لاهوتية ، كانت تتطوي على إيمان راسخ وقوي ، أصبحت فيما بعد العقيدة والمبدأ الأساسي في الشرق الأدنى القديم . وعلى المستوى العملي والوظيفي طور رجال الدين والكهنة السومريون مجموعة من الطقوس والشعائر والاحتفالات المتنوعة التي كانت تؤدي من أجل إرضاء الآلهة (٢) . إذن فهم يذهبون إلى أن أساس أفكار ، ومعتقدات معتنقي الديانات الإبراهيمية ، يعود إلى النتائج المعرفي الذي تركه السومريين القدماء وغيرهم من الحضارات القديمة .

١ - ينظر : محمد صديقي ، ميثولوجيا أديان الشرق الأدنى قبل الإسلام : ١١٥ .

٢ - ينظر : صموئيل كريم ، السومريون : ١٧٣ .

المبحث الثاني : الصلاة

الصلاة في اللغة : هي الركوع والسجود . والصلاة : الدعاء و الاستغفار ، والصلاة من الله تعالى تعني " الرحمة " ، وصلاة الله على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : رحمته له وحسن الثناء عليه ، والصلوات معناها الترحم . والأصل في الصلاة اللزوم ، أي لزوم ما فرض الله تعالى ، فهي من أعظم الفرض التي أمر بلزومه . فهي الدعاء والتبريك ، يقال صليت له ، أي دعيت له (١) .

تعد الصلاة من أهم مظاهر العبادة ، وهي مظهر من مظاهر تعلق الانسان بخالقه ، وواجب من واجباته الدينية ، وسواء كانت هذه الصلاة تؤدي بصورة مفردة أو جماعةً ، فهي مناجاة الخالق ، وطلب ما يحتاج إليه الإنسان ، مع تقديم الشكر والتبجيل على الرحمة الإلهية ، إذن فالصلاة تشتمل على عنصران ، الأول : الشكر للآله ، وتبجيله على عظيم صنعه ، والثاني : هو الطلب من الله ، الذي يسأل فيجيب . إذاً فالصلاة من العبادات التي لم تنفك منها شريعة ، وأن اختلفت صورتها من شريعة إلى أخرى (٢) . كما نتلمس ذلك قديماً في الحضارات السابقة ، فكان لهم طقوس الصلاة الخاصة بهم ، وصولاً إلى الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام ، فكانت شعيرة الصلاة من أهم الواجبات الدينية المفروضة على الفرد ، فالصلاة تعد من التطبيقات العملية لما يؤمن به الفرد .

المطلب الأول : الصلاة في طقوس سكان العراق القديم

أن الطقوس الدينية تشكل ممارسات عقائدية للإيفاء بالمستلزمات الدينية . وقد اشتملت هذه الطقوس في حضارة وادي الرافدين : التطهير ، الصيام ، الصلاة ، النذور والقرابين، وتعتبر الصلاة من

١ - ينظر : أبين منظور ، لسان العرب : ٥٦٥ ١١٤ . الازهري ، تهذيب اللغة : ١٦٦١١٢ .

٢ - ينظر : جواد كسار ، تاريخ الصلاة في الإسلام : ٦ .

أولى طقوس العبادة في الديانة السومرية ، وتعد حلقة الوصل بين الأرض والسماء ، أو بين الناس والإله^(١) . في البدء وقبل القيام بأي طقس من الطقوس الدينية ، سواء كان صلاة أو تقديم القرابين ، أو غيرها من الممارسات الدينية ، كان التطهير والغسل من أهم الواجبات الدينية التي دأب عليها سكان العراق القدماء ، لأنه يعد واجباً طقوسياً ملازماً للعبادة المقصودة ، وخصوصاً الصلاة ، فكان للتطهير مكانة محورية ضمن عموم الطقوس الدينية الشائعة ، وكان الهدف من التطهير بالدرجة الأولى ، هو إزالة مظاهر الفذارة الخارجية المتنوعة ، وكذلك الدناسة الداخلية . وكان الماء ولاسيما الماء الجاري وكذلك الزيت من أبرز وسائل التطهير المعتمدة ، كما كان هنالك بعض أنواع النباتات التي تتمتع أيضاً بخاصية التطهير^(٢) .

أما عن كيفية أداء الصلاة ، فهي تختلف فيما اذا كانت صلاةً فردية أو جماعية ، وأيضاً تختلف طريقة أداء الصلاة حسب نوع الصلاة ، فهناك صلاة تتم على شكل بكاء ونواح أمام تمثال الإله ، أو تتم من خلال قيام المصلي بقراءة أدعية معينة من اجل طلب المساعدة من الإله وبصوت عالي تكون ، ويرافق أداء الصلاة حركات معينة ، كرفع اليدين أمام الوجه ، ومخاطبة الإله ، والركوع والسجود أمام تمثال الآلهة ، أو وضع اليد فوق الأخرى ، خشوعاً وتقديساً ، وأيضاً يقوم المصلي بحرق البخور وسكب السوائل المقدسة ، وبالطبع استدل على هذه الممارسات من خلال التماثيل والمنحوتات والنصوص الأثرية التي صورت هذه الصلوات^(٣) . وتعد الصلاة صلة الوصل بين الإنسان والآلهة لتجنبت غضب الآلهة ، وكسب رضاها ، واستعطاف البركات . وتعتبر الصلاة عن الورع والخشوع والخوف ومحاولة لتحقيق السلام الروحي للفرد ،

١ - ينظر : عبد الوهاب رشيد ، حضارة وادي الرافدين: ٩٢ .

٢ - ينظر : فون زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم : ٢١٦ .

٣ - ينظر : سهيل قاشا ، تاريخ الفكر في العراق القديم : ٢٣٤ . ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ٣١١ ، ينظر : سامي الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم : ٤٦ .

وضمن تحقيق أمنيات الفرد وتطلعاته ، وفيما غير ذلك عند معصية الخالق (الآلهة) ، فالشخص مسؤول عما كان يصيبه من مرض ومصائب ... وذلك في غياب حماية الآلهة نتيجة عصيانه لها^(١).

وقد كان الخوف من الإله والتوجه إليه بالدعاء والصلاة والتوسل طلباً للمغفرة والرضا، والرحمة من أولى الواجبات الدينية لدى السومريين ، فالسومريين يعدون ذلك من صميم دينهم وعقيدتهم ، وقد وصلت إلينا نماذج عديدة تصور أوضاع المصلين وهم راكعون أمام تماثيل الآلهة^(٢) .

من النصوص الأسطورية التي تذكر جانباً من صلواتهم نقرأ : ((" قدم الخضوع كل يوم لألهك : التضحيات والصلوات والبخور الواجب ، ليكن قلبك نقياً أمام ربك ، إنَّ هذا هو ما يرضي المعبود ، إن أنت قدمت التوسل والدعاء والصلاة والسجود في كل صباح فإنه سيمنحك كل الكنوز ، وسوف تزدهر أيامك بفضل إلهك وبعقلك راع اللوحة :الخوف يولد الرفق أو العاطفة والتضحية تطيل العمر ، والصلاة تخلص من الإثم "))^(٣) . وإن إقامة الصلوات للآلهة تعتمد على نوع المناسبة التي من أجلها تقام الصلاة ، والتي يراد بها رفع شأن هذا الإله أو ذاك ، فيقدم الشخص المصلي نفسه للآلهة ، فيركع أمامها ، ويقبل أقدامها ، ويرفع يديه للدعاء ، وأحياناً يرفع يده اليسرى فقط إلى الأعلى ، ويضع الأخرى على صدره ، والصلاة عندهم كانت تقام في فترة الصباح^(٤) . وقد ارتبطت الصلاة لديهم بتقسم السنة حسب مدار القمر ، فكانت السنة تقسم إلى اثني عشر شهراً ، ويضاف في بعض الأحيان شهراً آخر لموازنتها مع السنة الشمسية ،

^١ - ينظر : عبد الوهاب رشيد ، حضارة وادي الرافدين: ٩٢-٩٣ . سامي الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم : ٥٤ .

^٢ - ينظر : علاء سالم ، من أسرار سومر " دراسة مقارنة بين رؤيتين " : ٧١ . ينظر : سامي الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم : ٥٤ .

^٣ - ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين " الحضارتان البابلية والاشورية " : ١٦٣ .

^٤ - ينظر : عبد الرزاق الموحى ، العبادات في الأديان السماوية : ٢٧ . ينظر : الأحمد ، المدخل إلى تاريخ العالم القديم : ٢٠٦-٢٠٧ . ينظر : جان بوتير ، الديانة عند البابليين : ١٤٧ .

والشهر يقسم إلى ثلاثين يوماً أو تسع وعشرين يوماً ، وعند أول الشهر يبدأ القمر بالظهور ، وكان ظهوره يعد عيداً ترافقه الصلاة ، فصلاة ترتبط بأعيادهم (١) . وليس هنالك ما يثبت أن الصلاة عند السومريون كانت تؤدي بصورة يومية منتظمة ، وعلى أوقات معينة ، وعلى ما يبدو أن الصلاة السومرية أيضاً لم تكن ثابتة النص ، بل أنها كانت نوعاً من النصوص الدينية الإبتهالية المرفوعة إلى إله محدد ، وكان الشخص المتعبد يؤديها متى ما تواجد في المعبد أو كان أمام أحد تماثيل الآلهة في البيت أو القصر أو أي مكان آخر . وكانت الصلوات تؤدي أما بصورة مفردة من قبل الناس أمام تماثيل الآلهة ، أو بصحبة كاهن . وهناك صورٌ لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفهم فوق بعض ويؤدون الصلاة خشوعاً وخضوعاً وتقديساً للإله (٢) . وبالرغم مما ذكرناه عن هذه الممارسة الدينية لدى القدماء ، كان كل ذلك بحسب قراءة واجتهادات أصحاب الاختصاص المعنين بقراءة الرقم الطينية والتاريخ القديم ، وعليه فلا يمكن الاعتماد عليها وعدها دليلاً يمكن الأخذ به بصورة مطلقة .

١ - ينظر : الأحمّد ، المدخل إلى تاريخ العالم القديم : ٢٧٩ .

٢ - ينظر : خزعل الماجدي ، متون سومرية : ٣١١-٣١٢ . وتختلف الصلوات عن التراتيل ، فالصلوات هي تضرعات وتوسلات للآلهة ولا تؤدي مع الموسيقي ، أما التراتيل فهي عبارة عن مديح وتعظيم للإلهة وكانت في الغالب تؤدي مع عزف الموسيقي . ينظر : المصدر نفسه : ٣١٢ .

المطلب الثاني : الصلاة في طقوس المصريين القدماء

كانت الصلاة عند المصريين القدماء طقساً دينياً يقوم به كل من الكاهن والإنسان العادي والملك ، وكانت هذه الصلاة تؤدي وفق أوضاع معينة كالوقوف بخشوع أمام تماثيل الإلهة ، والركوع والسجود . ولم يكن كل تماثيل يمثل الإله ، فقد كانت بعض من هذه التماثيل نسخاً من تماثيل أصلية محفوظة في المكان المقدس داخل المعابد ، ولم تكن رؤية هذه التماثيل أمراً متاحاً لكافة الناس ، فقد كان الملك والكهنة هم الذين يحق لهم مشاهدتها والصلاة بين يديها ، وقد كان الملك أو الكاهن يصلي أمام هذه الآلهة وذراعه مسدلتان على جانب جسمه ، أو في وضعية الركوع أو السجود ، وهو يكرر الصلاة أربع مرات لتبلغ الجهات الأربع للعالم ونص الصلاة هو : ((أعبد سيادتك ، بعبارات مختارة ، بصلوات تزيد من عظمتك ، بأسمائك العظيمة ، بمظاهرك المقدسة التي ظهرت بها في اليوم الأول للعالم)) . ونصوص الصلوات تختلف من عصر لآخر ومن إله لآخر (١) .

١ - ينظر : الماجدي ، الدين المصري : ٢٢٥ .

المطلب الثالث : الصلاة في تعاليم أهل الكتاب

أ- الصلاة في اليهود :

تعد الصلاة في التشريع اليهودي ضرورة روحية يستطيع من خلالها الفرد المتعبد مخاطبة الرب ، وطلب الانتماء إليه بالغفران والتوبة ، ويعبر اليهودي من خلالها على شكره على النعم الربانية الممنوحة له ، ويكبر فيه عن عظمة وقدرة ربه وجبروته ^(١) . و أن فريضة الصلاة عند اليهودية هي الدعاء باسم الرب ، والتوجه المباشر إليه ^(٢) .

فالصلاة كما جاء في الكتاب المقدس هي : ((شراكة مع الله)) ^(٣) .

إلا أنه ليس من السهولة أبداً تحديد مفهوم الصلاة عند اليهودية ، لأنها مرت بمراحل مختلفة -نستعرضها لاحقاً - وزيد فيها وأنقص الكثير من الشعائر ، وكذلك أنها تختلف في بعض الشعائر من فرقة إلى أخرى. وإذا جننا للصلاة بالعبرية فهي (تغياله) نجد أنها تعني في الأصل (الإرهاق) أو (تعذيب الذات وإظهار الخضوع) ، وأن الصلوات اليهودية قد مرت بمرحلة التغير الكلي ، كما يقول أحد علماء الشريعة اليهودية، فقد كان في البداية طقسية بالتقدمات والقرايين ، فمثلاً إذا أرادوا أن يصلوا الشكر للرب قدموا قرباناً ، وإذا أرادوا أن يصلوا الاستغفار عن خطيئة أيضاً قدموا قرباناً ، وهكذا وضع مكانها صلوات تتلى تلاوة ^(٤) .

١ - ينظر : موحى ، العبادات في الأديان السماوية : ٧٤.

٢ - ينظر : سفر التكوين : ٣٦١٤ . ٨١٢٣ .

٣ - نخبة من الأساتذة واللاهوتيين ، قاموس الكتاب المقدس : ٥٤٧ .

٤ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٢٦٢-٢٦٣ . ينظر : عبد الوهاب محمد المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : ٢٢٨١٥ .

ويوجد في العهد القديم حوالي خمس وثمانين صلاة ، وهذه الصلوات لم تكن محددة ، بل كانت ارتجالية بحسب ما تتطلب الأحوال والظروف ، رغبة ورجاءً لتحقيق غرض معين ، فهناك صلوات تقام للتوسل إلى الرب والتضرع والابتهال ، وصلوات من أجل الآخرين ، وهكذا .. وعبر العهد القديم بألفاظ عديدة عن الصلاة ، مثل : نادى ، صرخ ، استغاث ، سأل ، و طلب ، وتوسل (١) . وكانت الصلاة عندهم تؤدي وقوفاً وجلساً ، وكانوا يركعون ويسجدون ، ويبكون في أيام المحن ، ويلبسون الخيش ، ويزرون التراب على رؤوسهم ، و يحلقون شعر رؤوسهم ، ويمزقون ثيابهم كما جاء في سفر يوشع : ((فَمَزَّقَ يَشُوعُ ثِيَابَهُ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى الْمَسَاءِ ، هُوَ وَشَيْوُخُ إِسْرَائِيلَ ، وَوَضَعُوا تَرَابًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ)) (الاصحاح ٦١٧) . وكانوا في الصلاة يضعون أيديهم على صدورهم ، ويحنون رؤوسهم إلى الأمام قليلاً ، متجهين نحو أورشليم القبلة (٢) . ولا يوجد في العهد القديم وصف دقيق للصلاة وطريقة إداها (٣) ، إلا أن أوضاع الصلاة في اليهودية تتبين من خلال النصوص التوراتية ، أنها كانت تتضمن الوقوف ، وبسط الأيدي للدعاء ، والجلوس والركوع والسجود طبقاً لممارسة جميع الأنبياء لها ، نقرأ في بعض النصوص التوراتية : ورد الركوع في سفر عزرا : ((وَعِنْدَ تَقْدِيمَةِ الْمَسَاءِ قُمْتُ مِنْ تَدَلِّي ، وَفِي ثِيَابِي وَرِدَائِي الْمُمَزَّقَةِ جَنُوتُ عَلَى رُكْبَتَيْ وَبَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِي)) (الاصحاح ٥١٩) . وردت الصلاة مع رفع الأيدي في سفر المزامير : ((هكذا أباركك في حياتي . باسمك أرفع يدي)) (٤١٦٣) . وردت الصلاة

١ - وردت هذه الألفاظ المعبرة عن الصلاة في اسفار عديدة من العهد القديم : ((وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب ..)) سفر القضاة : ٩١٣ . وجاء في سفر المزامير : ((لأنه ينجي الفقير المستغيث ، والمسكين إذ لا معين له)) (١٢١٧٢) . و ورد في سفر إرميا : ((وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ، ولا تلح علي لأنني لا أسمعك)) (١٦١٧) . ينظر : د . هدى درويش ، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام : ٨٨ .

٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٩٢ . يتجه اليهود في صلاتهم نحو القدس ، أما من يقيم في القدس نفسها فيتجه نحو الهيكل . ينظر : موسى بن ميمون القرطبي ، دلالة الحائرين : ٦٥٦-٦٥٧ .

٣ - ينظر : محمد بحر ، اليهودية : ١٤٨ .

مع بسط الأيدي للدعاء في سفر ملوك الأول : ((وَوَقَفَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ تُجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ)) (الاصحاح ٢٢١٨) . أما الآن فاليهود يؤدون صلاتهم جالساً على الكراسي مثل الكنائس المسيحية ، أما عند تلاوة (شمونة عسرية) أهم الصلوات عندهم فأنهم يقرؤونها وقوفاً وبصمت ، ومن دون أن يخلعوا نعالهم ^(١) . ولقد مارس اليهود الغسل والوضوء كأمر واجب شرعاً موسى (عليه السلام) في التوراة قبل الصلاة ، وحتى قبل الاكل ، وكل واجب مقدس ، فالصلاة عند اليهودي تسبق بشيء يقابل الوضوء وهو غسل اليدين فقط ، ووضع وشاح على الكتف يعبر عنه بالعبرية بـ(طاليت) ^(٢) .

أما مراحل الصلاة عند اليهود كما تلخصها دائرة المعارف الكتابية هي ^(٣) :

١ . عصر الآباء : كانت الصلاة دعاء باسم الرب ، وتمتاز بالتوجه المباشر للرب ، والألفة معه ، وتقترن بتقديم الذبائح .

٢ . قبل مرحلة السبي البابلي : كانت الصلاة عبارة عن توسل بالرب ، وابتهاال من أجل الآخرين ، كما جاء في سفر أيوب : ((ورد الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه ، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً)) (الاصحاح ١٠١٢٤) .

٣ . في فترة السبي البابلي : وهنا ظهر دور المجتمع بعد تدمير الهيكل ، ولم يعد المكان لتقديم الذبائح ، وصار المكان للصلاة وقراءة الكتاب المقدس .

٤ . فترة ما بعد السبي : ظهر فيها الاتجاه إلى الجانب الروحي في العبادات .

١ - ينظر : درويش ، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام : ١٠٥ .
٢ - ينظر : درويش ، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام : ٩٠ ، ٩٧ . ينظر : حسن ظاظا ، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه : ١٨١ .
٣ - ينظر : دائرة المعارف الكتابية ، سفر دانيال : ٤١٩-١٩٠ ، ينظر : درويش ، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام : ٩٦ . ينظر : سفر التكوين : ٢٦١٤ ، ٨١١ ، ٤١١٣ - ٢٥ ، ٢٠١٢٨-٢٢ .

أما الصلوات الواجبة على اليهودي فهي ثلاث في كل يوم (١) :

١. صلاة الفجر (الصبح) (٢): وتسمى عندهم صلاة السحر ، ووقتها منذ أن يتبين الخيط الأبيض من

الخيط الأزرق ، إلى ارتفاع عمود النهار ، وتسمى بالعبرية (شحريت) .

٢. صلاة نصف النهار: أو كما يسمونها القيلولة ، وتجب هذه الصلاة منذ انحراف الشمس عن نقطة

الزوال ، إلى ما قبل غروب الشمس ، وتسمى بالعبرية (منحه) .

٣. صلاة المساء : أو الغروب ، وقتها يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، وتسمى بالعبرية

(عربيت) ، أي ما يقابل صلاة العشاء عند المسلمين .

ب- الصلاة في المسيحية :

والتي تعد هي الصوم من أهم العبادات لديهم ، فهي ركن من أركان الدين ، وبحسب معتقداتهم أنها تقربهم

من الله عن طريق المسيح ، فهي ترجمان القلب المقتنع بوجود الله الخالق والفادي الحافظ ، وبالنظر لاقتناع

المصلي بقداسة الخالق تكون الصلاة كلمات تعظيم وتسبيح له ، وعندما يقتنع بجود واحسان الخالق تكون

الصلاة عبارات الحمد والشكر ، و عند الوقوع في الخطيئة تكون الصلاة كلمات التذلل وطلب المغفرة

والصفح ، وفي حال طلب الاحتياج لله تعالى تكون الصلاة طلباً ودعاءً .

ويشترط لتمام الصلاة أن تقدم باسم المسيح ، جاء في إنجيل يوحنا : ((الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم

من اب باسمي يعطيكم ، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي . أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً)) (الإصحاح

١ - ينظر : ظاذا ، الفكر الديني الإسرائيلي أطوره ومذاهبه : ١٨٠-١٨١. ينظر : بحر ، اليهودية ، ١٤٩.

٢ - تعتبر صلاة الصبح من أهم الصلوات عند اليهود ، ولا يسمح لليهودي أن يزاول أي عمل أو يتناول

الطعام إلا بعد أن يؤدي صلاة الصبح . ينظر : بحر ، اليهودية : ١٤٩.

الساس عشر) . والعلة في تقديم الصلاة عبر المسيح هو أن الإنسان بسبب كثرة خطاياہ أبعء عن رضا الله ، ولكن عبر المسيح زال هذا البعد وقرب من الله .

ولا بد أن يسبق الصلاة إيمان المصلي الكامل بما عندهم ((لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فأمنوا أن تتالوه ، فيكون لكم)) (إنجيل مرقس ١ الاصحاح السادس عشر).

أما شكل وكيفية الصلاة فليس هنالك عبارات محددة ، بل ترك لهم اختيارها على منوال الصلاة التي علمهم إياها والتي تسمى بالصلاة الربانية ^(١) ، ((فقولوا إيانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ...)) (إنجيل يوحنا ١ الاصحاح السادس عشر) .

^١ - ينظر : د. طارق السعدي ، مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية اليهودية والمسيحية وإسلام : ٢١٨-٢١٩ .

المطلب الرابع : الصلاة في الإسلام

الصلاة في الشرع هي : عبارة عن الأفعال المخصوصة من قيام وركوع وسجود ، وما تشتمل عليه من أذكار مخصوصة (١) .

تعد الصلاة في كل رسالات الأنبياء على رأس جميع العبادات ، وأن كان هنالك اختلاف في هيئتها من شريعة إلى أخرى ، اختلافاً يحتاج إلى نص ثابت في معرفته . والله سبحانه وتعالى أمر عباده بأن يقيموا الصلاة وأن يحافظوا عليها ، والقرآن الكريم بصفته الكتاب الوحيد الذي لا يزال يجمع كل ما تركه الأنبياء ، قد حكى لنا أمر المولى عز وجل لأنبيائه ورسله بإقامة الصلاة ، فيقول عن إبراهيم ولوط وإسحاق ، ويعقوب : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴾ (٧٣)** **﴿ الأنبياء: ٧٣ . ويقول سبحانه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٢)** **﴿ المائدة: ١٢ ، وكذلك يحكي لنا أمر الله لبني إسرائيل بإقامة الصلاة في أحلك الظروف ، يوم كانوا يعيشون تحت الاضطهاد والتعسف الفرعوني : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٧)** **﴿ يونس: ٨٧ . وأن أوائل ما وصى به الله نبيه موسى (عليه السلام) هو إقامة الصلاة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**

١ - ينظر : الطوسي ، المبسوط في فقه الإمامية : ٧٠١١ .

فَلَمَّا أَتَاهَا نُورِي يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ طه: ١١ - ١٤.

وعندما جاء عيسى (عليه السلام) يحدث بني إسرائيل وهو في المهد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ ﴿٣١﴾ مريم: ٣١، حتى جاء نبينا الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وراح يحث الناس بطرق شتى على إقامة الصلاة ، فتارة يأتيه الوحي الإلهي يخاطب الناس ويأمرهم بالصلاة ، وعلى أنه من ملة أبيهم إبراهيم (عليه السلام) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... ﴾ الحج: ٧٨ . وتارة أخرى يرغبهم في الصلاة على أنها طريق الفلاح ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ ﴿ الأعلى: ١٤ - ١٥ . ويبين لهم أنه ليس بدعاً من الرسل في أمرهم بإقامة الصلاة ، بل قد سبقه إخوانه من النبيين ، كما جاء ذلك في صحفهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ ﴿ الأعلى: ١٨ - ١٩ . وتارة أخرى يحذرهم من التفريط بها ، ويبين موقف تارك الصلاة في يوم القيامة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَنِ الْمَجْرِمِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لِمَ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴿ المدثر: ٤١ - ٤٣ . إذاً من خلال هذا الاستعراض القرآني ندرك إن أمر الصلاة كان موجوداً على رأس العبادة في شرائع كل الأنبياء (١) ، لأن رسالتهم واحدة ، وهي إعلاء كلمة التوحيد ، والسير وفق المنهج الإلهي الذي اختاره لخلقه.

١ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٢٦١-٢٦٢.

أجمعت المذاهب الإسلامية قاطبة على أن الصلوات الواجبة في اليوم هي خمس صلوات ، وكذلك أجمعت على عدد ركعات كل صلاة ، فصلاة الصبح ركعتان ، والظهر والعصر أربع ركعات ، والمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء أربع ركعات . وكذلك لم تختلف المذاهب قديماً وحديثاً في الشكل الأساسي للصلاة ، ولا في كفيّتها ، وهياتها ، إنّما وقع الاختلاف في مسائل فرعية طفيفة ، لا علاقة لها بالوضع العام للصلاة فطريقة الركوع والسجود واحده لدى جميع المذاهب الإسلامية ، وكذلك عدد الركعات ، واتجاه القبلة واحد لا خلاف فيه ، إنّما كان الخلاف في مسائل فرعية كالجهر بالقراءة أو الاخفات ، أو اسبال اليدين أو التكتف ، أو مسألة رفع السبابة في التشهد أو عدم رفعها ، وغيرها من المسائل الفرعية التي وقع فيها الخلاف (١) .

أهمية الصلاة : أن الله سبحانه وتعالى جعل العبادة غاية لخلق الثقلين **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾** الذاريات: ٥٦ ، وأن من أهم مظاهر العبادة في الإسلام هي الصلاة اليومية ، وقد فرضها الله سبحانه وتعالى لكيلا يغفل الإنسان عن ربه ، وهي الغاية التي خلقه من أجلها ، **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾** طه: ١٤ . وأكد سبحانه على المحافظة عليها والالتزام بها **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَرَكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾** البقرة: ٤٣ ، **قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾** البقرة: ٢٣٨ ، وأوصى تعالى بالاستعانة بها عند الشدائد ، **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾** البقرة: ٤٥ . ونهى عن التلهي والانشغال عنها ، **قَالَ تَعَالَى: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**

١ - ينظر : د . جواد كسار ، تاريخ الصلاة في الإسلام : ٦ .

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ النور: ٣٧. وجعل الصلاة صيانة للمجتمع عن المعاصي والفساد ، وحذر من عاقبة اضاعتها ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ العنكبوت: ٤٥ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾ ﴿٥٩﴾ مريم: ٥٩. فهي عمود الدين أن قبلت قبل ما سواها ، وأن ردت رُدًّا ما سواها (١) ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن حسين بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير قال: ((سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: كل سهو في الصلاة يطرح منها غير أن الله تعالى يتم بالنوافل، إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها، إن الصلاة إذا ارتفعت في أول وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول: حفظتني حفظك الله وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله)) (٢) ، فالإسلام أولى الصلاة أهمية بالغة وحث على أدائها في أوقاتها المحددة ، فهي معراج المؤمن إلى ربه .

-شروط الصلاة (٣) : الإسلام ، البلوغ ، العقل ، دخول الوقت ، الطهارة (البدن ، اللباس ، المكان) ، استقبال القبلة والنية .

أفعال الصلاة: فهي : نية القرية لله ، تكبيرة الاحرام ، والقيام ، والركوع ، السجود ، الجهر بالصلاة ، والقراءة ، التشهد ، والتسليم (٤).

١ - ينظر : اليزدي ، دراسات موجزة في فقه الامامية : ٢٥-٢٦.

٢ - الكافي / الكليني : ٢٦٨١٣ (الفروع) .

٣ - ينظر : الطوسي ، مصباح المتهدج : ٢٥١١ . ينظر : أبو صلاح الحلبي ، الكافي في الفقه : ٢٦١١ .

٤ - ينظر : الطوسي ، المبسوط في فقه الامامية : ١٠٠١-١٠٢ . ينظر : اليزدي ، دراسات موجزة في فقه الإمامية : ٣٥ .

وزعم بعض المستشرقين أن لفظة (الصلاة) لم تكن معروفة في العربية قبل الإسلام ، فهي دخلت العربية من خلال القرآن الكريم ، تعبيراً عن الفرائض المعروفة . وبالطبع هذا رأي يحتاج إلى دليل ، فليس باستطاعة أحد الادعاء أننا احطنا علماً بلغة الجاهلية وجميع مصطلحاتهم وعقائدهم ، حتى نقول بهذا الرأي .

أما فيما لو كانوا يقصدون من ادعائهم هذا ، أن الصلاة بالمعنى الإسلامي أو حتى اليهودي والنصراني لم تكن معروفة في المجتمع الجاهلي ، فذلك رأي صحيح ، فالصلاة الإسلامية هي صلاة نزل الأمر بها في الإسلام ، إذاً فهي غير معروفة قبله ، أما صلوات أهل الكتاب فهي أيضاً لم تكن معروفة في المجتمع الجاهلي ، عدا بعض أولئك الذين كانوا على اتصال بأهل الكتاب عرفوها ووقفوا عليها ، بدليل أن بعض من شعراء الجاهلية ذكروا إشارات إلى بعض من أفعالها ، كالركوع والسجود والتسبيح . أما عرب الجاهلية ، فلا يعرف شيء عن صلاتهم ، إذ لم تصل إلينا أية كتابة مدونة عنها منهم ، وهذا أيضاً لا يعد دليلاً على عدم وجود الصلاة عندهم ، فهم كانوا يحجون في مواسم معينة ، ولهم طقوسهم الدينية الثابتة ، ولهم أدعية وتضرعات إلى آلهتهم ، لا يمكن أن يكونوا قد أغفلوا أمر الصلاة ، فكما عرفنا أن الصلاة كانت معروفة حتى في الأديان البدائية ، فهي ملازمة لكل الأديان ، لكن بالطبع لا تكون صلاتهم واحدة ، أو على شاكلة صلاة اليهود والنصارى ، ذلك لكون مفهوم الصلاة يختلف باختلاف الأديان والشعوب ، وهو ما يستدعي أن تكون هيأتها تختلف بهذا الاختلاف أيضاً ، وبالرغم من اختلافها إلا أن فكرتها تبقى واحدة ، وأن المختلف هو التعبير عنها ، وإلا صارت الأديان أو بالأحرى أن نقول الشرائع واحدة . وفي القرآن الكريم نجد هنالك إشارة إلى صلاة عند أهل مكة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ الأنفال: ٣٥ ، وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية ، أن قريشاً كانوا يطوفون عراة بالبيت ، ويضعون وجوههم على التراب ويصفرون ويصفقون ،

وصلاتهم أي دعائهم المكاء والتصدية ، مكان الدعاء والتسبيح ، قيل أن المراد ليس لهم من صلاتهم عبادة ، إنما هي ضرب من اللهو واللعب (١) .

بعد استعراضنا لما سبق نرى أن أداء الصلاة في ثقافة الحضارات والأديان التي سبقت الإسلام كان أمراً شائعاً، فكانت هذه الممارسة عابرة للثقافات والأزمنة والأمكنة ، وعليه يمكن أن نلخص موارد التشابه و هي كالآتي :

- ١- تعد الصلاة التعبير العملي لما يعتقد به الفرد .
- ٢- تعد الصلاة ممارسة دينية ملازمة لجميع الأديان ، و أن مفهومها يختلف تبعاً لاختلاف الأديان ، إلا أن فكرتها واحد .
- ٣- تعد الصلاة من أول وأهم الممارسات الدينية لدى السومريين القدماء ، والمصريين القدماء ، وكذلك لدى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمسلمين .
- ٤- تمثل صلة الوصل بين الإنسان والمعبود .
- ٥- من خلال هذه الصلوات يتقرب الفرد من المعبود ، ويكسب رضاه ويتجنب غضبه من خلال طلب الصفح والمغفرة ، وطريقة للوصول إلى ما تصبو إليه نفسه .
- ٦- لا بد أن يسبق إداء الصلوات ممارسات معينة ، كالتطهير والوضوء .

١ - ينظر : د. كسار ، تاريخ الصلاة في الإسلام : ٨-٩ . ينظر : القاسمي ، محاسن التأويل : ١٥ / ٢٨٧ . وقيل كانت قریش يعارضون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الطواف يستهزئون ويصفرون فنزلت الآية ، وعلى الجملة فقد كانت صلاتهم وطوافهم من قبيل اللهو واللعب سواء عارضوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في طوافه وخشوع صلاته وحسن تلاوته أم لا . ينظر : المراغي ، تفسير المراغي : ٢٠٤١٩ .

٧- كما وصل إلينا من خلال النصوص الأسطورية أن أداء الصلوات يتضمن أداء بعض الحركات كالوقوف والركوع والسجود ورفع اليدين ، إضافة إلى قراءة بعض الأدعية والابتهالات ، وهذه الأفعال والحركات أيضًا تؤدي في الصلاة لدى اتباع الديانات التوحيدية .

٨- هنالك صلوات متعددة ، تبعاً للغرض التي تقام من أجله .

أما نقاط الافتراق فهي :

١- كان طقس الصلاة لدى القدماء يؤدي إلى إلهة متعددة ، فنجد السومري مثلاً ، يقدم الصلوات إلى أكثر من إله في بعض الأحيان ، أو أنه يقدم الصلاة أمام أحد تماثيل الآلهة ، وتقام الصلاة لدى النصارى باسم المسيح وتقدم إلى الرب ، فكانت المظاهر الشركية تدخل ضمن هذه الممارسة العبادية ، في حين أن الفرد المسلم يتقدم إلى الصلاة موحداً لله تعالى معتقداً بذلك كامل الاعتقاد ، مقدماً صلواته بنية القربة إلى الله تعالى ، والتي من دون هذه النية تبطل الصلاة .

٢- أن طريقة أداء الصلاة لدى القدماء كانت تختلف بحسب نوعها ، فكل صلاة كان لها طريقة أداء معينة ، في حين أن شعيرة الصلاة في الإسلام ثابتة الأركان ، وتبطل الصلاة عند الإخلال بركن من أركانها.

٣- طالما ارتبط أداء الصلوات لدى الحضارات القديمة بتقديم النذور والقرابين وممارسات دينية أخرى ، وذات الأمر وجدناه لدى أهل الكتاب ، أما الإسلام أولى فقد أهمية خاصة للصلاة وعدها فريضة منفصلة عن بقية الفرائض ، وجعلها عمود الدين ، أن استقامت وقبلت ، قبل ما سواها من أعمال صالحة ، وأن ردت ، رد ما سواها من أعمال .

٤- الصلاة في الديانة السومرية وبحسب النصوص الأثرية التي وصلت إلينا لم تكن واضحة المعالم ، فهي لم تكن محددة بأوقات خاصة ، إنما محددة بأحوال ومناسبات ، وحتى لدى أهل الكتاب ، حتى أن أذكار الصلوات كانت لديهم ارتجالية ، وتغيرت طريقة أداء الصلاة في فترات مختلفة ،

في حين نجد أن الصلاة في الإسلام واضحة المعالم ، ثابتة لم تتغير طريقة إداؤها وفضيلتها على مر الزمان ، فالدين الإسلامي وقد وضح بصورة مفصلة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية تفاصيل أداء الصلاة وأوقاتها وانكارها ، وجعل تعمد الاخلال بأحد أركانها أمراً مبطلاً لها ، يوجب الإعادة .

، بعد استعراض أهم نقاط الاشتراك والاختلاف في أداء عبادة الصلاة لدى معتقديها بمختلف توجهاتهم ، يتبين لنا ؛ أن هذه الطريقة التي يتبعها البعض في التشكيك بالدين الإسلامي من خلال أخذ مواضع التشابه بينه وبين الأديان الأخرى أو الحضارات القديمة ، طريقة غير منطقية ومنصفه ، فلا يمكن الحكم من خلال وجود تشابه في بعض حركات جوارح الإنسان ، أو تشابه في فكرة الصلاة ، أو تشابه في غايتها ، الحكم على أن الإسلام قلد هذا الطقس العبادي ، بعد أن عمل على تطوير شيئاً من بنيته ، وجعل منه فريضةً إسلامية ، وكونها جاءت بوحي من الله تعالى ؛ فهذا أمر غير منطقي البتة . فعلى صعيد غاية الصلاة ، ومسألة التقرب من الاله الخالق ، وطلب المساعدة منه ، وكسب رضاه وتجنب غضبه ، فهذا أمر فطري موجود لدى جميع المجتمعات البشرية ، ذلك لكون الحاجة إلى الدين يعد من الأمور الفطرية عند الإنسان السوي ، فلا يمكن الحكم على الإسلام لأنه يقتبس فكرة التقرب من المعبود وطلب عونه ورضاه كونها فكرة ذات أصول أسطورية لكونهم وجدوا تماثل ونصوص اثرية تشير إلى أن القدماء قد مارسوا هذه العبادة . أمّا على صعيد حركات الصلاة من خلال ما تم اكتشافه من تماثل ، ونصوص اسطورية ، نتسأل هنا هل هذه الحركات مثل وضع اليدين امام الوجه ، السجود ، أو وضع اليد على الأخرى ، حركات تقتصر على فئة معينة من البشر حتى نقول أنّ هذه الحركة خاصه بالسومريين أو المصريين أو اليهود ، فالحركات البدنية التي يفعلها بني البشر بصورة عامه محدودة ، فهذا التشابه في الحركات اقرب إلى أن يفسر أنه ربما يكون عرضي ، فكل البشر خلقهم الله على هيئة واحدة _ طبعاً عدا

التشوهات الخلقية- وهذه الهيئة الواحدة التي عليها جميع بني الإنسان ، لابد أن تشترك في تحريك جوارحها بنفس الصورة ، فكل البشر يمشون بنفس الطريقة على الاقدام ، وجميع البشر ينامون بنفس الطريقة وهكذا. ولذا الحكم من خلال تشابه الحركات في أداء الصلاة بين ما موجود لدى الحضارات القديمة ، والشرائع السابقة ، وما موجود في تشريعات الإسلام ، بكونه يقتبسها منهم أمر غير مقبول اطلاقاً لعدم استناده إلى المنطق . بل الاخرى ارجاع هذا التشابه إلى كونها تشترك في مصدر واحد استمدت منه تعاليمها ، وهي رسالات الأنبياء الذين بلغوا اقوامهم دين الله .

المبحث الثالث : الصيام

يلاحظ الباحثون في تاريخ الحضارات القديمة إن ظاهرة الصيام كانت موجودة في مختلف الشعوب ، القديمة والمعاصرة ، فمارسته شعوب الحضارات القديمة - لأن الانسان الأول انسان متدين -، وظل يحتل ركناً أساسياً في الديانات السماوية ، اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام ، فالصيام ظاهرة قديمة قدم الظاهرة الدينية ذاتها وإلى ذلك يشير القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة: ١٨٣ ، فالصيام كان مكتوباً على الأمم الأخرى من قبل مجيئ الإسلام (١) .

١ - ينظر : حبيب ما يابي ، الصوم عند الشعوب .. ممارسة عابرة للحقب والأديان والثقافات ، مقال منشور على موقع الجزيرة الوثائقية <https://doc.aljazeera.net> . ينظر : د. محمد الهواري ، الصوم في اليهودية : المقدمة.

*الفرق بين الصيام والصوم في التعبير القرآني : من خلال التناظر بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الشرعي، نجد أنهما يشتركان في ترك الشيء، والإمساك . و أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (الصوم) في العبادات ، فلم يرد هذا اللفظ إلا على لسان مريم (عليها السلام) يصوّر فيها الصمت والسكوت وعدم الكلام مع الناس، ولم يصور ركن الصيام ولا عبادة مفروضة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِن الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٣١﴾﴾ مريم: ٢٦ ، في حين جاء القرآن الكريم بلفظ (الصيام) في تصوير فريضة شهر رمضان، فهي عبادة كسائر الفرائض والأركان؛ وأن لفظ (الصيام) لا (الصوم) ورد كثيراً في غير فريضة رمضان ، وذلك مع الكفارات؛ لكونها بالطبع عبادة؛ بل أداؤها واجب وحتم، فمن لم يؤدها وهو قادر فهو آثم لا يرفع عنه العذاب إلا إذا أداها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ ﴿١٩٦﴾﴾ البقرة: ١٩٦ . ينظر : علي صبح ، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية : ١٥٩ -

١٦٣ . ينظر : هادي بلوط ، الصيام في الأديان السماوية : ١ .

وتتعدد أنواع الصيام وتختلف بين الأمم والشرائع تبعاً لتعدد الظروف المحيطة به والأسباب الداعية إليه ، فمن الصوم ما يكون فقط بالكف عن الطعام والشراب ، والنكاح والعمل والكلام ، ومن الصوم ما يكون الكف عن واحد من هذه الأمور أو عن بعضها ، والأمر المشترك بين كل أنواع الصيام هو حرمان الجسم والنفس من بعض احتياجاتها الضرورية المرغوب بها (١) .

و الصيام في اللغة هو : ((الإمساك عن الشيء وترك له)) (٢) .

أما في الاصطلاح الشرعي فهو : الإمساك عن جميع المفطرات كالأطعمة والشراب .. وغيرها، من طلوع الفجر الصادق إلى الليل ، مع النية (٣) .

المطلب الأول : الصيام في طقوس سكان وادي الرافدين والمصريين القدماء

يعد طقس الصيام من الطقوس اليومية التي عرفها سكان وادي الرافدين قديماً ، ويتمثل هذا النوع من الطقوس بالامتناع الديني عن تناول أنواع محددة من الأطعمة ، ويعد هذا نوعاً من الصيام ، و كان السومريون يمارسون هذا الامتناع . فقد كان الكهنة - ولربما لأسباب اقتصادية بحتة- يمارسون هذا النوع من الصيام ، ويوصون عامة الشعب بالالتزام به كالامتناع عن تناول نوع من اللحوم أو الخضار أو الفواكه وكان هذا النوع من الصيام يجري لوقت محدد ، ويغلف بمبررات ميثولوجية أو دينية (٤) .

ويعرف الصيام عندهم بـ(شيتو) ، وهو يعد نفلاً ، وليس بفرض ملزم ، فيمسكون عن الشراب والطعام من شفق الشروق ، إلى شفق الغروب ، ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات ، إلا ما هو محرم

١ - ينظر : د. محمد الهواري ، الصوم في اليهودية : ١٠ .

٢ - الأزهري ، تهذيب اللغة : ١٨٢١٢ .

٣ - الصنعاني ، سبل السلام : ٥٥٦ . ينظر : اليزدي ، دراسات موجزة في فقه الإمامية : ٦٣ (كتاب الصوم) .

٤ - ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ٣١٣ .

منها ، وكانوا يصومون ثلاثين يوماً مقسمة على ثلاثة أقسام ؛ في كل من فصل الربيع والشتاء وأواخر الصيف^(١) . أمّا المصريين القدماء عرفوا الصيام بأنه فريضة دينية يتقربون بها إلى الإله أو أرواح الأموات ، ويكون ممزوج بشيء من الطقوس المبهمة التي رسمها الكهنة ، ويمتنعون فيه عن بعض المأكولات ، ويعتقدون أن صيام الأحياء يرضي الموتى لحرمانهم من طعام الدنيا ، وهو في الوقت نفسه تضامن معهم . وصيامهم نوعان : صيام الكهنة ، وصيام عامة الشعب ، فالأول يجمع بين ما كونه فرضاً أو استحباباً ، فكانت له مواعيده الخاصة ، وعند الصيام يتطلب من الكاهن خدمة المعبدة سبعة أيام على التوالي ومن دون ماء ، وذلك قبل أن يلتحق بالمعبد ، وقد يمتد ذلك إلى اثنين وأربعين يوماً ، ويبدأ صيام الكهنة من طلوع الشمس إلى مغربها ، ويمتنع فيه تناول الطعام ومعاشرة النساء^(٢) ، أما صيام عامة الشعب فكان من أربعة أيام من كل عام ، وتبدأ من اليوم السابع عشر من الشهر الثالث من فصل الفيضان^(٣) .

١ - ينظر : محمد فاضل ، الحراب في صدر البهاء والباب : ٨٨ .

٢ - ينظر : الكرمل ، الصوم في القديم والحديث : ٣٦ . ينظر : علي الخطيب ، الصيام من البداية حتى الإسلام : ١٠٣ . ينظر : أحمد شلبي ، مقارنة أديان - الإسلام : ١٤٩ .

٣ - ينظر : المصدر السابق : ١٠٤ . ينظر : الموحى ، العبادات في الديانات القديمة : ٢١-٢٢ .

المطلب الثاني : الصيام في تعاليم أهل الكتاب

أ-الصيام عند اليهود : أن شريعة الصيام في العهد القديم غامضة ، إلا أنه هنالك دلائل على أن الصيام بدأ كإمساك عن تناول الطعام والشراب العادي ، استعداداً لوليمة مقدسة ، أو لرؤية رؤيا كنوع من التطهير للنفس ، وكان يمارس أثناء الصوم نوع من النقشف كالنوم على الأرض ، و عدم الغسل والتعطر وتغيير الملابس ، فاليهودية كانت تنظر إلى الصيام كنوع من الإذلال النفسي ، فكانوا يحرمون أنفسهم من كل ما يجلب اللذة لها ^(١) . ولم يرد في أي من أسفار العهد القديم لفظ (الصوم) ولا على انه فريضة يتعبد بها ، وكل ما ورد هو فقط بعض النصوص القليلة والتي تنحصر في إطار ما يسمى بـ(تذليل النفس) أي قهرها بحرمانها من الملذات ، كما جاء في سفر اللاويين : ((«وَيَكُونُ لَكُمْ فَرِيضَةٌ دَهْرِيَّةً، أَنْتُمْ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ، وَكُلَّ عَمَلٍ لَا تَعْمَلُونَ: الْوَطَنِيُّ وَالْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسْطِكُمْ. لِأَنَّهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ. سَبَبْتُ عَطْلَةَ هُوَ لَكُمْ، وَتُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً)) (٢٩١١٦-٣١) . و ((«أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ السَّابِعِ، فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلاً مُقَدَّساً يَكُونُ لَكُمْ. تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ وَتَقْرَبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ)) (٢٧١٢٣) . وكذلك ما ورد في سفر الخروج ، يحكي عن صيام موسى (عليه السلام) عندما تلقى الواح التوراة : ((وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً)) (٢٨١٣٤) . ومن خلال النصوص يتبين أن مفهوم الصيام عند اليهود هو : الامتناع عن الطعام والشراب من المساء إلى المساء ، وذلك لتذليل النفس ، وقهرها في أيام معينة ، تحدها الشريعة اليهودية ، اعترافاً بالذنوب والخطايا ^(٢) .

١ - ينظر : عبد المجيد ، اليهودية : ١٥٣ .

٢ - ينظر : عماد حسين ، الإسلام واليهودية : ٢٨٥-٢٨٦ .

والغاية من الصوم كما يوضح في سفر اللاويين هي : قهر النفس ، وإذلالها ، وكبح جماحها بحرمانه من المذات ، وذلك للسمو بالنفس روحياً ، وتأهيلها للاتصال بالرب ، الذي يكون بصورة روحية ، وصيام موسى (عليه السلام) الذي حكته التوراة ، يجسد هذا المعنى ^(١) : ((وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللُّوحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشْرَ. وَكَانَ لَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سَيْنَاءَ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِ مُوسَى، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ، أَنَّ مُوسَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلَامِهِ مَعَهُ. فَنَظَرَ هَارُونَ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ، فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ. فَدَعَاهُمْ مُوسَى. فَرَجَعَ إِلَيْهِ هَارُونَ وَجَمِيعُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَكَلَّمَهُمْ مُوسَى. وَبَعْدَ ذَلِكَ اقْتَرَبَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَوْصَاهُمْ بِكُلِّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ مَعَهُ فِي جَبَلِ سَيْنَاءَ)) سفر الخروج (١٣٤ ٢٨-٣٢) . والصيام كان عندهم إما فردي أو جماعي ، كوسيلة للتوسل إلى الله لمنع وقوع كارثة عامة ، أو لطلب الغفران والعفو . ولم يكن هناك أيام محددة للصيام إلا يوم الغفران ، وحتى هذا اليوم ، فبحسب رأي البعض أنه لم يكن مفروضاً كل سنة ، بل كان يفرض في بعض السنين ويلغى في أخرى ، وكان هذا اليوم هو العاشر من شهر تشرين (أكتوبر). وأيضاً لم يكن الصيام فريضة واجبه في كتب العهد القديم ، إلا أنه أصبح كذلك في الكتب التي جاءت بعد العهد القديم على كل من الرجال والنساء ، ويعفى منه الأطفال والنساء الحوامل والمرضعات ، ويحرم أثناء الصوم أي عمل ومذات ، ويكون الصوم في الأيام العادية في فترة النهار ، أما الصيام في الأيام الهامة يكون (٢٤) ساعة .

ب-الصيام في المسيحية : الصيام بحسب معتقدات المسيحيين أمر اختياري وليس إجبارياً ، ويختلف ميقاته بين الفرق المسيحية المتعددة ، وهو الامتناع عن تناول الطعام من الصباح حتى منتصف النهار ، ومن بعدها ممكن تناول أي طعام خالي من الدسم ^(٢) .

١ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٩٠ .

٢ - ينظر : السعدي ، مقارنة الأديان : ٢١٨ .

المطلب الثالث : الصيام في الإسلام

مشروعيته : أن الله قد فرض الصيام بنص الكتاب ، والسنة النبوية الشريفة : قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة:

١٨٣ ، ويبدأ إمساك الصائم من خروج الفجر الصادق ينتهي بغروب الشمس (١) .

-أقسام الصيام :

وهي أربعة أقسام : الواجب ، ومندوب ، مكروه ، ومحضور .

والصوم الواجب ستة : شهر رمضان ، والذي هو فرض بإجماع المسلمين على كل مسلم ومسلمة ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن

شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿١٨٥﴾ البقرة:

١٨٥ ، وكذلك النذور وما في معناها ، الكفارة ، الاعتكاف ، والقضاء ، ودم المتعة (٢) . أما شهر رمضان

فعلامته رؤية الهلال ، فمن رآه وجب عليه الصوم وأن انفرد برؤيته ، أو في حال مضى من شهر شعبان

ثلاثين يوماً وجب الصيام لحلول شهر رمضان .وصيام شهر رمضان من أركان الإسلام ، قال الأمام الباقر

(عليه السلام) : ((" بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْوَلَايَةِ ، وَلَمْ يَنَادَ

بشيءٍ كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية ")) (٣) .

١ - ينظر : عبد الرزاق الموحى ، العبادات في الأديان السماوية ... : ٣٠٣ .

٢ - أي متعة الحج ، فيجب على المعتمر أن يهدي وهذا بأجماع المسلمين بلا خلاف لقوله تعالى : (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) (البقرة/١٩٦) . ينظر : أحمد خليل ، شرح زاد المستنقع :

١١١١٣ . (كتاب المناسك| باب الفدية) .

٣ - الكليني ، الكافي : ١٨١٢ .

وركننا الصيام في لإسلام هي : ١- النية : ويكفي في شهر رمضان نية القربة لله تعالى ، وتكون النية عند طلوع الفجر الصادق ، بحيث يحدث الصيام مقارناً لها ، ويمتد حتى الزوال ما لم يفطر ، فيجيب استدامة النية إلى آخر النهار ، فإن نوى الصائم الإفطار أو تردد بطل ، إلا في حال قام بتجديد النية (١).

٢-الإمساك: عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى الليل، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ

يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ ۚ﴾ البقرة: ١٨٧.

-شروط صحة الصيام : وهي ستة : البلوغ ، كمال العقل ، فلو بلغ الصبي ، أو فاق المجنون أو المغمى عليه ، لا يجب عليه الصوم ، إلا إذا أدرك فجره كاملاً ، والإقامة أو حكمها ، والصحة من المرض ، والخلو من الحيض والنفاس (٢) .

أن ظاهرة الصيام كانت أمراً منتشراً وحاضراً بقوة في ثقافة الحضارات القديمة ، كحضارة وادي الرافدين ، والحضارة المصرية ، والاعريقية ، وغيرها من الحضارات القديمة ، وصولاً للديانات السماوية اليهودية والمسيحية ، وانتهاءً بالإسلام ، حتى أن هذه الظاهرة موجودة في الديانات الغير توحيدية كالبنودية ، فالصيام يعد من أكثر العبادات التي تشترك فيها الأديان على اختلاف توجهاتها وعقائدها ، كما رأينا ذلك أعلاه ، وعلى الرغم من اختلاف ثقافات ومعتقدات المؤدين لهذه الشعيرة الدينية ، والاختلاف في طريقة ادائها ، والداعين لها ، إلا أنه يمكن القول أن جوهرها واحد ، وهو محاولة التقرب من الاله المعبود ، طلباً لرحمته ومغفرته ، وكسب رضاه وتجنب غضبه ، و ضبط النفس وكبح جماحها تجاه الشهوات والملذات ، والشعور بالأخرين . والقرآن الكريم يفند مزاعم من قال أن شعائر المسلمين ومن بينها الصيام تعود لأصول أسطورية

١ - ينظر : الموجي ، العبادات في الأديان السماوية : ٣٠٣ . ينظر : اليزدي ، دراسات موجزة في فقه الإمامية : ٦٣ .

٢ - ينظر : المحقق الحلي ، المختصر النافع في فقه الإمامية : ٩٣ .

، فهو القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣. الصيام كان عبادة واجبة مكتوبة على الأنبياء والأمم السالفة من آدم (عليه السلام) ، حتى عهد النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فما خلت أمة من وجوب هذه الشعيرة ، فهي لم تكتب على المسلمين وحدهم دون غيرهم ^(١) ، وأنه عندما قال (عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) فهو لم يخص اليهود والنصارى ، إنما جاء النص القرآني على وجه التعميم ، مشيراً أن هذه الفريضة كانت دائماً شريعة مفروضة ، ذات نهج وكيفية ، تزداد أيامها أو تقل ، على كل من كان قبلنا منذ عهد أبينا آدم (عليه السلام) ^(٢) . ، و بناءً على ذلك يستدل على أن الصيام كان فرضاً واجباً على أهل الكتاب ومن سبقهم من الحضارات المنصرمة ، وهو أيضاً ما يعد دليلاً على أن أهل الحضارات القديمة كان لهم من الأنبياء والرسل وكونهم أصحاب شرائع توحيدية ، وأنها حرفت كحال الشريعة اليهودية والمسيحية وضاعت معالم هذه الشرائع ، وغدت معتقداتها وقصصها وشعائرها أساطير غبر عليها الزمان ، فالله سبحانه يؤكد هذه الحقيقة فالصيام كان أمراً واجباً بعبارة (كتب) عليهم ، أي أنه ارسل لهم المبعوثين لهدايتهم إلى دين الله . وعلى هذا يمكن أن نختصر أبرز المشتركات في ممارسة هذه الفعالية الدينية لدى معتقديها بمختلف عقائدهم :

١ . يعد الصيام ممارسة دينية عابرة للثقافات في مختلف الازمان .

٢ . تختلف أشكال ممارسة هذه الفعالية الدينية ، تبعاً للظروف المحيطة والأسباب ، فكما علمنا

هنالك أنواع من الصيام .

٣ . من أبرز المشتركات بين أنواع الصيام ، هو حرمان النفس من الملذات الدنيوية .

١ - ينظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ١٥ ٢٣٩ .

٢ - ينظر : د. علي الخطيب ، الصيام من البداية حتى الإسلام : ١٨ .

٤. الغرض من هذه الفعالية الدينية هو التقرب من الاله ونيل رضاه .

أما أبرز نقاط الاختلاف فهي :

١- كان الصيام في معتقدات سكان وادي الرافدين القدماء نفلًا ، فهو ليس بفرض ملزم ، وهو ايضًا من الطقوس اليومية الشائعة لديهم . في حين نجد الصيام فرض لدى قدماء المصريين ، أما عند اليهود فلا يوجد نص ديني في اسفارهم الخمسة يؤكد وجوب هذه الشعيرة ، أما الصيام في المسيحية فهو أمر اختياري . أما الصيام في الإسلام فهو واجب على المكلفين في شهر رمضان ، وكذلك الصيام واجب في موارد أخرى ، كالنذور ، والكفارات

٢- هنالك صور متعددة للصيام عند قدماء العراقيين ، وكذلك المصريين ، ومنه الصوم الفردي ، ومنه الجماعي ، ومنه ما يكون لعامة الشعب ومنه ما يختص بالكهنة ، ومنه ما يكون بالامتناع عن أنواع محدد من الطعام والشراب .. ، ويكون في أيام محدد أو أوقات معينة ، ومناسبات متعددة . و بالنسبة للصيام عند اليهود فنجد هنالك صور متعددة من الصيام ، فمنه ما يكون فردي ، ومنه ما يكون جماعي ، وهنالك أنواع من الصيام خاصة بالامتناع عن نوع معين من الأطعمة أو الأفعال ، وفرض في مناسبات متعددة ، وفي أيام محددة ، و اوقات الإمساك فيه مختلفة تبعاً لنوع الصيام وغرضه. أما في الإسلام فشكل الصوم واحد وأحكامه ثابتة و اوقاته ثابتة و صورته ثابتة سواء كان واجباً ، أو تطوعاً أو .. .

٣- كان الصيام يؤدي - في بعض أشكاله- في الحضارات القديمة لأهداف اقتصادية لا دينية ، ويشرع من قبل الكهنة . وفي اليهودية تم فرض الصيام بتشريع من رجال الدين أذ لا توجد نصوص في أسفارهم توجب هذه الشعيرة . أما الصيام في الإسلام فهو ما نص عليه القرآن والسنة النبوية ، وليس تشريع اجتهادي من قبل المشرعين .

المبحث الرابع: النذور (القرايين)

عرف الإنسان و منذ فجر البشرية القرايين والنذور على اختلاف أنواعها - لكونها أحكام شرعية إلهية بلغها الأنبياء والرسل لأقوامهم - ، وقد اقترنت هذه الممارسة بالسعي لاسترضاء الاله ، ونيل رحمته ، وكسب رضاه ، وكانت هذه النذور والقرايين وسيلة لدرء غضب الآلهة ، والذي يتمثل بشكل فيضان أو زلزال ، أو غيرها من الظواهر الطبيعية التي عجز العقل البشري في حينها عن ادراكها ، فعمد إلى تفسيرها بكونها غضب الآلهة ، فيبادر إلى تقديم النذور والقرايين حتى ينال رضاه . وكان العراقيون القدماء يعتقدون إن ارتكاب الذنوب و الخطايا يؤدي إلى أضرار جسيمة ، سواء على المدينة التي يقترف سكانها الذنوب ، أو على الصعيد الشخص الذي يرتكب الذنوب ، لأن ذلك يجعل الالهة تتخلي عن المدينة ، فيجلب ذلك الكوارث والويلات عليهم ، وتبقى المدينة ملعونة حتى يتم استرضاء الآلهة من خلال إقامة الطقوس الدينية من تقديم القرايين والصلوات ، والادعية والابتهالات. وهكذا راحت تنمو فكرة القريان وتطور بمرور الزمان وتعاقب الحضارات ، فعرفت كل الشعوب ، والديانات السماوية منها والوضعية ، ومارست كل أمة هذه الفعالية بما يتلائم وبنائها العقدي والفكري ^(١) . وكان الإنسان القديم يعدها كنوع من العبادة ، فكانت هذه التقدمات هي نوع من التعبير العلمي لما يؤمن به ، وقد قص لنا القرآن الكريم في مواضع متعددة منه عن النذور والقرايين ، كما في نذر أبني آدم (عليه السلام) ، ونذر أم مريم (عليها السلام) ، ونذر مريم (عليها السلام) ، وغيرها . إضافة إلى ما وصل إلينا من قصص تقديم القرايين للآلهة عبر التراث الأسطوري للحضارات القديمة ، وعرفت اليهودية النذور و القرايين وكانت من أهم الممارسات الدينية عندهم ، وكذلك عرف عرب الجاهلية النذور ، و بالتأكيد كانت هذه الظاهرة عندهم تختلط بممارسات شركية ، حتى جاء

^١ - ينظر : نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة : ١٤٧-١٤٨ . ينظر : هديل قاسم ، العبادات في اليهودية " القريان المقدس أنموذجا " : ١٠٩ .

الإسلام وخلص هذه الشعيرة الدينية من تلك الممارسات والاعتقادات الخاطئة التي صاحبها عبر توالي الحقب الزمنية عليها .، إلا أن هذه الأفكار بشأن القرابين والنذور قد تتشابه في الديانات القديمة بشكل عام ، إلا أنها تختلف من ناحية التعاليم التي تنظمها ، وما يصاحبها من طقوس وشعائر ، وما يدل على قبولها ، أو عدم قبولها ، وما ذلك إلا نتيجة اجتهاد رجال الدين (الكهنة) ، وما يضعونه من تعاليم لأتباعهم بما يتناسب مع عقلياتهم ومصالحهم (١) . بدايةً لا بد أن نعرف هل هنالك فرق بين النذر والقربان ، أم انها بمعنى واحد : النَّذْرُ في اللغة: وهو ما يَنْذِرُه الإنسانُ ، فيجعلُه على نفسه واجبا ، كقولك: نَذَرْتُ على نفسي، أي: أَوْجَبْتُ(٢)

النذر في الاصطلاح: ((هو إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئا غير لازم بأصل الشرع بكل قول يدل عليه)) (٣) .

أما الْقُرْبَانُ فهو : ((اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى ، تقول : قربت لله قرباناً ، كالصلاةِ والصدقاتِ)) (٤) . لكن لكثرة استخدام هذا المصطلح مع الذبائح ، صار يعرف به ، إلا أنه في حقيقة الامر عام يشمل كل أنواع الصدقات تقرباً لله تعالى ، فكل ما يتقرب به إلى الله تعالى فهو قربان (٥) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿

* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ المائدة: ٢٧ .

١ - ينظر : تقي الدين الدباغ ، الموت وما بعد الموت في الفكر الديني القديم اليمين : ١٤ .
٢ - ينظر : الازهري ، تهذيب اللغة : ٣٠٢١٤ . الزبيدي ، تاج العروس : ١٩٧١٤ .
٣ - الحجاوي ، الاقناع في فقه الامام أحمد : ٣٥٧١٤ .
٤ - ينظر ، الجوهري ، الصحاح تاج اللغة : ١٩٩١١ . الجزائري ، أيسر التفاسير : ٦١٩١١ . ينظر : الكواري ، تفسير غريب القرآن : ٢٧١٥ .
٥ - ينظر : ابي البقاء الكفوي ، الكليات : ٦٣٣ .

و الاضاحي : مفردها أضحية وهي : الأضحِيَّة لغةً: اسمٌ لِمَا يُضَحَّى به، أي: يُذْبَحُ أَيَّامَ عيدِ الأضحى،
وجمعُها: الأَضاحِيُّ (١) .

الأضحِيَّة اصطلاحًا: ما يُذْبَحُ من بهيمة الأنعام في يومِ الأضحى إلى آخرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ تَقَرُّبًا إلى الله تعالى
(٢) . وبناءً على هذا يتبين أن القرابين والنذر والاضحية تأتي بصورة عامة بمعنى واحد ، لأن هذه
المصطلحات تدل على تقديم طاعة معينة تقرباً لله تعالى ، ويراد من ذلك التقرب له سبحانه .

المطلب الأول : النذور والقرابين في طقوس سكان بلاد الرافدين

تنقسم عبادات سكان العراق القديم إلى قسمين : الأول عام ؛ وهو ما يقوم به الفرد من عبادات لتحقيق
غاية الخلق من وجوده ، أما القسم الثاني وهو خاص لدفع الأذى والمكاره عنه ، وأنها تتنوع تبعاً للطقس
الذي يقوم به المتعبد في المعبد ، فنجد المتعبد تارة يستعين بالكاهن في ذبح القرابين ، وما يتتبع ذلك من
حرق البخور ، وصلوات ، وهناك طقوس أخرى يقوم بها المتعبد بنفسه من دون الحاجة إلى الكهنة ،
كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار (٣) . فكان هنالك أنواع متعددة من القرابين والأضاحي ، فمنها ما يقدم
من قبلك الملك شخصياً ، ومنها ما قدم من قبل المتعبد من الافراد العاديين ، وفي أوقات معينة ، وأيام
معينة ، وبالطبع كل نوع من القرابين له مراسيمه الخاصة (٤) . ويعد طقس تقديم القرابين جزءاً مهماً من
العبادات الضرورية للآلهة ، ويراد منه تزويد الآلهة بالطعام والشراب ، لذا نجد على الرقم الطينية صوراً
للشعر وهم يقدمون القرابين للآلهة ، فكان يخصص الطعام والشراب وغيرها من القرابين بشكل يومي ، و
أسبوعي ، و شهري إلى المعبد ، وكانت مائدة الطعام تقدم مرتين في اليوم أو أكثر أمام تماثيل الآلهة ،

٢ - الخطيب الشربيني ، كتاب مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : ١٦ ١٢٢ .

٣ - ينظر الموحى ، العبادات في الديانات القديمة : ٢٦ .

٤ - ينظر : عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم " موجز التاريخ الحضاري " : ١٣٤١٢ .

وبالتأكيد كان كهنة المعبد يقومون بتناول الطعام نيابةً عن الآلهة^(١) . و أن القصد من تقديم النذور للآلهة هي وضع حياة صاحب النذر تحت حماية الإله ، ونيل رضاها ، إلا أنه يشترط من صاحب النذر أن يكون له حضور أمام الإلهة ، فقد كانت تؤدي الصلوات أثناء تقديم النذور للآلهة^(٢) . إذاً فالغاية من تقديم النذور والقرابين في كل الديانات القديمة هو إيجاد نوع من العلاقة بين الإنسان والآلهة ، والهدف من هذه العلاقة هو مصلحة الفرد غالباً^(٣) . والاضاحي السومرية تعد من بين اهم الطقوس الدينية ، وكانت نباتية وحيوانية ، و تقدم بكثرة الى المعبد لإطعام الآلهة والكهنة ، وكان يقدم رمز الآلة ضحية له، مثل رمز الآله انليل الثور يقدم له الثور و رمز الآله نانشة الأسماك تقدم لها الأسماك ورمز الآله ننورتا الخيول وهكذا^(٤) . أما فكرة الاضاحي البشرية ، والتي تقوم على دفن عدد من الأشخاص (حاشية الملك من نساء و رجال محاربين ، إضافة الى الحلي والنفائس وعربات ، وماشية ، والهدايا والنذور) والتي اكتشفت في مدينة (أور) في منطقة المقابر ، عند مجموعة من المقابر الملكية ، الغاية منها بحسب ما فسرت هي تهيأت حياة مرفهة للملك بعد موته . و أن طقس (الاضاحي البشرية الجماعية) كان طقس ملوكياً عمل به لفترة محدودة بعد وفاة (كلكامش) ، إلا أنه انقرض بعد الالف الثالث قبل الميلاد^(٥) . والقربان يتكون من طعام يقدم للآله المعبود ويصاحب عملية التقديم حرق بعض أنواع النباتات ذات الرائحة . وكانت القرابين أو الاضاحي تختلف تبعاً للغرض المراد ، فهنالك قربان الدم وفي العادة كانت ذبيحة أو قربان الدم حملاً أو جدياً ، وأن كانت بقية الحيوانات من الممكن تؤدي نفس الغرض المراد ، وهذا ما نجده مصوراً بكثرة

١ - ينظر : عامر سليمان ،العراق في التاريخ القديم " موجز التاريخ الحضاري " : ١٣٤١٢ .

٢ - ينظر : كونتينيو جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور : ١٢ ٢١٥ . ينظر : سعد أمين ، القرابين والنذور في العراق القديم : ١٠٥ .

٣ - ينظر : هزاع الحماوي ، القرابين والنذور في الديانات اليمينة القديمة : ١ .

٤ - ينظر : خزعل الماجدي ، الدين السومري : ١٥٢ . ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ٣٢٠ .

٥ - ينظر : الماجدي ، متون سومرية : ٣٢٠-٣٢١ .

في المناظر المحفورة على الالواح^(١). نقرأ في أحد النصوص الأسطورية التي تحكي عن ذبيحة الدم : ((
الحمل فداء للبشر ، لقد قدم حملاً بدلاً من حياته ، لقد قدم رأس الحمل بدلاً من رأس الإنسان ، لقد قدم
عنق الحمل بدلاً من عنق الإنسان ، لقد قدم صدر الحمل بدلاً من صدر الإنسان))^(٢) . وعلى كل حال
فإن الحيوانات الأخرى تستطيع أن تؤدي نفس الغرض^(٣) ، ويمكن أن نميز عدة أوجه للقربان بمختلف
أنواعه سواء كان نباتيا كالفاكهة أو حيوانات من ثيران ماشية، ماعز ، غزلان ، الموجهة للآلهة:

١- اعتباره مجرد طعام للآلهة، فالآلهة يجب أن تطعم وعلى المصلين أن يزودوها بما هو ضروري
لهذا الغرض.

٢- أن الإله هو المالك للأرض ومن يحرقها هو مستأجر، لذلك كانت القرابين التي يأتي بها تعتبر
من خير الأرض أو من الديون التي عليه تسديدها للمالك الإلهي مالك الحقل والمدينة.

٣- كانت القرابين ضرورية من أجل أن يبقى الإله في مزاج حسن ولتجنب آثار غضبه.

٤- اعتقد السكان وادي الرافدين بوجود علاقة بين الإله الذي يقرب إليه القربان المضحي به ، والحيوان
نفسه ، فعندما يضحي بالحيوان فإنه يكون جزءا من الإله، كما يكون جزءا من أجسام الناس الذين
يأكلونه فتكون روح الإله نفسه الذبيحة، وأن روح الحيوان تتمثل بروح الإله ، ومن خلال ذلك من
الممكن للبشر أن يتطلعوا إلى روح الإله ، ومن ثم معرفة إرادته بدرس روح الذبيحة^(٤) . إذن فسكان
وادي الرافدين القدماء كانوا يقدمون القرابين والنذور للآلهة ، لاعتقادهم بهيمنة الآلهة على كل
شيء ، فحرصوا على كسب رضاها .،

١ - ينظر : ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين : ١٦٣-١٦٤ .

٢ - ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين : ١٦٤ .

٣ - ينظر : ديلا بورت ، بلاد ما بين النهرين : ١٦٤ .

٤ - ينظر : كامل سعفان ، موسوعة الأديان القديمة " معتقدات آسيوية " : ٥٦-٥٧ .

المطلب الثاني : النذور والقربان في تعاليم أهل الكتاب

عرف عن اليهود تقديم القربان لإلههم ، بل أنهم افرتوا في هذه الشعيرة كنوع من العبادة ، فلم تعرف أمة في تاريخ عبادتها بلغت ما بلغه اليهود من تقديم القربان ، وهذا الإفراط من قبلهم ليس من قبيل إيمانهم وطاعتهم ، بل الغرض منه هو زيادة في جلب الثراء الشخصي للمشرعين اليهود^(١). وكانت أول تأدية قربان للرب ، هي التي قدمها هابيل وقابيل فالعهد القديم يقص قصة أبنى آدم (عليه السلام) ، وتقديم كل واحد منهما قرباناً إلى الرب : (("قَائِيْن قَدَمَ مِنْ أَثْمَارِ الْأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَكْبَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ" . وَلَكِنْ إِلَى قَائِيْن وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَائِيْنُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ.)) (سفر التكوين ٣١٤-٥). فقد كان قايين عاملاً في الأرض ، أما هابيل كان راعياً للغنم ، فقدم قايين من ثمار الأرض قرباناً إلى الرب ، وقدم هابيل من غنمه سمانها ، فتقبل الرب قربان هابيل ، ولم يتقبل قربان قايين، فكان ذلك سبباً في استيائه وغضبه ، وقتل أخيه هابيل^(٢).

ولقد مرت القربان في اليهودية بعدة مراحل هي كالآتي^(٣) . :

١ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٣٥٥. أن الكهنة أو كتبة العهد القديم إنما أرادوا توظيفاً دينياً يسهم في تعزيز سيادتهم العامة على الناس من خلال إيهامهم بأن طريق الغفران والتوبة ، وطلب رضا الله لا بد أن يمر من خلال بوابة المعبد ، فخلقوا ارتباطاً روحي بين المعبد والناس ، فضلاً عن تحقيق الأرباح الطائلة والمستمرة لهذه الشريحة على حساب الناس البسطاء ، لهذا نجد أن الأفعال التي توجب تقديم القربان والنذور كثيرة ، على سبيل المثال : ولادة طفل جديد ، الإصابة بمرض معين ، كتم الشهادة ، لمس أي شيء نجس ،... وغيرها من الأمور التي توجب تقديم القربان . عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٣٥٦.

ينظر : هديل قاسم ، العبادات في اليهودية القربان المقدس أنموذجاً : ١١٧.

٢ - ينظر : السواح ، القصص القرآني ومتوازياته التوراتية : ٢٢١.

٣ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٣٥٥-٣٥٦.

١- القربان البشرية : وقد نصت الشريعة اليهودية على أن كل بكر من الأولاد يقدم قرباناً للإله ((لي كُلُّ فَاتِحِ رَحْمٍ، وَكُلُّ مَا يُوَلَّدُ ذَكَرًا مِنْ مَوَاشِيكَ بِكَرًا مِنْ ثَوْرٍ وَشَاةٍ)) سفر الخروج (١٩١٣٤) . وظل اليهود يقدمون ابكار أبنائهم الذكور ، مع ابكار مواشيهم ، إلى ما بعد عهد سليمان ، حتى عهد انقسامهم ، ومن ثم قرر الكهنة أن الآلهة تكتفي بجز بسيط من الإنسان ، عوضاً من أن يضحي به كله ، وكان هذا الجزء هو ما يقطع في عملية الختان ، وبقيت هذه العملية رمزاً للقربان البشرية .

إلا أنهم لم يلتزموا بذلك وظلوا يقدمون القربان البشرية ، ويجعلونها شعيرة في عيد الفصح ، وتروي أسفار العهد القديم أن اليهود ظلوا يقدمون القربان البشرية ويفرطون في ذلك ، نقرأ في سفر إرميا الذي ندد بذلك : ((وَبَنَوْا مُنْتَقَعَاتِ تُوْفَةَ الَّتِي فِي وَايِ ابْنِ هُنُومَ لِيُحْرِقُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ، الَّذِي لَمْ أَمُرْ بِهِ وَلَا صَعِدَ عَلَيَّ قَلْبِي)) (٣١١٧) .

٢- القربان الحيوانية والنباتية : حاول اليهود أن يسلكوا طريق الارتقاء البشري من خلال مفارقتهم للأمم الوثنية في شعيرة القربان البشرية ، وأكتفوا بتقديم القربان الحيوانية والنباتية ، إلا أنهم اسرفوا في ذلك ، مما سبب إرهاباً للناس ، إذ جعلهم لا يرون عملاً من أعمالهم إلا و هو يحتاج قربان .

٣- القربان الشفوية : وتتمثل بالصلوات والادعية ^(١)، ذلك أن اليهود بعد خراب الهيكل أبطلوا التقديمات والقربان ، وأحلوا محلها الصلوات ، عدا بعض المتشددون الذين تمسكوا بتقديم القربان .

١ - لطالما كان هنالك ارتباط بين النذور والقربان والصلوة ، فالصلوة عند اليهود منذ نشأتها قد ارتبطت بتقديم ذبيحة كرمز للخضوع للرب ، وكان تقديمها يعد نوعاً من الصلاة لتأدية الشكر للرب . ينظر : عبد المجيد ، اليهودية : ١٤٨ .

وهذه التقدّمات والقربان والذبايح^(١) ظلت حتى خراب الهيكل والسبي البابلي فبطلت ، ثم استبدلت بالصلوات حتى يومنا هذا ، و جاء استبدال العبادات الحسية بالعبادات الروحية ، لكونهم يعدون هذه الصلوات تفوق كثيراً العبادات القديمة من الذبائح والقربان ، فالعبادة بالتقدّمات هي عبارة عن تقديم مادة حسية أرضية من مال الإنسان على مذبح مادي ، خلافاً للعبادة الروحية المتمثلة بالصلاة ، فهي نابعة من أحساس الإنسان وعواطفه ، فهو يقدم شكره ، وامتنانه أو يعبر عن ندمه واسفه للرب ، وهذا نابع من نفسه على مذبح قلبه وعقله وشهوته الجسدية^(٢) . وحتى أن الرب أظهر إرادته ورغبته في أفضلية هذه العبادة الروحية ، على العبادات المادية من الذبائح والقربان ، وبين لنا أن التوبة الحقيقية النابعة من أعماق النفس ، والاعمال الخيرية ، أفضل من التقدّمات والذبايح ، وأن الصلاة تقوم مقامها^(٣) ، كما نقرأ ذلك في العهد القديم : ((«لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. انْحَمْتُ مِنْ مُحْرِقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مَسْمَنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَثِيُوسٍ مَا أَسْرُ»)) (سفر أشيعا: ١٢١١) . ومن خلال هذه المراحل ندرك أن اليهود لم يستقروا في قرايبهم على اعتبار كونها جزء من عبادتهم ، فكانت تتغير في فترات مختلفة^(٤) . أما غاية اليهود من هذه القربان ، فإن اليهود فهموا من أسفارهم أن هذه القربان تكفر عن الخطايا بمجرد تقديمها ، كما جاء ذلك في سفر اللاويين : ((فَيَكْفُرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ بِكِبْشِ الْإِثْمِ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ حَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ، فَيُصْفَحُ لَهُ عَنْ حَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ)) (٢٢١٩) . و اتخذوا من ذلك ذريعة لارتكاب الخطايا ، ومثلهم النصارى اعتقدوا أن ذبيحة المسيح ، كفارة لمن قبله ومن بعده ، وراحوا يفعلون الخطايا وذلك اعتماداً على ذبيحة المسيح

١ - حرف بنو إسرائيل شريعة موسى (عليه السلام) ، وجعلوا همهم جمع المال ، وامتد هذا التفكير المادي إلى العلماء والرهبان فأخذوا يحرصون العامة على تقديم القربان والنذور للهيكل رجاء أن يحصلوا على الغفران، وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم. أحمد الثلثي ، مقارنة الأديان "المسيحية" : ٣٢١٢.

٢ - ينظر : حسن ظاظا ، الفكر الديني الإسرائيلي : ١٦٨ .

٣ - ينظر : حسن ظاظا ، الفكر الديني الإسرائيلي : ١٦٩ .

٤ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٣٥٥-٣٥٦ .

، ولا تعوزهم الخطيئة مهما كانت سوى اعتراف بسيط عن الكاهن . ومن خلال ذلك ندرك أن هؤلاء المؤمنين بتلك القرابين كعبادة من اليهود والنصارى لم يدركوا الغاية ، والمقصود منها ، فلم يفهموها كما يجب أن تفهم ، فسلكوا طريق الخطيئة التي لا يخرجون منها إلا بنور الإسلام ^(١) .

^١ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٣٧٢-٣٧٣ .

المطلب الثالث : النذور والقربان في الجاهلية

كثيراً ما كانت تطرح في قصص القربان ، لدى ثقافات مختلف الشعوب ، إمكانية استبدال القربان البشرية بقربان حيوانية ، لتحل محلها ، مرسخة بذلك مبدأ الفدية ، فعندما نعمن النظر في موضوع المؤودة ، نجد أن الكثير من البنات اللاتي ولدنه في الجاهلين كن مؤهلات للوآد ، ونُجينه بفضل ما تم تقديمه من قربان حيوانية فدية لهن ، وقد شاع ذلك عند العرب وفخروا به ، وهذا مما يشير على أن عملية الوآد كانت ممارسة دينية معروفة ، وتقتضي هذه تقديم المؤودة قرباناً إلى الآلهة ، إلا أن هذه العملية يمكن أن تتوقف إذا ما أهتدى الناس إلى بديل من جنس حيوان تقبل به الآلهة ^(١). ويقال أن الآلهة قد تتدخل بذاتها في إنقاذ القربان البشرية ، وأفتدائها بالحيوانات ، وهو ما تم على سبيل المثال في قصة النبي إسماعيل (عليه السلام) ، وكذلك في قصة إيفيجيني اليونانية ، ويدخل هذا الإنقاذ ضمن اصطفاء الناجي وتمكينه من لعب دور فعال ومميز في حياة باقي الناس فيما بعد ، فأسس إسماعيل (عليه السلام) لنشأة جنس بشري جديد ، ولعبت إيفيجيني ، دوراً مميزاً في حياة اليونانيين ، عندما أصبحت حارسة لمعبد الربة أرتمس ، التي انقذتها ، ولم تخلو قصص الوآد في الجاهلية من هذا العنصر أيضاً ، فنجت فتاة ذات مرة من الوؤد بتدخل مباشر من الآلهة ، فكان لها فيما بعد شأن عظيم بين الناس ، وهذه الفتاة هي سؤدد بنت زهرة الكلابية ، عمه وهب والد أمنة ، كاهنة قريش المفضلة ، والتي كان لها دوراً في تاريخ الإسلام ^(٢) ، عندما قالت يوماً لبني زهرة : ((أن فيكم نذيرةً أو ستلد نذيراً ، فأعرضوا عليه بناتكم ، فعرضن عليها ، فقالت في كل واحدة

^١ - ينظر : وحيد السعفي ، القربان في الجاهلية والإسلام : ٢٥ .

^٢ - ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ .

منهم قولاً ظهر بعد حين ، حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب ، فقالت هذه نذيرة أو ستلد نذيراً ، وهو ما دعا عبد المطلب لاختيار آمنة لولده عبد الله ((^١) .

المطلب الرابع : النذور والقربان في الإسلام

النذر في الشرع : ((هو أن يجعل الشخص لله على ذمته فعل شيء أو تركه)) (^٢) .

كانت القربان والاضاحي فيما سبق الإسلام ، هدية تقدم إلى رب الارباب والاصنام والتماثيل ، وذلك للتقرب تارة ، أو لأداء دين تارة أخرى ، وتارة للاستمطار ، وتارة أخرى لطلب النصر والنجدة أو المغفرة ... وكانت هذه القربان والاضاحي في واقع الامر عبارة عن تجارة من تجارات الناس ، فيها من البيع والشراء ، ثمن يدفع و ثمن يقبض ، فكان القربان عبارة عن بضاعة للمقايضة ، ذات معالم واضحة مثل كل بضاعة ذات معالم واضحة ، فكان طقساً للإتجار لا غاية منه سوى أحرار الربح الوفير . وقد تحدث القرآن الكريم عن النذور والقربان ، وبين لنا الجذور التاريخية لهذه الممارسة ، موضحاً لنا أن هذه الممارسة كانت أمراً شائعاً في سالف العصور ، وبذلك نعرف أنها لم تكن مستوحاة من التراث الأسطوري ، فقد جاء ذكر النذر في القرآن الكريم عندما تحدث عن أم مريم (عليها السلام) و نذرها ، بقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ آل عمران: ٣٥ . وجاء ذكر النذر مرة أخرى على لسان مريم (عليه السلام) عندما وضعت عيسى (عليه السلام) وأتهمها قومها فيه ، فأراد الله منعها من مجادلة سفهاء قومها ، فأمرها بالصمت عن الكلام ، فقالت عند ذلك (٣) ،

١ - الألويسي ، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب : ٤٣٣-٤٤٤ .

٢ - السيد السيستاني ، مناهج الصالحين : ٢٢٩١٣ .

٣ - ينظر : محمد أبو فارس ، كتاب الايمان والنذور : ١٣٥ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ مريم: ٢٦ ، ويدل قوله تعالى في خطابه

لنبيه إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، حين أمره لدعاء الناس إلى الحج ، وإيفاء ما عليهم من نذور الحج

(١) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٢٩﴾ الحج: ٢٩

، فهذا يدل على أن هذه الممارسة الدينية كانت موجودة في شريعة النبي إبراهيم (عليه السلام) (٢) .

أما القربان فقد جاء ذكره في القرآن الكريم في مواضع متعددة :

١- القربان قد يكون لله تعالى ، كما نقرأ ذلك في قصة أبني آدم (عليه السلام) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمَ

نَبَأَ أَبِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ المائدة: ٢٧ ، هذه الآية نقص علينا إحدى أهم القصص حول تقديم

القربانين ، وقد أضيفت حول هذه القصة الكثير من الخرافات إلا أن القرآن الكريم يقص لنا القصة الحقيقية

التي وقعت بين ابني آدم (عليه السلام) ، وهما هابيل وقابيل ، إذ قدم كل واحد منهم قربان إلى الله ، و

كان أحدهما صاحب زرع، والآخر صاحب ماشية، فجاء أحدهما بخير ماله، وجاء الآخر بشر ماله ،

فجاءت النار فأكلت قربان أحدهما ، فتقبل قربان هابيل الذي كان مزارعاً ، ولم يتقبل قربان هابيل الذي

كان راعياً ، فحسده ، و دفعه ذلك لتهديد أخيه بالقتل (لَأَقْتُلَنَّكَ) ، أما هابيل فقد نصح أخاه مشيراً

إلى أن الله لم يتقبل قربانه نتيجة لوجود علة في عمله ، وليس له ذنب في ذلك ، مؤكداً له أن الله يتقبل

أعمال المتقين فقط ، وأنه لو نفذ تهديده وعمد إلى قتله ، فهو لن يمد يده لقتل أخا ، فهو يخاف الله رب

العالمين ، وبذلك أقدم قابيل على قتل أخاه هابيل ، فكانت جريمته أول جريمة قتل في الأرض (٣) ،

١ - ينظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٠١٤ .

٢ - ينظر : سمير الفهداوي ، النذر في القرآن الكريم : ٦٢ .

٣ - ينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢٠٨١١٠ . ينظر : الشيرازي ، مختصر الأمثل : ٥١٣١١ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

﴿٢٨﴾ المائدة: ٢٨ .

٢ - وتارة يكون القران زعماً باطلاً ، وتقولاً على الله تعالى ، كما فعل بني إسرائيل ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ

رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ

فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ آل عمران: ١٨٣ -

١٨٤ ، فهم الذين قالوا إن الله تعالى أمرنا وأوصانا في التوراة ، أن لا نصدق لرسول حتى يأتينا بآية خاصة

، وهي أن يقدم قرباناً فتنزل من السماء ناراً فتأكله^(١) .

٣- وقد يكون القران للأوثان^(٢) ، كما في قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن

دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهْمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٨﴾ الأحقاف: ٢٨ .

إذن فإن الدين الإسلامي لم ينفرد دون غيره من الأديان ، والحضارات القديمة بهذه الممارسة الدينية ، كما

تبين لنا أعلاه ، فقد شرع الإسلام العبادة بالقرابين والاضاحي للمؤمنين به ، ومن خلال هذا التشريع أخذ

يرد أباطيل الأديان الأخرى ، ويقوم ما اعوجت فيه ، بأسلوب في غاية الاقتناع ، فبين أن المقصود بهذا

التشريع أي تعبد الله تعالى بالقرابين هو تحقيق التقوى في قلوب المؤمنين ، وكذلك تحقيق العدالة الاجتماعية

، وإدخال السرور على قلوب الفقراء من خلال تقديم جزء من هذه القرابين والاضاحي لهم ، كما قال تعالى

١ - ينظر : الصابوني ، صفوة التفاسير : ٢٧٧ .

٢ - مقال منشور بعنوان (القرابين والنذور) ، موقع أهل القرآن ، <https://www.ahl->

alquran.com/arabic/index.php .

: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (٣٨) الحج: ٢٨. وهذا ارشاد قوي للمقصود من هذه العبادة ، إضافة إلى ذلك فهو رد لما زعمت اليهود من أباطيل ، حيث قالت : أن الرب تتلذذ براحة شواء اللحم ، وأنها اصطفت الشحوم على اللحوم من الذبائح ، وكذلك تحريم أكل صاحب الاضحية من ذبيحته ، فالذي يأكل لا بد أن يكون من أصحاب القداسة . وكذلك قالت اليهود أن الرب يتصيد أخطاء عباده ، حتى أنه يحاسب المرأة اذا ولدت مولوداً على أن ذلك يعد خطيئة ، فيجب عليها أن تقدم ذبيحة ، فجاء الإسلام وبين أن الذي شرعه لهم أنبياءهم هو (العقيقة) عن المولود لا غير ، فكان اليهود يقدمون عقيقة عن المولود الذكر فقط ، فعدل الإسلام أمر تلك الشعيرة ، وبين أن العقيقة عن كل مولود من كلا الجنسين (١) . اذن فهل يمكن أن يكون هذا القرابان (العقيقة) في الإسلام ، يشه ذبيحة الخطيئة عن المرأة التي تلد كما زعمت اليهود في أسفارها . فكل القرائن تشير إلى عدم أمكانية تشابه بين القرابان في الإسلام ، وما موجود عند اليهود ، ذلك لكون هدف اليهود من هذه القرابين هو عكس اهداف الإسلام تماماً ، فلئن كان هدف الإسلام من تلك القرابين هو محاربة الفقر والحرمان ، فأن اليهودية سعت إلى افقار اتباعها من خلال إرهابهم بتلك القرابين . ولئن كان هدف الإسلام هو إدخال الفرح والسرور على الناس من خلال تلك القرابين ، فأن اليهودية جعلت منها سبب لحياة كئيبة لدى الاتباع جراء تلك الاغلال . كما أن الإسلام رفض فكرة الوساطة التي يقوم بها الكائن في تقديمه لهذه القرابين والذبائح ، فلم يقل أحد أن رجل الدين هو المسؤول عن توزيع هذه التقدّمات فيدخر لنفسه الاجود والاطيب ، بل أن الجزار الذي يذبح الاضحية يعطى أجره من غير لحمها ، وجاء القرآن الكريم ونعى على اهل الكتاب من اليهود والنصارى أتخاذهم الوسيط بينهم وبين الله تعالى (٢): ﴿ قَالَ تَعَالَى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ابْنًا مَّكِينًا ﴾

١ - ينظر : عماد عبد السميع ، الإسلام واليهودية : ٣٧٣ .

٢ - المصدر نفسه : ٣٧٤-٣٧٥ .

مَرِيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ التوبة: ٣١. , لربما من القواسم المشتركة لمن يؤدون هذه الممارسة الدينية ، بمعتقداتهم

المختلفة ؛ هو أن الغرض الأساسي من تقديم النذر أو القرابين أين كان ، محاولة التقرب من المعبود ، باختلاف طرقهم لتأدية هذه الممارسة . وبعد أن بينا هذه الممارسة الدينية لدى بعض من معتقديها بمختلف

توجهاتهم ، نرى أن هنالك بعض القواسم المشتركة تجمعهم ، ولعل من أهم هذه المشتركات :

١- هو الجانب الاعتقادي الذي ينطلقون منه في ممارستها ، فهم يؤمنون أن تقديم القرابين يقربهم من المعبود ، وسبيلاً لكسب رضاه ، وتجنب غضبه .

٢- أن هذه الممارسة العبادية ، بغض النظر عن اعتقاد مؤيديها ، ممارسة قديمة جداً ، من قدم الحضارة الإنسانية ، وظلت متوارثة ، فعند مجيء الإسلام بهذه الشعيرة الدينية ، لم يكن أمراً خارجاً عما عهده العرب ، إلا أن الإسلام جاء بهذه الشعيرة الدينية أحياءً لسنة نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، منقياً إياها مما علق بها من مظاهر شركيه ، وأباطيل .

٣- هنالك أنواع مختلفة من النذور والقرابين ، حيوانية ونباتية ، وحتى نذور معنوية ، بالأخص ما نجده عند معتقي الديانات التوحيدية ، فهناك نذر يعقد على أداء صلوات أو صيام أيام معينة .

أما لو جئنا إلى الفوارق في تأدية هذه الممارسة لدى القدماء من أصحاب الحضارات السالفة ، ولدى أهل الكتاب ، وبين طريقة تأدية هذه الشعيرة الدينية لدى المسلمين ، لوجدنا هنالك الكثير من الاختلافات منها:

١- من ناحية المعتقد الذي ينطلقون منه لممارسة هذه الفعالية الدينية ، فكان الانسان القديم في وادي الرافدين يقدم القرابين أمام تمثال أحد الالهة ، وفي الجاهلية كان العرب يقدمون هذه القرابين ايضاً لأصنامهم للتقرب إليها ، فكانت عقيدة الشرك بالله الواحد متغلغلة في هذه الممارسة الدينية ، أما

أهل الكتاب فكانوا يجعلون الوسيط بينهم وبين الرب عند تقديم القرابات هذه . في حين نجد القرآن الكريم قد عاب ذلك ، فبين أن الله أقرب إليهم من أن يكون بينهم وبينه وسطاء .

٢- كان المستفيد من هذه التقدّمات بمختلف أنواعها هم الكهنة الذين انتعشت أحوالهم الاقتصادية ، في حين أن الإسلام شرع أن يكون جزء كبير من هذه التقدّمات للفقراء ، فكانت سبباً لإدخال السرور عليهم ، وباباً للتكافل الاجتماعي ، خلافاً لما وجدنا عند السابقين .

، أذن أن مدى التشابه بين ما جاء في الأساطير السالفة ، وما جاءت به الأديان السماوية ، ومدى حرص المتعبدین على أداءها ، يعد دليلاً قوياً على وحدة المصدر الذي استمدت منه هذه الشعيرة ، لا دليلاً على أن الأديان السماوية بصورة عامة ، والإسلام بصورة خاصة تستمد شعائرها ومعتقداتها من التراث الأسطوري القديم ، فليس من الصدفة ، ولا من المنطق أن يقتبس دين أخباره وقصصه ، ومعتقداته وشعائره بهذه الكيفية من التراث القديم ، أليس من الأولى والأكثر منطقية ، ارجاع ذلك لوحدة المصدر لها ، فالدين الإسلامي من أول بزوغه أعلن أنه جاء متمم لما سلف من شرائع ، ومصحح لما تم تحريفه من دين الله الذي هو الإسلام ، والرسالة الواحدة التي دعا إليها جميع الأنبياء والرسل في مختلف العصور ، الذين لم تخلو إطلاقاً حقبة زمنية منهم . وعلى هذا نقول أن الدين الحق الذي أوحى الله سبحانه به لأنبياء ورسله بدأ من نزول آدم (عليه السلام) ، كان سابقاً لهذه الحضارات كلها ، فما من حضارة من الحضارات إلا وفيها نبي من أنبياء الله ، أو على الأقل توجد فيها بقايا دعوة نبي ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ

مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ فاطر: ٢٤ . وعليه يمكن تفسير سبب التشابه الذي نجده بين ما عند هؤلاء القدماء من أصحاب الحضارات المنصرمة ، والديانات السابقة من قصص ، ومعتقدات ، وطقوس وشعائر ، إلا لكونها من بقايا دين الله الحق ، الذي أوحى به إلى رسله وأنبياء ليقوموا بالحجة على الناس ، ويبلغونهم دين الله الذي ارتضاه لهم .فالتشابه الذي نجده بينهم وبين الإسلام ، ما هو في الحقيقة إلا

نتاج وجود مصدر إلهي مشترك بينها ، ولذلك من الطبيعي توجد هنالك توافقات بين القرآن الكريم ، والكتاب المقدس بعهديه ، بالرغم ما وقع فيه من تحريف ، وكذلك ما موجود لدى الحضارات والثقافات السابقة لهم ، فكلها بقايا من دين الله ، الذي ناله ما نال من التحريف والنسيان والضياع ، فهذا المصدر الإلهي الواحد هو سبب التشابهات التي نجدتها بينهم ، ذلك لأن الله تعالى أرسل أنبياء ورسله برسالة الإسلام وكل شريعة هي متممة للأخرى ، فهو تعالى لم يرسل النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) برسالة منفصلة عن سابقتها ، بل أنه أرسله برسالة مكملة ومتممة ومهيمنة على جميع ما سبق ، وليست رسالة منفصلة ومغايره حتى يتوقع أن يكون فيها مالم يأتي به السابقون .

الخاتمة وأهم النتائج

خلص البحث الى عدة نتائج اهمها:

١- تقوم دعوى الأصول الأسطورية للقرآن الكريم على أن القرآن الكريم يقتبس شخصياته واحداثه من الاساطير القديمة ، وأنه ليس بوحى إلهي .

٢- يذهب اللادينيون على أن الديانات التوحيدية الثلاثة جاءت متأثرة بما خلفه السومريين والبابليين والاشوريين ، فتركة هذه الحضارات من عوامل نشأت الديانات التوحيدية .

٣- الاساطير تروي في الواقع احداث حقيقة إلا أنها بتعاقب الزمان تغلفت بالخرافات والاباطيل .

٤- أن الأسطورة في الواقع هي تعبير الإنسان والأول ، وتفسيره للظواهر التي كان يعجز عن أدراكها ، وتكون هذه مروية بلغة الرمز ، لغة الإنسان الأول ، وتدور مواضيعها عن الآلهة وأنصاف الالهة ، والبعث والخلود ، والتكوين ، إذا فهي حكاية مقدسة .

٥- النصوص الأسطورية تعاني من جملة من الإشكالات ، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على هذه النصوص ، وأخذها بعين الاعتبار ، لتكون دليلاً علمياً يمكن من خلاله الحكم على النصوص القرآنية على أنها اقتباسات أسطورية ، فهي نصوص غير كاملة ، فقد تعرضت للتلف والاندثار وضاعت أجزاء كبيرة منها ، و صعوبة قراءة هذه النصوص من لغتها الاصلية لتعقيدها وصعوبة فهم دلالاتها، فأغلب القراءات هي اجتهادية ظنية، خاصة وأن معظم الآثاريين الغربيين والمستشرقين ، تكونت ثقافتهم نتيجة إفرزات عصر النهضة ، والذي يقوم على إنكار الدين .

٦- كان العامل السياسي من الأسباب المهمة وراء تزيف الحقائق التاريخية القديمة ، فقد كانت السلطات الحاكمة في تلك الأزمنة تعمد إلى ما موجود في زمانها من قصص حول الخلق أو شخصيات

مقدسة معروفة فتأخذ القصة وتعيد نسجها بصورة أخرى ، لغرض إعطاء مسوغ ديني لهذه السلطة وإخضاع الناس للحاكم وإعطاء صفة القدسية المتمثل بكونه إلهاً .

٧- دعوى الأصول الأسطورية للقرآن الكريم المثارة من قبل المشككين لم تكن حكراً على القصص القرآني فقط ، بل أن حدود هذه الدعوى تشمل جميع القرآن الكريم ، لكون أن الأساطير الحقيقية تقتصر موضوعاتها على المسائل الكبرى ، وهي : الآلهة - الخلق الكون والوجود - الخلود - البعث ، وهذا القضايا كلها تناولها القرآن الكريم فمنها ما يشكل الجانب القصصي منه ، ومنها ما يشكل الجانب العقائدي منه ، ومنها ما يشكل الجانب العبادي منه .

٨- أن الاسرائيليات التي تعج بها كتب التفسير تعد من الأسباب التي تم الاستناد اليها كثيرا في اتهام القرآن الكريم بالاقْتباس الأسطوري .

٩- أن شخصيات الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، من أبرز المواضيع التي أثرت حولها شبهة الأصل الأسطوري ، فقد عمد أعداء الإسلام من النقاد الغربيين ومن بعدهم الكتاب العرب من اللادينيين في نفي وجودهم التاريخي وبالتالي القول بأسطورية هذه الشخصيات ، مستنديين في ذلك على عدم وجود دليل اثري يدل على وجودهم أو وجود اقوامهم .

١٠- أن دعوى الأصول الأسطورية لم تكن وليدة عصرنا الحاضر ، بل لها جذور منذ عهد الرسالة ، فقد أتهم مشرقي قريش القرآن الكريم بكونه أساطير الاولين ، وكان اتهامهم هذا نتيجة فهمهم الخاطيء لمفهوم الأساطير .

١١- أن دعوى الأصول الأسطورية للقرآن أسقطت من قبل المشككين اولاً على الكتاب المقدس ، ومن ثم اسقطت هذه الدعوى من دون وجه حق على القرآن الكريم ، فكتبت الكتاب المقدس اقتبسوا الكثير من الاحداث والشخصيات من الاساطير ، إلا أن هذا لا يعني أن تلك الاحداث لم

تكن فعلاً مذكورة في التوراة ، فكما نعلم أن العهد القديم تم تدوينه بعد فترة السبي البابلي ، ولعلمهم استعانوا بالأساطير التي تروي هذه الاحداث لعلمهم بحقيقة أصل هذه الأساطير .

١٢- ذكر القرآن الكريم لنفس الوقائع التاريخية والأشخاص يعد دليلاً مؤيداً لوقوعها فعلاً ، فهو يؤيد وقوعها ويرويها بصورتها الصحيحة .

١٣- لم يدع النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه جاء بدين جديد ، بل أنه مكمل ومصحح لما سبقه من شرائع .

١٤- أن القدماء أنفسهم قد أخذوا تلك القصص التاريخية والممارسات العبادية من الأنبياء ، فأديانهم وحضاراتهم قامت على بقايا شرائع الأنبياء والمرسلين .

١٥- تشترك المصادر الثلاثة (الأساطير - الكتاب المقدس - القرآن الكريم) في الحديث عن طوفان كبير وقع بسبب غضب الآلهة ا الله على البشر لكثرة فسادهم ، وهذا يدل إلى أن هذه القصة تشير إلى حدث حقيقي وقع في العصور الغابرة ، إلا أنها تختلف فيما بينها في الكثير من التفاصيل .

١٦- تعرضت شخصية النبي موسى (عليه السلام) لشبهة الأصل الأسطوري ، من قبل نقاد اليهود ، والملاحدة فمنهم من ذهب إلى أن شخصية موسى (عليه السلام) شخصية خيالية لا وجود لها تاريخياً ، ومنهم من قال أنها شخصية مصرية وليست عبرية ، ومنهم من ذهب إلى أن شخصيته محاطة بالأساطير ، وأن شخصية موسى (عليه السلام) تشبه إلى حد كبير شخصية (سرجون الاكادي) الواردة في النصوص المسمارية .

١٧- أن كلاً من التوراة والقرآن الكريم يتحدثان عن نفس الشخصية موسى (عليه السلام) نبي الله إلى بني إسرائيل ، بالرغم من الاختلافات بين القصتين وكل ما في القصة التوراتية من تحريف ، إلا أن الشخصية هي موسى (عليه السلام) ، وهذه الشخصية هي ليست شخصية سرجون

الآكدي ، فموسى من أكثر الشخصيات الدينية والتاريخية المهمة ، وسرجون شخصية تاريخية أخرى أثبت وجوده الكشوفات الاثرية .

١٨- أتخذ اللادينييين من حادثة ابتلاع الحوت لنبي الله يونس (عليه السلام) ، سبباً للطعن في شخصيته التاريخية مدعين انها مقتبسة من أساطير قديمة كأسطورة هرقل اليونانية ، الذي ابتلعه الحوت لثلاثة أيام ، ومن أسطورة (أوانيس) الرجل السمكة ، وغيرها من الأساطير التي تتكلم عن أمر ابتلاع الحوت للبطل . وعد النقاد أمر هذه الخارقة يعود لأسطورة أقدم عهداً ، وقد أقتبسها العبرانيين ، ومن بعدهم المسلمين .

١٩- أن عدم وجود ذكر للأنبياء والشخصيات التاريخية بأسمائهم المعروفة اليوم ، مع ذكر الاحداث المرتبطة بهم يعود لجملة من الأسباب ، من بينها ربما كان ذلك إخفاء متعمد من قبل المختصين الآثاريين أو الجهات ذات العلاقة ، وربما يكون إخفاء غير متعمد ، و أن تلك الحوادث وقعت فعلاً ، و أن ظاهرة ربط هذه الاحداث بغير شخصيات الأنبياء جاء نتيجة لاختلاف الأسماء ، و بسبب التضخيم الأسطوري ، والبعد الزمني والتاريخي في الحدث ، وكذلك التغيرات التي طرأت على البيئة الاجتماعية والثقافية ، والعقلية ، والتبدلات اللغوية واللفظية في طبيعة النطق ؛ كل هذا أدى إلى اختلاف نطق الأصوات لأسماء الأنبياء والشخصيات الأخرى ، أو أن تلك الأسماء نقلت إلينا معانيها ، كما مر علينا في قصة نوح (عليه السلام) ، فهو الرجل الذي طال عمره ، أو مرهف الحس ، وهكذا من حضارة وأخرى أختلف الاسم ، وبقي المعنى .

٢٠- قد ارتبطت شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن بالعديد من الشخصيات التاريخية والاسطورية ، ومن أهم هذه الشخصيات هي : الإسكندر المقدوني ، وكوروش الكبير (الاخميني) الملك الفارسي .

٢١- أنه من غير الممكن نسبة الأصل الأسطوري لشخصية ذي القرنين بناءً على تشابهه في أحداث قصته القرآنية مع أحداث ارتبطت بشخصيات تاريخية أو أسطورية أخرى ، وهذه الشخصيات اختلف الباحثين والمؤرخين فيها ، خصوصاً أن الكثير مما قيل في صفاتهم ومنجزاتهم مجرد أمور ظنية واجتهادية ، وليست بحقائق قطعية الوقوع ، وعلى هذا تسقط هكذا دعوات لا تستند إلى أدلة واقعية .

٢٢- تعرضت قصة أصحاب الكهف الواردة في القرآن إلى شبهة الأصل الأسطوري من قبل بعض المستشرقين ، والنقاد ، فذهبوا إلى أنها مقتبسة من أسطورة النيام السبعة ، ولم يكتفوا بالقول أن هذه القصة مقتبسة من أسطورة مسيحية متأخرة .

٢٣- أن دعوى الأصل الأسطوري لم تقف عند حدود القصص القرآني ، إنما امتدت لتشمل الممارسات العملية التي دعا لها القرآن الكريم ، والتي يعبر عنها بالشعائر الدينية ، والتي تعد التعبير العملي للمعتقدات الدينية .

٢٤- من خلال استعراض وتفكيك النصوص الأسطورية والتوراتية والقرآنية ومقارنتها مع بعض، والشبهات المثارة عليها يتبين بصورة جلية عدم صحة هذه الادعاءات التي تثار على ساحة القرآن الكريم .

****تمت بتوفيق الله****

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم ، خير ما يبتدىء به .
- ٢- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ—) ، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٣- ، أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ—) ، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤- ابن الكثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ—) ، البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٥- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: ١٣٩٣هـ—) ، التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤م.
- ٦- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ.
- ٧- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية لأبن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٨- أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تح: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٩- أبو الحبيب ، القاموس الفقهي ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٠- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر :مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

١١- أبو المعاش ، سعيد (ت:١٤٣١هـ.ق) ، تفسير القرآن الكريم .

١٢- أبو شرف ، د. سمير إمام ، شخصيات غيرت مجرى التاريخ " الإسكندر الأكبر" .

١٣- أبو فارس ، د. محمد عبد القادر ، كتاب الإيمان والنذور ، دار الارقم عمان ، ط١ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٤- أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت:٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ.

١٥- أبي الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ت:٧٣٢هـ) ، المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط١ .

- الأحمد ، د. سامي سعيد :

١٦- المعتقدات الدينية في العراق القديم ، المركز الاكاديمي للأبحاث ، مكتبة النرجس ، بيروت ، ٢٠١٣م .

١٧- المدخل إلى تاريخ العراق القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٨م .

- ١٨- السومريون وتراثهم الحضاري ، مطبعة بغداد ، ١٩٧٥م.
- ١٩- تاريخ فلسطين القديم مركز الدراسات الفلسطينية ، الوزيرية - بغداد ، مكتبة المهتدين .
- ٢٠- أحمد ، محمد خليفة حسن ، تاريخ الديانة اليهودية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.
- ٢١- أحمد بن محمد بن حسن ، شرح زاد المستنقع ، الخليل .
- ٢٢- إدريس ، أكرم أحمد ، الفلك والطب أمام عظمة القرآن ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م.
- ٢٣- الأزهري ، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ—) ، تهذيب اللغة ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- ٢٤- أساطير من بلاد ما بين النهرين (الخليقة ، الطوفان ، كلكامش وغيرها) ، ترجمتها ووضعت المقدمة والملاحظات : ستيفاني دالي ، نقلتها إلى العربية : د. نجوى نصر ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧م.
- ٢٥- الأسطورة توثيق ..حضاري ، تأليف قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية ، دار كيوان ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٩م.
- ٢٦- ألبديل م. ف. ، سحر الأساطير دراسة في الأسطورة- التاريخ - الحياة ، ترجمة: د. حسان ميخائيل اسحق ، دار علاء الدين للنشر ، ط ٢ ، ٢٠٠٨م .
- ٢٧- الألوسي ، السيد محمود شكري البغدادي ، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح وضبط : محمد بهجة الاثري ، دار الكتب المصرية ، ط ٢.

- ٢٨- الالوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
- ٢٩- إبياد ، مرسيا، مظاهر الأسطورة ، ترجمة : نهاد الخياط ، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١م .
- ٣٠- البار، د. محمد علي ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، دار القلم -دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ٣١- باقر ، د. طه ، مقدمة في أدب العراق القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .
- ٣٢- باقر ، د. طه ، ملحمة كلكماش ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٥م .
- ٣٣- البحراني، السيد هاشم (ت:١١٠٧هـ) ، البرهان في تفسير القرآن ، مؤسسة البعثة ، قم .
- ٣٤- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ، صحيح البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، الناشر دار ابن كثير، دار اليمامة ، دمشق ، ط٥ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .
- ٣٥- البدرابي ، د. رشدي ، قصص الأنبياء والتاريخ ، ١٩٩٦م .
- ٣٦- برج ، لويس جنز ، أساطير اليهود ، ترجمة : حسن حمدي السماحي ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- ٣٧- البرهومي ، محمد ، الكون والإنسان يشهدان للقرآن ، أكاديمية الحوار الفكري ، ٢٠١٩ .
- ٣٨- بروت ، ل. ديلا ، بلاد ما بين النهرين " الحضارتان البابلية والاشورية " ، ترجمة: محرم كمال ، راجعه: د. عبد المنعم أبو بكر ، دار الثقافة العامة بوزارة التربية و التعليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٩٧م .

- ٣٩- البستاني ، بطرس ، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ٤٠- بشور، وديع ، الميثولوجيا السورية : أساطير آرام ، ط ٢ .
- ٤١- البعداني ، د. إلهام محمد علي ، خلق الإنسان في القرآن دراسة وصفية ، ط ١ ، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م .
- ٤٢- البغدادي ، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب(ت:٤٦٣هـ) ، تاريخ الأنبياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- ٤٣- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: ٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- ٤٤- بلاد الرافدين : الكتابة - العقل - الآلهة ، بوتيرو ، جان ، ترجمة : الأب البيرابونا ، مراجعة : وليد الجادر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق .
- ٤٥- بوتير ، جان ، الديانة عند البابليين ، ترجمة : وليد الجادر ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠م .
- بوكاي ، د. موريس :
- ٤٦- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية ، ترجمة: فوزي شعبان ، المكتبة العلمية .
- ٤٧- القرآن والتوراة والانجيل والعلم ، ترجمة: الشيخ حسن خالد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .

- ٤٨- البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ) ،
 أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ،
 بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .
- ٤٩- الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ) ، الحيوان ، دار الكتب
 العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ .
- ٥٠- الجاني ، د. زاهية ، المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى (ع) وفرعون ، دار التقريب
 بين المذاهب الإسلامية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
- ٥١- الجزائري ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام
 العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية
 السعودية ، ط ٥ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- ٥٢- جواد ، د. علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- ٥٣- الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ) ، زاد
 المسير في علم التفسير ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ،
 ١٤٢٢هـ .
- ٥٤- جيمس فريزر ، الفلكلور في العهد القديم ، ترجمة نبيلة إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة
 للكتاب ١٩٧٣م .
- ٥٥- حبنكة عبد الرحمن ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط ٧ ،
 ١٩٩٤م .
- ٥٦- حجازي ، د. محمد محمود ، التفسير الواضح ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ط ٤ ،
 ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .

- ٥٧- الحجاوي ، أبو النجا شرف الدين موسى المقدسي (ت: ٩٦٨هـ) ، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، تصحيح وتعليق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي ، دار المعرفة بيروت - لبنان .
- ٥٨- حسب النبي ، منصور ، الكون والاعجاز العلمي للقرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩١م.
- ٥٩- حسين ، د. عماد علي عبد السميع ، الإسلام واليهودية " دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٦٠- حسين ، فضيلة عبد الرحيم ، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ ، دار اليازوري العلمية للنشر والطباعة ، الأردن - عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- ٦١- الحسيني ، د. معدي ، الأساطير السومرية ، مراجعة لغوية: حسام الكاشف ، الناشر : كنوز ، ط١ ، ٢٠١٢م.
- ٦٢- الحلبي ، نقي الدين بن نجم الدين أبو الصلاح (ت: ٤٤٧هـ) ، الكافي في الفقه ، الناشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، أصفهان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.
- ٦٣- د. حلمي ، مصطفى ، الإسلام والأديان دراسة مقارنة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- ٦٤- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت: ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م.
- حنون ، نائل :
- ٦٥- المعجم المسماري ، بغداد ، ٢٠٠١م .

٦٦- عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م.

٦٧- عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة ، ط ٢ ، ١٩٨٦م.

٦٨- الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة ، دمشق ، ٢٠٠٥م.

٦٩- الحومي ، القس يوسف تادرس ، سيرة أهل الكهف " بين المصادر السريانية والرواية القبطية ، مكتبة مارجرس شيكولاني ، ط ٢ ، ١٩٩٦م.

-الخالدي ، د. صلاح :

٧٠- سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم ، دار العلوم ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧١- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٢- خضر ، د. عبد العليم عبد الرحمن ، مفاهيم جغرافية في القصص القرآني " قصة ذي القرنين " ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، جدة - المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٧٣- الخطيب ، د. علي ، الصيام من البداية - حتى الإسلام ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

-الخطيب ، عبد الكريم (ت: بعد ١٣٩٠ هـ):

٧٤- القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٧٥- التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- ٧٦- الخطيب ، محمد ، الإنثولوجيا - دراسة في المجتمعات البدائية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠م.
- ٧٧- الخطيب محمد محمد عبد اللطيف (ت١٤٠٢هـ) ، أوضح التفسير ، المطبعة المصرية ومكبتها ، مصر ، ط٦ ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.
- ٧٨- خلف الله ، محمد أحمد ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، ط١ ، ١٩٥١م.
- ٧٩- خليل ، أحمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦م.
- ٨٠- الدباغ ، د. تقي ، الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢م.
- ٨١- الدباغ ، مصطفى ، وجوه من الاعجاز القرآني ، مكتبة المنار ، الزرقاء - الأردن ، ط١ ، ١٩٨٢م.
- ٨٢- الدجاني ، د. زاهية ، أحسن القصص بين إجاز القرآن وتحريف التوراة ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٨٣- دروزة ، د. محمد عزة ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٦م.
- ٨٤- الدملوجي ، فاروق ، تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة ، مكتبة مهتدين ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
- ٨٥- الديوه جي ، سعيد ، الموصل في العهد الأتابكي ، ساعدة وزارة المعارف على نشره ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٨م-١٣٧٨هـ.
- ٨٦- الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت: ٦٠٦هـ) ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ.

- ٨٧- الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٨٨- الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت:٥٧٣هـ) ، قصص الأنبياء ، تحقيق : غلام رضا اليزدي .
- ٨٩- رايتز، وليم ، الأسطورة والادب ، ترجمة : صبار سعدون السعدون ، سلسلة المائة كتاب الثانية ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، ١٩٩٢م.
- ٩٠- رشيد ، د. عبد الوهاب حميد ، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا " العقيدة الدينية .. الحياة الاجتماعية .. الأفكار الفلسفية " ، دار المدى للثقافة والنشر ، بغداد - العراق ، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٩١- رشيد ، د. فوزي ، سرجون الاكدي اول امبراطور في العالم ، الناشر وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الأطفال ، العراق - بغداد ، ط١، ١٩٩٠م.
- ٩٢- رشيد ، فوزي ، حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين (المعتقدات الدينية) ، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٨٥م.
- ٩٣- رؤوف سلامة موسى ، الاسكندر الأكبر - عن دراستي فوكس وبيرن - ، دار ومطابع المستقبل ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت .
- الزحيلي ، د. وهبة بن مصطفى :
- ٩٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٩٥- التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ.

- ٩٦- زكي ، أحمد كمال ، الأساطير " دراسة حضارية مقارنة " ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٩م .
- ٩٧- زودن ، فون ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، ترجمة: فاروق إسماعيل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م .
- ٩٨- سالم ، د. علاء ، من أسرار سومر " دراسة مقارنة بين رؤيتين " ، معهد الدراسات الدينية واللغوية ، النجف الاشرف ، ٢٠٢٠م .
- ٩٩- سامي بن عبد الله ، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ، المغلوث ، مكتبة البيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٦هـ .
- ١٠٠- ساندريس (ن.ك) ، ملحمة جلجامش ، ترجمة : نبيل نوفل وفاروق حافظ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
-السبحاني ، جعفر :
- ١٠١- الإلهيات على هدى القرآن والسنة ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، قم ، ٣ .
١٤١٢هـ .
- ١٠٢- القصص القرآنية ، دراسة ومعطيات وأهداف ، مؤسسة الامام الصادق ، قم - ايران ، ط١ ، ١٤٢٨هـ .
- ١٠٣- السبزواري ، محمد ، ارشاد الاذهان الى تفسير القرآن ، ، (ت: ١٤٠٩هـ) ، دار المعارف للمطبوعات ، لبنان - بيروت ، ١٤١٩هـ .ق .
- ١٠٤- ستيفنس ، باري ، الطقوس ، ترجمة: د. موسى الحالول ، دائرة الثقافة والسياحة ، المتحدة للطباعة والنشر ، أبوظبي ، ٢٠٢١م .
- ١٠٥- السراي ، رشيد ، القرآن والأساطير ، أيهما اقتبس من الآخر؟ ، دار القارئ ، ط١ ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م .

- ١٠٦- السعدي ، د. داود سلمان ، أسرار الكون في القرآن ، دار الحرف العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠٧- السعدي ، د. طارق خليل ، مقارنة الأديان -دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية اليهودية والمسيحية وإسلام والأديان الوضعية الهندوسية جينية والبوذية - ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٠٨- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويح ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ١٠٩- السعفي ، وحيد ، القربان في الجاهلية والإسلام ، الانتشار العربي ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٧م.
- ١١٠- سعود ، د. جمال عبد الهادي محمد - د. جمعة ، وفاء محمد رفعت ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ - منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف ؟ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط٣ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ١١١- سعيد صلاح ، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، الفيومي ، مكتبة القدسي ، مصر - القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
- ١١٢- السقا ، احمد حجازي ، نقد التوراة "اسفار موسى الخمسة" ، مكتبة الناظفة ، القاهرة - مصر .
- ١١٣- سلام ، د. محمد زغلول ، دراسات في القصة العربية الحديثة (أصولها - إتجاهاتها - أعلامها) ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط١ ، ١٩٧٣م.

- ١١٤- سليم ، د. أحمد أمين ، حضارة العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر ، ٢٠١١م.
- ١١٥- سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم " موجز التاريخ الحضاري " ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩٣م.
- ١١٦- السمرقندي (ت٣٧٥هـ) ، أبو الليث ، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، بحر العلوم (تفسير السمرقندي) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- السواح ، فراس :
- ١١٧- أساطير الاولين " القصص القرآني ومتوازياتية " ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق - سوريا ، ط ٢ ، ٢٠١٦م.
- ١١٨- الأسطورة والمعنى " دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، دمشق - سوريا ، ط ٢ ، ٢٠٠١م.
- ١١٩- الله والكون والإنسان " نظرات في تاريخ الأفكار الدينية ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق - سوريا ، ط ١ ، ٢٠١٦م.
- ١٢٠- مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، منشورات دار علاء الدين ، سورية - دمشق .
- ١٢١- مغامرة العقل الأولى " دراسة في الأسطورة _ سوريا وبلاد الرافدين ، ط ١١ .
- ١٢٢- السيد مرتضى ، الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت:٤٣٦هـ) ، أمالي المرتضى ، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران ، ط ١ ، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.
- ١٢٣- السيستاني ، السيد علي الحسيني ، مناهج الصالحين " المعاملات " ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط ١٩ ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٢٤- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت .

١٢٥- شحور ، د. محمد ، القصص القرآني قراءة معاصرة ، دار الساقى بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة ، بيروت -لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م.

١٢٦- شحلان ، أحمد ، مدونات النصوص القديمة - اعمال المستشرقين والأركيولوجيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، مطبعة النجاح الجديد ، الدار البيضاء ، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

-الشربيني ، شمس الدين محمد بن محمد الخطيب (ت: ٩٧٧هـ) :

١٢٧- كتاب مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، حققه وعَلّق عليه: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

١٢٨- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .

١٢٩- شريف ، د. عمرو ، كيف بدأ الخلق ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١م.

١٣٠- شريف ، د. عدنان ، علم الفلك القرآني ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، ١٩٩٣م .

١٣١- شعبان ، مروان وحيد ، الإعجاز العلمي في ضوء الاكتشاف الحديث ، دار المعرفة ، لبنان - بيروت ، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٣٢- الشعراوي ، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ) ، تفسير الشعراوي - الخواطر ، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

-شليبي ، أحمد :

- ١٣٣- مقارنة الأديان - الإسلام ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ط٤ ، ١٩٧٣م .
- ١٣٤- مقارنة الأديان "المسيحية" ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١٠ ، ١٩٩٨م.
- ١٣٥- الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت : ١٣٩٣هـ) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٣٦- الشوك ، علي ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، دار اللام ، لندن ، ١٩٨٧م.
- ١٣٧- الصابوني ، محمد علي ، النبوة والانبيا ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، ط٣ ، ١٩٨٥م.
- ١٣٨- صبح ، علي علي ، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية ، المكتبة الازهرية للتراث ، ٢٠٠١م.
- ١٣٩- الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه (ت:٣٨١هـ) ، من لا يحضره الفقيه ، صححه وعلق عليه : علي أكبر غفاري ، قم المقدسة .
- ١٤٠- صديقي ، محمد الناصر ، ميثولوجيا أديان الشرق الأدنى قبل الإسلام ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤م .
- ١٤١- الصلابي ، د. علي محمد ، المعجزة الخالدة " الإعجاز العلمي في القرآن الكريم براهين ساطعة وادلة قاطعة " دار المعرفة .
- ١٤٢- صلاح سلمان رميض ، أدب الحكمة في وادي الرافدين ، الجبوري ، مراجعة ا.د. فاضل عبد الواحد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠م.
- ١٤٣- صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت - لبنان ، ط١ .
- ١٤٤- الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الأمير (ت:١١٨٢هـ) ، سبل السلام شرح بلوغ المرام "من جمع أدلة الأحكام" ، تحقيق : عصام السيد، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

١٤٥- الضاوي ، محمد الصالح ، أساطير الأولين - رؤية إسلامية مغايرة - ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م.

١٤٦- الطالبی ، محمد ، لیطمئن قلبی الجزء الأول قضية الايمان وتحديات الانسلاخسلاطیة ومسیحیة قداسة البابا بنوا ١٦ ، من أين اتینا؟ وماذا نحن ؟ إلى أين نذهب ؟ " ، دار سراس للنشر ، تونس ، ٢٠٠٧م.

١٤٧- الطائی ، د. محمد باسل ، خلق الكون بین العلم والايمان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزیع ، بیروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٤٨- الطباخ ، محمد راغب (ت: ١٣٧٠هـ) ، ذو القرنین وسد الصین من هو... وأین هو ، تقدیم : أبو عبیدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار غراس للنشر والتوزیع ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-الطباطبائی ، العلامة السید محمد حسین :

١٤٩- القصص القرآنیة وتاریخ الأنبیاء فی تفسیر المیزان ، إعداد وتنظیم ، حسین فعال ، دار الرسول الاكرم ، بیروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٥٠- المیزان فی تفسیر القرآن ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بیروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٥١- الطبرسی ، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار العلوم ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٥٢- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ-) ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

- ١٥٣- الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١م.
- الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت:٤٦٠هـ) :
- ١٥٤- التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق وتقديم : الشيخ آغا بزرك الطهراني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ١٥٥- مصباح المتهدد ، الطوسي ، مؤسسة فقه الشيعة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ١٥٦- ظاذا ، د. حسن ، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧١م.
- ١٥٧- الظاهري ، أبي محمد بن حزم (ت:٤٠٦هـ) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، الاندلسي ، تحقيق : نصر وعبد الرحمن عميرة ، دار الجبل ، بيروت .
- عامري ، د. سامي :
- ١٥٨- الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي -شبهات وردود - ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ط١ ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
- ١٥٩- محمد رسول الله في الكتب المقدسة ، مركز التنوير الإسلامي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ١٦٠- عباس ، محمد ، أفلاطون و الاسطورة ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨م.
- عبد الحكيم ، منصور :
- ١٦١- ذو القرنين الملك العادل الذي طاف بالأرض ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة ، ١٩٨٠م.

- ١٦٢- طوفان نوح في القرآن والاساطير القديمة، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة ، ط ٢ .
- ١٦٣- عبد الرزاق رحيم صلال ، العبادات في الأديان السماوية " اليهودية - المسيحية - الإسلام " ، الموحى ، التدقيق العام : إسماعيل الكردي ، الأوائل للنشر والتوزيع ، ط١، دمشق ، ٢٠٠١م.
- ١٦٤- عبد المجيد ، محمد بحر ، اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ا جامعة القاهرة ، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان ، ٢٠٠١م.
- ١٦٥- عبد المحسن ، د.عبد الراضي محمد ، الغارة التصيرية على أصالة القرآن الكريم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ١٦٦- عبد الملك ، بطرس وآخرون ، قاموس الكتاب المقدس ، مجمع الكنائس بالشرق الأدنى ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠١١م.
- ١٦٧- عبد المنعم ، د. محمود عبد الرحمن ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، دار الفضيلة ، القاهرة .
- عبد الواحد ، د. فاضل :
- ١٦٨- الطوفان في المراجع المسمارية ، طبع الكتاب على نفقة جامعة بغداد .
- ١٦٩- سومر أسطورة وملحمة ، الأهالي للطباعة والنشر ، سوريا - دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- ١٧٠- من سومر إلى التوراة ، سينا للنشر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد من ، العراق ، ط٢ ، ١٩٩٦م .
- ١٧١- تاريخ العراق القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٠.
- ١٧٢- عجينة ، د. محمد ، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤.

- ١٧٣- عطار ، أحمد عبد الغفور ، الديانات والعقائد في مختلف العصور ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٨١م-١٤٠١هـ .
- ١٧٤- عفيف عبد الفتاح ، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم ، طباره ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط ١٥ ، ١٩٨٥م .
- ١٧٥- العلوي ، عبد الكريم ، الملك سرجون الأكدي ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة .
- ١٧٦- علي ، علي يوسف ، موسى (عليه السلام) ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- ١٧٧- عمارة ، د. محمد، شبهات حول القرآن .
- ١٧٨- غطاس عبد الملك ، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، الخشبة ، دار الهلال .
- ١٧٩- غنمي ، سيد سلامة ، التوراة والأنجيل بين التناقض والأساطير ، دار الأحمدي للنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .
- ١٨٠- فاضل ، محمد ، الحراب في صدر البهاء والباب ، دار التقدم ، ط ١ ، ١٣٣٥هـ-١٩١٧م .
- ١٨١- فرحان ، محمد البشير ، حول قصة الخلق ، دار الوسام للطباعة والنشر ، الشارقة ، الامارات العربية المتحدة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ١٨٢- فضل الله ، السيد محمد حسين ، تفسير من وحي القرآن ، دار الملاك ، ط ٢ .
- ١٨٣- الفضلي ، عبد الهادي ، أصول البحث ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، قم - ايران .
- ١٨٤- الفغالي ، الخوري بورييس ، في رحاب الكتاب المقدس " العهد الأول " ، الرابطة الكتابية ، مؤسسة دكاش للطباعة ، بيروت- لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨م .

- ١٨٥- فكري ، وليد ، أساطير مقدسة " أساطير الأولين في تراث المسلمين " ، الرواق للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٨م.
- ١٨٦- فيفل ، حسن زكريا ، حقيقة أغرب من الخيال " يأجوج ومأجوج " ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، ١٩٩١م.
- ١٨٧- فليمنج ، دون ، التفسير المعاصر للكتاب المقدس ، الكنيسة الإنجيلية ، مصر - القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤م.
- ١٨٨- فياض ، د. محمد ، إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨٩- الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ -) ، القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- الفيض الكاشاني ، محمد حسين (ت: ١٠٩١هـ) :
- ١٩٠- التفسير الصافي ، تحقيق : السيد محسن الاميني ، دار الكتب الإسلامية ، ايران- طهران ، ط ١ ، ١٤١٦هـ.
- ١٩١- الأصفى في تفسير القرآن ، مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية ، التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية (محمد حسين درايي - ومحمد رضا نعمتي) ، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، ط ١ ، ١٤٢٠ ق - ١٣٧٨ ش.
- قاشا ، الأب سهيل :
- ١٩٢- أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨م.

- ١٩٣- تاريخ الفكر في العراق القديم ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠١٠م.
- ١٩٤- القرطبي ، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ١٩٥- القرطبي ، موسى بن ميم الاندلسي (ت: ٦٠٣هـ) ، دلالة الحائرين ، ترجمة وتقديم من العبرية إلى العربية: حسين اتاي ، مكتبة الثقافة الدينية .
- ١٩٦- قشطة ، إبراهيم أحمد ، آدم أبو البشر ، مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر ، ط١ ، رفح - فلسطين ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م .
- ١٩٧- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت٤٦٥هـ) ، لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط٣ .
- ١٩٨- القمني ، سيد ، قصة الخلق من منابع سفر التكوين ، الناشر : مؤسسة هنداي ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٧م.
- ١٩٩- قوش سليمان عمر ، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم ، دار الحرمين للنشر ، الدوحة - قطر ، ط١ ، ١٩٨٧ هـ .
- ٢٠٠- الكاشاني، الشريف فتح الله بن شكر الله (ت:٩٨٨هـ.ق) ، زبدة التفاسير ، تحقيق : مؤسسة المعارف الإسلامية ، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، مطبعة عترت .
- ٢٠١- الكاشاني، العلامة الشيخ محمد محسن الفيض (ت:١٠٩١هـ) ، تفسير الصّافي ، صححه وقدم له وعلق عليه : العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان .
- ٢٠٢- الكايد ، هايد ، ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- ٢٠٣- كامل ، مجدي ، أشهر الأساطير في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة .
- ٢٠٤- الكتاب المقدس .
- ٢٠٥- الكتاب المقدس ، العهد القديم ، توضيح ومقدمة على كتاب يونان من قبل مجموعة من علماء اللاهوت .
- ٢٠٦- الكرداني ، د. أحمد عبد السلام ، النجوم في مسالكها ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م.
- ٢٠٧- الكرمللي ، ناصر الدين أبي الفتوح ، الصوم في القديم والحديث ، مطبعة الكونكوردي .
-كريم ، صموئيل نوح :
- ٢٠٨- من ألواح سومر ، ترجمة : طه باقر ، تقديم ومراجعة : د احمد فخري ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة .
- ٢٠٩- السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ، ترجمة: د. فيصل الوائلي ، المركز العلمي العراقي ، بغداد ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م.
- ٢١٠- كسار ، د.جواد ، تاريخ الصلاة في الإسلام ، مطبعة ضياء ، بغداد .
- ٢١١- الكليني ، محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ) ، الكافي ، منشورات الفجر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٢١٢- الكواري ، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام ، تفسير غريب القرآن ، دار بن حزم ، ط١ ، ٢٠٠٨م.
- ٢١٣- الكواز ، محمد كريم ، من أساطير الأولين إلى قصص الأنبياء ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م.

- ٢١٤- كوسيدوفسكي ، زينون ، الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية ، ترجمة: محمد مخلوف ، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م.
- ٢١٥- كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور ، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي - برهان عبد التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢١٦- الكيلاني ، د. رعد شمس الدين ، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن، والتوراة والآثار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- ٢١٧- لامب ، هارولد ، الإسكندر المقدوني ، ترجمة وتحقيق : عبد الجبار المطلبي - محمد ناصر الصانع - محمد الأمين ، الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، ٢٠٠٧م.
- ٢١٨- لانجر ، وليام ، موسوعة تاريخ العالم ، الترجمة : د. محمد مصطفى زيارة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، مكتبة النهضة المصرية
- ٢١٩- لوبون ، جوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة: عادل زعيتر ، القاهرة، ١٩٤٨م.
- الماجدي ، خزعل :
- ٢٢٠- متون سومرية ، الاهلية للنشر والتوزيع ، الأردن - عمان ، ط١ ، ١٩٩٨م.
- ٢٢١- الدين المصري ، دار الشروق ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- ٢٢٢- أنكي الادب في وادي الرافدين ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- ٢٢٣- بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين ، الأهلية للنشر والتوزيع ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م.
- ٢٢٤- المالكي ، أحمد الصاوي ، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين ، المكتبة الإسلامية ، ١٣٥٨هـ.

- ٢٢٥- المجدوب ، د. أحمد علي ، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن ، الدار المصرية اللبنانية ، عربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٢٢٦- المجلسي ، العلامة محمد باقر بن محمد تقي ، بحار الانوار ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٢٧- مجموعة مؤلفين ، شريعة حمورابي أصل التشريع في الشرق القديم ، ترجمة: أسامة سراس ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٣م .
- ٢٢٨- محمد أحمد ، علم الاجتماع الديني ، بيومي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م .
- ٢٢٩- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ) ، فتح القدير ، الشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب - دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
- ٢٣٠- مدبولي ، جلال ، الاجتماع الثقافي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة- مصر ، ط١ ، ١٩٧٩م .
- ٢٣١- المراغي ، أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ-) ، تفسير المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- ٢٣٢- المسعودي ، أبو الحسن (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط٣ ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ٢٣٣- مسلم ، د. مصطفى ، مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ٢٣٤- المسيري ، عبد الوهاب محمد ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .

- ٢٣٥- المشهدي (ت ١١٢٥ هـ.ق)، تفسير كنز الدقائق ، تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٣٦- مصطفوي ، محمد ، الدين والأسطورة دراسة مقارنة في الفكر الغربي الإسلامي ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤ م.
- ٢٣٧- المظهري ، ثناء الله (ت: ١٢٢٥ هـ) ، تفسير المظهري ، تحقيق: غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، باكستان ، ١٤١٢ هـ.
- معرفة ، محمد هادي (ت: ١٤٢٧ هـ) :
- ٢٣٨- شبهات وردود حول القرآن الكريم ، تحقيق : مؤسسة التمهيدي ، ط٤ ، قم المقدسة - ايران ، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م .
- ٢٣٩- التفسير الأثرى الجامع ، مؤسسة فرهنگي انتشاراتي التمهيدي ، قم - ايران ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ.ق .
- ٢٤٠- معلوف ، لويس ، المنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ، دار المشرق ، ط٢٧ ، ١٩٨٣ م .
- ٢٤١- المعموري ، ناجح ، الأسطورة والتوراة - قراءة في الخطابات الميثولوجية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٢ م.
- ٢٤٢- مكاوي ، د . عبد الغفار ، ملحمة كلكامش .
- ٢٤٣- من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، تفسير سفر الخروج .
- ٢٤٤- من التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، تفسير سفر يونا .
- مهران ، د. محمد بيومي :
- ٢٤٥- بنو إسرائيل " النبوة والانبياء " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ م.

- ٢٤٦- بنو إسرائيل " الحضارة - التوراة والتلمود- " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م.
- ٢٤٧- دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، دار النهضة العربية ، بيروت- لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٢٤٨- مصر والشرق الأدنى القديم "الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفرعونية " ، دار المعرفة الجامعية ، مصر - الإسكندرية ، ١٤١٩م-١٩٩٩م.
- ٢٤٩- مورثكات ، أنطون ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب : توفيق سليمان ، علي أبو عساف ، قاسم طوي ، مكتبة المهتدين الإسلامية ، ١٩٥٠م.
- ناصف ، عصام الدين حنفي :
- ٢٥٠- موسى و فرعون بين الأسطورية والتاريخية ، مقدمة بقلم : د . حسن ظاظا ، دار العالم الجديد ، القاهرة .
- ٢٥١- اليهودية بين الحقيقة والاسطورة ، دار المروج للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- ٢٥٢- النجار ، د . زغلول ، السماء في القرآن الكريم ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٢٥٣- النجار ، د. زغلول ، من آيات الاعجاز العلمي في القرآن ، تقديم : أحمد فرج ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط١٣ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢٥٤- نخبة من أساتذة التفسير ، التفسير الميسر ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط٢ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
- ٢٥٥- نصرت ، د. عبد الرحمن ، الواقع والاسطورة في شعر نؤيب الهذلي الجاهلي ، عمان .

- ٢٥٦- النعيمي ، د. احمد إسماعيل ، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، سينا للنشر ، القاهرة - مصر ، ط١ ، ١٩٩٥م.
- ٢٥٧- الهاشمي ، طه ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣م.
- ٢٥٨- هامرتن ، السير جون .ا. ، تاريخ العالم ، ترجمته : إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، القاهرة .
- ٢٥٩- هايدل ، الكسندر ، الخليفة البابلية - قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على "العهد القديم" ، ترجمة: ثامر مهدي ، مراجعة محي الدين إسماعيل ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠١م.
- ٢٦٠- همدان ، حاتم ، ذو القرنين - النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلم الناس الدين والحضارة ، إصدارات إي- كتب ، لندن - بريطانيا ، ط١ ، ٢٠١٥م.
- ٢٦١- الهواري ، د. محمد ، الصوم في اليهودية دراسة مقارنة ، دار الهاني للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٢٦٢- هوك ، صموئيل هنري ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : يوسف داود عبد القادر ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.
- ٢٦٣- هيروودوت أبو التاريخ ، تاريخ هيروودوت ، ترجمة : عبد الاله الملاح ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، ١٤٣٢هـ -٢٠٠١م.
- ٢٦٤- وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، تحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين ، ط١.
- ٢٦٥- وصفي، د. محمد ، دار ابن حزم ، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٢٦٦- الوليدي ، د. يونس ، الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية ، مطبعة :
أنفوبرانت ، فاس ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

٢٦٧- وهبة ، مراد ، المعجم الفلسفي ، دار القباء الحديثة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .

٢٦٨- يحيى ، د. أسامة عدنان ، الإلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم " دراسة في الاساطير"
، أشور بانبيال ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ٢٠١٥ م .

٢٦٩- يوسف ، محمد خير رمضان ، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح " دراسة تحليلية
مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ " ، دار القلم - دمشق ، دار الشامية - بيروت ، ط ٣ ،
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

٢٧٠- يوسف العياشي ، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس " دراسة
تحليلية نقدية " الكلام ، مجلة البيان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٣٤ .

الرسائل الجامعية :

١- أرحام سلمان سليم ، سفر الخروج في توراة اليهود " عرض ونقد" ، العودات ، رسالة بإشراف
الدكتور عماد الدين الشنطي ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية - غزة ، ١٤٣١ هـ -
٢٠١٠ م .

٢- التهامي ، نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، أطروحة دكتوراة ، جامعة الجزائر ١٩٧١ م ،
الشركة التونسية للتوزيع .

٣- أوكيل ، صبيحة ، ظاهرة التوحيد في حضارة وادي الرافدين بين القديمة والديانات السماوية -
دعوة نوح عليه السلام أنموذجاً ، أطروحة دكتوراه بأشراف الدكتور بلقاسم رحمانى مقدمة في
جامعة الجزائر - أبو القاسم سعد الله ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ٢٠١٧ م .

٤- زوجي ، أمينة ، طقوس الحج من الأداء المناسبكي إلى التأويل الثقافي قراءة في " كتاب
أنثروبولوجيا الحج الإسلامي " ، مجلة قلمون السورية للعلوم الإنسانية ، العدد السادس عشر -
تموز ١ يوليو ٢٠٢١م.

٥- هزاع محمد عبد الله سيف ، القرابين والنذور في الديانات اليمنية القديمة ، حماوي ، أطروحة
مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار المصرية القديمة ، بإشراف الدكتور عبد الحلیم نور الدين ،
قسم التاريخ ، جامعة تعز ، اليمن ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦- أمين ، سعد عمر محمد ، القرابين والنذور في العراق القديم ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ،
بإشراف الدكتور حسين ظاهر حمود ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧- نضال عباس جبر ، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة "دراسة مقارنة" ،
الدويكات رسالة ماجستير بإشراف الدكتور محمد حافظ الشريدة ، كلية أصول الدين ، الجامعة
الإسلامية - غزة ، ٢٠٠٦.

٨- القيسي ، محمد فهد حسين ، قصص الخليقة في العراق القديم بين المعطيات المسماوية والكتاب
المقدس دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور طالب منعم الشمري مقدمة إلى كلية
التربية قسم التاريخ ، جامعة واسط ، ٢٠٠٦م.

٩- عبد الله السميح ، صلاح بن صالح ، موسى عليه السلام بين القرآن والتوراة "دراسة عقدية مقارنة"
، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور حمدان بم محمد الحمدان ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود
، قسم الثقافة الإسلامية ، السعودية ، ١٤٢٦هـ.

المجلات والبحوث

١- هجيرة لعور ، أسطورة التكوين من القصة الميثولوجية إلى الديانات السماوية ، قسم اللغة العربية
و آدابها ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، العدد ٤٦-٢٠١٦م .

- ٢- إدريس ، محمد ، الأسطورة والنص المقدس (ماهية الأسطورة في العهد الجديد والقرآن الكريم) ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث .
- ٣- مناصرية ، إبراهيم ، أهل الكهف والأسرار المخفية ، الجزائر .
- ٤- شاهيناز يوسف ، د. مصطفى علي ، بلوغ ذو القرنين مغرب ومطلع الشمس وزيارته لقومي الخانتي والمنسى في سيبيريا لهذه الزيارة : الدلة الفلكية والتاريخية ، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي ، العدد ١١ .
- ٥- زعموشي ، راوية ، البنية الميثولوجية للقصة التوراتية - قصة الخلق أنموذجاً- ، مجلة رسالة المشرق .
- ٦- بدر الحموي ، تحقيق مفهوم الأسطورة بين ما هو تاريخي وما هو خيالي ، مجلة مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر ، المجلد ٧، العدد ٢ ، ٢٠١٨ م .
- ٧- رشيد ، فوزي ، خلق الإنسان في الملاحم السومرية والبابلية ، مجلة افاق عربية ، العدد ٩، أيار ١٩٨١م .
- ٨- مهران ، د. محمد بيومي ، دراسة حول قصة الطوفان بين الأثار والكتب المقدسة ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد الخامس ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٩- الأسود ، حكمت بشير ، الرموز الفكرية في حضارة وادي الرافدين ، منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت ، العدد ١٦، بغداد ، ٢٠١٠ م .
- ١٠- بلوط ، الشيخ هادي ، الصيام في الأديان السماوية ، بحث منشور .
- ١١- قاسم ، هديل علي ، العبادات في اليهودية القربان المقدس أنموذجاً ، مجلة المعيار ، المجلد ٢٣، العدد ٤٨ ، ٢٠١٩٧ م .

- ١٢- الخشن ، حسين ، فقه الشعائر والطقوس _ التطبيق إنموذجا _ دراسة فقهية تاريخية نفسية اجتماعية في ظاهرة إيماء الأجساد يوم عاشوراء .
- ١٣- عبد الكريم ، قصي منصور ، نزار خورشيد ، القرآن الكريم والادب العراقي القديم قصة الطوفان بين الكتابات المسمارية والآيات القرآنية ، مجلة آفاق فكرية ، العدد الرابع ، دار الأصول للطباعة والنشر ، الجزائر ، ٢٠١٦م .
- ١٤- بدران ، غسان عاطف قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة (دراسة مقارنة) .
- ١٥- سوليم ، سميرة ، قصة خلق الإنسان بين الألواح المسمارية والقرآن الكريم (دراسة مقارنة) .
- ١٦- الطحان ، د إسماعيل احمد ، لا أساطير في القرآن ، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد السادس ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٧- برناد ، جفري ، المعنقات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٧٣ ، الكويت ، ١٩٩٣م .
- ١٨- الناطق ، حسن سيد أحمد ، ملخص كتاب (فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم - أوطانهم - زمانهم ، أبو زيد ، حمدي بن حمزة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠٤م) مجلة دراسات دعوية ، العدد ٢٠٠٦م .
- ١٩- سليمان ، عامر ، من القرآن الكريم إلى النصوص المسمارية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ١ ، ١٩٩٨م .
- ٢٠- الدباغ ، تقي الدين ، الموت وما بعد الموت في الفكر الديني القديم اليمن ، مجلة سبأ ، العدد السابع ، كلية الآداب - جامعة عدن ، ١٩٩٨م .
- ٢١- عبد المجيد ، كريم ، هل اقتبس القرآن قصة ذي القرنين من أسطورة سريانية ؟ .

مواقع الانترنت

١- طارق مصطفى حميدة ، مقال منشور ، قصة آدم بين القرآن وسفر التكوين ، موقع رابطة العلماء

السوريين ، [.https://islamsyria.com/site/show_articles/13325](https://islamsyria.com/site/show_articles/13325)

٢- عبد المنعم النمر ، مقال منشور (ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرنا و كشف عنها

- أبو الكلام آزاد -) ، : موقع إعجاز القرآن والسنة [. https://quran-m.com](https://quran-m.com)

٣- الموسوعة البريطانية - Seven Sleepers of Ephesus

[http://www.britannica.com/EBchecked/topic/](http://www.britannica.com/EBchecked/topic/Seven-Sleepers-of-536521)

[.Ephesus](http://www.britannica.com/EBchecked/topic/Seven-Sleepers-of-536521)

٤- محمد النجار، حقيقة قصّة أهل الكهف، منتدى اللادينيين العرب ،

[http://www.ladeenyon.org/forum/viewtopic.php?f=](http://www.ladeenyon.org/forum/viewtopic.php?f=11&t=25074)

٥- الحوار المتمدن اول صحيفة يسارية - علمانية الكترونية يومية مستقلة في العالم العربي ،

[./https://www.ahewar.org/search](https://www.ahewar.org/search) ، العدد : ٣٤٦٩ - ٢٠١١/٢٧/٨

٦- حبيب ما يابي ، الصوم عند الشعوب .. ممارسة عابرة للحقب والأديان والثقافات ، مقال منشور

على موقع الجزيرة الوثائقية [. https://doc.aljazeera.net](https://doc.aljazeera.net)

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon/ College of Islamic Sciences
Department of Quranic Sciences/ Higher Studies



**Criticism of the claim of
mythological origins in the Holy
Qur'an
An analytical study**

A dissertation submitted to the Council of the College of Islamic Sciences - University of Babylon, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in the sciences of the Holy Qur'an

**By the student
Zainab Haider Hassan Al-Rikabi**

**Under the supervision of Prof. Dr.:
Muhammad Hamza Al-Shaibani**

abstract

Some of the orientalists, and the Arab critics who followed them, maliciously exploited this similarity. Between what is found in the Holy Qur'an, the Bible, and the myths of ancient civilizations, in order to undermine the heavenly religions in general, and Islam in particular, by claiming that these religions are man-made religions, claiming that their books are of mythical origins, and that they are influenced by what the Companions have presented. ancient civilization, and that it impersonates its stories, beliefs, and rituals from the myths of those defunct peoples; So the research worked on dismantling this suspicion and discussing it and clarifying the face of truth and correctness in it, so it fell upon the research to criticize the claim of the mythical origins of the Holy Qur'an through steps, which is to re-read the term myth correctly, this term that has long been associated with myths and falsehoods, and by stating that myth It does not mean myth, but it is the expression of the first man, and his historical record, but it is a craft with the succession of time, while its true essence remains, and that the Holy Qur'an removed these impurities from it and revealed it in its true form. And then reviewing some of these legends in question and comparing them with what came in the Bible and then the Holy Qur'an, to see the compatibility of the claim? And a statement that the claim of the legendary origin was first dropped on the Bible, and from it it was dropped on the Qur'an being an extension of the heavenly books, to make it clear that there is no mythological correspondence between them and the Qur'an, and that the percentage of similarities that exist is not a mythical quotation, but a revelation from God Almighty.